

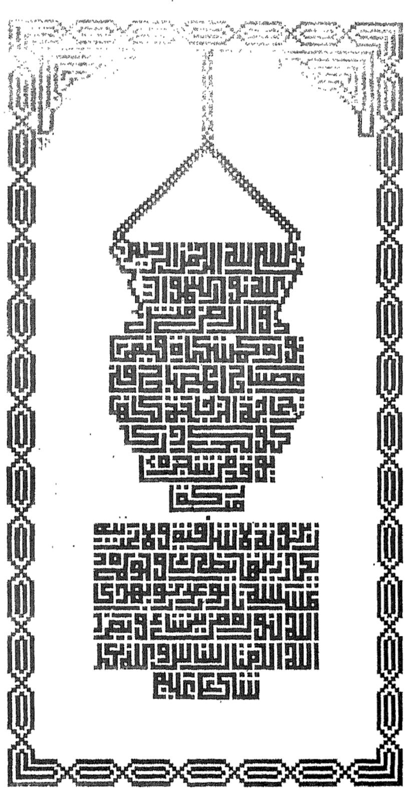






العدد الأول - السنة الثامنة - شوال ١٤٠٢هـ «يوليو ١٩٨٢م»

الدورة السادسة. الدوحة. ١-٦ رجب ١٤٠٢هـ الموافق ٢٤-٢٩ أبريل ١٩٨٢م



بسم الله الرحمن الرحيم ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَٰتِ
وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَٰلَ
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ سورة النور ٢٤



مجلة ربع سنوية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز
تعنى بتراث وفكر المملكة والجزيرة العربية
والعالم العربي والاسلامي مماله صلة بالجزيرة العربية

العدد الأول - السنة الثامنة
شوال ١٤٠٢ هـ - يوليو ١٩٨٢ م

المملكة العربية السعودية - الرياض « ١١٤٦١ » ☒ ٢٩٤٥ ☎ ٤٤١٢٣١٦

في هذا العدد



صورة الغلاف:
شعار الدورة السادسة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية التى عقدت بدولة قطر.



قيمة العدد في الداخل ريالان والاشتراك السنوي خمسة عشر ريالا.
في الكويت ٢٥٠ فلساً . في الامارات ٤ دراهم. في قطر ٤ ريالات. في ألمانيا ٢ مارك. في المغرب ٤ دراهم. في تونس ٣٥٠ مليماً. في مصر ٢٥ قرشاً.

في خارج البلاد العربية دولار للعدد الواحد وستة دولارات للسنة.



ترسل الاشتراكات باسم أمين عام الدارة، أما المقالات فترسل باسم رئيس التحرير -ص.ب ٢٩٤٥ الرياض « ١١٤٦١ » . ترتيب المواضيع داخل العدد يخضع لأسباب فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

خالد بن عبد العزيز

الملك الإنسان

١٣٣٣ : ١٤٠٢ هـ — ١٩١٤ : ١٩٨٢ م

فجع المسلمون والعرب بل وكل المحبين للخير والسلام والعدل في أنحاء العالم أجمع بوفاة الملك خالد بن عبدالعزيز صباح الأحد ٢١ شعبان ١٤٠٢ هـ الموافق ١٣ يونيو ١٩٨٢م.

وهذا العدد من مجلة «الدارة» - وهي لسان لدارة الملك عبد العزيز التي تتشرف بحمل إسم مؤسس المملكة العربية السعودية، والد فقيدنا الغالي واخوانه الميامين هو أول عدد يصدر بعد رحيل جلالته. ومعروف لدى الجميع أن من أولى مهام «الدارة» ومجلتها البحث في تاريخ هذه البلاد. وقد أصبح خالد الملك الآن في ذمة التاريخ. وهذه السطور هي من نبع الألم على فقده أكثر منها دراسة لعهده إذ أن هذا العمل سوف يقوم به - ولاشك المتخصصون في التاريخ. فسوف يكتبون عن عهد جلالته العديد من المؤلفات حتي تفي ببعض ما قدم - غفر الله له - لبلاده وللمسلمين وللعرب.

ولد خالد بن عبدالعزيز عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م. وفي طفولته حفظ القرآن وتلقى الدروس الدينية، ولما شب أسهم في الأعمال الجليلة التي قام بها والده العظيم من أجل توحيد المملكة وتثبيت كيانها، وتولى إمارة «مكة» فترة من الزمن، ورأس وفد المملكة في المفاوضات التي أدت إلى إقرار السلام ورسم الحدود مع اليمن الشقيق في معاهدة الطائف عام ١٣٥٣هـ. وصحب أخاه فيصل لحضور مؤتمر لندن عام ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) الخاص ببحث قضية فلسطين، اختاره الفيصل رحمه الله ليكون نائبا لرئيس مجلس الوزراء سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م. وفي ٢٧ من ذي القعدة ١٣٨٤هـ (٢٩ من مارس ١٩٦٥م) أصبح وليا للعهد.



إلى جنة الخلد يا خالد

وعلى إثر إستشهاد الفيصل في ١٣ ربيع الأول ١٣٩٥ هـ (٢٥ من مارس ١٩٧٥ م) بايع الشعب السعودي جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز ملكا على المملكة العربية السعودية، كما بايع حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز (آنذاك) وليا للعهد ونائبا أول لرئيس مجلس الوزراء، وأختير في نفس الوقت سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز نائبا ثانيا لرئيس مجلس الوزراء.

وحينما تولى جلالة الملك خالد -رحمه الله- عرش البلاد عام ١٣٩٥ هـ تسلم مملكة موطدة الأركان: كان والده العظيم عبدالعزيز آل سعود قد وحدها على دعائم من الإيمان والحزم، وكان الأمن قد إستتب في ربوعها، وبدأت فيها حركة النهضة. وخاصة بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية -حينما بدأت البلاد تجني ثمرات إكتشاف النفط فيها، ثم خلفه إبنه سعود بن عبدالعزيز -رحمه الله- فواصل العمل على إنهاض البلاد في مختلف الميادين، ثم جاء عهد الفيصل -غفر الله له- فكان عهد إصلاح مالي، ثم إنطلاقة في ميادين النهضة في كافة مجالاتها، وتميزت هذه النهضة بالتخطيط العلمي السليم إذ وضعت الخطة الخمسية الأولى. ١٣٩٠ هـ - ١٣٩٥ هـ (١٩٧٠ م - ١٩٧٥ م) وكانت موارد البلاد قد زادت بعد إرتفاع أسعار النفط عالميا. كما أن الفيصل -رحمه الله- قد وضع أسسا راسخة للتضامن الاسلامي ونذر نفسه لمناهضة الشيوعية والصهيونية والإستعمار. وكان لحكمته ومواقفة الجريئة في نصرة قضايا العرب والمسلمين -وبصفة خاصة القضية الفلسطينية- أن أصبحت للمملكة العربية السعودية مكانة عظيمة.

وكان أول ما أعلنه الملك خالد بن عبدالعزيز أثر توليه العرش أنه سوف يسير على نفس درب سلفه العظيم. ونستطيع أن نقول الآن - وبكل الصدق - أن جلالته رحمه الله قد برّ بما وعد فقد تواكب تنفيذ الخطة الخمسية الثانية للتنمية مع تولي جلالته عام ١٣٩٥ هـ. وبلغ إجمالي المتطلبات المالية لهذه الخطة مبلغ ٤٩٨٢٣٠٫٢ مليون ريال سعودي أي بنسبة ٨٫٩ إلى الخطة الخمسية الأولى وتغطي تنمية الموارد الاقتصادية والموارد البشرية والتنمية الإجتماعية وإنشاء التجهيزات الأساسية والإدارة والدفاع والمساعدات الخارجية. ونجحت هذه الخطة الخمسية الثانية في تحقيق معظم أهدافها إذ بلغ متوسط معدل النمو السعودي للانتاج المحلي الاجمالي ٨٫٤٪ بينما حقق القطاع غير النفطي نموا بمعدل سنوي قدره ١٥٫٨٢ ٪ وكان رائعا خلال ذلك السيطرة على التضخم إذ لم يتعد ٦ ٪ فقط. كما كان أروع أهداف تلك الخطة وهي تسعى إلى تحقيق معدل مرتفع من النمو الاقتصادي، وتعمل على توسيع القاعدة الاقتصادية للمملكة حتى يخف اعتمادها على صادراتها من الزيت الخام، وإلى تنمية القوى البشرية عن طريق التوسع في التعليم والتدريب ورفع المستوى

الصحي، وعلى زيادة الرفاهية لجميع فئات المجتمع، وعلى دعم الاستمرار الاجتماعي في مواجهة التغييرات الاجتماعية السريعة هي تحقيق ذلك كله في إطار الحفاظ على القيم الاسلامية، الدينية والخلقية.

ثم شهد جلالته، قبل رحيله، فترة من الخطة الخمسية الثالثة التي بدأت عام ١٩٨٠م والتي بلغ إجمالي المرصود لها ٧٨٢٫٨ مليار ريال، والتي قصد أن يتم التركيز فيها على تنمية الموارد البشرية والقطاعات الانتاجية في الاقتصاد القومي.

وطبيعي أنه لن يتسع المجال هنا لعرض التطور الهائل الذي حدث في المملكة في كافة الميادين على أننا سنذكر فقط إشارات له إذ يتطلب عرضه كثيرا من المؤلفات فقد بلغ ما رصد للقطاعات العسكرية مثلا في الموازنة المالية الأخيرة ٩٢ مليار و ٨٨٩ مليون ريال، ولم ننس بعد الضجة التي قامت بعد ما تملك الجيش السعودي طائرات إف- ١٥ وبعد أن أصبحت طائرات الاواكس في حوزته. وفي مجال التعليم يتم تشييد ٥٠٠ مدرسة جديدة للبنين والبنات كل عام وصار عدد الجامعات سبعا، وفي مجال الصناعة والكهرباء يكفي أن نشير إلى المجمّعين الصناعين في الجبيل وينبع، وفي قطاع المواصلات أصبح لدى المملكة أحدث شبكة طرق من نوعها في الشرق الأوسط إذ تم رصف ٢٤ ألف كيلو متر من الطرق السريعة و ٢٠ ألف كيلو متر من الطرق الزراعية، وفي ميدان الصحة تضمنت خطة التنمية الثالثة إنشاء ٣٦ مستشفى جديدا بطاقة اجمالية قدرها ٧٥٥٠ سريرا، وعلى صعيد الاتصالات البرقية والهاتفية أصبحت المملكة من أولى دول العالم حيث ستصل طاقة السنترالات بنهاية الخطة الخمسية الثالثة بإذن الله إلى مليون و ١٧٧ ألف خط، وفي مجال الاسكان لم يعد المسكن يمثل مشكلة بالنسبة للمواطن بعد المساعدات التي يتلقاها من صندوق التنمية العقاري...

وكان جلالته -رحمه الله- حريصا غاية الحرص على أن يعم الخير كل مناطق المملكة الواسعة شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ووسطا: كلها تتوزع فيها المشروعات والإنشاءات كل حسب طبيعتها وإحتياجاتها. وكانت أسعد أيامه هي التي التقى فيها برعاياه في جميع هذه المناطق وهو يفتتح مشاريع الخير، ويسمع منهم مطالبهم ويأمر بتلبيتها. ورغم متاعبه الصحية- رحمه الله- فقد كان يُصرّ أحيانا على التنقل بالبر، وكمثال واحد على ذلك ما كان من إصرار جلالته في محرم ١٤٠١ هـ حينما كان يزور منطقتي القصيم وحائل على أن يقطع المسافة وطولها ٤٠٠ كيلو مترا عن طريق البر من أجل أن يلتقي بمواطني الهجر والقرى على طول تلك الكيلو مترات مدشنا في طريقه صوامع الغلال ومطاحن الدقيق بالقصيم وغيرها من المنشآت.

ولهذا كله ليس بعجيب أن نجدنصيب الفرد السعودي من الدخل القومي قد تجاوز اليوم مبلغ ٥٠ ألف ريال وكان عام ١٣٩٥/٩٤ مبلغ ١٧ ألف ريال.

إننا بعد هذا العرض السريع المقتضب للتنمية في عهد جلالته يمكن أن نطلق عليه عهد الرخاء أو عهد الإنسان السعودي فقد كان الملك إنسانا قبل كل شيء، وكان تلقينه الحق وتربيته الإسلامية وطباعه الرقيقه قد جعلت الإنسان عنده محور إهتمامه. وإذا كان الإنسان السعودي هو مسئوليته الأولى باعتباره ملكا على السعودية. فإن صفته كخادم للحرمين الشريفين قد جعلت الإنسان المسلم موضع إهتمامه كذلك، وغنّي عن البيان أن يكون للانسان العربي نفس الوضع عنده فبلاده هي موطن العرب الأول وكانت القضية الفلسطينية عنده- كما كانت عند سلفه العظيم فيصل- هي التي اجتمعت فيها محنة المسلمين والعرب معا ففيها القدس الشريف الذي دنّسته أقدام الصهيونية.

فمنذ تولى جلالته مقاليد الحكم كان خير عون لدعاة نشر الدين الإسلامي الحنيف في مختلف أرجاء العالم، وقدّم جلالته الكثير الكثير في سبيل إنشاء المساجد والمدارس الإسلامية ومساعدة المسلمين في المناطق الفقيرة، وتقديم المساعدات الاقتصادية للدول الإسلامية التي تحتاج إليها. ومنح الملك الراحل إهتماما خاصا لقضايا الأقليات الإسلامية لتخفيف الضغوط عليها. وكان جلالته وراء طباعة الكتب الإسلامية ونشرها، ودعم البحوث الدينية، وترجمة الدارسات الإسلامية إلى غير الناطقين بالعربية. ومساعدات جلالته لقضية المجاهدين الأفغان ضد الغزو الشيوعي أكبر من أن تذكر.

ودعا جلالته إلى عقد القمة الإسلامية الثالثة في مكة في رحاب بيت الله الحرام، وترأس المؤتمر الاسلامي وتضرع إلى الله يوم إفتتاح جلسات القمة: ١٩ ربيع الأول ١٤٠١ هـ أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يسدد خطاهم. وقد إنبثقت عن هذا المؤتمر لجنة المصالحة الإسلامية التي تعمل من أجل وقف القتال بين إيران والعراق، وكان جلالته دائم التشجيع على تحقيق ذلك ولعل ماأعلنه العراق من جانبه بالتزام وقف القتال قبل وفاة جلالته بقليل ما يؤدي إلى إيقاف هذا النزيف الذى ينهك المسلمين.

أما قضية الشعب الفلسطيني المسلم فقد أولاها- رحمه الله- عناية خاصة، وقدّم هو وحكومته كل العون والدعم المادي والسياسي للشعب الصامد في الأرض المحتلة. ويوم ثار هذا الشعب ثورته العارمة أطلق جلالته النداء يوم الاربعاء ٢٠ جمادى الثانى ١٤٠٢ هـ/١٤ إبريل ١٩٨٢م بتعطيل العمل في المصالح الحكومية والمؤسسات العامة والخاصة تعبيرا عن التضامن معه، وقد أثبتت الاستجابة الكبيرة التي قوبل بها نداء الإضراب في كافة أرجاء العالم

الإسلامي مدى المكانة الكبيرة التي كان يتمتع بها جلالته.

وأخشى أننا لن نستطيع هنا حتى مجرد الاشارة إلى كافة ميادين الخير والعطاء مثل ترسيخ الأمن الداخلي. ورعاية الشباب. والرعاية الاجتماعية للمحتاجين. ورعاية الحجيج. إلى غير ذلك...

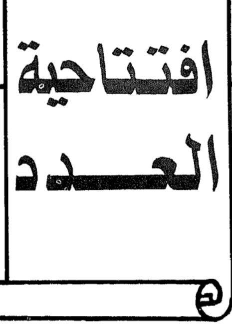
وفي مجال إحساس الفقيد العظيم بمسئوليته العربية كان سعيه لإحداث تنسيق للمواقف السياسية والخطط الاقتصادية بين دول الخليج لضمان إستقرارها وكذلك قدرتها على التصدي للأخطار وإنتهى الأمر بنجاح بتأسيس مجلس التعاون الخليجي عام ١٤٠١ هـ وحضره جلالته في إنعقاده على مستوى القمة.

وقبل وفاته- رحمه الله- بأيام. وحينما غزت إسرائيل لبنان لابادة المقاومة الفلسطينية ومعاقبة الشعب اللبناني كان يعيش المأساة لحظة بلحظة. ووجه كل إهتمامه إلى وقف هذه المأساة.

ويبدو أن هذه المآسي قد أنهكت قلب جلالته. وهو القلب الذي كان قد تحمّل عدة جراحات خلال أكثر من عشر سنوات. ومن هنا لا نرى أنه من باب التجاوز أن نسمي جلالته شهيد الإسلام والعروبة.

وبعد فانه إذا كنا قد عرضنا كيف حفظ جلالته الرسالة التي تسلّمها من جلالة الفيصل. وكيف حقق الرخاء للانسان السعودي خاصة. وكيف أسهم بالكثير في سبيل الإسلام والعروبه بل والإنسانية جمعاء فانه ينبغي أن نذكر أن يده اليمنى في التخطيط والتنفيذ والمتابعة كانت يد ولي عهده الأمين الأمير فهد ابن عبدالعزيز (آنذاك) الذي كان كذلك نائبا أول لرئيس مجلس الوزراء. ويد الأمير عبدالله الذي كان آنذاك نائبا ثانيا لرئيس مجلس الوزراء واخوانه الميامين والوزراء والمسئولين الذين كانوا جميعا على مستوى المسئولية والإخلاص. ولهذا لم يكن غريبا أنه بعد وفاة جلالته مباشرة أنتقلت مقاليد الحكم في سهولة ويسر إلى يد جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز الذي بايعه الشعب بالملك كما بايع ولي عهده الأمير عبدالله بولاية العهد بكل الحب مما أثبت للعالم أجمع أن الملك الذي شيّده عبدالعزيز آل سعود من نحو خمسين عاما تماما هو ملك وطيد يدعمه حب الشعب وولاؤه لحكامه من آل سعود الذين رأى على أيديهم الاستقرار والأمن والرخاء وعلو المكانة.

فالشعب الذي أحب خالدا- غفر الله له- هو نفس الشعب الذي بايع فهداً وكله ثقة في الله وفي إقتدار الملك فهد وولي عهده الأمير عبدالله وحكومته الرشيدة على إستمرار مسيرة الرخاء الذي سيتحول في عهدهم إلى إزدهار باذن الله.



افتتاحية العدد

وما كدت أحمد الله على جزيل ما أفاء علينا من نعمه (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) والنعمة التي أنا بصددها، هي أن هذا العدد هو العدد الأول من السنة الثامنة، ولا أريد أن أطيل، بل أجدني ومن أجل المجلة وكاتبها وقارئها، أطلب أن تتوالى البحوث والمقالات مما عرفت المجلة بها، غير أني هذه المرة أحدد المطلب.

أولا : أريد بحثا يؤرخ ويجغرف لقوم «عاد» وما جاء في الأسفار أو الأساطير عن «**إرم ذات العماد**»، وعن «**الإعصار**» الريح الصرصر التى أهلكهم الله بها، وهل هم من نسل «**قحطان**» أم من نسل «**سام**».

ثانيا : كما هو المطلب عن «**ثمود**»، وفي خيالي أن «**ثمود**» جاءت بعد «**عاد**»، فهل هي «**قحطانية**» أم «**ثمود**» جد مستقل هو وعاد عن قحطان، فإما «**لأرفخشد**» أو «**لسام بن نوح**» عليهما السلام.

أرجو أن يؤرخ لهم وتجغرف المنطقة كلها، وهل كان «**جون فيلبي**» على حق عندما سمى المنطقة (**مدين أو أرض الأنبياء**) وما علاقة **سلع البتراء** في الأردن **بحجر ثمود**، هل الطراز واحد، وأيهما الأقدم ؟.

ثالثا : وأريد أن نؤرخ للأنباط أصحاب «**الرس**» وعن بعض الآبار،



بقلم رئيس التحرير

والتي لا تزال موجودة في أرضنا العربية، وهل اسم «**الرس**» في «**القصيم**»، و «الرس» في شمال المدينة له ارتباط بالأنباط، فهناك كذبة تنسب الأنباط الى الفرس، ولابد من التصحيح، ولعلي أحفظ قولا «**لابن عباس**» رضي الله عنه، أنه قال: (**نحن من ولد النبيط**)، يعني أنه من ولد «**ابراهيم**» أبي الأنبياء عليه السلام، فهل كان «**الكلدان**» هم الأنباط أو قبيل منهم؟.

ونحفظ سؤالا «**لخالد بن الوليد**» رضي الله عنه، فقد سأل «**عبد المسيح**» يوم فتح «**الحيرة**» صلحا، قال خالد لعبد المسيح:

- **هل أنتم عرب أم نبيط؟.**

فقال عبد المسيح:

- **نحن عرب استنبطنا، وأنباط استعربنا.**

وأريد كذلك بحثا عن «**طسم وجديس**»، و «**زرقاء اليمامة**»، يعني عن بعض التاريخ من كل التاريخ ليعلم أننا أبناء ماض.

أسئلة أو رغبات أطرحها لعلى أجد من يستجيب، فليس لدي من الجهد ، ولا من حصيلة العلم ما يجلعنى واحداً من الذين سألتهم، وحسبي أن أكون قد حققت هذه الرغبة لى ولكم أيضاً.

والله ولي التوفيق،،،

يحيى حسين زيدان

حول توصيات :

الدورة السادسة

للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية

●●●

بدعوة كريمة من مركز الوثائق والأبحاث في دولة قطر الشقيقة وتنفيذا لتوصيات الدورة الخامسة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية، عقدت في الدوحة في الفترة ما بين الأول من رجب عام ١٤٠٢هـ الموافق ٢٤ ابريل عام ١٩٨٢م والى الخامس من رجب ١٤٠٢هـ الموافق ٢٨ ابريل ١٩٨٢م – الدورة السادسة لهذه المراكز والهيئات، تحت رعاية صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر.

وقد افتتح الدورة في مساء السبت ١ رجب الموافق ٢٤ ابريل سعادة السيد عيسى غانم الكواري وزير الاعلام نائبا عن سمو أمير البلاد وأشار سعادته في الكلمة التي ألقاها بهذه المناسبة الى رعاية دولة قطر لنشاط هذه المراكز والهيئات والى تقديرها الكبير لرسالتها القومية والاسلامية، ثم ألقى الاستاذ أحمد العناني رئيس مركز الوثائق والأبحاث في دولة قطر الشقيقة كلمة





السيد عيسى غانم الكواري وزير الاعلام القطري يلقي كلمة افتتاح الدورة

رحب فيها بالوفود وتمنى للمراكز كل توفيق في دورتها الحالية. ثم قدم بعد ذلك **سعادة السيد الأمين العام للمراكز والهيئات الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار** فألقى كلمة شكر فيها الدولة المضيفة واستعرض مجمل منجزات الأمانة العامة.

وبعد ذلك تفضل سعادة السيد عيسى غانم الكواري وزير الاعلام بافتتاح معرض الكتاب الخليجي الذي أقيم بهذه المناسبة وأشاد بالجهد الكبير الذي بذل في اقامة هذا المعرض، وبما يعسكه من نشاط علمي وثقافي في دراسات الخليج تشهده المنطقة في الآونة الأخيرة.

وفي صباح الأحد ٢ رجب الموافق ٢٥ ابريل، اجتمع المكتب التنفيذي للأمانة العامة بحضور السادة:

الدكتور مصطفى عبد القادر النجار، والاستاذ أحمد العناني والشيخ عبد الملك بن عبد الله آل الشيخ والدكتور عبد الله يوسف الغنيم والدكتور محمد مرسي عبد الله، أعضاء المكتب التنفيذي، وتمت مناقشة جدول أعمال الدورة السادسة واستقر الرأي على ترشيح الاستاذ أحمد العناني رئيسا لهذه الدورة، والدكتور محمد مرسي عبدالله مقررا عاما والاستاذ عبد الملك ابن عبد الله آل الشيخ رئيسا للجنة الصياغة. كما رشح السادة: الدكتور محمد صفي الدين أبو العز، والدكتور علي عبد الرحمن أبا حسين، والاستاذ أحمد العناني أعضاء في لجنة الصياغة.

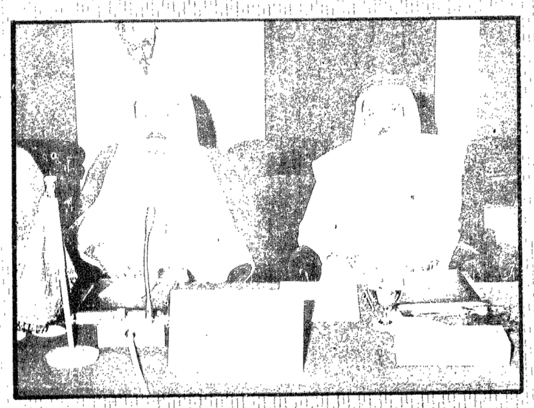
وفي بداية الجلسة الأولى التي عقدت في المساء تمت موافقة الوفود

على اقتراحات المكتب التنفيذي بخصوص اختيار الرئيس والمقرر ورئيس لجنة الصياغة وأعضائها. وأضيف عضو الوفد اليمني السيد عبد الودود سيف الى لجنة الصياغة.

ويبدأ بعد ذلك استعراض رؤساء الوفود لنشاط مراكزهم خلال عام ١٩٨١م، والخطط العلمية المقررة لهذه المراكز والهيئات خلال عام ١٩٨٢م. وقد تلت ذلك مناقشات واستيضاحات، اشترك فيها السادة الضيوف وهم:

الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور محمود علي الداود والدكتور شاكر عبود الالوسي والدكتور أحمد جمال والدكتور أكمل الدين احسان أوغلو والدكتور محمد عدنان البخيت والدكتور عبد الله أبو عزة والدكتور شاه منظور عالم والبروفيسور مانويل ريا ريجوس. وقد طرحت خلال المناقشات كثير من الآراء السديدة والتوجيهات العلمية التي يمكن أن تهيء للأمانة العامة وللمسئولين عن المراكز والهيئات أبعادا وآفاقا جديدة لنشاطهم.

وفي الجلسة الثانية التي عقدت في مساء اليوم نفسه عرض السيد الأمين العام تقريره السنوي عن نشاط الأمانة فيما بين الدورتين، ثم نوقشت بعد ذلك توصيات الدورة الخامسة المنعقدة في دارة الملك عبد العزيز بالرياض ومتابعة ما تم تنفيذه منها. وتبين انجاز أغلب هذه التوصيات، وأن بعضها الآخر في سبيله الى التنفيذ.



سعادة الأستاذ عبد الملك آل الشيخ والأستاذ عبد الرحمن البراء في أثناء انعقاد الدورة

وناقش المجتمعون مشروع الدليل الموحد للشخصيات العلمية المعاصرة في منطقة الخليج والجزيرة العربية، وأبدوا بعض الملاحظات القيمة حول المشروع.
كما استعرض المجتمعون ورقة العمل التي أعدتها دارة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية حول موسوعة الخليج والجزيرة العربية. وبعد مناقشة مستفيضة للمنهاج العلمي ولأهداف هذا المشروع ومحتواه العلمي:

تقرر تعديل العنوان الى «دليل الخليج والجزيرة العربية» بحيث يكون هذا العمل بمثابة الخطوة الأولى لاصدار الموسوعة المتكاملة للخليج والجزيرة العربية في المستقبل.

ثم قدمت مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ما تم انجازه من مشروع أطلس الخليج والجزيرة العربية الذي استقر الرأي في الدورة على البدء في تنفيذ الجزء التاريخي منه. كما قدمت بعض النماذج من اللوحات الأولى التي سيتضمنها الأطلس التاريخي المقترح.

وعلى ضوء المناقشات التي دارت في جلسات العمل والتي تبودلت خلالها كثير من الأفكار والآراء البناءة التي من شأنها تدعيم رسالة الأمانة العامة واستكشاف آفاق أرحب لنشاطها وافق المجتمعون على التوصيات التالية :



أمين عام الدارة الأستاذ عبد الملك آل الشيخ وهو يتحدث مع السيد عيسى الكواري وزير الاعلام القطري أمام جناح الدارة في معرض الكتاب بالدوحة

«التوصيات العامة»

أولا – في نطاق التعاون فيما بين المراكز والهيئات العلمية :

١ – زيادة التعاون فيما بين المراكز والهيئات العلمية الأعضاء في الأمانة بتبادل الفهارس للوثائق والمخطوطات والخرائط والمصورات والمصادر الاحصائية في مختلف المجالات العلمية مع اعطاء مراكز الوثائق والبحوث اليمنية عناية خاصة.

٢ – العمل على المزيد من الاهتمام بالوثائق الوطنية الحديثة والمعاصرة. وتنسيق الجهود مع الهيئات والمؤسسات الرسمية الأخرى في البلدان ان وجدت للاحتفاظ بهذه الوثائق وصيانتها واتاحة مايمكن تناوله للباحثين والدارسين.

٣ – أن تتولى الأمانة العامة التنسيق مع المراكز والهيئات لتجميع الوثائق والمخطوطات من مختلف مصادرها في داخل الوطن العربي وخارجه في اطار عمل متكامل.

ثانيا – في مجال تنفيذ المشروعات المشتركة :

١ – تشكيل لجنة ثلاثية من أعضاء الأمانة العامة يمثلون مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ومجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية بالكويت، ودارة الملك عبدالعزيز بالرياض.

لتتولى وضع الأسس والمواصفات العلمية التي تنطبق على الشخصية العلمية المعاصرة المراد الترجمة لها بعد الاتفاق فيما بينهم على الاسم المختار لهذا الاصدار.

٢ – **تم الاتفاق على المشروع المقدم من دارة الملك عبد العزيز والخاص بموسوعة الخليج والجزيرة العربية بعد تعديل اسم الموسوعة الى «دليل الخليج العربي والجزيرة العربية»** ليتسق هذا الاسم الأخير مع المشروع المقدم. وليكون هذا الدليل النواة الأولى لوضع الموسوعة مستقبلا.

كما عهد الى كل من مركز الدراسات بجامعة البصرة ودارة الملك عبد العزيز بالرياض بالتنسيق فيما بينهما لاستكمال هذا المشروع وابرازه الى حيز الوجود.

٣ – على مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية استكمال الجزء التاريخي من أطلس الخليج والجزيرة العربية وعلى بقية المراكز الأعضاء أن تبادر الى تزويد مجلة الدراسات

والجزيرة العربية بالكويت بكافة المصادر من الخرائط والوثائق التي يمكن أن تعينها على سرعة انجاز هذا المشروع خلال شهر من تاريخ انتهاء هذه الدورة.

٤ – أن يتولى مركز الوثائق والأبحاث بدولة قطر انجاز طباعة الكتاب السنوي الثاني المشترك. وأعمال الدورة السادسة.

ثالثا – في مجال العلاقات الخارجية:

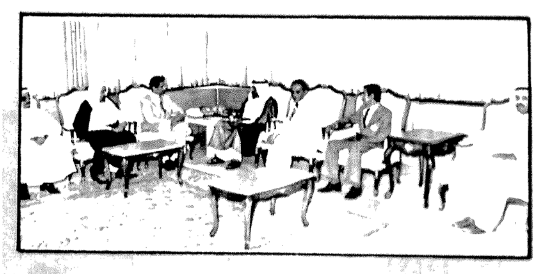
١ – أن تقوم الأمانة العامة باصدار نشرة دورية تتضمن أنشطتها وانجازاتها لتتمكن عن طريقها ابلاغ رسالتها الى المؤسسات العلمية الأجنبية ولتكون بمثابة الاعلام الخارجي عن جهود الأمانة العامة ممثلة في أعضائها.

٢ – حث المراكز الأعضاء على بذل المزيد من الجهد من أجل التنسيق فيما بينها وبين المؤسسات والمراكز العلمية المعنية بدراسات الخليج والجزيرة العربية في داخل القطر وخارجه.

٣ – زيادة التلاحم مع المؤسسات الجامعية وتوثيق الروابط العلمية مع أساتذتها في كل دولة من دول المنطقة وذلك للاستفادة من الخبرات والكفاءات الموجودة بها.

٤ – اتفق المجتمعون على الشروط التي تحتويها ورقة العمل المقدمة من قبل دارة الملك عبدالعزيز لمن أراد من المراكز والهيئات العلمية الانضمام الى الأمانة العامة.

على أن يؤجل البت في الطلبات المقدمة للعضوية الى



سمو الشيخ أمير دولة قطر أثناء استقباله لوفد المملكة، والوفود المشاركة في الدورة



من الصحف القطرية

تحت رعاية سمو الأمير

سعادة وزير الإعلام

الاستاذ عبد الملك آل الشيخ أمين دارة الملك عبد العزيز :

مركز علمي لخدمة العالم العربي والإسلامي

والتي تضم ابحاثا ودراسات علمية اعدها المتخصصون .

التعاون وتنسيق الجهود

من المراكز العلمية الهامة ... حيث توفر للاساتذة والباحثين ... الدراسة والبحث في العديد من الموضوعات

الاستاذ عبد الملك عبد الله آل الشيخ

تعاون بين مراكز البحث الخليجية

دارة الملك عبد العزيز تقوم ... لخدمة الباحثين

الأمير يستقبل وفود المراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة

الأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية تواصل اجتماعاتها

استعراض أنشطة المراكز خلال العام الماضي

ماذا قالوا .

الشئون المحلية

وزير الاعلام في افتتاح الدورة السادسة للمراكز والهيئات العلمية :

دولة قطر تحرص على مؤازرة هذه المؤسسة العلمية

الأمانة العامة للهيئات العلمية بالخليج والجزيرة تستعرض أنشطة وخطط المراكز خلال العام الماضي

جانب من كبار المدعوين الذين حضروا حفل الافتتاح

حين اتمام التنسيق بين المركز المؤسس والمراكز الراغبة في الانضمام الى الأمانة في كل قطر فيما بينها على أن تعرض نتائج هذا التنسيق في اجتماع الدورة القادمة.

كما وافق المجتمعون على قبول عضوية كل من مكتب التربية العربي لدول الخليج ومركز الوثائق والدراسات الانسانية بجامعة قطر كمراقبين حتى يتم التنسيق المشار اليه.

رابعا – الدورة القادمة وموعدها:

يسعد المراكز والهيئات العلمية أن تقدم شكرها لمركز الوثائق التاريخية بالبحرين لقبوله بانعقاد الدورة السابعة بدولة البحرين في شهر أكتوبر سنة ١٩٨٣م.



وفي نهاية الاجتماع قرر المجتمعون توجيه برقية الشكر والثناء الجزيل لصاحب السمو أمير قطر «الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني» المفدى لما حظيت به الوفود من حسن الرعاية والضيافة الكريمة التي سهلت لهم انجاز مهماتهم في جو أخوي صادق.

كما قرروا توجيه برقية شكر لسمو ولي العهد «الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني» والى سعادة وزير الاعلام السيد «عيسى غانم الكواري» لما بذله من جهود مشكورة لخدمة هذه الدورة.

كما توجهوا بالشكر الى سعادة أمين عام المراكز والهيئات العلمية الدكتور «مصطفى عبد القادر النجار» والى سعادة السيد «أحمد العناني» مدير مركز الوثائق والأبحاث بقطر الذي بذل الكثير من الجهد والعمل المتواصل لتسهيل أعمال هذه الدورة والى الاخوة الكرام أعضاء مركز الوثائق والأبحاث بقطر على ما بذلوه من جهود طيبة كان لها الأثر الكبير في انجاز هذه الدورة.

> **أريد رجالا يعملون بصدق وعلم واخلاص، حتى اذا أشكل علي أمر من الأمور، رجعت اليهم في حله، وعملت بمشورتهم فتكون ذمتي سالمة وتكون المسئولية عليهم وأريد الصراحة في القول..**
>
> «عبد العزيز آل سعود»

السمات الديمغرافية للمجتمع السعودي

إعداد
الدكتور محمد محمود السرياني

١ - مقدمة :

لسكان أي مجتمع صفات خاصة بهم، تميزهم عن سكان المجتمعات الأخرى، وتؤثر فيما يتعرضون له من تغيرات سكانية في فترة زمنية معينة كدرجة النمو والكثافة والتوزيع، كما توضح بعض الأهداف الاجتماعية التي تبدو في المجتمع، وتعلل - الى حد ما - ما نشهده من تباين بين الشعوب في الظاهرات الديموجرافية كمعدلات المواليد والوفيات والتحركات السكانية، وتعرف هذه الصفات في مجموعها بالتركيب السكاني أو تكوين السكان (مرجع رقم ٣ ص ٥٢).

لذا نجد أن تقسيم السكان الى ذكور واناث، بالاضافة الى دراسة أعمارهم، وتوزيعهم المهني، ونشاطهم الاقتصادي، وتوزيعهم على الريف والحضر، لا بل تكوينهم الديني والعنصري ومستويات تعليمهم الى غير ذلك من السمات، التي تبين خصائص ومميزات المجموعات السكانية هي مما يدخل تحت باب التركيب السكاني. وعلى هذا فالتركيب السكاني هو التعمق في دراسة خصائص ومميزات المجموعات السكانية التي تكون خصائص المجتمع، وتكسبه شخصيته، التي يتعرض لها (مرجع رقم «١» ص ٣١٠).



وسنتعرض في هذا البحث لسمة واحدة من سمات السكان، تلك هي التركيب النوعي للمجتمع السعودي، أي نسبة كل من الذكور والاناث في هذا المجتمع، آملين أن نتبع ذلك بدراسة وافية لكافة الخصائص السكانية الأخرى.

٢ - تحديد المشكلة والأهداف :

ان دراسة التركيب النوعي هي الموضوع العام الذي يتناوله هذا البحث. أما مجتمع الدراسة فهو السكان الذين يعيشون على أرض المملكة العربية السعودية. وهذا يعني أن المشكلة المطروحة هي دراسة التركيب النوعي لسكان العربية السعودية. ولا شك أن التركيب النوعي، وهو نسبة كل من الذكور والاناث لمجموع السكان، له أهمية بارزة لا يمكن اغفالها، فهو أحد السمات الديمغرافية التي لها علاقة مباشرة بتوزيع السكان العام ونموهم كما أنه من أهم العوامل المؤثرة في التغيرات الديمغرافية. اذ أن التركيب النوعي يؤثر على المواليد والوفيات لأي مجتمع، ويحدد بالتالي اتجاه الخصوبة، ومقدار الزيادة الطبيعية، كما يؤثر على الهجرة من جهة أخرى، وذلك لارتباطه بالقوة الانتاجية للسكان، ومقدار فعاليتهم الاقتصادية، والتي تؤثر بدورها على حجم الهجرة واتجاهاتها (مرجع رقم ٤ ص ٢١١).

وعلى هذا الأساس فهدفنا الذي نتوخاه هو القاء الأضواء على هذه السمة الديمغرافية، وتحديد الاختلافات الاقليمية ومحاولة تحليلها وتعليلها، ومعرفة العوامل المؤثرة بها لدى سكان المملكة العربية السعودية.

٣ - المنهج والأسلوب :

سنعتمد في هذه الدراسة على المنهج الكمي القاضي باستعمال القياس والتحليل، والذي تستخدم فيه الأرقام للوصول الى نتائج موضوعية ومحددة. وهذا يتطلب الاستعانة ببعض القوانين الاحصائية والرياضية. كما أنه يفرض استعمال المنهج العلمي القاضي بتحديد المشكلة وأهداف الدراسة، وتبيان المنهج والأسلوب، وصياغة الفرضيات، ثم جمع البيانات وتحليلها، وأخيرا الخروج بنتائج للوصول الى تفسير للمشكلة المطروحة، والنظر في امكانية استخدام هذه النتائج وتعميمها على حالات مماثلة بهدف التنبؤ (مرجع رقم ٧ ص ٢٢ - ٢٧).

أما أسلوب الدراسة الذي سننتهجه فهو أسلوب الحصر الشامل للظاهرة المدروسة، والذي تدرس فيه كل وحدات المجتمع ولذا فان البيانات ستشمل كافة مناطق المملكة. وهذا الأسلوب دقيق جدا على الرغم من أنه يستنفد مجهودا كبيرا ويحتاج الى عمليات حسابية مرهقة، ويلزمه الوقت الطويل، في ضوء غياب الحاسبات الالكترونية (الكمبيوتر)، وتكمن دقته في أن نسبة الخطأ فيه ضئيلة جدا اذا ما قورن بأسلوب العينة (مرجع رقم ٧ ص ٢٨).

ان دقة الأرقام في أسلوب الحصر الشامل السابق الذكر، ليس معناه أنه لا توجد هناك محاذير يجب وضعها بعين الاعتبار. ان المحذور الهام الذي يجب أن يكون واضحا في أذهاننا هو أخطاء التبليغ في نسبة النوع بشكل خاص. فالمجتمعات العربية، التي لم تعتد بعد على الادلاء بمعلومات احصائية دقيقة، نتيجة لظروف عاشها الوطن العربي، تميل في الغالب الى التحفظ في اعطاء المعلومات الدقيقة عن الأحوال الشخصية لأفراد الأسرة، وهناك ميل واضح الى زيادة عدد الذكور وتقليل عدد الاناث، بالاضافة الى أخطاء التبليغ في العمر المقصودة منها أو غير المقصودة، ونجد مثل هذه الأخطاء بصورة خاصة، وعلى مقياس أوسع، في المجتمعات الريفية والبدوية حيث أن القيم الاجتماعية تستدعي زيادة عدد الذكور أو عدم الادلاء بمعلومات عن النساء، وليس لدينا مقياس لتبيان مدى وحدود هذه الأخطاء. لذلك يجب أن نفترض سلفا وبدون مقدمات أن الأرقام الموجودة في بياناتنا التي تتعلق بنسبة النوع – موضوع حديثنا في هذا البحث – لا تخلو من مبالغات (مرجع ٨، ٩، ١٢، ١٣).

ان المصدر الأساسي لبيانات هذه الدراسة هو تقارير التعداد العام للسكان **(مرجع ٢ رقم ١ – ١٤)، الذي أجرى يوم ٢٨ /٨ /١٣٩٤هـ (١٩٧٤م)** وما احتوته هذه التقارير من جداول وبيانات خاصة بتقسيم السكان الى ذكور وأناث، ولما كانت التقارير على مستوى المناطق الادارية، فقد جاءت المعلومات الخاصة بالتركيب النوعي موزعة على ١٤ تقريرا يخص كل واحد منها منطقة ادارية من مناطق المملكة الأربع عشرة وهي : **الرياض، مكة المكرمة، المدينة المنورة، المنطقة الشرقية، القصيم، حائل، الجوف، تبوك، القريات، الحدود الشمالية، الباحة، عسير، جيزان، ونجران.**

وعلى هذا الأساس فقد شملت الدراسة كافة المناطق الادارية في المملكة. ولقد رأينا عدم ايراد الأرقام الفعلية في الجداول، واكتفينا بايراد النسبة المئوية، مما

جعل اضافة الأرقام الفعلية يزيد من حجمها وتعقيدها. وقد عكفنا على تقريب النسب المئوية التي تقل عن الواحد الصحيح بجبرها الى واحد صحيح لتسهيل كتابتها. فاذا كان الكسر مادون ٥,٠ حذف، أما اذا كان ٥,٠ فقد جبر الى واحد صحيح وأضيف الى المجموع الكلي.

٤ - الفرضيات :

ان الالتزام بالمنهج العلمي يقتضي صياغة الفرضيات العلمية ابتداء لأن الفرضيات هي التفسيرات المبدئية للظاهرة المدروسة. ولقد حددنا أنفسنا بفرضيتين أساسيتين عن التركيب النوعي لسكان المملكة هما:

* **ليس للتركيب النوعي نسق ثابت في كافة المناطق الادارية، وانما يختلف باختلاف الوحدات الادارية داخل المملكة.**

* **يختلف التركيب النوعي داخل الوحدة الادارية ذاتها باختلاف طراز حياة السكان وتركيبهم العمري ومدى هجرتهم.**

ان الفرضية الأولى تستلزم معرفة التركيب النوعي للسكان في المملكة ككل، بالاضافة الى معرفة هذا التركيب في كل وحدة من الوحدات الادارية، ومحاولة تعليل أوجه الشبه والاختلاف ان وجدت. أما الفرضية الثانية فتقتضي دراسة المؤثرات التي تؤثر في التركيب النوعي على مستوى المملكة والمناطق الادارية. وابراز طراز الحياة والتركيب العمري والهجرة في ذلك.

وعلى هذا الأساس فان تحليل البيانات سيقتصر على الموضوعات التي يستلزمها اثبات أو نفي الفرضيات السابقة. ومن هنا فان مجال البحث والتحليل سيقتصر على معرفة الموضوعات التالية:

* **التركيب النوعي العام للسكان في المملكة.**
* **الاختلافات الاقليمية للتركيب النوعي في كافة الوحدات الادارية.**
* **أثر طراز حياة السكان على التركيب النوعي.**
* **أثر التركيب العمري على التركيب النوعي.**
* **أثر الهجرة على التركيب النوعي.**



٥ - التركيب النوعي العام :

تشير أرقام التعداد العام لسكان المملكة لسنة ١٣٩٤هـ أن هناك ٣,٥٧٦,٧٥٣ ذكرا و ٣,١٤٩,٧١٣ انثى في امارات المملكة الأربع عشرة، وهذان الرقمان يعطيان نسبة للذكور تعادل ٥٣,٢٪، وأخرى للاناث تعادل ٤٦,٨٪، بمعنى أن عدد الذكور يزيد عن عدد الاناث على مستوى المملكة. وفي العادة تقاس نسبة الذكور الى كل ١٠٠ من الاناث. وهذا مايعرف بنسبة النوع Sex Ratio واذا ماحسبت هذه النسبة على مستوى المملكة، فانها تعادل ١١٤٪، أي أن هناك ١١٤ ذكرا مقابل كل ١٠٠ أنثى لكل القاطنين على أرض المملكة.

ان هذه النسبة تخفي وراءها اختلافات كبيرة. فهناك تفاوت في نسبة النوع بين المراكز الحضرية والريفية كما أن هناك فروقا بين المناطق الادارية المختلفة. يضاف الى ذلك اختلاف وتفاوت بالنسبة لفئات السن المختلفة. وأخيرا هناك فوارق بين السعوديين والأجانب المتواجدين على الأراضي السعودية. لذا فان هذه النسبة هي متوسط لكل هذ الاختلافات والفوارق. ومن هنا كان لابد من اطلاق اسم التركيب النوعي العام عليها. فهي متوسط عام لا يمكن الركون اليه، أو القياس به لأن نتائجه تكون عامة لا بل مضللة في الغالب.

٦ - الاختلافات الاقليمية للتركيب النوعي :

ان الجدول رقم (١) يظهر نسبة الذكور والاناث في كل منطقة من مناطق المملكة الجغرافية(*)، كما يبين نسبة النوع أيضا في كافة المناطق، ومن هذا الجدول والشكل رقم (١) نجد أن هناك أربع مناطق تزيد فيها نسبة الذكور عن الاناث. وهذه المناطق هي : المنطقة الشرقية والشمالية والغربية والوسطى. بينما تقل نسبة الذكور وترتفع نسبة الاناث في المنطقة الجنوبية فقط. ان هذا يعطينا مؤشرا قويا على التباين الاقليمي لنسبة النوع. وتتصدر المنطقة الشرقية أقاليم المملكة في ارتفاع نسبة النوع بحيث تصل الى ١٢٩٪، يليها المنطقة الشمالية ثم الوسطى ثم الغربية على الترتيب.

(*) اطلقنا اسم المنطقة الغربية على امارتي مكة المكرمة والمدينة المنورة. أما المنطقة الشمالية فقد شملت امارات تبوك، الجوف، القريات، الحدود الشمالية. أما المنطقة الوسطى فقد شملت: الرياض والقصيم وحائل وتقتصر المنطقة الشرقية على امارة المنطقة الشرقية وحدها. أما المنطقة الجنوبية فقد شملت الباحة، جيزان، نجران وعسير. وهذا التقسيم اجرائي بحت وكثيرا ما تختلف وجهات النظر حوله.



جدول رقم (١)
التركيب النوعي حسب الأقاليم الجغرافية

المنطقة الجغرافية	٪ ذكـور	٪ انـاث	٪ نسبة النوع
المنطقة الشمالية	٥٤,٧	٤٥,٣	١٢٠,٧
المنطقة الغربية	٥٣,٦	٤٦,٤	١١٥,٥
المنطقة الشرقية	٥٦,٢	٤٣,٨	١٢٨,٥
المنطقة الجنوبية	٤٩,٥	٥٠,٥	٩٧,٨
المنطقة الوسطى	٥٣,٩	٤٦,١	١١٧,٠
اجمالي المملكة	٥٣,٢	٤٦,٨	١١٣,٦

المصدر : تقارير التعداد العام للسكان (النسبة من حساب الباحث)

ان هذا التباين في نسبة النوع مرده الى أسباب مختلفة لا يمكن تفصيلها الا اذا نظرنا الى الوحدات الادارية داخل هذه المناطق الكبرى، لأن هناك فوارق كبيرة، وظروف داخل كل منطقة جغرافية من المناطق السابقة، مما يجعل من الصعب اعطاء أحكام عامة وتفسيرات معقولة لتباين هذه النسب على مستوى المناطق الجغرافية.

ان الجدول رقم (٢) والخريطة رقم (٢) يظهران التركيب النوعي للسكان على مستوى المناطق الادارية لاجمالي السكان القاطنين على الأراضي السعودية وعلى مستوى هذه المناطق نجد اختلافات شاسعة في نسبة النوع. ويمكن تصنيف الادارة (الامارات) الى ثلاثة نماذج تبعا للتركيب النوعي للسكان فيها وهي :

جدول رقم (٢)

الامـــارة	اجمالى الامـــارة	مراكـــز الامارات	القـــرى	موارد المياه
القريات	١٢١	١٢٩	١٢٧	١٠٠
تبـــوك	١٢٩	١٦٧	١٢٤	٩٨
الحدود الشمالية	١١٥	١٢٣٠	١٥٤	١٠٥
الجـــوف	١٠٨	١١٢	١٠٦	١٠٣
المدينة المنورة	١٠٧	١١٢	١٠٩	١٠٠
مكة المكرمة	١١٨	١٢٧	١٠٠	١٠٠
حائـــل	٩٧	١٠٦	٩٣	٩٥
القصـــيم	١٠٦	١٠٦	١١١	١١٠
الريـــاض	١٢٥	١٣٥	١١٣	١٠٢
المنطقة الشرقية	١٢٩	١٤٤	١٠٨	١١١
البـــاحة	٨٩	١١٦	٨٧	٩١
عســـير	٩٨	١٢٨	٩٢	٩٤
جيـــزان	٩٩	١٠٨	٩٥	١١٩
نجـــران	١٠٩	١٣٥	٩١	٨٩
اجمالي سكان المملكة	١١٤	١٢٨	٩٩	٩٩

المصدر : تقارير التعداد العام للسكان، البيانات التفصيلية (النسبة من حساب الباحث).

٦ : ١ امارات تنخفض فيها النسبة النوعية انخفاضا ملموسا بحيث تتراوح بين ٨٩ – ٩٩٪. وهذا يعني قلة عدد الذكور وارتفاع نسبة الاناث. وهذه الامارات هي: حائل، عسير، جيزان، الباحة. وتقع الباحة في أدنى سلم النسبة النوعية بحيث تنخفض فيها نسبة النوع الى ٨٩٪ فقط، يليها حائل ثم عسير وجيزان التي تشمل ٩٧، ٩٨، ٩٩ ذكرا لكل ١٠٠ انثى على التوالي.



ان هذه الامارات الأربع تعاني من نزح سكانها الى المناطق الأخرى. فالامارات الجنوبية الثلاث قوامها الزراعة، والامارة الشمالية الرابعة تعتمد على الرعي والزراعة معا. وهذه الحرف أصبحت الآن ليست بذات قيمة أمام التوسع الاقتصادي المزدهر في المناطق الأخرى. لذا تعاني هذه المناطق من ضيق الامكانات الاقتصادية النسبية وهي بالتالي بيئات طاردة للذكور من أبنائها.

٦ : ٢ امارات ترتفع فيها النسبة النوعية بحيث تزيد فيها نسبة الذكور عن الاناث ويمكن رؤية نمطين لهذه النسبة وهما:

٦ : ٢ : ١ النمط الأول :

ويتواجد في امارات الجوف، المدينة المنورة، القصيم ونجران، حيث تتراوح نسبة النوع بين ١٠٦ - ١٠٩٪. وهذا النمط يتشابه مع المعدل العالمي لهذه النسبة التي تتراوح بين ١٠٥ - ١٠٦٪ ترتفع أحيانا الى أقل من ١١٠٪. ويبدو أن الامكانات الاقتصادية الموجودة في هذه المناطق أكثر تشجيعا على الاستقرار فيها من المناطق السابقة، على الرغم من أن هذه المناطق باستثناء المدينة المنورة تعتمد اعتمادا كليا على الزراعة بجانب الرعي أيضا.

٦ : ٢ : ٢ النمط الثاني :

ويتواجد في امارات الشرقية، الرياض، تبوك، القريات، مكة المكرمة، والحدود الشمالية حيث تتراوح هذه النسبة بين ١١٥٪ - ١٢٩٪. وهذه الامارات كلها تظهر تفوقا في زيادة عدد الذكور على عدد الاناث، وتتصدر المنطقة الشرقية ومنطقة تبوك قائمة المملكة في زيادة عدد الذكور على عدد الاناث بحيث تصل النسبة النوعية الى ١٢٩٪ يليهما الرياض، القريات، مكة المكرمة والحدود الشمالية بنسب تصل الى ١٢٥، ١٢١، ١١٨، ١١٥٪ على التوالي.

ان السبب الرئيسي في زيادة عدد الذكور زيادة كبيرة مرده الى الهجرة الوافدة الى هذه المناطق من الخارج، بالاضافة الى الهجرة الداخلية من المناطق

الأخرى. ان فرص العمل في امارات الشرقية والرياض ومكة المكرمة الناجمة عن الازدهار الاقتصادي الذي تمر به هذه المناطق، خاصة وأنها تحوي أهم المدن السعودية (**الرياض، الدمام، مكة المكرمة، جدة، الطائف. الخ**...) التي تعتبر بحق بؤرة النشاط الاقتصادي والذي يحتاج الى أيد عاملة كثيرة، ان فرص العمل هذه هي المسئولة عن الزيادة النوعية لهذه المناطق.

أما مناطق تبوك والقريات والحدود الشمالية فلا شك أن تواجد المراكز العسكرية بها يجعلها أقطابا جاذبة للذكور، بالاضافة الى كونها مناطق حدود، الأمر الذي يسهل تسرب العناصر الأجنبية اليها من الأقطار المجاورة للعمل بها. ومن المعلوم أن هذه العناصر هي في الغالب من الذكور، وهذا يساعد على رفع النسبة النوعية للسكان. وفي هذا المجال تجدر الاشارة الى ما سبق أن قررناه في بداية هذا البحث من أن القصور في تسجيل أعداد الاناث يسبب ما يعرف بالعد الناقص Under Enumeration الأمر الذي ينعكس أثره على ارتفاع نسبة النوع في هذه المناطق الريفية الطابع (مرجع رقم ٥ ص ٤٤).

٧ : أثر طراز الحياة على التركيب النوعي:

المقصود بطراز الحياة هو تقسيم السكان بحسب نمط الاستقرار الى سكان مدن وأرياف وبوادي. والواقع أن الحدود الفاصلة بين المدن والأرياف، باستثناء المدن الكبيرة، هي غير واضحة. فالمدن الصغيرة والمتوسطة ما هي في الواقع الا قرى مكبّرة تتمتع بكافة خصائص المجتمع الريفي. ومما يزيد من صعوبة التفريق أيضا أنه ليس لدينا معيار معين لمثل هذا التفريق في السعودية، كما أنه ليس من السهل تطبيق أي تصنيف آخر، لأن دول العالم تختلف اختلافا واضحا في مثل هذا التحديد. غير أن النمط العالمي لتصنيف السكان الى مدن وريف يقع أغلبه في اتجاهين اثنين:

الأول : هو تصنيف المجموعات السكانية حسب الحجم. فاذا تعدى السكان حجما معينا صنفوا على أنهم من سكان المدن. ويختلف هذا الحجم بين دولة وأخرى اختلافا كبيرا. ففي الدنمرك يكون الحد الأدنى ٢٥٠ نسمة، وفي الشيلي ١٠٠٠ نسمة، وفي الأرجنتين ٢٠٠٠ نسمة، وفي الهند ٥٠٠٠ نسمة.

الثاني : هو تصنيف مراكز الوحدات الادارية الفرعية جميعها بصفتها حضرية، والبقية الباقية ريفية. ومن الدول التي تتبنى هذا النوع من التصنيف البرازيل وتركيا ومصر.

ان التصنيف الثاني على بساطته، وعدم دقته الجغرافية، هو المتبع في معظم الدول النامية باعتبار أن عواصم الوحدات الادارية الصغرى، ان لم تكن مدنا الآن فهي نوايات لمدن المستقبل. غير أن عيب هذا التصنيف هو أنه ربما يكون هناك في الوحدة الادارية أكثر من نواة شبيهة بعاصمة المركز، وربما تتطور بنفس الوحدة الادارية، ولا تحتسب من مدن الأقاليم، بل تصنف على أنها من الريف.

ولعل إفراد بيانات خاصة تفصيلية عن المراكز الادارية في قوائم التعداد وبياناته يوحي بأن التصنيف الثاني هو الذي تتجه اليه النية في الظرف الحالي على الأقل. وعلى هذا سنعتمد المراكز الادارية باعتبارها المدن السعودية، على الرغم من أن عدم وجود حد أدنى لعدد سكان هذه المراكز يجعل هذا التصنيف غير دقيق، لأنه يدخل في عداد المدن، الكثير من المراكز الريفية، التي لا يتجاوز سكانها بضع مئات من الأفراد، وربما يخرج مدنا فعلية لكونها لم يقع عليها الاختيار كمراكز ادارية.

غير أن عذرنا في ذلك أننا في هذا البحث نعالج موضوعا لا يكون لمثل هذه النوايات القزمية تأثير في تقرير النتائج النهائية لأنها مضافة الى مدن كبيرة الحجم، مما لا يبرز تأثيرها، وبالتالي يقلل من خطأ النتائج الناجمة عن اضافة عشرات منها في عداد المدن السعودية على الرغم من أنها الطابع والمظهر.

بقى النمطان الآخران وهما سكان الأرياف والبوادي. د أوردت بيانات التعداد العام للسكان هؤلاء تحت اسم سكان القرى وموارد المياه (مرجع رقم ٢ جدول رقم ٥٧). ومن هنا فسكان القرى في بيانات التعداد هي التي سنشير اليها باسم سكان الريف. أما موارد المياه فهي التي سنطلق عليها اسم سكان البادية، ممن لا يزالون يعيشون حياة الحل والترحال طلبا للماء والكلأ.

ولعل من المفيد أن نذكر حجم هذه القطاعات الثلاثة قبل البدء بدراسة النسبة النوعية لها. اذ تشير بيانات التعداد الى أن هناك ٣,٥٦٤,٢٥١ نسمة يعيشون في مراكز الامارات، وهذا يساوي ٥٣٪ من سكان المملكة. في حين بلغ عدد سكان القرى قرابة ١,٨٦٤,٩٢٦ نسمة وهذا يعادل ٢٧,٧٪ من اجمالي سكان المملكة. أما موارد المياه فقد بلغ سكانها ١,٢٩٧,٢٨٩ نسمة، أي بنسبة قدرها ١٩,٣٪ من اجمالي سكان المملكة (انظر شكل ٣). وفيما يلي نبذة عن النسبة لهذه القطاعات الثلاثة.

٧ : ١ مراكز الامارات :

لقد حسبت نسبة النوع لمراكز الامارات على مستوى المملكة فوجدت أنها تعادل ١٢٨٪ أي أن هناك ١٢٨ ذكرا مقابل كل ١٠٠ أنثى في مراكز الامارات هذه. وهذه النسبة عالية عموما، غير أنها تختلف بين منطقة وأخرى، ولهذا نجد تباينا في نسبة النوع يتراوح مداه بين ١٠٦٪ كما هو الحال في مراكز الامارات في كل من منطقتي حائل والقصيم، وبين ١٦٧٪ كما هو الحال في مراكز الامارات في منطقة تبوك. وبين هذين الرقمين تتوزع بقية مناطق المملكة الأخرى (انظر جدول رقم ٢). وهذا يدل على أن جميع الامارات بلا استثناء تزداد فيها نسبة الذكور عن الاناث. فالزيادة أمر حاصل غير أن مدى هذه الزيادة ارتفاعا وانخفاضا تحدده ظروف الجذب في مراكز هذه الامارات ويمكن أن تقسم مراكز الامارات حسب نسبة النوع الى نمطين اثنين.

٧ : ١ : ١ الأول : ويشمل مراكز الامارات التي تزداد نسبة النوع فيها زيادة عادية، وهي التي تقل فيها نسبة النوع عن ١١٢٪ وتشمل مناطق القصيم وحائل (١٠٦٪) والجوف والمدينة المنورة (١١٢٪). والزيادة هنا ناجمة في الغالب عن هجرة المواطنين من الأرياف والبوادي الى هذه المراكز، مع عدد قليل من الهجرة الوافدة من الخارج.

٧ : ١ : ٢ الثاني : ويشمل بقية المناطق الادارية حيث تبلغ نسبة النوع أقصى مدى لها في منطقة تبوك (١٦٧٪) تليها المنطقة الشرقية (١٤٤٪) والرياض ونجران (١٣٥٪) ثم مناطق القريات وعسير ومكة والحدود الشمالية والباحة (١٢٩، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٣، ١١٦٪ على التوالي).



ولما كانت منطقة تبوك هي البوابة العسكرية للبلاد فلا عجب أن نجد زيادة كبيرة في اعداد الذكور على الاناث بها على مستوى الامارة، واذا أخذنا المدينة نفسها تزداد نسبة النوع لتصل الى ١٩٤٪ (انظر جدول رقم ٣).

ثم تأتي المراكز الادارية في المنطقة الشرقية حيث يصل متوسط النسبة النوعية بها الى ١٤٤٪. ولا شك أن العمل في حقول البترول والصناعات المرتبطة به أو القائمة عليه يشجع هجرة الذكور الى هذه المناطق مما ينجم عنه بالتالي ارتفاع النسبة النوعية في هذه المراكز.

جدول رقم (٣)
النسبة النوعية لبعض المدن السعودية

المدينـــة	النسبة النوعية	المدينـــة	النسبة النوعية
الظهران	٣٣٥	عرعر	١٣٥
بقيق	٢٠٧	الثقبة	١٣٤
تبوك	١٩٤	الطائف	١٢٧
الخبر	١٨٦	النبك	١٢٠
الباحة	١٦٥	مكة المكرمة	١١٧
الدمام	١٦٣	جيزان	١١٧
الخفجي	١٥٣	المدينة المنورة	١١٤
نجران	١٤٧	القطيف	١١٣
الرياض	١٤٣	سكاكا	١١٢
جـــدة	١٣٧	بالجرشي	١٠٨

المصدر : تقارير التعداد العام للسكان، البيانات التفصيلية (النسبة من حساب الباحث).

وبالطبع تختلف المراكز الادارية في المنطقة الشرقية بين مدينة وأخرى في اجتذاب المهاجرين. وان نظرة على الجدول رقم (٣) تبين لنا مقدار التفاوت في قوة جذب هذه المدن. ففي الظهران تبلغ النسبة النوعية أقصاها في المملكة حيث تصـــل الى ٣٣٥٪ تليهـــا بقيق ٢٠٧٪ ثم الخبـــر فالدمام فالخفجي (١٨٦، ١٣٦، ١٥٣٪).

ونفس الشيء يمكن أن يقال عن المراكز الادارية في مناطق الرياض ومكة المكرمة، وخاصة مدن الرياض، ومكة المكرمة، وجدة، والطائف حيث تبلغ النسبة المئوية النوعية لهذه المدن ١٤٣، ١١٧، ١٣٧، ١٢٧٪ على التوالي ومن المعروف أن هذه المدن تمر بتحولات اقتصادية كبيرة أملتها ظروف كون الأولى العاصمة السياسية للبلاد، والثانية العاصمة الروحية، أما الثالثة فهي أكبر موانيء البلاد على البحر الأحمر، بينما الرابعة تمثل المصيف والمنتجع السياحي والعاصمة الصيفية للدولة.

والخلاصة أن النسبة النوعية عالية في المراكز الادارية لجميع مناطق المملكة بلا استثناء ولا شك أن السبب في ذلك يرجع الى تيارات الهجرة التي تغذي هذه المراكز من مناطق الارسال التالية.

* الهجرة الوافدة من خارج المملكة.
* الهجرة الداخلية من منطقة ادارية الى منطقة أخرى في المملكة.
* الهجرة الداخلية من الريف والبادية الى المراكز الادارية في المنطقة ذاتها، أو الى مناطق أخرى من مناطق المملكة.

ويصعب قياس كل من هذه التيارات، وتبيان أثرها على حدة في مختلف مناطق المملكة، غير أن النظرة العجلى توحي بأن تيارات الهجرة الخارجية، والهجرة من منطقة ادارية الى منطقة أخرى تتجه عموما الى مراكز الجذب الكبرى التي تنعم بالتطور الاقتصادي السريع في حين تختص مراكز الامارات الصغيرة بتيارات الهجرة القادمة من الأرياف والبوادي القريبة من هذه المراكز.

٧ : ٢ **القرى** : ان المتوسط العام للنسبة النوعية في القرى على مستوى المملكة هو ٩٩٪ أي أن هناك ٩٩ ذكرا مقابل كل ١٠٠ أنثى عند ٢٧,٧٪ من اجمالي سكان المملكة، الذين يقطنون في القرى، والناظر في الجدول رقم(٢) يتبين لهاختلافات اقليمية في هذه النسبة، غير أن هذه الاختلافات لا تتعدى ثلاثة أنماط هي:

٧ : ٢ : ١ **النمط الأول** : حيث أن النسبة النوعية متعادلة تماما (١٠٠٪). وهذا النمط تمثله امارة مكة المكرمة فقط، التي تحوي ما يزيد عن ٣٨٣,٠٠٠ نسمة من سكان الأرياف، أي ٢٠,٥٪ من اجمالي سكان القرى في المملكة.

٧ : ٢ : ٢ **النمط الثاني** : ويشمل الامارات التي تزيد فيها نسبة النوع عن ١٠٠٪ وتشكل الامارات الشمالية جميعها (تبوك، القريات، الحدود الشمالية، الجوف)، بالاضافة الى امارات الرياض والقصيم والمدينة المنورة والمنطقة الشرقية. وتتفاوت نسبة النوع في هذه الامارات. وتظهر الحدود الشمالية في رأس القائمة، حيث تصل نسبة النوع بين سكان القرى فيها الى ١٥٤٪، تليها امارة القريات (١٢٧٪) وتبوك (١٢٤٪) وتتوالى بقية الامارات بتدني نسبة النوع فيها حتى تصل الى ١٦٪ فقط لدى سكان القرى في منطقة الجوف (انظر جدول رقم ٢).

ان هذه الامارات جميعها تشمل قرابة ٣٠,٣٪ من سكان القرى في المملكة. وهذا يعني أن قرابة ثلث سكان الأرياف ترتفع النسبة النوعية بين أفرادها بنسب متفاوتة بعضها كبير جدا. والملاحظة التي يجب التأكيد عليها هنا هي أن النسب العالية التي تظهر في امارات الشمال هي نسب لا معنى لها، ساعد على ايجادها قلة عدد السكان الريفيين فيها. ففي امارات القريات وتبوك والحدود الشمالية والجوف لا يتجاوز سكان الأرياف الـ ٣٤,٠٠٠ نسمة وهذا لا يعادل سوى ١,٨٪ من حجم القرى الكلي في المملكة. وعلى هذا فهذه الأرقام العالية للنسبة النوعية في هذه الامارات هي غير ذات معنى، وهي أرقام خادعة يجب النظر اليها بحذر.

واذا استبعدنا الأرقام السابقة، يظهر لنا أن الزيادة النوعية هنا تتراوح بين ١٦٪ وبين ١١٣٪ فقط، وهذه الزيادة معقولة، وتتناسب مع المعدل العالمي لهذه النسبة. اذا أخذنا بعين الاعتبار وجود بعض المهاجرين الأجانب الذين يساهمون في رفع نسبة النوع في العادة.

٧ : ٢ : ٣ : **النمط الثالث** : حيث أن النسبة النوعية منخفضة وتقل عن ١٠٠٪، وتتراوح هذه النسبة بين ٨٧٪ في الباحة و ٩٥٪ في جيزان. وتقع بين هذين الرقمين امارات نجران (٩١٪) وعسير (٩٢٪) وحائل (٩٣٪) ويبلغ حجم هذا القطاع ٤٩,٢٪ من حجم الريف السعودي. وهذا ان دل على شيء فانما يدل على تيار النزوح من الأرياف الى مراكز الأقاليم.

٧ : ٣ **موارد المياه** : ان موارد المياه تضم خمس سكان المملكة العربية السعودية. والنسبة النوعية لهذا القطاع تعادل ٩٩٪. وهناك تشابه بين القرى وموارد المياه في المعدل العام لهذه النسبة.

ان الجدول رقم (٢) يبين النسبة النوعية للمناطق الادارية. ومنه يظهر أن النسبة النوعية لموارد المياه (البوادي) على مستوى هذه المناطق هي أقل بوجه عام من مراكز الامارات والقرى. ويمكن رؤية ثلاثة أنماط أيضا في هذا الصدد.

٧ : ٣ : ١ **النمط الأول** : حيث النسبة متعادلة تماما (١٠٠٪) وهذا النمط تمثله بوادي امارات مكة المكرمة والمدينة المنورة والقريات.

٧ : ٣ : ٢ **النمط الثاني** : ويشمل الامارات التي تزيد فيها نسبة النوع عن ١٠٠٪ وهذه الزيادة على العموم تتراوح بين ١٠١ – ١١٩٪. وتشمل بوادي مناطق القصيم، الرياض، الجوف، والحدود الشمالية، والمنطقة الشرقية، وجيزان واذا استثنينا منطقتي جيزان والشرقية اللتين ترتفع النسبة النوعية بين سكان بواديهما. فان زيادة نسبة النوع في الباقي هي زيادة محدودة جدا لا تتعدى ١٠٥٪، فاذا ما أخذنا بعين الاعتبار المبالغة في العادة في زيادة عدد الذكور أدركنا أن هذا النمط قريب في تصنيفه من النمط الأول وهو المتوازن في نسبة النوع.

٧ : ٣ : ٣ **النمط الثالث** : حيث النسبة النوعية منخفضة وتقل عن ١٠٠٪ وتتراوح هذه النسبة بين ٨٩٪ في نجران و ٩٨٪ في تبوك. ويشمل هذا النمط بالاضافة الى نجران وتبوك امارات الباحة (٩١٪) وعسير (٩٤٪) وحائل (٩٥٪). وهذا النمط يضم الامارات التي تنخفض نسبة النوع فيها عند سكان القرى أيضا، على ما ذكرنا سابقا. وهذا يؤكد حقيقة هامة هي أن نمو مراكز الامارات في هذه المناطق هو على حساب خسارة الأرياف والبوادي وليس ناجما عن زيادة العناصر الوافدة من الخارج. ويبدو واضحا أن الهجرة هنا هي هجرة فردية، وليست هجرة لكامل أفراد الأسرة، بل هي للأيدي العاملة النشيطة اقتصاديا، أو لطلاب المدارس، أو لأفراد القوات المسلحة. وكل هؤلاء يتركون عائلاتهم في أريافهم وبواديهم ويذهبون الى المدينة، الأمر الذي ينجم عنه زيادة نسبة النوع في المدينة وانخفاضها في الريف والبادية.

ان هذا يعطينا مؤشرا قويا على أن هذه الامارات سيختل فيها في القريب

العاجل نمط الحياة القائمة على الزراعة والرعي، مما ينجم عنه تدهور مستمر في هذه القطاعات نتيجة لعزوف الكثير من أبناء هذه المناطق عن العمل بهذه الحرف التقليدية والبحث عن عمل آخر في مراكز هذه الامارات أو مناطق أخرى من المملكة.

٨ : **أثر التركيب العمري على التركيب النوعي** : ان الناظر في الجدول رقم (٤)، الذي يبين نسبة النوع في المملكة بحسب فئات العمر والمناطق الادارية، يتبين له اختلاف التركيب النوعي للذكور والاناث في فئات السن المختلفة. ويمكن الخروج بالملاحظات التالية حول ذلك.

٨ : ١ ان نسبة النوع لاجمالي سكان السعودية تعادل ١٠٥٪ عند الميلاد. فقد جرت العادة أن تؤخذ هذه النسبة لمواليد أي قطر خلال السنة الأولى لتقدر بها نسبة النوع عند الميلاد. والواقع أن المواليد في هذه الفئة لا تتجاوز أعمارهم ثمانية أشهر، لأن التعداد أجرى بتاريخ ٢٨ /٨ /١٣٩٤هـ. ومن كان في ذلك التاريخ دون السنة وضع في هذه الفئة. وعلى هذا يمكننا اعتبار هؤلاء عينة ممثلة لمن هم دون السنة من العمر. والواقع أن هذه النسبة تتساوى والمعدل العام لنسبة النوع عند الميلاد في كثير من بقاع العالم، اذ أن هذه النسبة في الغالب في حدود ١٠٥ – ١٠٦٪. ومن ثم نجد أن الغلبة للذكور عند الميلاد على مستوى المملكة ككل. غير أن هناك فروقا اقليمية في هذا الصدد، فهناك امارات لا تنطبق عليها هذه القاعدة، بل ترتفع فيها نسبة الاناث عن الذكور عند الميلاد، وهذه الامارات هي القريات، وحائل، وتبوك، حيث تبلغ نسبة الذكور ٩٤، ٩٧، ٩٩ لكل ١٠٠ أنثى عند الميلاد، وفي الجانب الآخر نجد زيادة كبيرة في نسبة المواليد الذكور في كل من الجوف والحدود الشمالية والقصيم حيث ترتفع نسبة الذكور في هذه الامارات الى ١١٧، ١١٠٪ على التوالي.

واذا جاز لنا أن نصنف امارات المملكة حسب نسبة النوع عند الميلاد، يمكننا أن نقول أن لدينا ثلاثة أنماط لنسبة النوع هذه:

٨ : ١ : ١ **النمط الأول** : ويتسم بزيادة عدد المواليد من الذكور عند الميلاد، ويشمل هذا النمط امارات الجوف والحدود الشمالية والقصيم.

٨ : ١ : ٢ **النمط الثاني** : ويتسم بزيادة عدد المواليد الاناث عند الميلاد. ويشمل النمط امارات القريات وتبوك وحائل.

جدول رقم (٤)
النسبة النوعية العامة حسب الوحدات الادارية وفئات السن المختلفة

الامــارة فئات السن	تبوك	الجوف	القريات	الحدود الشمالية	مكة المكرمة	المدينة المنورة	المنطقة الشرقية
أقل من سنة	٩٩	١١٧	٩٤	١١٠	١٠٧	١٠٦	١٠٥
١ - ٤	١٠١	٩٤	٩٥	١٠٠	١٠٢	٩٩	١٠١
٥ - ٩	١٠٢	١٠٠	١١٠	٩٧	١٠٤	١٠٤	١٠٢
١٠ - ١٤	١٠٤	١١٠	١٠١	١٠٠	١١٢	١١٠	١٠٥
١٥ - ١٩	١٢٨	١٠٠	١٢٢	١٠٢	١٢٤	١١٤	١٣٢
٢٠ - ٢٤	٢٣٣	١١٤	١٦٠	١٣١	١٣٦	١٠٥	١٨٩
٢٥ - ٢٩	١٧٧	١٠٥	١٤٧	١١٩	١٢٨	٨٦	١٥٨
٣٠ - ٣٤	١٦٨	٩٧	١٢٧	١١٨	١٢٢	٨٨	١٤٩
٣٥ - ٣٩	١٥٧	١٠٣	١٣٠	١٣١	١٣٤	٩٦	١٤٤
٤٠ - ٤٤	١٢٨	٩٤	١٢٤	١٢٥	١٣٠	٨٦	١٥٢
٤٥ - ٤٩	١٣٦	١٣١	١٤٣	١٤٤	١٥١	١١٨	١٧٨
٥٠ - ٥٤	١١٢	١٢٥	١٠٧	١٢٥	١٢٤	١١٦	١٤٨
٥٥ - ٥٩	١٧٥	١٣٥	٢٣٣	١٧٠	١٥٥	١٩٦	١٨٧
٦٠ - ٦٤	١٤٤	١٥٢	١٥٢	١٨٩	١٢٥	١٨١	١٦٦
٦٥ +	١١٩	١٦٥	١٦٩	١٨١	١١١	١٤٣	١٥٣
الاجمــالي	١٢٩	١٠٨	١٢١	١١٥	١١٨	١٠٧	١٢٩

المصــدر : بيانات تقارير التعداد العــام للســكان - النسب من حســاب البـاحث

الباحة	جيزان	نجران	عسير	الرياض	القصيم	حائل	المملكة
١٠٦	١٠٣	١٠٢	١٠٥	١٠٧	١١٠	٩٧	١٠٥
٩٨	١٠٠	٩١	٩٨	١٠١	٩٨	٩٢	١٠٠
٩٨	١٠٥	١٠١	١٠٢	١٠٢	١٠١	٩٢	١٠٢
١٠٠	١١٤	١١٢	١٠٤	١١٢	١١٢	١٠٥	١٠٩
٩٧	٩٤	١٢٠	٩٢	١٣٨	١١١	٩٧	١١٩
٦٧	٧٧	١٣٦	٨٦	١٧٦	١٠٢	٨٤	١٣٥
٦٢	٧٢	١١٩	٨٢	١٤٤	٨٦	٧٢	١١٧
٦٤	٨٣	١١١	٩٠	١٣٩	٨٠	٧١	١١٤
٧٢	١٠٨	١٣٧	١٠٦	١٣٧	٨٨	٧٢	١٢١
٦٨	١٠٢	١١١	١٠٣	١٣٢	٩٨	٧٣	١١٦
٨٥	١٢٣	١٣٥	١١٦	١٦١	١٤١	١١٢	١٤٠
٦٩	١٠٦	١٠١	٩٨	١٣٤	١٢٣	١٠٥	١١٩
١٢٠	١٢٩	١٣٧	١٢٥	١٨٣	١٦٧	١٨٣	١٦٠
١٠٢	٩١	١١٩	٩٩	١٥١	١٦٦	٢١٠	١٣٥
٩٨	٨٨	٩٨	٨٦	١٤٠	١٥٦	١٥٢	١٢٢
٨٩	٩٩	١٠٩	٩٨	١٢٥	١٠٦	٩٧	١١٤

٨ : ١ : ٣ **النمط الثالث** : ويتسم بتساوي نسبة النوع مع المعدل العالمي ويشمل هذا النمط بقية امارات المملكة.

وهناك محذور يعتري مثل هذا التصنيف في العادة، وهو أن هناك في الغالب أخطاء في التبليغ، تنجم في العادة عن المبالغة في أعداد البنين، وعدم ذكر البنات. ولا نستبعد وجود مثل هذه المبالغة في الامارات التي وصفت بزيادة نسبة الذكور بها. واذا افترضنا وجود مثل هذه الأخطاء، فان ذلك ينقلها الى النمط الثالث المشابه للاتجاه العالمي لهذه النسبة. غير أنه لا مناص من الاعتراف بأن نقص الذكور حائل في امارات النمط الثاني. اذ لا يعقل في وسط ريفي مثل هذه الامارات أن تكون المبالغة في الاناث على حساب الذكور.

٨ : ٢ من الملفت للانتباه انخفاض نسبة النوع في كافة امارات المملكة بلا استثناء في فئة العمر ١ — ٤ سنوات.

فالمعدل العام للمملكة هو ١٠٠٪، أي تساوى الذكور والاناث عموما. الا أن غالبية الامارات تقل فيها نسبة الذكور. فهناك ثمان امارات تتراوح فيها هذه النسبة بين ٩١ — ٩٩٪، وست امارات تزيد فيها النسبة عن ١٠١٪، ولا يصل الى ١٠٢٪ الا في امارة واحدة هي مكة الكرمة.

ان هذا الهبوط المفاجيء في عدد الذكور بين الأولى والرابعة من العمر لا يمكن تفسيره بسهولة. اذ لو افترضنا أن نسبة الوفيات في هذه السن عالية —وهي عالية بالفعل— فما معنى أن الوفيات لا تشمل الاناث أيضا. اذ من الواجب أن يحصد الموت كلا النوعين معا، الأمر الذي يبقى معه نسبة النوع ثابتة عموما في حدود ١٠٥٪ أو قريبا منها. وليس من تفسير لذلك سوى حدوث نوع من الأمراض في فترة التسعينات من القرن الهجري الماضي كان يصيب الأطفال دون الأناث، من أعمار ١ — ٤ سنوات، الأمر الذي نجم عنه انخفاض نسبة الذكور في هذه الفئة انخفاضا حادا يكاد بالكاد يصل الى مستوى تعادل الجنسين. ومما يرجح هذا القول أن نسبة النوع ترتفع الى ١٠٢٪ في فئة العمر التي تلي، ممن أعمارهم ٥ — ٩ سنوات وعلى العموم تقتضي هذه النقطة مزيدا من البحث والاستقصاء.

جدول رقم (٥)

النسبة النوعية للسكان السعوديين حسب الوحدات الادارية وفئات السن المختلفة*

الإمارة / فئات السن	تبوك	الجوف	القريات	الحدود الشمالية	مكة المكرمة	المدينة المنورة	المنطقة الشرقية	الباحة	جيزان	نجران	عسير	الرياض	القصيم	حائل	المملكة
أقل من سنة	٩٩	١١٨	٩٢	١٠٨	١٠٧	١٠٩	١٠٤	١٠٦	١٠٣	١٠٢	١٠٥	١٠٦	١١١	٩٨	١٠٥
١ - ٤	١٠٠	٩٣	٩٥	١٠٠	١٠٢	٩٩	١٠١	٩٨	١٠٠	٩٠	٩٧	١٠٠	٩٨	٩١	٩٩
٥ - ٩	١٠٢	١٠٠	١١١	٩٦	١٠٤	١٠٣	١٠٢	٩٨	١٠٦	١٠٠	١٠١	١٠٢	١٠١	٩٢	١٠٢
١٠ - ١٤	١٠٣	١٠٩	١٠٠	١٠٠	١٠٩	١٠٩	١٠٣	٩٩	١١٤	١٠٨	١٠٣	١١١	١٠٥	١٠٧	١٠٩
١٥ - ١٩	١٢٠	٩٦	١١٥	١٠٠	١٠٩	١٠٨	١١٦	٩٥	٩٢	١١٥	٨٧	١١٧	١٠٦	٩٥	١٠٧
٢٠ - ٢٤	٢٢٠	١٠١	١٤٣	١٢٦	١٠٧	٩١	١٥٢	٥٨	٧١	١٢٩	٧٣	١٣٦	٨٦	٧٥	١١١
٢٥ - ٢٩	١٦٤	٩١	١٣٢	١١٢	٩٦	٧٠	١٣١	٥٣	٦٣	١١١	٦٨	١٠٤	٦٨	٦٣	٩٧
٣٠ - ٣٤	١٥٣	٨٢	١٠٧	١١١	١٠٩	٧٤	١١٤	٥٧	٧٥	١٠٤	٧٧	١٠٦	٦٨	٦٥	٩٢
٣٥ - ٣٩	١٤٧	٩١	١١٥	١٢٤	١١٢	٨٦	١١٦	٦٦	١٠٠	١٢٦	٩٦	١٠٨	٧٩	٦٨	١٠٢
٤٠ - ٤٤	١١٩	٨٧	١١٤	١٢٢	١٣٧	٧٩	١٢٨	٦٤	٩٦	١٠٧	٩٧	١١٣	٩١	٧١	١٠٢
٤٥ - ٤٩	١٢٩	١٢٦	١٣٠	١٤٠	١١٥	١١٤	١٥٨	٨٢	١١٩	١٣١	١١١	١٤٤	١٣٦	١١٠	١٣٠
٥٠ - ٥٤	١٠٩	١٣١	١٠١	١٢٣	١٥٠	١١٥	١٣٥	٦٧	١٠٤	٩٧	٩٥	١٢٥	١٢١	١٠٤	١١٢
٥٥ - ٥٩	١٧٣	١٣٤	٢٣١	١٦٨	١٢٤	٢٠١	١٧٦	١١٩	١٣١	١٣٧	١٢٢	١٧٥	١٦٥	١٨٣	١٥٧
٦٠ - ٦٤	١٤٤	١٥١	١٥١	١٩٠	١٢٤	١٩٠	١٦٣	١٠٢	٩٣	١١٨	٩٨	١٤٨	١٦٥	٢٠٩	١٣٥
٦٥ +	١١٩	١٦٥	١٦٣	١٨٢	١١٢	١٤٨	١٥٢	٩٨	٨٥	٩٧	٨٦	١٤٠	١٥٦	١٥١	١٣٢
الاجمالي	١٢٥	١٠٤	١١٥	١١٢	١٠٨	١٠٣	١١٦	٨٧	٩٦	١٠٦	٩٣	١١٢	١٠٢	٩٥	١٠٦

٨ : ٣ من المعروف عالميا أن نسبة النوع تكون فيها الغلبة للذكور عند الميلاد، على نحو ما بينا سابقا. غير أن هذه النسبة تتناقص باستمرار مع مرور الزمن، الى أن يتساوى النوعان. ثم تميل الغلبة الى الاناث، بحيث نجد في فئات السن العليا أن نسبة الاناث أعلى من نسبة الذكور، لأن الوفيات من الذكور خلال مراحل العمر المختلفة تكون أعلى منها عند الاناث.

غير أن الناظر الى اجمالي النوعية في المملكة يجد عكس ذلك تماما. اذ أن نسبة الذكور ترتفع ارتفاعا ملحوظا في فئات السن المختلفة، ارتفاعا يعلو وينخفض بغير نسق معين. فالنسبة النوعية منة ١١٩٪ عند فئة السن ١٥ — ١٩ عاما، وهي ١٣٥٪ عند فئة السن ٢٠ — ٣٤ عاما، ثم ١١٧٪ عند فئة السن ٢٥ — ٢٩ عاما. وقد تصل الى ١٦٠٪ كما هو الحال في فئة السن ٥٥ — ٥٩ عاما.

ان هذا التزايد في نسبة الذكور لا يمكن تفسيره، الا بافتراض وجود عناصر أجنبية في البلاد، من مختلف فئات السن ذات النشاط الاقتصاديActive Population وهؤلاء هم سبب هذا الخلل والاضطراب في نسبة النوع. فالهجرة الوافدة الى المملكة من مناطق ارسال عديدة، عربية وأجنبية، تزيد من نسبة الذكور، وتقلل من نسبة الاناث، سيما وان معظم العناصر الوافدة من الخارج تكون من الذكور القادرين على العمل.

٩ : أثر الهجرة على التركيب النوعي :لقد كان حديثنا فيما سبق يتناول التركيب النوعي لجميع القاطنين على أرض المملكة سواء أكانوا وافدين من الخارج، أو سكانا محليين. ومن المعلوم أن الهجرة بأنواعها المختلفة — داخلية وخارجية — تؤثر على التركيب النوعي، مما ينجم عنه اختلافا كبيرا في نسبة الذكور الى الاناث. ولعله من المفيد أن نبحث بشيء من التفصيل أثر الهجرة الخارجية والداخلية على تركيب السكان في المملكة.

٩ : ١ الهجرة الخارجية : سبق أن أشرنا الى آثر الهجرة الخارجية في رفع النسبة النوعية لدى كافة فئات السن المختلفة على مستوى المملكة والمناطق الادارية (انظر فقرة ٧ : ١ : ٢). ولتقدير أهمية الهجرة الخارجة نسبة النوع للسكان السعوديين فقط واستبعد الأجانب من غير السعوديين. ويظهر الجدول رقم (٥) التركيب النوعي للسكان السعوديين على مستوى المناطق الادارية، وفئات السن المختلفة، ومن مقارنة هذا الجدول بالجدول السابق رقم (٤) يتبين لنا ما يلي:

٩ : ١ : ١ ان نسبة النوع قد انخفضت عموما بين صفوف السعوديين بعد ابعاد العناصر الأجنبية، اذ أصبحت نسبة النوع للسكان السعوديين تعادل ١٠٦٪ مقابل ١١٤٪ لاجمالي السعوديين والأجانب. وهذا يبين تأثير الأجانب في رفع نسبة النوع العامة في المملكة العربية السعودية. ويمكن ملاحظة نفس الشيء على مستوى المناطق الادارية بأجمعها. اذ نجد أن جميع الامارات بلا استثناء قد انخفضت فيها النسبة النوعية، بعد ابعاد العناصر الوافدة الى هذه الامارات. ويظهر الجدول رقم (٦) هذه الفوارق في نسبة النوع كما يبرز تأثير الهجرة الخارجية بنسب مختلفة يتراوح حدها الأدنى بين ٢ - ٦٪ في كافة مناطق المملكة باستثناء امارات الرياض ومكة المكرمة والمنطقة الشرقية التي تصل فيها الزيادة الى الحد الأقصى حيث تبلغ ١٣٪ في كل من الرياض والمنطقة الشرقية وتصل الى ١٠٪ في امارة مكة المكرمة.

٩ : ١ : ٢ ان نسبة النوع تظهر انخفاضا ملموسا عند السكان السعوديين، اذا ما أخذت هذه النسبة في فئات السن المختلفة. ويظهر الشكل (٤) منحى الزيادة في نسبة النوع لفئات السن المختلفة. حيث وضعت فئات العمر على المحور الأفقي وفرق الزيادة بين اجمالي السكان - سعوديين وأجانب- والسكان السعوديين على المحور الرأسي.

ان الشكل رقم (٤) والجدولين (٤، ٥) يظهران لنا الحقائق التالية:

٩ : ١ : ٢ : ١ ان الفروق في نسبة النوع بين اجمالي السكان، والسكان السعوديين تكاد تكون معدومة أو قليلة جدا في فئات السن التي تقل عن ١٥ عاما، والتي تزيد عن ٥٥ عاما، مما يجعل الهجرة الخارجية قليلة التأثير على النسبة المئوية في هذه الفئات.

٩ : ١ : ٢ : ٢ ان الزيادة العظمى في نسبة النوع تصل أقصى مدى لها في فئات السن ٢٠ - ٤٤ عاما، مع نهاية عظمى في فئة السن ٢٥ - ٢٩ عاما (قمة المنحنى البياني). وهذا يعطينا مؤشرا واضحا عن العمر الذي يزداد فيه الاقبال على الهجرة عند العناصر الوافدة الى المملكة من الخارج. ان هذه الفئات عموما ٢٠ - ٤٤ عاما وخاصة فئة العمر ٢٥ - ٢٩ عاما هي سن الطموح، وتحقيق الأحلام، والعمل لسد احتياجات الأسرة، وزيادة رفاهها الاقتصادي.

ومن المعلوم أن هناك مايزيد عن مليون ونصف المليون من المهاجرين الأجانب على أرض المملكة العربية السعودية. وقد ذكرت تقارير التعداد مايقارب المليون مهاجر في عام ١٣٩٤هـ. قدم منهم ٨٠,٥٪ من قارة آسيا و ١٦,٦٪ من قارة افريقيا، أما الباقي وهو ٣٪ فقد قدم من أوربا والعالم الجديد. ويظهر الجدول رقم (٧) المناطق التي قدم منها المهاجرون.

جدول رقم (٦)
النسبة النوعية لاجمالي السكان
والسكان السعوديين حسب الوحدات الادارية

النسبة النوعية الوحدات الادارية	اجمالي السكان	السكان السعوديون	الفرق في النسبة
تبوك	١٢٩	١٢٥	٤
الجوف	١٠٨	١٠٤	٤
القريات	١٢١	١١٥	٦
الحدود الشمالية	١١٥	١١٢	٣
مكة المكرمة	١١٨	١٠٨	١٠
المدينة المنورة	١٠٧	١٠٣	٤
المنطقة الشرقية	١٢٩	١١٦	١٣
الباحة	٨٩	٨٧	٢
جيزان	٩٩	٩٦	٣
نجران	١٠٩	١٠٦	٣
عسير	٩٨	٩٣	٥
الرياض	١٢٥	١١٢	١٣
القصيم	١٠٦	١٠٢	٤
حائـل	٩٧	٩٥	٢
اجمالي المملكة	١١٤	١٠٦	٨

جدول رقم (٧)
التركيب النوعي للوافدين الأجانب

الجنسية	التركيب النوعي	الجنسية	التركيب النوعي
يمني شمالي	٤٢٠	عراقي	١٣٣
يمني جنوبي	١٧٧	فلسطيني	١٣٣
عرب الخليج	١٩٣	باكستاني ونبجلاديشي	١٣٧
مصري	١٢٢	اندونيسي	١١٨
سوداني	١٧٦	هندي	١٣٤
عرب شمال افريقيا	٨٨	أوربي	٢٦٧
سوري	١٢٧	أمريكي	١٣١
لبناني	١٩٣	افريقي آخر	٩٠
اردني	١٢٦	آسيوي آخر	١٢٦
	الأجانب ٣١١ **السعوديون ١٠٦**		

المصدر : تقارير التعداد العام - البيانات التفصيلية (النسبة من حساب الباحث).

ومنه يتبين أن الجدول يشمل العديد من الجنسيات والأقطار السياسية، معظمها أقطار عربية واسلامية قدم منها هؤلاء (مرجع رقم ٦ ص ١٣ - ١٦).

لقد حسبت نسبة النوع للمهاجرين الأجانب (انظر جدول رقم ٧)، وقد تبين أن هناك ٣١١ ذكرا مقابل كل ١٠٠ أنثى، يقابل ذلك ١٠٦ ذكور لكل ١٠٠ أنثى في أوساط المجتمع المضيف، وهذا يعكس لنا بطبيعة الحال حقيقتين هامتين :

الأولى : ان المجتمع السعودي يشبه المجتمع العالمي من حيث توزيع الذكور والاناث، والذي تزيد فيه نسبة الذكور قليلا عن نسبة الاناث.

الثانية : ان معظم المهاجرين الوافدين من الخارج هم من الرجال. وأن نسبة الاناث لا تكاد تصل الى ثلث حجم الوافدين الكلي.

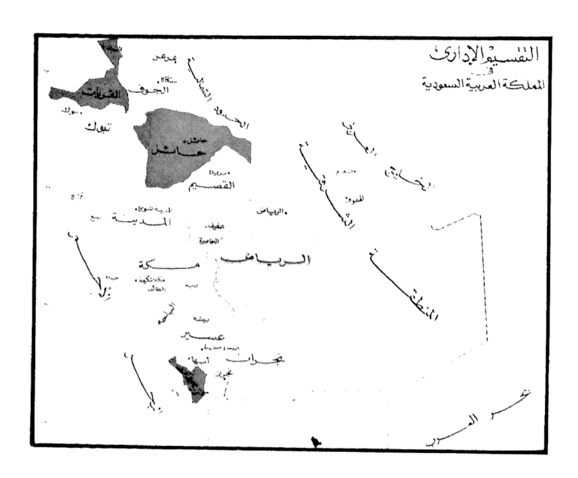
ان هذه النسبة العامة لجميع الوافدين تظهر لنا تنوعا كبيرا اذا ما أخذت الأقطار التي قدم منها المهاجرون بعين الاعتبار. ان نسبة الذكور عالية جدا عند المهاجرين من أبناء اليمن الشمالي حيث تصل الى ٤٢٠٪ في حين تنخفض هذه النسبة لتصل الى ٨٨ – ٩٠٪ في أقطار القارة الافريقية باستثناء مصر والسودان. وتتقارب نسبة الذكور في كل من مصر،سوريا،الأردن، العراق، فلسطين المحتلة، اندونيسيا والهند وبقية أقطار آسيا وأمريكا بحيث تتراوح بين ١١٨ – ١٣٧٪. وتكاد تتساوى أقطار اليمن الجنوبي ودول الخليج العربي والسودان ولبنان في معدلاتها العامة حيث تتراوح هذه النسبة بين ١٧٦ – ١٩٣٪. وينفرد القادمون من الدول الأوربية بارتفاع أعداد الذكور مقارنة بأعداد الاناث بحيث تصل النسبة عند هؤلاء الى ٢٦٧٪. مما يجعلها تأتي في المرتبة الثانية بعد اليمن الشمالي في غلبة الهجرة عند الذكور من أبنائها.

٩ : ٢ الهجرة الداخلية : لقد أبرزنا فيما سبق أثر الهجرة الداخلية بين البوادي والأرياف ومختلف مدن المملكة (انظر ٧:١، ٧:٢، ٧:٣). كما بينا الامارات التي تقل فيها النسبة النوعية والتي صنفت على أنها بيئات طاردة تعاني من نزيف سكانها نحو المناطق الأخرى وقد حصرنا هذه الامارات في حائل وعسير وجيزان ونجران (٦:١، ٦:٢).

والذي يهمنا هنا أن هناك بعض الامارات التي تقل فيها نسبة النوع في بعض فئات السن المختلفة. وهذا يعطينا مؤشرا تقريبيا لبداية النزوح من تلك المناطق. وهذا بدوره يحدد لنا بعض ملامح الهجرة الداخلية بين مناطق المملكة المختلفة.

ان الناظر في الجدول رقم (٥) يرى أن الامارات التي تقل بها نسبة النوع في بعض فئات السن بها تنحصر في الحالات التالية:

* **امارتي الجوف وجيزان التي تقل بها نسبة النوع في فئات السن ١٥ – ١٤ عاما.**
* **امارة عسير التي تقل بها نسبة النوع في فئات السن ١٥ – ٥٤ عاما.**



* ★ امارتي القصيم والمدينة المنورة التي تقل فيها نسبة النوع في فئات السن ٢٠ - ٤٤ عاما.
* ★ امارة حائل وتقل فيها نسبة النوع في فئات السن ١ - ٤٤ عاما.
* ★ امارة الباحة وتقل فيها نسبة النوع في كافة فئات السن عامة.

ان اختلاف فئات السن التي تتدنى فيها النسبة النوعية له دلالات هامة، منها:

٩ : ٢ : ١ ان الهجرة من منطقتي الباحة وعسير، قد بدأت مبكرة عن غيرها من المناطق الأخرى، بحيث نجد أن المهاجرين هم من أعمار تتراوح بين ١٥ - ٥٤ عاما في عسير، وتشمل كل فئات السن عموما في الباحة، ولا شك أن وجود مناطق مزدهرة اقتصاديا بجوارها ساعد على الهجرة المبكرة، وربما تكون امارة مكة المكرمة هي التي استقطبت معظم هؤلاء.

٩ : ٢ : ٢ هناك هجرة نازحة من منطقتي الجوف وجيزان، ولكنها

محصورة في فئات الأعمار ١٥ – ٤٤ عاما. فالمهاجرون هنا أعمارهم أقل عموما، مما يدل على أن الهجرة قد بدأت متأخرة عن المنطقتين الأوليين بعشر سنوات على الأقل. ومما يدل على ذلك أن فئات الأعمار ٤٥ – ٥٤ لازالت فيها النسبة النوعية عالية جدا. وربما يكون لبعد المنطقتين النسبي عن مناطق الازدهار الاقتصادي المبكر أثر في تأخر النزوح من هذه المناطق.

٩ : ٢ : ٣ : ان امارة حائل تشبه منطقة الباحة من حيث كونها منطقة طرد سكاني غير أنها تشبه الجوف وجيزان من ناحية أخرى، وهي أن الهجرة قد بدأت متأخرة نسبيا فيها. ويدلنا على ذلك أن فئات الأعمار ٤٥ عاما فأكثر لازالت النسبة النوعية عالية.

٩ : ٢ : ٤ : هناك هجرة نازحة من منطقتي المدينة المنورة والقصيم تشمل الذكور من سن ٢٠ وحتى ٤٤ عاما. وهي من هذا القبيل شبيهة بمنطقتي الباحة وحائل من حيث كونها بدأت مبكرة. وربما بدأت بنفس التاريخ الذي بدأت فيه الامارتين السابقتين. ومما يساعد على ذلك قرب هاتين المنطقتين من مناطق الازدهار الاقتصادي المبكر (الرياض، مكة)، غير أن سيل الهجرة لم يستمر بل توقف ليستثنى الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ – ١٩ عاما، والذين لا تظهر فيهم نزعة الهجرة كالأكبر منهم سنا في هذه المناطق. ولهذا فان الهجرة هنا هي هجرة مبكرة اعترضها عائق أوقف تيارها في الأعمار الصغيرة نسبيا. ومرد ذلك الى أن هذه المناطق بدأت تنال حظها من التقدم والازدهار، مما قلل فرص هجرة أبنائها من جهة، وزاد نسبة القادمين اليها من جهة أخرى.

١٠ – الخلاصة :

ان العرض التحليلي السابق لمناحي التركيب النوعي للسكان في المملكة العربية السعودية يمكن ايجازه بالنتائج التالية :

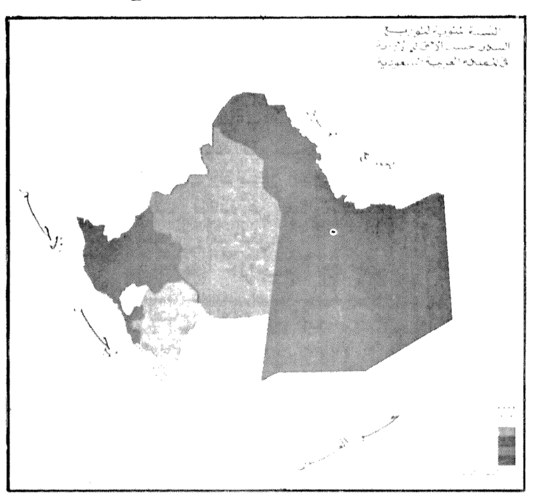
١٠ : ١ ان نسبة النوع العامة لجميع السكان الذين يعيشون على أرض المملكة العربية السعودية – سعوديين وأجانب – هي ١١٤٪، وتبلغ هذه النسبة ١٠٦٪ للسكان السعوديين و ٣١١٪ للأجانب.



١٠ : ٢ على مستوى المناطق الجغرافية، هناك أربع مناطق تزداد فيها نسبة الذكور عن الاناث، وهذه المناطق هي: الشمالية، والغربية، والشرقية، والوسطى. أما المنطقة الجنوبية فتقل فيها نسبة الذكور عن الاناث.

١٠ : ٣ على مستوى الوحدات الادارية (الامارات) هناك أربع امارات تقل فيها نسبة الذكور عن الاناث، وهذه الامارات هي: حائل، عسير، جيزان والباحة، أما باقي امارات المملكة فتزداد فيها نسبة الذكور عن الاناث.

١٠ : ٤ ان نسبة النوع عالية جدا في جميع مراكز الامارات الرئيسية والتابعة بلا استثناء. وبعبارة أخرى أن جميع العواصم الادارية في المملكة تزداد فيها نسبة الذكور عن الاناث، والسبب في ذلك يعود الى أن هذه المراكز تضم أهم المدن السعودية، التي تمثل بؤرة النشاط الاقتصادي، الأمر الذي يجعل من هذه المراكز أقطابا جاذبة للمهاجرين من الداخل والخارج.



١٠ : ٥ ان نسبة النوع في الأرياف والبوادي (القرى وموارد المياه) متساوية وتكون فيها الغلبة للاناث على الذكور. والريف والبادية يمثلان البيئة الطاردة للسكان في المملكة، وهما مصدر الهجرة الداخلية الى المدن المختلفة، حيث تلعب الهجرة الداخلية دورا بارزا في زيادة نسبة الذكور لدى سكان المدن، وزيادة نسبة الاناث لدى سكان الأرياف والبوادي.

١٠ : ٦ ان نسبة النوع للسكان السعوديين عند الميلاد تعادل ١٠٥٪ على مستوى المملكة، بمعنى أن نسبة الذكور عند الميلاد هي أعلى من نسبة الاناث عموما. غير أن هناك ثلاث امارات تشذ عن هذه القاعدة حيث تتصف بزيادة عدد المواليد الاناث. وهذه الامارات هي : القريات، تبوك وحائل.

١٠ : ٧ تلعب الهجرة الخارجية، من مصادر ارسال مختلفة، دورا بارزا في زيادة نسبة النوع في كافة مناطق المملكة، وخاصة في فئات الأعمار ٢٠ – ٤٤ عاما، ويصل تأثير الهجرة أقصاه في رفع نسبة النوع عند فئات الأعمار ٢٥ – ٢٩ عاما.

نستنتج مما سبق أن التركيب النوعي ليس له نسق ثابت، وانما يختلف ارتفاعا وانخفاضا باختلاف المناطق الادارية، ويتأثر بطراز حياة السكان، سواء أكانوا ريفيين أم بداة أو من سكان المدن. كما أنه يتنوع حسب فئات العمر المختلفة. وتلعب الهجرة بنوعيها – الداخلي والخارجي – دورا بارزا في زيادة هذا التنوع. وهذا يؤكد لنا، بطبيعة الحال، ماسبق وافترضناه في بداية هذا البحث. ويثبت الفرضيتين اللتين قام البحث عليهما، ويجعل لدينا ولأول مرة حقائق مؤكدة عن بعض السمات الديمغرافية لسكان المملكة العربية السعودية. والله الموفق..

المراجع

١ – **أمل يوسف الصباح** : الهجرة الى الكويت من عام ١٩٥٧م – ١٩٧٥م، دراسة في جغرافية السكان، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.

٢ – **دائرة الاحصاءات العامة** – وزارة المالية والاقتصاد الوطني، المملكة العربية السعودية، التعداد العام للسكان (١٣٩٤هـ) البيانات التفصيلية على مستوى المناطق (١٤ تقريرا).

٣ - **دولت أحمد صادق ومحمد عبد الرحمن الشرنوبي** : الأسس الديمغرافية لجغرافية السكان. مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٢م.

٤ - **عباس فاضل السعدون** : دراسة في جغرافية السكان، منشأ المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٠م.

٥ - **محمد عبد الرحمن الشرنوبي** : التركيب السكاني لدولة الكويت دراسة تحليلية، القاهرة، ١٩٧١م.

٦ - **محمد محمود السرياني** : الهجرة الوافدة الى المملكة العربية السعودية - مجلة كلية التربية - جامعة الملك عبد العزيز / شطر مكة المكرمة، العدد السابع.

٧ - **ناصر عبد الله الصالح ومحمد محمود السرياني** : الجغرافية الكمية والاحصائية - أسس وتطبيقات، مطابع دار الفنون، جدة، ١٩٧٩م.

- Chaddock, R. E. «Age and Sex in Population Analysis» Spengler, J.J. & Duncan, O.P. (edts) Demographic Analysis, Chicago, 1963.
- Demographic Centre, «Demographic Measures & Population Growth in Arab Countries Cairo, 1970.
- Lipsky, Co. & Others, Saudi Arabia, its people, its societies, its culture, New Haven, 1959.
- Mc- Groger, R. «Saudi Arabia population and the making of a modern state» in population of the Middle East & North Africa» edited by Fisher & Clarke. PP. 220 - 241.
- United Nations, «Methods of Analysing census Data on Economic Activities of the population» Department of Economic & Social affairs, Population studies no 43, New York, 1968.

Zachariah, K.C., Use of Census Data for Estimating Mesaures of Iraq CDC, Demographic Measures & Population Growth in Arab Countries, Cairo. 1970.

مفهوم الترويح ونظرياته في المجتمعات الحضرية المعاصرة



لقد ازداد الاهتمام ببرنامج الاستجمام والترويح عن النفس بعد الحرب العالمية الثانية في الدول المتقدمة والدول النامية بسبب التقدم التقني والقوانين والتشريعات الحكومية المحلية والدولية التي زادت من وقت الفراغ لدى الموظف والعامل وربة البيت، والتي حددت من ناحية أخرى ساعات العمل والاجازات المتنوعة. هذا بالاضافة الى الاهتمام المتزايد بربط برامج الترويح بمشروعات التنمية في مجالات التعليم والصحة والاعلام والاسكان والرعاية الاجتماعية والدفاع الاجتماعي لمختلف فئات المجتمع.

بقلم د. اسحق يعقوب القطب

وقد شهدت المدن في العقدين الأخيرين نموا سريعا واسع النطاق بحيث زاد عدد السكان فيها بمعدلات مرتفعة خلال فترة زمنية قصيرة، مما أثر بصورة عكسية على توفير المؤسسات اللازمة لمواجهة هذا النمو. والمؤسسات الترويحية في وضعها الراهن قاصرة عن تلبية احتياجات القطاعات السكانية المختلفة.





لقد عقدت الهيئات الدولية (منظمة اليونسكو ومنظمة العمل الدولية ومنظمة اليونسيف) العديد من المؤتمرات بقصد اثارة اهتمام الدول النامية في برامج الترويح عن النفس كمؤسسة مجتمعية (Social Institution) لها أهدافها وقيمها وبرامجها وعاداتها وتنظيمها وقوانينها ومراحلها وأنواعها ومشكلاتها وتطورها وارتباطها بالمؤسسات الاجتماعية الأخرى مثل الأسرة والاقتصاد والتربية والدين والسلطة. كما اهتمت جامعة الدول العربية في مناقشة البرامج الترويحية بصورة جزئية وفي قطاعات مجتمعية محددة مثل الشباب، الكشافة... الخ. إلا أن حصيلة هذه الجهود لم تصل الى تصور شامل ومتكامل للخدمات الترويحية كجزء من عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

وكذلك فان المعنيين في الدول العربية يواجهون أهمية متزايدة لتخطيط سياسة ترويحية جماهيرية لمختلف قطاعات المجتمع وبصورة خاصة في المدن الرئيسية ذلك لأنها أخذت تعاني من الازدحام السكاني والكثافة المرتفعة وقلة الساحات والمرافق الترويحية. كما أن هناك حاجة ماسة للبحوث والدراسات الميدانية لتحليل الوضع الراهن بالنسبة للمساحات المخصصة للترويح العام والأندية والهيئات الخاصة والأنشطة المختلفة بالاضافة الى دراسات

تهدف الى تقييم البرامج والوسائل والأدوات والمؤسسات المرتبطة بالترويح بقصد التخطيط على المدى القصير وفي المدى البعيد.

هـدف البحث :

يهدف هذا البحث إلى مناقشة ثلاثة موضوعات هي :

١ – مفهوم الترويح ونظرياته وأهميته والأسس التي يقوم عليها في المجتمعات الحضرية.
٢ – تحليل خصائص المجتمعات وأنماط النشاط الترويحي.
٣ – نماذج البحوث اللازمة وأهميتها في تخطيط السياسة الترويحية.

أولا – مفهوم الترويح ونظرياته وأسسه في المجتمعات الحضرية المعاصرة

(١) مفهوم الترويح :

تعني كلمة ترويح (Recreation) تلهية واستجمام وتنزيه وترويح عن النفس وكلمة (recreate) تعني «تفكه وتسلٍّ للانتعاش، أو أنعش واستجم، كما تعني خلق من جديد»(١).

وقد اختلف مفهوم الترويح عبر الأزمان وتأثر بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية التقنية. فقد أشار ارسطو الى «حصاد الذات» الذي يشمل التأمل وتمتع النفس في البحث عن المعرفة والمنافسة والتبصير الثقافي. ويؤكد عالمان آخران أن الترويح هو «حالة من الوجود وحالة من الشعور منفصلة عن الزمن»(٢).

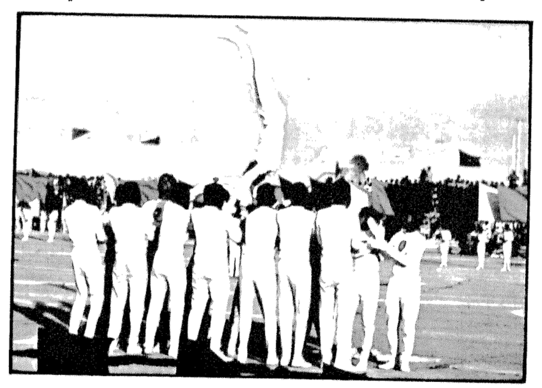
ويشير ديفد جراي الى المفهوم الكلاسيكي للترويح على أنه «عمل تأملي جمالي ونفسي وروحي وفلسفي»(٣) ويشير تورستان فبلين الى العلاقة بين الترويح والطبقة الاجتماعية حيث تمتلك الطبقة الغنية أكثر من غيرها من وسائل الترويح، كما أشار الى العلاقة بين الترويح والمهنة والمستوى التعليمي في المجتمع(٤).

وهناك تعريف آخر ينظر الى الترويح على أنه «نشاط مميز عن العمل يمارسه الناس في أوقات فراغهم، بعيدا عن الالتزام نحو العمل أو الواجبات الأسرية أو المجتمعية، وبذلك فان الترويح ضمن هذا المفهوم يؤدي ثلاث وظائف: **الاسترخاء، والتسلية، والتنمية الذاتية.**

وتجدر الاشارة الى عنصر الزمن أو الوقت كما ورد في التعريف المشار اليه. هناك ثلاثة أنواع من الوقت: الأول الدوري أو المتواتر (Cyclical) أو الطبيعي (Natural) والثاني الآلي أو الزمني (Mechanical/Clock) والثالث الوقت النفسي. (Psychological). كل نوع من هذه الأنواع يؤثر في تكييف سلوك الفرد وفهمه لحركة الأفراد الآخرين من حوله.

فاذا نظرنا الى نمط حياة البدو وأهل القرى نجد أنها تدور حول مواسم الزراعة والرعي والحصاد ويرتبط نشاطهم بالفصول الأربعة التي تؤثر في تنظيم وتكرار أنماط معينة من النشاط مثل الري والفلاحة وقطف الثمار وعصر الزيتون وتسديد الديون، وبالتالي فان الوقت مرتبط بالظواهر الطبيعية المتكررة..

أما الوقت الآلي فهو الذي تنظم فيه مواعيد العمل والسوق والمكاتب والرحلات والأجازات والصلاة والصوم والأعمال اليومية والشهرية والسنوية.. أي أنها تعكس العلاقة العامة بين الانسان والعمل.. وهنا يمكن أن نشير الى «الوقت الضائع» و «الوقت الاضافي» ونهاية الدوام.. الخ والساعة التي تشير الى الزمن تنظم حركة الانسان في الصناعة والمواصلات والمدارس والمساجد والمكاتب والملاعب والملاهي.



وفي المجتمعات البدوية لا نجد الفرق واضحا بين وقت الترويح ووقت العمل بل يعتبران عمليتين متداخلتين، بينما نجد أن المجتمعات التي تتجه نحو التصنيع تعتبرهما عمليـــتين منفصلـــتين بل ومتعارضتين، ذلك لأن وقت العمل ينحصر في تطوير الانتاج، ووقت الترويح يحمل معاني الفراغ.

أما الوقت النفسي، فهو الذي يوجه السلوك والادراك للأحداث التي تدور حول الفرد وتؤثر في استجابته نحو الظواهر الطبيعية والاجتماعية واحساسه بوجوده وكيانه(٥). وهنا نجد فروقا واضحة بين الشعوب الاسلامية والغربية حيث أن الأولى تؤمن بارتباط الزمن بمعتقدات دينية مثل القضاء والقدر «اعمل لآخرتك كأنك تموت غدا واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا»، أما الثانية فتنظر الى الوقت على أساس استثماره بصورة منتجة على أكبر عائد في أقصر وقت.

ونجد في المجتمعات الصناعية أن الترويح ليس جزءا من حياة الانسان بل وسيلة للحياة – أي ذا قيمة عرضية – له أهميته في مساعدة الانسان على الاسترخاء واستعادة الحيوية لمزاولة العمل – أي أن الترويح يعتبر وسيلة لغاية وليس غاية في حد ذاتها.

وقد قدم كراوس مفهوما جديدا للترويح عرفه بالاتجاه الكلي (Holistic) الـذي غير إطـــار الخدمات الترويحية وألغى الثنائية الفاصلة بين الترويخ والعمل الذي أثر في الحرمان من التمتع بفرص الترويح –

ويعني هذا المفهوم أن الترويح والعمل عنصران مرتبطان ببعضهما لا ينفصلان وأن اعتبار الترويح مجرد نشاط اجتهادي والعمل نشاط انتاجي أصبح غير منسجم مع الاتجاه الحديث الذي يرى أن الترويح عمل انتاجي أيضا، ولذا فان هناك ضرورة للتوجيه القيمي بحيث يضفي على المجتمع قيما عالية ويكرم الترويح مثل القيم التي يضعها المجتمع لتكريم العمل والعمال(٦).

ومن ذلك يمكن اعتبار الترويح ممثلا للوقت الحر وأنه يوفر امكانية حرية الاختيار. ويمكن القيام بالنشاطات على نطاق واسع بما في ذلك النشاطات الايجابية والحيوية والتي تسهم في تنمية الذات وتنمية المجتمع ككل(٧).

ومن ناحية أخرى فقد أشار **شارلز بوشر وزميله ريشارد بوشر** في كتابهما الترويح في المجتمع المعاصر الى مفهوم الترويح من الجوانب التالية(٨):

١ – يشتمل الترويح على أنشطة متعددة يمارسها أفراد المجتمع خلال ساعات الاستجمام.

٢ – تعني الأنشطة الترويحية التي يجد فيها أفراد المجتمع السرور والرضاء.

٣ – تتضمن الأنشطة الترويحية المشاركة التطوعية من قبل الأفراد والجماعات بناء على الارداة الذاتية.

٤ – يمارس أفراد المجتمع الأنشطة الترويحية لأنها توفر المكافأة والعائد من تلقاء نفسها.

وضمن هذا الاطار فان الكاتبين يحاولان إزالة بعض الغموض حول مفهوم الترويح ويشيران الى أهمية النظر نحو الترويح على أنه:

(١) لا يتساوى مع العمل – اذ أن البعض يشعر خطأً بأن العمل يوفر درجة عالية من الرضا وكأنه نمط من الترويح عنهم.

(٢) يوفر للفرد والجماعة عائدا جسمانيا ونفسيا واجتماعيا وروحيا.

(٣) ذو طبيعة اجتماعية يتقبلها المجتمع ويقرها في الاطار القيمي.

(٤) لا يعني الكسل والبطالة.

هذا ولابد من توضيح كل من مفهومي الترويح ووقت الفراغ – ففي حين يقصد بوقت الفراغ (Leisure) أو الوقت الحر الذي يتوفر لدى الفرد أو الجماعة، ان الترويح (Recreation) يعني النشاطات والأعمال التي يقوم بها الفرد والجماعة خلال الوقت الحر أو وقت الفراغ.

أما بالنسبة للفرق بين مفهومي اللعب (Play) والترويح فنجد أن علماء النفس ينظرون الى اللعب على أنه سلوك ونشاط الأطفال بينما يعتبره علماء الاجتماع نشاطا للكبار، في حين ينظر الى الترويح على أنه نشاط يمارسه كل من الكبار والصغار على السواء.

ومما تقدم يمكن تعريف الترويح على النحو التالي :

«الترويح هو ذلك النشاط الواعي الذي يمارسه الفرد بصورة تلقائية في الوقت الحر (الفراغ) والذي يستهدف تلبية الحاجات الجسمية والعقلية والروحية، والتي تعود عليه بالسرور والرضاء في الاطار المجتمعي وفي ظل القيم الاجتماعية والروحية البناءة».

(٢) اتجاهات نظرية في الترويح:

لقد تعددت الآراء والاتجاهات النظرية التي تناولت الترويح واللعب إلا أنها ركزت بشكل خاص على الأطفال ولم تعالج موضوع جماهير المجتمع من الأعمار المختلفة.

ومن أقدم النظريات في هذا المجال نظرية «فائض الطاقة» التي تنص على أن الانسان مشحون بطاقة عضلية بدرجة لا تمكنه من الهدوء، ولذا فان اللعب مجرد وسيلة لاستنفاذ هذه الطاقة وليس له هدف محدد. وهذه النظرية لا تعطي التحليل الكافي اذ تهمل جانب الدافع للعب والترويح الذي لا يمكن قياسه بواسطة الطاقة الفائضة(٩).

وهناك نظرية أخرى تناقض نظرية تلك التي تعتبر اللهو «نشاطا فعالا لاسترداد الصحة والطاقة والحيوية الجسمية والعقلية ويوفر الراحة والاستجمام بعد العمل» وتنطبق هذه النظرية على الكبار البالغين أكثر من الشباب ذلك لأن معظم اللهو والنشاط الترويحي يحدث في قمة حيويتهم وطاقتهم الجسمية والعقلية. أما نظرية التليين (Catharsis Theory) فتتفق مع نظرية فائض الطاقة حيث تعتبر اللهو صمام أمان للعواطف والانفعالات الحادة مثل الغضب - وبالرغم من أهمية النظرية الا أنها لا تفسر طبيعة الترويح من ناحية ولأن الانسان في حالة الغضب مثلا يكثر تجنبه للعب بدلا من الاقبال عليه.

أما النظرية التي تعد أكثر انتشارا فهي نظرية التعبير الذاتي (Self Expression Theory) وترتبط بطبيعة الانسان وبتكوينه العضوي وانفعالاته النفسية وأحاسيسه وعواطفه وقدراته الاستيعابية ورغبته في التعبير عن الذات. وتستند هذه النظرية على أن دافع الحياة هو القيام بعمل أو وظيفة، وأن الابتهاج والسعادة الحقيقية التي يسعى

وراءها الناس في جميع أعمالهم وخبراتهم يتحقق عن طريق أداء الأعمال والوظائف». وتأخذ النظرية بعين الاعتبار أن أنماط الأفعال التي يسعى الانسان لتحقيق الابتهاج بواسطتها تعتمد على امكانياته الطبيعية وحالته الصحية واتجاهاته وسلوكه. كما تتأثر اتجاهات الفرد نحو النشاط والرضى الذي يسعى لتحقيقه بكمية الطاقة المتوفرة لديه وبنوع الرغبة سواء أكانت تهدف الى الاشباع العاطفي أو العقلي أو الروحي أو الجسمي - فنجد أن الانسان في وقت ما يرغب في ممارسة النشاط الشاق أو ينشد الاستجمام والراحة في وقت آخر - ونجده في بعض الأحيان يسعى وراء المغامرات في حين يتجه نحو الأصدقاء القدامى في حالات أخرى.

وباختصار فان هذه النظرية ترى أن الترويح نمط من النشاط ومحاولة يسعى الانسان للتعبير عن ذاته نتيجة لنزعته نحو الحركة واستخدام طاقاته وامكانياته لأقصى حد ممكن - وعن طريق الترويح يجد الانسان مجال تحقيق رغباته في التحصيل، والابداع، وكسب ثقة الآخرين ونيل استحسانهم والتعبير عن مكامن شخصيته(١٠).

وبالرغم من أن هذه النظرية عامة، اذ أن الانسان يسعى للتعبير عن ذاته في العمل وفي العبادة وفي التحصيل العلمي وفي الترويح، الا أنه في الأعمال الثلاثة الأول غالبا ما ينشد الجزاء والمكافأة من بعد انجازها، في حين أن الترويح نشاط يقبل عليه الانسان من أجل الترويح والتعبير عن الذات.

وتتناسب القيم المتصلة بالنشاط الترويحي لدى الفرد بطبيعة وكمية الرضى الذي يحصل عليه من النشاط، ويصنف النشاط على أنه ترويحي مقبول في المجتمع لأن معظم الأفراد قد حصلوا على خبرات مرضية من هذا النشاط. وقد أشار أحد علماء التحليل النفسي الى أن الترويح يكمن في المشاركة في اعداد وصناعة وتكوين النشاط وليس في الأشياء الجاهزة والتي تصل الى الفرد بصيغتها المنتهية(١١).

(٣) في سوسيولوجية الترويح:

أشار بعض علماء الاجتماع الى أهمية الترويح الى جانب العمل في التطور الحضاري وعدم الاغتراب. وأول ما نشر في أهمية الترويح كان في كتاب تورستون فبلين عام

١٨٩٩م «نظرية الطبقة التي تتمتع بالترويح» حيث حلل سلوك البرجوازيين في السعي للرقي الاجتماعي. وأسهم في الاهتمام بالدراسات الميدانية تحديد ساعات العمل الرسمية بثماني ساعات. وفي عام ١٩٢٥م اتخذت الحكومة السوفيتية سياسة رسمية تجاه تنظيم الترويح. وفي عام ١٩٢٤م نظم مكتب العمل الدولي أول مؤتمر عالمي لمناقشة وقت الفراغ عند العمال.

وفي عام ١٩٣٧م أجريت أول دراسة للنشاطات الترويحية التقليدية والعصرية في مجتمع المدينة الأمريكية(١٢). وطبيعة تنظيمها.

وبعد الحرب العالمية الثانية اتخذ علم الاجتماع الترويحي بعدا جديدا ومعان جديدة مثل الاهتمام بالمجتمع الجماهيري والاستهلاك الجماهيري، وأهم انتاج علمي ظهر عام ١٩٥٠م باسم الجمهور الوحيد Lonely (Crowd حيث أشار الى أن تطور الانسان من مرحلة الاتجاه الذاتي الذي تتحكم فيه القيم التقليدية والمعايير الأسرية والقبلية الى مرحلة الاتجاه الاجتماعي الذي يتأثر بوسائل الاعلام الجماهيري والمعايير الجماعية غير الأسرية. وقد أثر هذا الكتاب على بحوث الترويح التي اتخذت آراء ريسمان محورا للتحليل(١٣). كما أجريت العديد من الدراسات والبحوث في أوربا ودول الكتلة الشرقية حول الترويح في الخمسينات والستينات.

أما في البلاد العربية فقد أجريت دراسات مسحية حول النشاطات الترويحية بأنواعها المختلفة على شكل تقارير احصائية ووصفية أكثر من أن تكون ذات مدلول تحليلي اجتماعي تناقش العلاقة بين الترويح والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ومن الدراسات الهامة التي أجريت في مجال علم الاجتماع الترويحي والتي أسهمت في ظهور عدد من الاتجاهات الأمريكية تلك التي تناولت دراسة الترويح من حيث علاقته بالعمل والأسرة(١٤) والدين(١٥) والسياسة(١٦) والثقافة(١٧).

كما يرى علماء الاجتماع أن للترويح وظائف وأهدافا اجتماعية وثقافية ونفسية واقتصادية ودينية وسياسية في المجتمعات الحضرية.

وحتى يؤدي الترويح هذه الوظائف بدرجة عالية من الفعالية لابد من تكوين المؤسسات التحتية Infra Structures بما في ذلك القوانين والقرارات والهيئات والجمعيات ومراكز تدريب القيادات والعاملين ومراكز البحوث والدراسات ومكاتب الدعاية والاعلان وبرامج الاذاعة والتلفزيون والصحف، بالاضافة الى تكوين الاتحادات والجمعيات الترويحية على المستويات المحلية والاقليمية والدولية(١٨) كما يتخذ البناء الهيكلي والقيمي لهذه المؤسسات بما يتمشى مع الوظائف المشار اليها.

وتشمل الوظيفة الاجتماعية للترويح والتفاعل بين الأفراد والجماعات في الطبقة الاجتماعية الواحدة وبين مختلف الطبقات كما تسهم في تخفيف الهوة التي تفصل بين الأقليات العرقية والدينية وتزيد من الشعور بالمسئولية بين الشباب والأطفال وكبار السن في إطار النشاط الجمعي والمجتمعي.

أما الوظيفة النفسية التي يؤديها الترويح فتتمثل في إتاحة الفرصة للفرد للانتماء مع جماعات اللعب والهوايات والأندية، كما تساعد في توفير المجالات للتعبير عن الشعور والنفس وتلبية الاحتياجات النفسية وتكوين الشخصية والتخفيف من حدة الاغتراب في المجتمعات الحضرية.

ويؤدي الترويح وظيفة اقتصادية وهامة مباشرة وغير مباشرة أما المباشرة فتتمثل في تنظيم الانفاق وتنشيط الانتاج والتجارة المتصلة بأدوات الترويح البحرية والبرية والداخلية والخارجية وزيادة فرص العمالة في مجالات الخدمات الترويحية (التدريب والتعليم والاشراف وادارة البرامج والمشروعات... الخ) والانعاش الاقتصادي بصورة عامة، أما الوظيفة غير المباشرة فتتمثل في نمو القدرة لدى الموظف والعامل وربة البيت على السلوك الانتاجي والاستهلاكي، فان الراحة والاستجمام ومزاولة أعمال محببة للنفس تساعد على رفع الروح المعنوية والاقبال على العمل والانتاج.

والوظيفة الدينية للترويح تزيد من الايمان بالله خالق الكون وتعمل على توثيق عرى الصداقة والمحبة والتعاون بين أفراد الأسرة من ناحية وذوي القربى والمجتمع، بالاضافة الى أن مزاولة النشاط الترويحي في التأمل والتفكير يعمل على تعميق الايمان.

أما الوظيفة السياسية فتتمثل في تنمية الطاقات البشرية وتوثيق أواصر التعاون العربي والدولي عن طريق المشاركة في الأحداث والمهرجانات والمباريات الاقليمية والدولية، بحيث تزيد في التقارب بين الأمم والشعوب، كما أن الشعب الذي تتوفر له مجالات الترويح ويمارسها يتسم بالحيوية والانتاجية مما يسهم في التطور الحضاري والثقافي.

(٤) أسس الترويح الحضري :

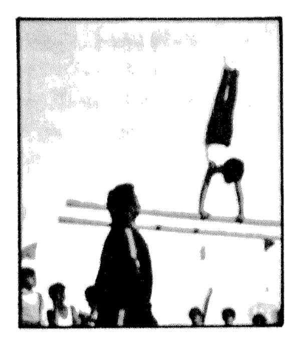
إن الأسس التي تخطط بموجبها النشاطات الترويحية في المجتمع الحضري تستند على القيم الانسانية من ناحية وعلى الموارد والامكانيات البشرية في مختلف مراحل التغيير والتطور الذي تشهده المجتمعات. وفي ضوء النمو الحضري السريع واكتظاظ المدن بالعمران والسكان فتزداد الحاجة الى مبادىء تتخذ اطارا لمختلف البرامج والمشروعات الترويحية على المدى القصير وفي المدى البعيد. ومن أهم هذه الأسس :

١ – التأكيد على توفير البرامج الترويحية لجميع الطبقات الاجتماعية ولمختلف فئات السن وللذكور في المجتمعات الحضرية تحت إشراف قيادات تتمتع بالخبرة والكفاءة.

٢ – تنمية الموارد والبرامج الترويحية على مستوى المنطقة أو الحي في المواقع القريبة من السكان المستفيدين من هذه البرامج.

٣ – أن تنظم البرامج بحيث يمكن المشاركة فيها على مدار السنة.

٤ – بناء وتخطيط مرافق للترويح الداخلي والخارجي ضمن مشروعات تحديث المدن والاهتمام بالملاعب والساحات الترويحية وتوفير المتنزهات





والحدائق العامة وتطوير مظاهر الطبيعة في ضواحي المدن لجذب السكان للحركة والنشاط الخارجي لمختلف فئات المجتمع الحضري.

٥ - التنسيق بين البرامج الترويحية للقطاعين الخاص والعام من خلال لجان محلية باشراف ادارات الترويح التابعة للبلديات والافادة من الزعاية الاجتماعية وخدمة الجماعة كوسيلة لمساعدة الفرد والجماعة لحل المشكلات وتلك التي تتصل بالجماعة والتوسع في استخدام امكانيات المدارس لأغراض ترويحية.



٦ - أن يتعرض كل طفل لأنواع النشاطات التي تساعد على النمو العقلي والوجداني والاجتماعي والجسمي والروحي وتوفر له الفرصة لاكتشاف المجالات التي توفر له إشباع حاجاته المتنوعة بطريقة ايجابية.

٧ - مساعدة الفرد على اكتساب الخبرات الترويحية المتنوعة لتجنب الشعور بالملل والضجر سواء الداخلية أو الخارجية وتوفير الفرصة لصنع الأشياء ذات الطابع الجمالي سواء في الخط أو الشكل أو اللون أو الصوت أو الصورة أو النحت أو الرسم والاستمتاع بانتاج الآخرين(١٩). وكذلك مساعدته في تطوير عادات منشطة في أوقات خارج العمل الرسمي والتفاعل مع المقومات الظبيعية (الشمس والماء والنهر والبحر والبحيرة والأشجار...) وتكوين هوايات متنوعة.

٨ - يقضي الفرد سنة من كل عشر سنوات من حياته في

تناول الطعام ولذا فانه ضروري لجعل هذه الفترة مشرقة وهنيئة ومناسبة اجتماعية في الوقت ذاته.

٩ - الراحة والاسترخاء والتأمل هي في حد ذاتها أشكال من النشاط الترويحي يجب أن لا تهمل لحساب النشاط الترويحي الحيوي.

١٠ -أن اشباع حاجات الفرد تتأتى من انجازه والمشاركة مع الآخرين في تحقيق ذلك.

ثانيا - تصنيف النشاط الترويحي :

ان تصنيف النشاط الترويحي يخضع، في الواقع، لدرجة الرضاء الذي يسعى الأفراد الى تحقيقه من المشاركة والممارسة لهذا النشاط. ويمكن تصنيف الأنشطة الترويحية بناء على هذا الأساس الى التالي :

(١) الابتهاج في الانتاج والابداع الذاتي :

ان أنماط النشاط الذي يمكن أن يحقق الابداع هي المهارات الفنية التي يمكن لكل فرد في مختلف المهن والأعمار والأديان والأجناس والمستويات العلمية أن يمارسها سواء باستخدام الخشب أو اللداين أو المعادن والأقمشة والورق، وكثيرا ما تجمع هذه الألوان من النشاط للكبير والصغير في الأندية والجماعات، ويزداد الابتهاج كلما كانت المواد المصنوعة تتصل ببعضها في الاستخدام من ناحية وترتبط بالنشاط الذي يمارسه الأفراد بأنفسهم مثل صناعة القوارب والطائرات الورقية والتطريز والزهور والملابس.

أما الرحلات الى المتاحف والمصانع والحفلات الموسيقية مثلا فانها توفر للفرد الفرصة للاستمتاع بما أنتجه الآخرون من إبداعهم.

(٢) الزمالة والصداقة :

إن الانسان اجتماعي بطبيعته، وحيث أن العديد من النشاطات الترويحية هي جماعية أو مع الآخرين فانها تلبي حاجة الفرد نحو الرفاق والمعارف وإقامة العلاقات الاجتماعية والتعاون مع الآخرين. ونجد أن الشباب والكبار يتجهون نحو مراكز النشاط الذي يحقق لكل منهم التفاعل الاجتماعي مع أقرانهم.

وتتجلى الزمالة في النشاطات المجتمعية في المجتمعات المحلية ومناطق المدن الطبيعية مثل الحفلات الموسيقية والرقص الشعبي وكذلك في الألعاب التي تتطلب تكوين الفرق والجماعات مثل المباريات الرياضية المتنوعة وبرامج الأندية في ضواحي المدن المختلفة.

(٣) المغامرة والخبرات الجديدة المثيرة :

إن الأطفال عبارة عن علامات استفهام حيوية ومتحركة تسعى لكسب المعرفة والخبرة الجديدة. ان روح المغامرة هي التي تدفع، ولو بصورة جزئية، الانسان لقبول تحديات الطبيعة، مثل تسلق الجبال واكتشاف النباتات والحيوانات البرية والبحرية والتعرف على مناطق جديدة وتصوير المناظرة النادرة وجمع التحف والصدف..

ومثل هذه الأنشطة تتيح الفرصة لسكان المدن بفئاتهم المختلفة للحركة لماوراء حدود المنازل والأندية الى آفاق جديدة وبعيدة تثير في أنفسهم روح المغامرة وحب الاستطلاع والاكتشاف. ولتخطيط هذا النمط من البرامج الترويحية يجب أن تتضمن التنويع والمغامرة والمفاجأة حتى تعمل على جذب الأفراد والجماعات.

(٤) الاحساس بالانجاز :

كثير من الناس لا يحققون هذا الاحساس في نطق العمل والوظيفة نجد انهم يسعون نحو النشاط الترويحي لتحقيقه، وكثيرا ما نجدهم بحاجة الى الطريقة والوسيلة لتحقيقه. إن إرضاء واشباع الحاجات الانسانية غالبا ما يرتبط بالنشاطات التي تتسم بالطابع التنافسي مثل الألعاب والرياضة الجماعية كتحقيق الانتصار في الدورات والتقدم في الحصول على الجوائز للمباريات والمهرجانات السنوية والفصلية والدورية.

وهناك علاقة وثيقة بين الاحساس بالانجاز في اطار النشاطات الترويحية والمكانة (الدرجة، المنزلة) التي يضفيها النشاط على الأفراد في المجتمع. ومثال ذلك تكريم الرياضيين والفنانين والكتاب والموسيقيين والنحاتين والرسامين والحرفيين، اذ أن ذلك يسهم في اثارة الحماس للمشاركة والرغبة في الانجاز.

(٥) استخدام القدرات العقلية :

يتجه العديد من الأفراد نحو النشاطات الترويحية التي تتيح لهم فرصة الرياضة العقلية مثل الاجتماعات والندوات والمناظرات

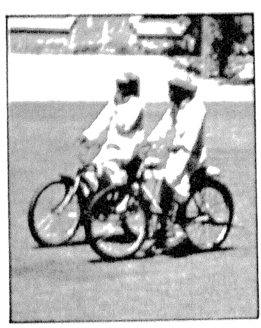
والألعاب الأخرى مثل الشطرنج والبريدج والموسيقى ودراسة الطبيعة والابحار في القوارب الشراعية الآلية - والنشاط الأخير مثلا يتطلب معرفة الرياح والأمواج وآلات القارب والسرعة والتحكم في القيادة والسرعة.. أي أن هذه النشاطات تتطلب المقدرة على التعرف على البدائل والحكم عليها كما تتطلب اليقظة الذهنية، ويحقق هذه النمط من النشاط الترويحي النجاح إذا ما تم تنظيمه في إطار جماعي.

(٦) الخبرات المحركة للحواس :

يزداد اقبال الفرد على نوع النشاط الترويحي الذي يولد ويحرك حواسه بطريقة ايجابية، سواء كان ذلك في المشاركة أو الاستماع والمشاهدة مثل الانفعالات التي تحدث في مباريات البطولة (الملاكمة، كرة القدم، المصارعة...) أو الاثارة عندما يصل الفرد في مطالعة القصص البوليسية والعاطفية. وتتحرك حواس المشاهدين والمشتركين في النشاط الترويحي في بعض مراحل التحدث أو البرامج (مباريات التجديف، الجزء الأخير من مباراة كرة القدم.. الخ) - أن تنظيم مثل هذه الأنشطة في المدن تتيح الفرصة للمشاركة الوجدانية الجماعية.

(٧) الاستمتاع بالمناظر الخلابة :

ان جمال الطبيعة والمناظر ذات الخصائص الفريدة مثل الحدائق والزهور والأعمال الفنية والنحت والتصوير واعداد مناظر المسرح وتنظيم الساحات العامة .والأشجار ونافورات المياه تمثل بعض المجالات التي تحقق جانبا من حنين وشوق الانسان الى اشباع الجوانب الجمالية في نفسه. وربما كانت متاحف الفنون والنحت وحدائق الزهور والبحيرات الطبيعية والاصطناعية أمثلة لما يمكن توفره لسكان المدن.



(٨) الشعور تجاه الآخرين :

غالبا ما تقترن الخدمة بالتضحية والواجب الأخلاقي والاحساس بالواجب وهذه الخصال في حد ذاتها تسير جنبا الى جنب مع طبيعة الترويح، وخدمة الآخرين وتعمل مخرجا للدوافع الخيرية للأفراد والجماعات مثل المشاركة في حملات التبرع، وعمل الخير، والتبرع بالدم، والحملات الصحية والخدمات الأسرية ورعاية الأطفال والشباب والمحافظة على أملاك ومرافق البلديات والخدمات العامة...

ثالثا - العوامل المؤثرة في مكانة الترويح في المجتمعات الحضرية :

يبلغ سكان الوطن العربي حوالي ١٤٢ مليونا عام ١٩٧٤م يعيش أكثر من ٤٨٪ منهم في مدن ذات عدد يصل الى ٢٠,٠٠٠ من السكان فأكثر ويصل معدل الزيادة السنوية للسكان ٣,٦٪ ويزيد سكان الحضر بمعدل ٥٪ أي أن النمو الحضري يسبق النمو السكاني واذا ما استمر هذا الاتجاه فانه يشكل خطورة على التوازن السكاني بين المناطق الحضرية(٢٠) والريفية. وقد ارتفعت نسبة سكان الحضر خلال



ربع القرن الأخير في جميع الدول العربية لعدة أسباب منها عوامل الجذب الى مراكز المدن خاصة المدن الرئيسية والعواصم بقصد العمل والتعليم والانتفاع من الخدمات الثقافية والترويحية، وعوامل الطرد التي تدفع بسكان البادية والريف باتجاه المدن بسبب انخفاض الدخل من الزراعة وتربية الحيوانات وأنماط تملك الأراضي بالاضافة الى تحكم القيم القبلية والعشائرية في الأنشطة الاجتماعية المتصلة بالرجل والمرأة.

ويمكن تصنيف الدول العربية حسب معدلات التحضر أي نسبة سكان الحضر الى ثلاثة أنماط رئيسية (حسب احصاءات عام ١٩٧٤م).

١ – تحضر مرتفع ويشمل: الكويت (٩٠٪) والبحرين (٧٨,٥٪) وقطر (٧٦٪) ودولة الامارات (٦٤,١٪) ولبنان (٦٤٪) والعراق (٦٢,٦٪) والجزائر (٥٢٪).

٢ – تحضر متوسط ويشمل كلاً من: تونس (٤٨,١٪) سوريا (٤٥,٩٪) ومصر (٤٤,٣٪) والاردن (٤٣٪) والمغرب (٣٧,٩٪) واليمن الجنوبي (٣٥,٨٪) والسعودية (٣١٪) وليبيا (٢٩,٨٪).

٣ – وتحضر منخفض ويشمل كلاً من: موريتانيا (٢١,٧٪) والسودان (١٣,٢٪) ومسقط وعمان (١٠٪) واليمن الجنوبي (١٥,٢٪)[٢١].

ان هذه التصنيفات لا تعطي الصورة الشاملة للتطور الحضري الذي شهدته الدول العربية من حيث طبيعة الحياة والثقافة والقيم والعمران والصناعة.. بل تعكس التفاوت في النمو الحضري الذي ينعكس بالضرورة على سياسات التخطيط للجوانب العمرانية والجوانب الأخرى ومنها الخدمات الترويحية.

وقد شهدت المدن العربية سلسلة من التغيرات التي تؤثر في السياسات الترويحية في المجتمعات الحضرية المعاصرة ومن العوامل التي أسهمت في التغيّر ولها أثر في الترويح ما يلي :

(١) أن نمو المدن بمعدلات مرتفعة أثّر على اكتظاظ السكان

وارتفاع معدلات التحضر حيث أصبح العديد من المدن العربية متحضرة أكثر من اللازم (**مثل بغداد، القاهرة، عمان، دمشق**) ويعني ذلك أن الخدمات الحالية الصحية والمواصلات والاسكان والأمن قاصرة عن تلبية احتياجات هذه الأعداد المتزايدة وظهرت مدن الصفيح والعشش حول المدن الرئيسية -- وتعاني الخدمات الترويحية من ازدحام السكان والعمران معا.

(٢) يعني التخطيط الحضري بمعالجة المشكلات الآنية الناجمة عن التحضر السريع ويرتكز الاهتمام على الجوانب المادية والعمرانية أكثر من ابراز النواحي الجمالية وخصائص البيئة الطبيعية التي تشكل عصب الترويح الجماهيري.

(٣) إن للمدن طابعا مميزا للترويح وكذلك لكل طبقة اجتماعية نمط ترويحي خاص بها والتحضر يؤثر في التنظيم الطبقي. ويحتاج سكان المدن للوسائل الترويحية أكثر من سكان الريف والبادية، اذ أن سكان الريف والبادية يقومون بنشاطات وعمليات معظمها في الحقول والساحات وخارج المنازل. في حين أن سكان المدن بحاجة الى نمط من النشاط يتطلب المجهود الجسمي للتعويض عن النمط الحياتي الذي يتطلب قضاء وقت طويل بين جدران المكتب أو السيارة أو البيت. وهذا يضيف على إدارات المدن أعباء جديدة وعلى درجة كبيرة من الأهمية.

(٤) التطور التقني -- لقد أسهم التطور التقني في توفير المواد والسلع والأدوات والآلات التي تساعد الانسان على تلبية مطالبه في السكن والمواصلات وأداء الأعمال والمعلومات والحركة، وقد أثرت هذه الاختراعات على زيادة أوقات الفراغ وأوجدت وسائل جديدة للترويح -- ألعاب، معدات المخيمات، (الترانزستور)، (البوتاغاز) والثلاجة وغيرها كما أوجدت الوقت الاضافي من جراء

اختصار الزمن في عملية اعداد الطعام وتنظيف المنزل والأواني.... الخ.

وقد أثبتت التقنية في التغير في طبيعة استخدام الطاقة في الانتاج -- إذ كان الانسان هو مصدر الطاقة الرئيسية للعمل أي بمعدل ٨٠٪ في أوائل القرن التاسع عشر في الدول النامية ثم تحول تدريجيا الى الطاقة الآلية وقل الاعتماد على الطاقة الشمسية والحيوانية بدرجة كبيرة وانخفض الى أقل من ٣٠٪، وان الارهاق الجسمي الذي كان ملازما للعامل بسبب استخدامه لطاقته أصبح الآن محتفظا بطاقته وحيويته لمدة أطول.

(٥) لقد ارتفعت معدلات أمد الحياة في المجتمعات النامية بسبب تقدم الخدمات الصحية والوعي الغذائي والرعاية والارشاد للأمهات والأطفال في المراحل الأولى من الحياة. وزيادة العمر تزيد من نسبة المسنين وتتطلب سياسة ترويحية لمختلف الأعمار وعلى مدار الحياة.

(٦) زيادة الدخل وتنوع امكانيات الكسب وتحسين الوضع المادي -- كل ذلك ساعد على الاتجاه نحو الترويح، ولذلك أثر على معدلات الانفاق ومجالاته، اذ كان معظم دخل الفرد في مطلع القرن التاسع عشر يصرف على المسكن والملبس والغذاء في حين أصبح جزءا هاما من الانفاق الأسري يخصص للتعليم والترويح والرحلات.

(٧) ان التقدم السريع الذي شهدته وسائل الاتصال الجماهيري (الصحف والطباعة الملونة والمجلات والكتب والاذاعة والتلفزيون) بالاضافة الى تقدم وسائل المواصلات البرية والجوية والبحرية الحديثة ولدت الرغبة لدى سكان المدن في الاتجاه نحو الترويح بأشكاله وتقليعاته المختلفة (كمشاركين ومشاهدين) وفي أماكن خارج المدينة بل وفي الدول الأخرى مثل المباريات والألعاب الآسيوية والعربية والأولمبية... وغيرها.

(٨) ظهور وسائل الترويح التجاري التي أخذت تغزو المدن على شكل صالات الألعاب الالكترونية والكازينوهات وصالات الرقص ودور السينما والمطاعم ومراكز ألعاب الأطفال. ان هذا النمط من الترويح يشكل عبئا على ادارة المدن لضرورة توفير شروط الأمن والرعاية لسكان المدن.

(٩) إن الغالبية العظمى من القوى العاملة في المدن العربية تعمل بمعدل ٦ أيام في الأسبوع وبمعدل ٨ ساعات يوميا ويمتد العمل في القطاع الخاص الى فترتين: صباحية لمدة ٥ ساعات ومسائية لمدة ٣ ساعات ويصرف حوالي ٢ ساعة يوميا في الوصول والعودة من والى العمل. ويتبقى يوم واحد «وغالبا ما يكون يوم الجمعة» والسؤال هل يكفي ذلك للاسترخاء والترويح للموظف والعامل وأفراد أسرته؟ وهل يتوفر للعامل العربي الوقت الكافي واللازم للراحة والاستجمام لمواجهة تحديات التقدم الحضاري؟ ان قلة الوقت المخصص للترويح لا يتيح الفرصة أمام تطوير بدائل ترويحية أو تنميتها على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي.

رابعا – أهمية البحث العلمي في تنمية الترويح الحضري :

هناك العديد من القضايا المرتبطة بتنمية الترويح الحضري في هذه المرحلة من تطور مجتمعات المدن في الدول العربية ويحظى الترويح بأهمية قليلة ان لم تكن معدومة في برامج البحوث والدراسات النظرية والتطبيقية. ان أن التقارير الادارية وحدها لا تعطي الصورة الحقيقية لفعالية التنظيم الترويحي السائد والتي تعالج مختلف جوانب الترويح وعلاقته بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية.

ويهدف البحث العلمي الى تحليل وتشخيص الوضع الراهن للخدمات الترويحية وتطوير الأسس والمفاهيم التي تتمشى مع الواقع الثقافي والقيمي للمجتمعات الحضرية العربية ثم التعرف على احتياجات الترويح لمختلف فئات

المجتمع وفق المفهوم الشامل لوظائف الترويح النفسية والاجتماعية والروحية والاقتصادية والسياسية - والهدف النهائي للبحث العلمي هو التوصل الى السياسة الترويحية التي تحقق للانسان العربي آماله وطموحاته في التطور الحضاري.

أما أنواع البحوث المطلوبة ومجالاتها وتنظيمها فيتوقف الى حد كبير على الأهمية التي توليها ادارة البلديات الحضرية والدول نحو الترويح وربطه بخطط ومشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المدى القصير وعلى المدى البعيد.

(أ) **أنواع البحوث** : هناك ثلاثة أنواع من البحوث العلمية التي تساعد على معالجة العديد من المشاكل التي نواجهها المدن والهيئات الحكومية والأهلية، كما تساند المسئولين في تخطيط مشروعات العمران وبرامج التنمية وتخصيص الأموال اللازمة لها، وهذه الأنواع هي:

(١) البحوث الكلاسيكية (Classical Research) التي تسعى لتطوير المفاهيم النظرية الترويحية والكشف عن العلاقات بين الترويح بأشكاله المختلفة والعديد من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية والتربوية والأسرية.

(٢) البحوث التقويمية (Evaluative Research)

وتجرى هذه البحوث لتقويم مختلف مجالات الترويح مثل تقويم الخطط والأهداف والبرامج السنوية والفصلية، وتقويم الوسائل والأدوات والأساليب المستخدمة في مجالات الترويح المختلفة ومدى فعاليتها، وتقويم الادارة والتنظيم وتدريب القيادات ومدى فعاليتها في تنمية النشاط الترويحي، وتقويم الجوانب المالية وكذلك المرافق والمباني والمنتزهات ووسائل الاعلام والداعاية، وكذلك تقويم أثر البرامج الترويحية المختلفة على قطاعات المجتمع. والهدف من البحوث التقويمية التعرف على جوانب القوة والضعف في الأهداف والأساليب والادارة والتمويل بقصد التطوير

والتحسين لتحقيق نتائج أفضل.

(٣) **بحوث العمل** : وهي البحوث السريعة المحدودة التي يلجأ اليها الاداريون والمخططون لايجاد الحلول لمشكلات يواجهونها في مختلف مراحل تطبيق البرامج الترويحية، ان مثل هذه الدراسات تساعد في تحليل العوامل المؤثرة في المشكلة وتزود المسؤولين بالحقائق والمعلومات اللازمة لاتخاذ مواقف عملية تجاه المشكلات.

(ب) **مجالات البحوث اللازمة للمرحلة الراهنة: (Action Research)**

اذا ربطنا البحوث بمفهوم الترويح الذي ناقشناه سابقا فان هناك حاجة ماسة في المرحلة الراهنة من تطور المجتمعات الحضرية العربية لاجراء البحوث بأنواعها المشار اليها في المجالات التالية :

أولا : تقويم الموارد والامكانيات الطبيعية المتوفرة المطلوبة – وهذا يتطلب اجراء مسح شامل للموارد الطبيعية والساحات المخصصة للترويح بأنواعها ومدى استخدامها على مدار السنة مثل الحدائق العامة والشواطىء وحدائق الأطفال والمنتزهات وحدائق الحيوانات والملاعب وغيرها.

ثانيا : الأندية البرية والبحرية العامة والخاصة والنشاطات الترويحية التي تنظمها المدارس والمعاهد والمؤسسات الحكومية والأهلية ومدى الاقبال عليها.

ثالثا : دراسات للتعرف على الميول والرغبات الترويحية لدى الشباب والكبار من الذكور والاناث ومحاولة الاجابة على التساؤلات التالية :

(١) **ما النشاطات التي غالبا مايمارسها؟.**
(٢) **ما النشاطات الثلاثة المفضلة ؟.**
(٣) **ما النشاطات التي تشعر بالحاجة الى المزيد من المعلومات عنها؟ والفرص المتاحة لممارستها؟.**

رابعا : القوى العاملة في الترويح

ومستوياتها وخبراتها وكفاءتها وحاجتها للتدريب – مثل عدد العاملين في مجالات الترويح حسب السن والنوع والمستوى التعليمي والدورات التدريبية، وذلك بقصد التعرف على حجم القوى العاملة وخصائصها وحاجاتها للتأهيل ورفع الكفاءة الانتاجية لها. كما أن مثل هذه البحوث تساعد على اعداد القادة والمتخصصين في ميادين الترويح المختلفة ولمختلف الفئات العمرية في المجتمعات الحضرية.

خامسا : تحليل موقف المسئولين واهتمامهم في تطوير القيم الترويحية مثل اهتمامهم بتطوير القيم السياسية والثقافية، أو أن القيم الترويحية تهدد القيم الأخرى.

سادسا : تحليل العلاقة بين النشاطات الترويحية المختلفة التي يمارسها أفراد المجتمع حسب الطبقة الاجتماعية والمهنية والسن والنوع والجنسية والتعرف على احتياجاتهم في تطويرها وتنميتها وتحديد متطلبات ذلك.

سابعا : تحليل دور البلديات في دعم البحوث والدراسات اللازمة سواء المتصلة بسياسة المواقع والعمران والمرافق اللازمة للترويح أو بسياسة استثمار هذه الموارد والامكانيات للترويح الجماهيري.

ثامنا : دراسة أثر وسائل الاعلام والاتصال الجماهيري على اثارة الاهتمام والمشاركة في الأنشطة الجماعية لمختلف فئات المجتمع.

تاسعا : تحليل الجوانب المالية وسياسة الانفاق والاستثمار في برامج الحدائق والمنتزهات والعمران والمشروعات الترويحية، أو ما ينفقه الأفراد والأسرة والجماعات (الأندية والهيئات وغيرها) على الترويح ومدى التغيرات التي غدت في أوجه ومجالات الانفاق.

عاشرا : العلاقة بين الترويح والانتاج في المجالات العلمية والصناعية والتجارية والتربوية واجراء دراسات ومقارنة لأثر الترويح على تنمية الجوانب الاجتماعية والفكرية والروحية للفئات المختلفة وأثر الترويح على السلوك الاجرامي.

حادي عشر : أنواع وأشكال ومتطلبات البرامج الترويحية للفئات الخاصة مثل المعوقين والأحداث وكبار السن والحالات الخاصة من أجل تطوير المناسبة مع قدراتهم واحتياجاتهم.

تنظيم عملية البحوث :

ان المهم في القيام بهذه البحوث تنظيم عملية التسجيل والاحصاء وحفظ السجلات للأدوات ومدى استخدامها على مدار السنة، اذ أن الاحصاءات التي يتم جمعها بصورة دورية تسهم في دراسة الوضع الراهن للخدمات الترويحية

ان امكانيات بلديات المدن العربية الحالية بحاجة الى إنشاء وحدات للبحوث والاحصاء الخاصة بالخدمات الترويحية واعداد النماذج والجداول اللازمة لمختلف الأنشطة الترويحية.

ان البحوث الترويحية في المجتمعات الحضرية مسئولية المجتمع بمختلف هيئاته ومؤسساته العلمية وهو حصيلة تعاون بين الجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات الاقتصادية الكبرى وبلديات المدن بحيث تتضافر جهود العلماء والمتخصصين في القيام بالبحوث الكلاسيكية والتقويمية وبحوث العمل وفق خطة عملية يتم تحديدها واتخاذ التدابير المالية والادارية لتنفيذها ونشر نتائجها.

كما أن هناك حاجة ماسة الى المداخل المتعددة للبحوث الترويحية من قبل فريق من المتخصصين في مجال التربية وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الاقتصاد وادارة الأعمال بقصد دراسة الجوانب المختلفة للعوامل المتصلة بفعالية الخدمات الترويحية وآثارها على الفرد والأسرة والمجتمع من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والروحية.

● الهوامش ●

- حسن كرامي، المنار، قاموس، انكليزي - عربي، الناشر، جماعة لونجمانز ص ٥٦٣.
- Sebastian de Grazia, Time, Work and Leisure, N.Y. Garden City, Double day & Co., Inc., 1964 P.P. 155 - 170.
- Joseph Pieper, Leisure; The Basis of Culture, N. Y. Panthom Books Inc., 1952. P. 79 - 85
- David Gray, «This Alien Thing Called Leisure» in James Murphy - Concepts

Congress - National Recreation Association» - in Butler George, (see Footnote "9").

- William E. Cole, Urban Society, The Riverside Press 1958. PP. 340 - 341.

- Robert Lynd, Helen Lynd, Middletown in Transition. New York, Harcourt, 1959.

انظر مثلا :

- Larabe and Meyersohn (1958), Rosenberg & White (1957), for Mass Leisure and also see Havighurst and Feignenbaum (1959). Wilensky (1964), for Leisure and Culture In Mass Society. Also see Friedman and Riesman, (1964).

- See, Schench 1960 and Anderson 1961.
- See, Pieper, 1948.
- See Lipset et. al. 1956.
- Kaplan 1960 and Dumazedier 1962 and Wilenski 1964.
- International Encyclopedia of the Social Sciences vol 9 N.Y., Macmillan Co., & The Free Press, 1968 PP. 248 - 253.

of Leisure, N.J. Englewood Cliffs, 1974 P. 3.

- Thorston Bevlen, The Theory of Leisure Class, New York, The New American Library. 1953.
- James Murphy, Concepts of Leisure, Ill., Prentice Hall, Englewood Cliffs, 1974 P. 6.
- Richard Kraus, Recreation and Leisure in Modern Society, N.Y. Appleton - Century Crofts 1971 P. 295.
- Ibid. See Also, Eric Larabee and R. Meyerson (Edit.) Mass Leisure, Glenco, Ill., The Free Press. 1958. P. 315.

- Charles A. Bucher and Richard D. Bucher, Recreation For Today's Society, N.J. Prentice Hall, Englewood Cliffs, 1974. PP. 4 - 7.
- George D. Butler, Introduction to Community Recreation, N.Y., McGraw Hill Book Co., 1959 - PP. 4 - 8.
- Ibid.
- James S. Plant, «Recreation and the Social Integration of the Individual» Proceedings of the Twenty Second National Recreation

الدّلالـة المعنوية

اللغـة العربيـة

بين الأصالة والمعاصرة

بقلم الأستاذ : أحمد عبد الرحيم السايح

اللغة نشاط بارز من النشاطات الانسانية. وهي لشدة قربها منا غالبا لا نراها الرؤية الصحيحة الموضوعية.. فنحن نحدث الناس ونصغي اليهم. وهم يحدثوننا دون أن نعير الكيفية التي يتم بها التخاطب أي اهتمام أو تفكير..

وبديهي أن نقول : إن المرء يحرك عضلات النطق المعروفة، فيصدر أصواتا معينة، يسمعها الشخص المخاطب، فيفهمها. وبناء على فهمه، يقوم برد الفعل المناسب..

فكيف يستطيع الانسان أن يترجم تلك الرموز الصوتية، إلى معان يدركها، ويفهم مغزاها؟..

تشير الدراسات التي قام بها علماء اللغة والمنطق، الى وجود قدرة كامنة، في دماغ الانسان، تمكنه من التمييز بين ما يسمعه من الكلام..

ولقد ظل علماء اللغة والمنطق، مدة طويلة، يحاولون التوصل الى نظرية محددة تشرح كيفية ادراكنا لرموز اللغة ومعانيها..



ويطلق على هذه النظرية اصطلاحا اسم «نظرية المعنى»[١]..

وفلاسفة اليونان وحكماؤها دعوا الى الأخذ بأساليب معينة وطرق خاصة، للهيمنة على التفكير الانساني، والسيطرة على ما يدور في الأذهان.. وقد جعلوا تلك الأساليب والطرق في صور بديهيات لا تقبل النقاش، ولا يصح أن تكون موضع جدل.. ثم اتخذوا من تلك البديهيات مقدمات لقضايا عقلية، ينتهون منها الى حكم خاص لا يتردد العقل في قبوله..

وكان من نتيجة هذا النهج العقلي في الأحكام أن ابتدعوا لنا علما سموه «المنطق» بينوا حدوده، ونموا موضوعاته. حتى أصبح على يد أرسطو[٢] علما واضح المعالم، يتداركه الناس..

ولم يتخذ «أرسطو» ومن نحوا نحوه من المناطقة لهذا العلم رموزاً كالرموز الرياضية والهندسية. ولكنهم صاغوا قضاياه ومسائله على نهج لغوي شبيه بكلام الناس، اعتقادا منهم: أن أساليب اللغة ليست إلا وسيلة للتعبير عما يدور في الأذهان..

ومثل الفكر الانساني قبل النطق بمضمونه مثل الصورة الشمسية قبل تحميضها. فاذا عولجت بقدر خاص من الأحماض، اتضحت معالمها، وتكشفت خطوطها، وملامحها. وهكذا شأن التعابير اللفظية مع العمليات الذهنية لا يكاد يعدو مهمة التوضيح، وابراز المعالم والملامح للأذن الانسانية. ولقد كان طبيعيا أن نرى أولئك المفكرين القدماء أصحاب العقول الكبيرة، يحصرون أنفسهم في محيط معين لا يتعدونه في تفكيرهم، ولا يخرجونه عنه..

ولما انتهى أرسطو من تأسيس منطقه، وتحديد معالمه، رغب في حمل الناس على انتهاج هذا المسلك في التفكير، والتزام تلك الحدود، بعد أن صب تعاليمه في قوالب لغوية، وصاغها في صورة ألفاظ وأصوات يألفها الناس في أحاديثهم..

وهنا بدأت الصلة بين اللغة والمنطق. وظل المفكرون بعد أرسطو قرونا



طويلة، يربطون بين اللغة والمنطق، ويحاولون صب اللغات في تلك القوالب المنطقية التي ابتدعها أرسطو. طورا يوثقون الصلة، فينكرون من كلام الناس مالا يتفق وحدود المنطق. وأخرى يقتصدون في هذا. فنرى منهم من يجعل للمنطق حدوده وللغة حدودها. ولكن الحدود متشابكة متداخلة، فهناك ناحية من المنطق تنطبق تمام الانطباق على ناحية اللغة. كما أن هناك من المنطق مالا يمت للغة في صورتها المألوفة الشائعة على الألسنة بصلة ما(٣)..

ولبث المنطق يغزو ببحوثه بعض مناطق اللغات. كما ظل اللغوي يقتحم ببحوثه بعض نواحي المنطق.. ولو أن أرسطو قد اتخذ لعلمه رموزا أخرى، لا شأن لها بما يدور على الألسنة من ألفاظ وعبارات ما احتاج المنطقي الى البحث في اللغة، ولا احتاج اللغوي الى النظر في المنطق.. وقد استطاع أرسطو أن يقرب بين منطقه واللغة اليونانية، ان لم يكن قد جعلهما منطبقتين تمام الانطباق..

وأعجب المفكرون في الأمم الأخرى بمنطق أرسطو، وحاولوا صب لغاتهم في تلك القوالب، موفقين في هذا تارة، وبعيدين تارة أخرى. لذلك لا تعجب حين ترى اللغويين القدماء من العرب. قد سلكوا هذا المسلك من الربط بين اللغة العربية والنطق.. وكثيرا ما نشهد في البحوث اللغوية من الأقيسة والاستنباطات، مالا يمت لروح العربية بصلة ما(٤)..

ولقد كشف الدكتور ابراهيم مدكور عن تأثر النحاة العرب. بمنطق أرسطو وذلك في بحث له بعنوان «منطق أرسطو والنحو العربي» ألقاه بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة ١٣٤٨هـ. جاء فيه: «**ولا شك في أن المنطق الأرسطي قد صادف في القرون الوسطى المسيحية والاسلامية، نجاحا لم يصادفه أي جزء آخر من فلسفة المعلم الأول. فعرف أرسطو المنطقي قبل أن يعرف أرسطو الميتافيزيقي. وترجم «الأرجانون» قبل أن يترجم كتاب الطبيعة أو كتاب الحيوان. وللأرجانون في العالم العربي منزلة خاصة، فكانت أجزاؤه أول ماترجم من الكتب الفلسفية الى اللغة العربية**».. ثم يقول الدكتور مدكور في نفس البحث: «ولم يقف الأمر فيما نعتقد عند الكلام والفلسفة بل امتد الى دراسات أخرى من بينها النحو. وقد أثر فيه المنطق الأرسطي من

جانبين: أحدهما: موضوعي.. والآخر: منهجي. فتأثر النحو العربي عن قرب أو عن بعد بما ورد على لسان أرسطو في كتبه المنطقية من قواعد نحوية، وأريد بالقياس النحو أن يحدد على نحو ما حدد القياس المنطقي»(٥)..

وهكذا يرى صاحب البحث أن نحاة العرب قد تأثروا بالمنطق الأرسطي وأعجبوا به.. ولكن احقاقا للحق وانصافا للغة العربية. نرى من الضروري أن نشير الى موقف بعض نحاة العرب من المنطق، ونفورهم من مسايرة المناطقة في بحوثهم. يشهد لذلك ما كان من مساجلات بين أهل المنطق وبعض النحاة، في حضرة الخلفاء، والوزراء، والأمراء.. فقد عقد أبو حيان التوحيدي في رسائله التي سماها «المقابسات» فصلين. جعل الأول منهما على صورة حوار بين أستاذه أبي سعيد السيرافي، أحد النحاة المشهورين. وبين متَّى بن يونس المنطقي، في حضرة الوزير بن الفرات.. ظهر منها ميل أبي حيان لمسلك النحاة، وقد اتخذ أبو حيان لهذه المناظرة عنوان «المنطق اليوناني والنحو العربي» أما الفصل الثاني فقد اشتمل على رسائل جاءت في المقابسات، عنوانها: «ما بين المنطق والنحو من المناسبة». رواها أبو حيان على صورة حديث بينه وبين أستاذه سليمان المنطقي. وقد سجل ذلك في الليلة الثامنة من كتابه «الامتاع والمؤانسة»(٦)..

ويظهر من كل هذا أن القرن الرابع الهجري، قد شهد صراعا بين طائفتين من علماء العربية..

أولئك الذين أعجبوا بعلوم اليونان وثقافتهم اعجابا بلغ بهم أن كانوا لا يأبهون بغيرها، ولا يرون فضلا الا لها..

وآخرون يرون الاقتصاد والاعتداد، ولا ينكرون فضل اليونان، ولكنهم لا يرونه كل الفضل.. فثارت بينهم لذلك المناظرات والمساجلات التي انتصر فيها أصحاب الاعتدال في غالب الأحيان..

وقد امتد ذلك الصراع الى محيط المنطق واللغة. أو بعبارة أدق الى قوم أرادوا الناس في عصرهم على صب أساليب اللغة العربية، في قوالب المنطق اليوناني.. وآخرين استمدوا في بحوث العربية بعضا مما ذكره أرسطو من مباديء لغوية..



ولكنهم استمسكوا بخصائص لغة العرب، وأخضعوا ما اقتبسوه الى روح اللغة العربية، مدركين أن لكل لغة خصائصها، ولا يصح أن تقيد العربية بقيود اليونانية(٧)..

ونلحظ من المناظرة التي كانت في حضرة الوزير ابن الفرات المتوفي في العشرينات من القرن الرابع الهجري. أن متى بن يونس كان يمثل الفريق المغالي في الاعتزاز بثقافة اليونان. وأن أبا سعيد السيرافي كان يمثل الفريق الآخر الذي لا ينكر فضل اليونان. ولكنه يرى تشكيله وتكييفه حسب طبيعة اللغة العربية مع الاعتزاز بتلك الخصائص اللغوية التي لا تمت لمنطق اليونان بصلة.

يقول السيرافي: «والنحو منطق ولكنه مسلوخ عن العربية. والمنطق نحو، ولكنه مفهوم باللغة.. وانما الخلاف بين اللفظ والمعنى. ان اللفظ طبيعي والمعنى عقلي»

فالسيرافي اذن لا يتنكر للمنطق في البحث اللغوي. وقد سلك هذا المسلك فعلا في شرحه لكتاب سيبويه، حين اتخذ بعض المعاني العقلية أسسا بنى عليها بعض قواعد اللغة. ومع هذا، أو رغم هذا كان السيرافي يرى أن لكل لغة خصائصها التي لا يمكن أن تخضع لمنطق اليونان إلا مع التكلف والتعسف.. ويقول في ذلك: **«أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها في أسمائها، وأفعالها، وصروفها، وتأليفها، وتقديمها، وتأخيرها، واستعاراتها، وتحقيقها..».. أما رسالة أبي حيان الثانية تلك التي جعل عنوانها: «ما بين المنطق والنحو من المناسبة». فيبدو أن أبا حيان قد كتبها فيما بعد. لأنها توحي بمصالحة بين المناطقة والنحاة. اذ يقول: «النحو منطق عربي. والمنطق نحو عقلي. وجل نظر المنطقي في المعاني. وان كان لا يجوز له الاخلال بالألفاظ التي هي لها كالحلل والمعارض. وجل نظر النحوي في الألفاظ، وان كان لا يسوغ له الاخلال بالمعاني التي هي كالحقائق، والجواهر(٨)»..**

والباحث في أمهات كتب اللغة العربية. يجد للعربية خصائص ومميزات بزت بها غيرها، لا تدانيها فيها لغة من اللغات. فأنت تستطيع أن تؤلف من مفرداتها قطعا تأخذ بالعقول في عالم الابداع. وبهذا تصل الى المعنى في أبهى صورة، وأجمل أسلوب من التناسق والجمال..

واللغة العربية تهتم بالمعنى منذ خلقها الله، وقبل أن يترجم اليها فكر الاغريق ومنطق اليونان.. وقد ترجم لها ما ترجم فوسعته..

حقيقة أن اللغة العربية عنيت بجمال الألفاظ. وذلك لا لذات الألفاظ وانما اهتماما من اللغة بما وراء الألفاظ من معاني. وذلك حتى يقع القول من نفس السامع، وقعا يهيىء له الحالة النفسية، والذهنية، التي تحفز الى الحركة والعمل، وتبعث بالسامع الى المقصود في ثوب مفوف، ووسام لامع..

واننا نجد أن صاحب كتاب «تحرير التحبير» ابن أبي الأصبع المصري، يذكر في كتابه فصولا موسعة، عن ائتلاف اللفظ في اللغة العربية مع المعنى، ليبرهن على أصالة العربية وقوة عطائها. فيقول: «باب ائتلاف اللفظ مع المعنى» وتلخيص معنى هذه التسمية: أن تكون ألفاظ المعنى المطلوب ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى(٩)..

ومثال ذلك في قوله تعالى «**ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب**»(١٠) فعدل سبحانه عن الطين الذي أخبر في كثير من مواضع الكتاب العزيز أنه خلق آدم منه.. منها قوله تعالى: «**اني خالق بشرا من طين**»(١١).. **وقوله سبحانه حكاية عن ابليس**: «**خلقتني من نار وخلقته من طين**»(١٢).. فعدل عز وجل – وهو أعلم– عن ذكر الطين هو مجموع التراب والماء. الى ذكر مجرد التراب. لأنه أدنى العنصرين وأكثفهما. لما كان المقصود مقابلة من ادعى في المسيح الألوهية بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك. فلهذا كان الاتيان بلفظة التراب أمتن من غيرها من العناصر. ولو كان موضعه غيره لكان اللفظ غير مؤتلف بالمعنى المقصود(١٣)..

ومن ائتلاف اللفظ مع المعنى أن يكون اللفظ جزلا اذا كان المعنى فخما، ورقيقا اذا كان المعنى رشيقا، وغريبا اذا كان المعنى غريبا بحتا، ومستعملا اذا كان المعنى مولدا محدثا. يقول زهير:

أثافي سفعا في معرس مرجل ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم
فلما عرفت الدار قلت لربعها الاأنعم صباحا أيها الربع واسلم(١٤)



فان زهير لما قصد الى تركيب البيت الأول من ألفاظ تدل على معنى عربي، لكن المعنى غير غريب، ركبه من ألفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال. ولما قصد في البيت الثاني الى معنى أبين من الأول وأعرف وان كان غريبا. ركبه من ألفاظ مستعملة معروفة(١٥)..

ومن ائتلاف اللفظ مع المعنى أن يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه. وهذا من البلاغة التي وصف بها بعض الوصاف بعض البلغاء. فقال: «**كانت ألفاظه قوالب لمعانيه**». قال تعالى: «**ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**»(١٦)..

فان قيل: معظم هذه الآية من باب الاشارة، لأن العدل والاحسان والفحشاء والمنكر. على قلة هذه الألفاظ، تدل على معاني من أفعال البر وضدها لا تنحصر، ولا معنى للاشارة إلا دلالة اللفظ القليل على المعاني الكثيرة. فكيف تجتمع المساواة والاشارة؟..

يقال إن المساواة تطلق ويراد بها معنيان: أحدهما: أن تكون ألفاظها ألفاظ المعنى الموضوعة له، فتلك هي التي لا تزيد على المعنى، ولا تقتصر عنه، وهي التي لا تجتمع مع الاشارة، ولا الارداف(١٧)، ولا غيرها من الكلام الذي لفظه أقل من معناه.. والثاني: أن يكون الكلام غير لفظ معناه الموضوع له، كالاشارة والارداف، وما جرى هذا المجرى. فان كانت كذلك ولم يأت المتكلم في أثناء الكلام وخلاله بلفظة زائدة على لفظ المقصد الذي قصده لاقامة وزن، أو لاستدعاء قافية، أو تتميم معنى، أو لايغال أو سجعة. فتلك أيضا مساواة، لأن لكل باب لفظا يخصه، فمتى زاد على ذلك اللفظ الدال على ذلك المعنى المقصود كان الكلام غير موصوف بالمساواة.. والباحث يعرف أن البلاغة قسمان: ايجاز، واطناب، والمساواة معتبرة في القسمين معا. فأما الايجاز فكقوله تعالى: «**ولكم في القصاص حياة**»(١٨).. والاطناب في هذا المعنى كقوله: «**ومن قتل مظلوما جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل**»(١٩). وكقوله سبحانه في قسم الايجاز من غير هذا المعنى: «**خذ العفو وَأْمُر بالعرف واعرض عن الجاهلين**»(٢٠).. وكقوله تعالى في الاطناب «**ان الله يأمر بالعدل والاحسان**»(٢١).. ومن شواهد المساواة قول امرىء القيس:

فان تكتموا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد
وان تقتلونا نقتلكم وان تقصدوا لدم نقصد[٢٢]

ومن باب ائتلاف اللفظ مع المعنى: ملاءمة الألفاظ في نظم الكلام على مقتضى المعنى لا من مجرد جملة اللفظ. مثل قوله تعالى: «**ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار**»[٢٣].. ويتفرع أيضا من باب ائتلاف اللفظ مع المعنى باب الاشارة وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكثير بايماءة أو لمحة، تدل عليه.. كما قال بعضهم في صفة البلاغة: هي لمحة دالة[٢٤]..

ولقد ثبت لدى علماء مقارنة اللغات أن اللغة العربية بفقهها، ونحوها، وبلاغتها، من أكثر اللغات دلالة معنوية. فالفعل قضى معناه حكم. والأصل فيه القطع الحسي. والفعل عقل معناه فهم، وهو مأخوذ من عقل الناقة أي ربطها. والفعل أدرك. الأصل فيه البلوغ الحسي. فيقال: فلان أدرك القطار أي لحقه. والفعل بلغ، وضع أصلا للدلالة على الوصول الحسي في المكان والزمان. بل إن الأصل في معنى الفصاحة قولهم: فصح اللبن اذا ذهبت رغوته. ثم قيل فصح بمعنى وضح. والرأي أصله من رأى أي شهد بعينه[٢٥].. وفي اللغة العربية أبنية، وصيغ، وقوالب، دالة على معان وصفات، وأحوال. فما كان على (فَعَلان) بفتح الفاء والعين – دل على الحركة والاضطراب. كالنزوان، والغليان، والهيجان.. وما كان على (فَعْلان) بفتح الفاء وسكون العين – دل على صفات تقع من أحوال كالعطشان، والغرثان، والريّان، والغضبان.. وما كان على (افعل) دل على صفات بالألوان، نحو أبيض، وأحمر، وأسود، وأخضر.. وكذلك العيوب تكون على (أفعل) نحو أزرق، وأعور، وأقطع، وأعرج.. وتكون الأدواء على (فُعَال) – بضم الفاء وفتح العين – كالصداع، والزكام، والخناق..

والأصوات أكثرها على هذا كالصراخ، والنباح، والخوار. وفصل آخر منها على (فعيل) كالضجيج، والهرير، والهدير، والصهيل، والنهيق..

وحكاية الأصوات على (فعللة) كالصرصرة، والقرقرة، والخشخشة.. وأطعمة العرب على (فعيلة) كالسخينة، والعصيدة، والنقيعة. وأكثر الأدوية على (فعول) كاللعوق، والسعوط.. وأكثر العادات على (مفعال) نحو مطعان، ومطعام، ومضياف، ومهذار[٢٦]..

وصيغ الأفعال وأوزانها في اللغة العربية، عامل من عوامل ثروة اللغة، وقدرتها على الدلالة على فروق وظلال. تنضاف الى المعنى الأصلي دون زيادة في اللفظ. ومع الاحتفاظ بطابع التركيز، والدقة، والعمق، والأصالة(٢٧)..

قال الثعالبي: في الأكثر الأغلب (فعَّل) بفتح الفاء وتشديد العين مع فتحها - يكون بمعنى (أفعل) نحو: كرم وأكرم، ونزل وأنزل. ويكون مضادا له نحو: أفرط إذا جاوز الحد، وفرط اذا قصر.

قال الشاعر :

لا خير في الافراط والتفريط   كلاهما عندي من التخليط

و«أفعل» يكون بمعنى «فعل» نحو أسقى، وسقى، وأمحضه، ومحضه. وقد يتضادان نحو: نشط العقدة إذا شدها، وأنشطها اذا حلها.. وتفعل يكون بمعنى «فعل» نحو تخلصه اذا خلصه..

قال الشاعر :

تخلصني من غفلة الغي منعما   وكنت زمانا في ضمان اساره

وكما قال عمرو بن كلثوم :

تهددنا وتوعدنا رويدا   متى كنا لأمك مقتوينا

ويكون «تفعل» بمعنى «افعل» نحو: تعلم بمعنى اعلم. كما قال النظامي:

تعلم ان بعض الشر خير   وان لهذه الغمم انقشاعا

وتعلم أي إعلم(٢٨)..

فتلك الصيغ والأوزان وغيرها تعطي للمعنى في اللغة العربية تقديرا خاصا، وعناية ملموسة. حتى أن البلاغة في العربية تهدف في أغراضها الى ابراز

المعنى.. والبلاغة في اصطلاح النظار من علماء البيان العربي عبارة عن: «**الوصول الى المعاني البديعة بالألفاظ الحسنة.. وان شئت قلت هي عبارة عن حسن السبك، مع جودة المعاني**»(٢٩)..

ويقول السكاكي في اختيار «اسم المعاني»: «**قيل في سبب اختيار هذا الاسم أنه يبحث فيه عن الكيفيات والخصوصيات التي تعتبر في المعاني أولا وبالذات. وفي الألفاظ ثانيا وبالعرض. فنبهوا على أن هذا العلم يتعلق بالمعاني وكيفياتها، لا بالألفاظ نفسها**»(٣٠)..

ويقول عبد القادر الجرجاني في مزية المعاني في الكلام العربي: «**وأنها ليست لك من حيث تسمع بأذنك. بل من حيث تنظر بقلبك، وتستعين بفكرك، وتعمل برؤيتك، وتراجع عقلك، وتستنجد في الجملة فهمك**»(٣١)..

يقول ابن جني: فاذا رأيت العرب أصلحوا ألفاظها – أي اللغة العربية – وحسنوها، وحموا حواشيها، وهذبوها، وصقلوا غروبها، وأرهفوها، فلا ترين أن العناية اذ ذاك انما هي بالألفاظ. بل هي عندنا خدمة للمعاني، وتنويه وتشريف. ونظير ذلك اصلاح الوعاء، وتحصينه، وتزكيته، وتقديسه.. وانما المبغى من ذلك منه الاحتياط للموعى عليه وجواره بما يعطر نشره، ولا يعر جوهره. كما قد تجد من المعاني السامية ما يهجنه، ويغض منه كدرة لفظه، وسوء العبارة عنه(٣٢)..

وفي موضع آخر من كتاب «الخصائص» يذكر ابن جني: أنه لما كانت الألفاظ عنوان المعاني وطريقا الى اظهار أغراضها ومراميها. أصلحوها، ورتبوها، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها، ليكون ذلك أوقع لها في السمع، وأذهب بها في الدلالة على القصد(٣٣)..

وشيىء آخر يجعل اللغة العربية أكثر مرونة. وهو أنها أكثر اللغات قبولا للاشتقاق.

والاشتقاق باب واسع تستطيع به اللغة أن تؤدي معاني العلم والحضارة. وهو أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى، ومادة، وهيئة تركيب، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفا وهيئة(٣٤)..

والاشتقاق في اللغة العربية يقوم بدور لا يستهان به في تنويع المعنى الأصلي، وتلوينه. اذ يكسبه خواص مختلفة بين طبع، وتطبع، ومبالغة، وتعدية، ومطاوعة، ومشاركة، ومبادلة.. مما لا يتيسر التعبير عنه في اللغات الأخرى إلا بألفاظ خاصة ذات معان مستقلة..

وصيغ اللغة العربية تفرق تفرقة واضحة، بين ما هو حركة في النفس، وما هو حركة في الجوارح.. العربية تفرق مثلا بين الكبر والتكبر والتعلم، والفقه والتفقه..

وقد التفت المستشرق الفرنسي «كارادوفو» الى هذه الظاهرة، فلم يسعه الا أن ينوه بها في كتابه عن الغزالي. فقال: «**لقد ميز الغزالي بين الكبر الداخلي، والكبر الخارجي. فالداخلي هو استعداد في النفس، والخارجي ناتج من أفعال الجوارح**».. ولاحظ كارادوفو أيضا: أن هذه الفروق المعنوية الدقيقة التي تحملها ألفاظ اللغة العربية ليس من الميسور نقلها في لفظ واحد من اللغات الأخرى.. وخلص المستشرق الفرنسي من هذه الملاحظة الى التنويه بما تنطوي عليه اللغة العربية من قدرة ذاتية على التحليل الفلسفي العميق..

وقال كارادوفو: ان احداث أي تغيير طفيف في بنية اللفظ العربي، يسمح لتلك اللغة بأن تميز بين الحالة النفسية، وبين العادة البدنية التي تطابقها(٣٥)..

ولا نزاع في أن منهج اللغة العربية الفريد في الاشتقاق، قد زودها بذخيرة المعاني.. وهذه الطريقة في توليد الألفاظ، بعضها من بعض، جعلت من اللغة جسما حيا، تتوالد أجزاؤه ويتصل بعضها ببعض بأواصر قوية، وتغني عن عدد ضخم من المفردات المفككة المنعزلة التي كان لابد منها لو عدم الاشتقاق..

وهذا الارتباط بين ألفاظ العربية – الذي يقوم على ثبات عناصر مادية، – وهي الحروف أو الأصوات، وثبات قدر من المعنى. سواء كان ماديا أو ظاهرا أو مختفيا مستترا – خصيصة عظيمة، من خصائص هذه اللغة. تشعر الناطق بها، بما بين ألفاظها من صلات، تسمح لنا بالقول بأن ارتباطها مدهش، وان طريقتها توليدية، وليست آلية جامدة(٣٦)..

يقول الدكتور عثمان أمين: «واذا أردنا مثلا على ثروة العربية بهذا الضرب من الاشتقاق والتصريف. فلننظر الى كلام رجل من المشتغلين بالعلوم الطبيعية». فهو يرى في كلمة «صهر» أي أذاب الجسم بالنار. انه يستفاد لتأدية هذا المعنى بكلمات كثيرة، تجرى على صيغ متنوعة، ولكل صيغة منها معنى يدل على حالة دقيقة من حالات الجسم تخالف غيرها من الحالات، فنقول: انصهر، واستصهر، وتصاهر، ومنصهر، ومصهور(٣٧)..

ومما تأكد لدى الباحثين أن اللغة ضرورة اجتماعية، وأنها وجدت للوفاء بحاجة الانسان في شتى المجتمعات.. وهذا يوضح لنا أن جميع المشتقات لم توجد في عصر واحد. لأن التطورات في الحياة، قد تعاقبت في أزمنة متفاوتة، وأجيال متعاقبة. وليس من اليسير أن تدرك أسبقها في الوجود، ولا أن تعين الوقت الذي استعملت فيه مادتها الأصلية. والوقت الذي أريد فيه منها معناها الخاص..

الا أن الواقع يرشدنا الى أن المحسوسات أسبق من المعنويات لأنها أول مايقع عليه حس الانسان في حياته..

وهذا يجعل الباحث في اللغة يرجح أن المشتقات وان تفاوتت في الأزمنة وجودا الا أنه لا مناص من الاعتراف بسبق الأمور الحسية على الأمور المعنوية(٣٨)..

وتدل الحركات في اللغة العربية على المعاني المختلفة من غير أن تكون تلك الحركات أثراً لمقطع، أو بقية من أداة. فيكون ذلك في وسط الكلمة وأولها وآخرها. فهم يفرقون بالحركة بين اسم الفاعل، واسم المفعول، في مثل مكرم – بكسر الراء – ومكرم – بفتح الراء.. وبين فعل المعلوم وفعل المجهول. نحو: كتب بفتح الكاف، وكتب – بضم الكاف – وبين الفعل والمصدر في مثل: عَلِمَ، وعِلْمٌ، وبين الوصف والمصدر في مثل فرح وفرح، وبين المفرد والجمع في مثل أسَد، وأسُد – بضم الهمزة والسين. وبين الفعل والفعل في مثل قِدم -- بكسر الدال، وقُدم – بضم الدال.. وبين الاسم والاسم في مثل: سحور بضم السين، وسحور بفتح السين(٣٩)..

يقول (اغناطيوس كراتشكوفسكي): أول مانلحظه من أول نظرة نلقيها على هذه اللغة - العربية -- الغنى العظيم في الكلمات والاتقان في الشكل. والليونة في التركيب، وكل هذا يدل بوضوح على تاريخ طويل سابق(٤٠).. كما أن اتقان العروض يثير دهشة لا تقل عن تلك التي يثيرها اتقان اللغة.. فاللغة العربية هي اللغة السامية الوحيدة التي أنجبت عروضا مستقلا..

هذا العروض قرر التحليل العلمي الأوربي طابعه الكمي المبني على تعاقب المقاطع الطويلة والقصيرة في الوحدة العروضية حسب نظام معين.. ولكن العروض العربي، لا يقوم على أساس مفهومي الطول والمقطع(٤١).. بل على أساس التفاعيل المركبة من الحروف المتحركة والساكنة(٤٢)..

وبهذا كانت اللغة العربية أعرق اللغات العالمية منبتا، وأعزها جانبا، وأقواها جلادة، وأبلغها عبارة، وأغزرها مادة، وأدقها تصويرا لما يقع تحت الحس، وتعبيرا عما يجول في النفس، وذلك لمرونتها على الاشتقاق، وسعة صدر للتعريب. نزل القرآن الكريم بلسانها فجعلها أكثر رسوخا، وأشد بنيانا، وأقوى استقرارا. وبفضل القرآن صارت أبعد اللغات مدى، وأوسعها أفقا، وأقدرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذي تعيشه الانسانية.

واستطاعت اللغة العربية في ظل عالمية الاسلام أن تتسع لتحيط بأبعد انطلاقات الفكر، وترتفع حتى تصعد أرقى اختلاجات النفس. فليس هناك معنى من المعاني، ولا فكر من الأفكار، ولا عاطفة من العواطف، ولا نظرية من النظريات. تعجز اللغة العربية عن تصويره بالأحرف والكلمات تصويرا صحيحا، حي المقاطع، بارز القسمات. هذه اللغة العريقة فتحت صدرها لتراث الانسانية، ومعارف البشرية. كما اتسعت لمقومات الأمة الاسلامية التي شرقت بالحضارة وغربت. برزت تتمتع بقوة لغة، بالغة أشدها. فما عرف التاريخ لها طفولة، وما بدت الا لتكون لسان الحضارة. فسرت من شبه الجزيرة العربية. تنتقل الى الأمصار القصية مفرداتها ومميزاتها.. ووسعت مبادىء ومثل لم تنكل عن احتمال أعبائها. بل في ظل ازدهار الحضارة الاسلامية مرنت، وامتصت، وتفاعلت، ونمت نماءها الطبيعي المتطور من داخلها، وهضمت خلاياها القوية كل ما قدم من خارج محيطها حتى تعملقت واتسعت آفاقها..

ولعل الدارس يلاحظ أن :

اللغة العربية المعاصرة تعاني أزمة... أزمة العزلة عن المعاصرة فالمأكولات، والمشروبات والملبوسات، والمفروشات، وأدوات الحركة، والسكون، والاستعمال، والطب، والدواء، وما يقع عليه بصر العربي، وما تسمعه أذنه، وما تلمسه يده. مستورد بلفظه الأجنبي. وبات كل ذلك جزء من الحياة.. وتلك هي الخطورة الكامنة والتي أصبحت محدقة باللغة العربية..

ومجامع اللغة العربية بالقاهرة، ودمشق، وبغداد، وعمان، والمكتب الدائم للتعريب بالرباط، لم يتوفر لها من الامكانات ما يواكب الحياة المعاصرة التي تفرز في كل يوم الجديد في كل شيء وربما كانت وظيفة المجامع قاصرة على التحقيق، وبات الأمر يتطلب جهودا تبذل في جدية وصدق، بين الْمُسْتَوْرِد والمصدِّر، ليكون الصادر الى المجتمعات العربية، باسم عربي صوتا وحرفا ومعنى.. وقد أثبت التاريخ والتجربة أن اللغة العربية ترجمت اليها ثقافات الفرس والروم واليونان، فوسعتها جميعا، ولم تضق بها وجاءت بالألفاظ والكلمات التي تعبر عن المعنى المقصود في دقة وشمول، وبهذا كانت اللغة العربية هي النافذة التي يطل منها الناس على العالم كما كانت اللغة ذاتها هي المنظار الذي ترى الأمة بواسطته كافة حقائق العلوم، والوجود، وتفسر على ضوئه مجراها ومرساها.

ان مصدر فاعلية اللغة العربية كان الأس الفكري لاطار عملي تطبيقي يحدد لانسان اللغة العربية، المُؤْمِن بها، والمؤتمن على سيادة كلماتها، أسلوب التعامل مع الأغيار..

ان تحديد الموقف العملي الذي يتوجه لانسان اللغة العربية – في مختلف الأحوال والظروف – أن يلتزمه يقع في الصميم من مهمات الحياة. والموقف العملي لا يكون عمليا مالم يحكم بحركة الانسان، وتواجداته. والا فهو موقف نظري ليس مكانه ساحات المخمصة والممارسة الحياتية.

● الهوامش ●

(١) انظر: مقال الاستاذ محمد زياد كبه – مجلة الفيصل العدد العاشر ص ٣١ الرياض.

(٢) أرسطو (٣٨٤ – ٢٢٢ ق.م) فيلسوف يوناني اعتبر موضوع المنطق ليس له الوجود. لأن المنطق



هو علم قوانين الفكر بصرف النظر عن موضوعات الفكر. وهي الموجودات. ويعتبر المنطق عند أرسطو مقدمة لعلوم الفلسفة وتمهيدا لها..

(٣) الدكتور ابراهيم أنيس «من أسرار العربية» ص ١١٧ ط ٣ طبع الأنجلومصرية.
(٤) أحمد عبد الرحيم السايح «العلاقة بين اللغة والمنطق عند الفارابي». دراسة موضوعية بمجلة الباحث العدد الرابع ص ٧١ من السنة الثالثة ١٩٨١م تأسست في باريس وتصدر من بيروت.

(٥) مقالنا «العلاقة بين اللغة والمنطق» في المصدر السابق ص ٧٣.
(٦) أبو حيان التوحيدي «الامتاع والمؤانسة» ص ١٠٤ الى ص ١٤٣ الجزء الأول طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة.

(٧) الدكتور ابراهيم أنيس «من أسرار اللغة العربية» ص ١٢٠ الطبعة الثالثة نشر مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة.

(٨) أحمد عبد الرحيم السايح «العلاقة بين اللغة والمنطق عند الفارابي» ص ٧٤ مجلة الباحث. بيروت..

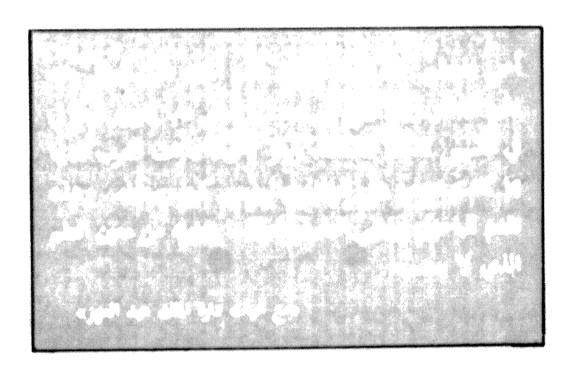
(٩) ابن أبي الأصبع المصري (تحرير التحبير) ص ١٩٤ ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة سنة ١٣٨٣هـ.
(١٠) سورة آل عمران. الآية رقم ٥٩..
(١١) سورة ص. الآية رقم ٧١..
(١٢) سورة ص. الآية رقم ٧٦..
(١٣) ابن أبي الاصبع المصري (تحرير التحبير) ص ١٩٤ ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية.
(١٤) زهير بن أبي سلمى «الديوان» ص ٧ ط دار الكتب المصرية. وينظر يحيى بن حمزة اليمني في كتاب الطراز جـ ٣ ص ١٤٥ ط مصر ١٩١٤م. والأثافي: جمع أثفية. وهي ما توضع عليه القدر - والسفع: السود - والمرجل: القدر يطبخ فيها - والدو: الحجارة - جذم الحوض: أصله - ويتثلم: يتكسر..

(١٥) ابن أبي الاصبع المصري «تحرير التحبير» ص ١٩٥..
(١٦) سورة النحل. الآية رقم ٩٠..
(١٧) الأرداف هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له، ويعبر عنه بلفظ هو ردفه وتابعه أي قريب من لفظ قرب من الرديف «قدامة بن جعفر في كتاب (نقد الشعر) ص ٥٧»..

(١٨) سورة البقرة. الآية رقم ١٧٩.
(١٩) سورة الاسراء. الآية رقم ٣٣.
(٢٠) سورة الأعراف. الآية رقم ١٩٩.
(٢١) سورة النحل. الآية رقم ٩٠.
(٢٢) ينظر: الشريف المرتضي «أمالي المرتضي» جـ١ ص ٢٢٢ تحقيق أبو الفضل ابراهيم طبع سنة ١٩٥٥ بمصر.

(٢٣) سورة هود، الآية رقم ١٣.
(٢٤) ابن أبي الأصبع المصري (تحرير التحبير) ص ٢٠٠ ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة.
(٢٥) جورج زيدان «الفلسفة اللغوية» ص ١١٠ الطبعة الثالثة سنة ١٩٢٣ القاهرة.
(٢٦) الثعالبي «فقه اللغة» ص ٥٥٣ ط المكتبة التجارية بالقاهرة.
(٢٧) أحمد عبد الرحيم السايح «من خصائص اللغة العربية» دراسة بمجلة «الأقلام» السنة السادسة سنة ١٣٨٩هـ. الجزء الأول ص ٢١ العراق.

(٢٨) الثعالبي «فقه اللغة» ص ٥٤٩ ط المكتبة التجارية بالقاهرة.
(٢٩) اليمني «الطراز» جـ ص ١٢٢.
(٣٠) علي عبد الرازق «الأمالي» ص ٦٤ طبعة سنة ١٩١٢م القاهرة.
(٣١) عبد القاهر الجرجاني «دلائل الاعجاز» ص ٥١ الطبعة الثانية. القاهرة.
(٣٢) ابن جني «الخصائص» جـ ١ ص ٥ ط الهلال ١٩١٣. مصر.
(٣٣) المصدر السابق جـ ١ ص ٢٢٣.
(٣٤) السيوطي. «المزهر» ط دار احياء الكتب العربية.
(٣٥) الدكتور عثمان أمين «فلسفة اللغة العربية» ط المكتبة الثقافية مصر.
(٣٦) محمد المبارك «فقه اللغة» ص ٦١ طبعة سنة ١٩٦٠م دمشق.
(٣٧) الدكتور عثمان أمين. فلسفة اللغة العربية ص ٤٨ ط المكتبة الثقافية.
(٣٨) الدكتور ابراهيم نجا «فقه اللغة العربية» ص ٧ مطبعة السعادة بمصر.
(٣٩) الاستاذ ابراهيم مصطفى «احياء النحو» ص ٤٥ الطبعة الأولى.
(٤٠) اغناطيوس «دراسات في تاريخ الأدب العربي» ص ٦ طبع موسكو سنة ١٩٦٥.
(٤١) وهما مفهومان غير معروفين عند العرب.
(٤٢) اغناطيوس «دراسات في تاريخ الأدب العربي» ص ٨.



بداية الامتيازات الأمريكية

في... الشـــرق الأوسط

د. عبد العزيز عبد الغني ابراهيم

دوخت الولايات المتحدة الأمريكية منطقة المغرب العربي بالحملات الاسطولية في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وبداية القرن التاسع عشر ولكنها لم تتمكن من استعمار المنطقة. ويرجع هذا في تقديرنا الى أنه لم يكن للولايات المتحدة الأمريكية من القوة العسكرية أو الاسطولية في ذلك الوقت ما يمكّن لها من استعمار تلك المنطقة. كما أن القوى الدولية الكبرى المتمثلة بصفة رئيسية في انجلترا لم تكن لتسمح للولايات المتحدة باستعمار تلك المنطقة التي تقع على امتداد خط المواصلات، كما هو الحال بالنسبة للدولتين الكبيرتين، أو بالقرب من سواحلها، كما هو الحال بالنسبة لفرنسا. ولهذا قنعت الولايات المتحدة في سياستها ازاء هذه المنطقة الاسلامية والعربية بالامتيازات التجارية والتبشير. أما فيما يخص السياسة الأوربية والنصرانية بشكل عام فقد مالت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الى العزلة التي تجسدت فيما بعد فيما عرف بمبدأ مونرو.

تميزت السياسة الخارجية الأمريكية منذ استقلالها بالسعي لمد تجارتها ولهذا كان الاتصال الأمريكي بالعالم الخارجي شأناً من شئون التجار ورأس المال، وظلت الحكومة الأمريكية في أثر تجارها تعينهم باسطولها الوليد على فرض تجارتهم بأقل الرسوم، وبدبلوماسيتها الناشئة على عقد الاتفاقات الدولية وكسب الامتيازات والنفوذ.

امتيازات والابحار بين الدولة العثمانية والولايات المتحدة الأمريكية

تشير الدلائل على وجود بعض السلع العثمانية في بوسطن منذ عام ١٧٨٥م وذلك بالرغم من اننا لا نجد أي ثبت بالتجارة وكمياتها وأنواعها بين تركيا والولايات المتحدة الأمريكية، غير أننا نجد من الشواهد ما يثبت بأن هناك سفينة أمريكية قد بلغت القسطنطينية منذ ١٧٨٦م، وأخرى زارت أزمير في ١٧٩١م، وثالثة غشت الاسكندرية في ١٨٠٠م. ولم تشر سجلات مصلحة المالية الأمريكية في كشوفاتها للاستيراد والتصدير الى دخول سلع تركية الا في عام ١٨٠٠م. ولم تأت هذه الاشارة تحت بند تركيا انما اجملت تحت بند من بنود تجارة الصين والهند الشرقية. وتطالعنا تلك الكشوفات للمرة الأولى في ١٨٠٣م ببند مستقل عنوانه: سلع تركيا والليفانت ومصر (١).

وفي ١٨٠٥م وصل عدد السفن الأمريكية التي وصلت أزمير خمس سفن، قفز الى عشرين سفينة في ١٨٠٩م حين بدأ أصحاب السفن في فيلادلفيا وبلتمور الاهتمام بتجارة تركيا. وتزايدت في الفترة ١٨٠٦م /١٨١٢م تجارة السفن الأمريكية في الأفيون مع تركيا والليفانت ومصر وقفزت في نهاية هذه الفترة الى أربع مرات ماكانت عليه. كما شاركت بعض السفن الأمريكية في حمل التجارة بين الليفانت وبريطانيا. وما أن أقبل عام ١٨٢٨م حتى كانت كل تجارة الأفيون التركية في أيدي أصحاب السفن الأمريكية(٢).

فكرت حكومة الولايات الأمريكية الأمريكية في أن تقيم مع الدولة العثمانية معاهدة تجارية كي تؤثر بالنفوذ التركي على حدة حروب الجهاد الشمال افريقية. وفي ١٧٩٧م قام أحد المسئولين الأمريكيين بمقابلة السفير العثماني في

لندن يفاوضه في أمر عقد نفاق تجاري، وكانت مفـــاوضات استطلاعية ذهبت نتيجتها الى واشنطن التي جددت المفاوضات في السنة التالية. وفي ١٧٩٩م تبنت وزارة الخارجية الأمريكية أمر عقد اتفاق مع الدولة العثمانية، وعينت لوجثون سميث القائم بالأعمال الأمريكي في البرتغال ليتولى المهمة، ولم يوفق الرجل. وفي سنة ١٨٠٠م حين أرغم الداي في الجزائر ضابط احدى سفن الأسطول الأمريكي على حمل ضريبة الجزائر القسطنطينية لقي ذلك القائد الأمريكي من القبودان باشا (وزير الأسطول) الرعاية والعناية وطلب القبودان باشا من الضابط أن يبلغ حكومة الولايات المتحدة بأن ترسل وزيرا ليفاوض في شأن عقد معاهدة، ولم يسفر الأمر عن شيء. وفي ١٨٠٣م أرسلت الحكومة الأمريكية ستيوارت، أحد تجار فيلادلفيا قنصلا في أزمير ولكنه لم ينل الاعتراف من الحكومة العثمانية بصفة رسمية. وتكررت محاولات الحكومة الأمريكية في ١٨٠٨م ولكنها فشلت كذلك. وفي ١٨١٠م زارت احدي السفن الأمريكية العاصمة التركية ونقلت عند رجوعها بأن القبودان باشا لا يمانع في عقد معاهدة مع الولايات المتحدة الأمريكية. واستمرت التجارة الأمريكية طوال هذه الفترة تحت حماية شركة الليفانت البريطانية. وسحبت هذه الشركة حمايتها عن السفن الأمريكية في ١٨١١م وكانت النتيجة أن قامت الحكومة العثمانية برفع قيمة الضريبة المستحقة على السفن الأمريكية الى الضعف. ورفض أوهلي Ohly أحد التجار الأمريكيين العاملين في أزمير أن يدفع قيمة الضريبة المضاعفة فاستولت السلطات التركية على سفينة له. وتقدم أوهلي الى القسطنطينية حيث استطاع بالرشوة وبطرق أخرى أن يحصل من الحكومة العثمانية على ما يمكن أن نطلق عليه اسم «معاهدة خاصة». تعطي للتجارة الأمريكية حقوقا مماثلة لحقوق الدولة الأولى بالرعاية وبهذا لم تعد سفن أوهلي، والسفن الأمريكية عموما، تستظل بأعلام أوربية لأن أوهلي وضع نفسه وزملاءه تحت حماية السلطان. ونجم عن هذا الوضع أن السفن الأمريكية تمتعت ولمدة خمس عشرة سنة بعد هذا بالحماية العثمانية، واعتبار التجار الأمريكيين «ضيوف السلطان»(٣).

وعلى الرغم مما حققه أوهلي الذي

أصبح الوكيل التجاري للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة الا أن التجار الأمريكيين الآخرين كانوا يدفعون حكومتهم الى عقد اتفاق رسمي مع الدولة العثمانية وقد تكررت تلك المحاولات في ١٨١٦م.

وفي ١٨١٩م قام هترى بيربى Perebe برحلة الى موانىء الليفانت وبعض الموانى التركية الأخرى وأرسل الى واشنطن تقريرا بالأحوال التجارية في المنطقة. كما صدر في تلك السنة كتابان في أمريكا عن التجارة في البحر الأسود. وفي ١٨٢٠م قامت استخبارات الاسطول الأمريكي في البحر المتوسط بدراسة لحالة التجارة في تركيا، كما زارت احدى سفن الاسطول الأمريكي أزمير وتمت في تلك السنة بعض المفاوضات التي قام بها المدعو براندس. ولم يكن الاتفاق مع العثمانيين سهلا اذ طلبت الحكومة العثمانية أن تبني الولايات المتحدة الأمريكية سفينة هدية الى تركيا قبل الدخول في المفاوضات النهائية للحصول على الامتياز. واستمرت المفاوضات متقطعة حتى اشتعلت ثورة اليونان، وقد وجهت تلك الحرب الرأي العام الأمريكي ضد الخلافة الاسلامية ولهذا قررت واشنطن قطع المفاوضات مع القسطنطينية واستدعت براندس. وبالرغم من هذا استمرت تجارة الولايات المتحدة الأمريكية مع أزمير منتعشة. وفكرت الحكومة الأمريكية في ١٨٢٣م في استئناف المفاوضات الا أن حروب اليونان أفسدت المفاوضات.

وفي يوليو ١٨٢٦م التقى القبودان باشا بقائد الاسطول الأمريكي في عرض البحر وتبودلت التحية وجرى في اللقاء حديث بشأن حصول الولايات المتحدة على امتيازات في الأراضي التركية. ورحب قبودان باشا ولكنه طلب ارجاء المفاوضات لانشغاله بالحرب اليونانية ولأن السلطان قد فرغ توا من ضرب جماعات الانكشارية. ولم تنجح المفاوضات الأمريكية بعدها في تقصير المهلة التي طلبها قبودان باشا وربما يرجع هذا الى معرفة الأتراك بالدور الأمريكي في الحرب اليونانية. ودرج أوهلي في شرح سياسة الولايات المتحدة الأمريكية للحكومة التركية طالبا الى الحكومة التركية «أن تفرِّق بين ما يقوم به الأفراد وما تفعله الحكومة»(٤).

بدا السلطان محمود وحيدا في مواجهة العداء الأوربي الذي وقف بأسلوب أو بآخر الى جانب

اليونانيين شركاء الدين والثقافة. ثم وصلت المسألة اليونانية ذروتها في سبتمبر ١٨٢٧م بوصول الامدادات المصرية الى المورة. وكسب الاغريق الحرب في معركة نفارين في ٢٠ أكتوبر التي أودت بقوة الاسطولين العثماني والمصري تماما، وكان ذلك نتيجة لتدخل الادميرال كودرنتجتونCodrington القائد لأعلى للقوات البريطانية والفرنسية والروسية المشتركة الذي كان يسعى فيما يبدو لفرض هدنة مع الحكومة التركية.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية استقبل الشعب هذا النصر الكبير بكثير من البهجة والسرور، وأطلق اسم نفارين على بعض شوارع المدن، كما جمع أهل نيويورك التبرعات لصالح الثورة اليونانية وتعالى رنين أجراس الكنائس يبشر لانتصار الحضارة الغربية في زحفها على حساب الحضارة الاسلامية المجاورة. وعلى الجانب الآخر كان من آثار معركة نفارين كذلك محاولة الحكومة العثمانية الاسراع بعقد اتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية(٥).

وصلت أنباء هزيمة نفارين الى أزمير في ٢٧ أكتوبر وعمّت المدينة اضطرابات أرعبت الفرنجة فأسرعوا يحزمون بضائعهم وينقلون أموالهم الى سفن الأساطيل الغربية المختلفة التي كانت ترقب المدينة. ولم تتحرك قطع الاسطول الأمريكي مع الأساطيل الأخرى الى أزمير وأقرت الحكومة الأمريكية تصرف قائد الاسطول في المنطقة. وقد وجد هذا التصرف الأمريكي صدى سريعا في الدوائر الحكومية حيث خاطب السرعسكر (وزير الدفاع) العثماني أوهلي بخطاب مؤرخ في ١١ نوفمبر يحمل مشاعر الود والصداقة، ويدعوه الى زيارة القسطنطينية لبدء المفاوضات بشأن الامتيازات الأمريكية في الدولة العثمانية. وسعت بريطانيا لافشال عزم تركيا في منح الامتياز التجاري للولايات المتحدة الأمريكية وشرحت للعثمانيين التواطؤ الأمريكي في الحرب اليونانية. ولم تستمع الحكومة التركية الى ذلك وسعت الى عقد الاتفاق واكتشفت الحكومة العثمانية بأن الحكومة الأمريكية لم تشترك فعليا في الأحداث المؤدية الى الهزيمة. وفي الوقت الذي دعا فيه السلطان محمود للجهاد، وحين غادرت كل السفارات الأوربية المتحالفة القسطنطينية في ديسمبر ١٨٢٧م، كانت المفاوضات الأمريكية تسير قدما في العاصمة التركية. ويعلق

أحد الأمريكيين بأن الباب العالي مبتهج لقطع بريطانيا علاقاتها به لما سيؤدي اليه ذلك من ازالة عقبة كبرى في سبيل اتمام المعاهدة التي يرغب في عقدها مع الحكومة الأمريكية(٦).

كان هم الأمريكيين هو عقد اتفاق للتجارة واصابة الامتيازات في حين سعى الأتراك للمزيد. طلب الريس أفندي (وزير الخارجية) العثماني أن توثق الروابط التجارية بين القطرين لتصل الى درجة التحالف. كما طمع الريس أفندي في أن تبني الولايات المتحدة للدولة العثمانية سفنا تعوض بها خسارتها في نفارين. وأرسل أوهلي الى حكومته بمطالب الريس أفندي. وأدركت الحكومة الأمريكية بأن المفاوضات مع تركيا غير ممكنة في المرحلة الراهنة اذ اقتنع الرئيس ادامز بأن حمى الانتصار الاغريقي قد أصابت الرأي العام الأمريكي حتى أصبح عقد اتفاق مع تركيا غير ممكن سياسيا. وبالرغم من هذا سعى ادامز الى الاتفاق في سرية تامة.

وفي يوليو ١٨٢٨م عين ادامز وفدا أمريكيا لمفاوضة تركيا من كرين Crane قائد الاسطول الأمريكي في البحر الأبيض المتوسط، وأوهلي وطلب الى المفاوضين العمل على ابعاد الحكومة الأمريكية عن الطموح الذي تسعى اليه تركيا، وأن يتذرعا بدعوى الحفاظ على الحياد.

وفي هذا الوقت كانت الأمبراطورية العثمانية في وضع حرج حيث كانت روسيا قد أعلنت الحرب على تركيا في ابريل، ولم يكن الأسطول العثماني الهزيل في وضع يمكنه من حماية البحر الاسود ومضايقه. وزاد في حرج موقف الامبراطورية العثمانية أن الفرنسيين ساعدوا باشا مصر على تعويض خسائره في نفارين. ولهذا أصر الريس أفندي في مفاوضاته مع المبعوثين الأمريكيين على أن تقوم الحكومة الأمريكية ببناء بعض السفن للحكومة العثمانية نظير حصولها على الامتياز. وأجترت البعثة الأمريكية كلمة «الحياد». وتوقفت المفاوضات مرة أخرى ثم استؤنفت بعد أن تنازلت الحكومة العثمانية عن اصرارها في الحصول على سفن من سفن الحكومة الأمريكية. وفشلت المفاوضات هذه المرة لعدم توصل الجانبين الى اتفاق حول قيمة الرسوم الجمركية. وبهذا انقطعت في

مارس ١٨٢٩م المفاوضات العثمانية الأمريكية، وعزا أوهلي فشله الى المؤامرات البريطانية التي تعمل ضده في البلاط العثماني.

وفي ٨ فبراير ١٨٣٠م وصل رهند Rhind مبعوثا من الحكومات الأمريكية الى القسطنطينية وعزف على نغمة الصداقة العثمانية الأمريكية ومدى الفائدة المادية التي يمكن أن تنشأ من جراء الاتفاق. وتدخلت روسيا فأرسلت الى ممثلها في القسطنطينية المدعو أولف ليساعد رهند في الوصول الى اتفاق مع الحكومة العثمانية(٧).

وقعت الحكومة العثمانية اتفاق الامتيازات مع المندوب الأمريكي «في ٧ مايو ١٨٣٠م» نص الاتفاق(٨) على اقامة علاقات دبلوماسية وقنصلية بين الطرفين، ومعاملة الدولة الأولى بالرعاية، ويسمح الاتفاق للسفن الأمريكية بارتياد البحر الأسود. وقبل رهند بشرط سري ملحق بالاتفاق جاء فيه: «حيث أن الأخشاب المتينة الصالحة لبناء السفن متوفرة في الولايات المتحدة الأمريكية، وحيث أن تكاليف بناء السفن في أمريكا ليست باهظة، فتلتزم الولايات المتحدة بأنه حين يطلب اليها الباب العالي بناء سفن حربية في الأراضي الأمريكية بأن توضح في وثيقة تعاقد بناء مثل تلك السفن تكاليف بنائها، والفترة التي يستغرقها بناء تلك السفن، وطريقة وصول السفن الى موانىء الدولة العثمانية، كما أن طلب هذا النص السري الى الولايات المتحدة الأمريكية ببناء السفن الحربية للدولة العثمانية على النماذج التي تطلبها حكومة الباب العالي، وان تكون تلك السفن متينة وقوية مماثلة في ذلك للسفن التي تستعملها الحكومة الأمريكية، وان لا تكون تكاليف أعلى من مثيلتها التي تبني للحكومة الأمريكية. ونص هذا البند كذلك على أن تحمل السفن العثمانية المبنية في الولايات المتحدة الأمريكية في رحلتها الى مقرها الى الشرق أخشابا مصّنعة حسب المقاييس المطلوبة لتكون جاهزة للتركيب لانشاء سفن في الأحواض التركية».

لم يوافق المفاوضون الأمريكيون رهند على ادراج النص السري، غير أن رهند أسرّ الى زملائه بأن هذا النص السري خال من كل معنى على الاطلاق وأنه أدخله كي يظهر للسلطان «أنه أصاب شيئا مقابل ما أسبغه علينا من امتيازات»(٩).

ورفض السنيت الأمريكي هذا النص السري وذلك مراعاة منه لروسيا التي يضر بها وجود اسطول اسلامي قوي. وفي ١ فبراير ١٨٣١م أجاز السنيت الأمريكي الاتفاقية بعد أن أسقط الملحق السري. وفي ابريل عين بورتر قائما بالأعمال في القسطنطينية. وأجازت الحكومة العثمانية في ٥ أكتوبر ١٨٣١م بكثير من عدم الارتياح هذا الاتفاق الذي أسقطت الحكومة الأمريكية منه البند السري ذلك البند الذي عجّل بالقسطنطينية سلفا لعقد الاتفاق.

بهذا الاتفاق دلفت الولايات المتحدة الأمريكية رسميا الى الوطن العربي حيث بدأ تعيين وكلاء القناصل الأمريكيين في كافة أقطار الوطن العربي التي كان للحكومة العثمانية عليها سيادة أو نفوذ. وأصبح سعي هؤلاء، تحت نظام الامتيازات، كسعي الذين سبقوهم من قناصل الدول الأخرى: ترفيع وحماية تجارهم من خلال الروابط الامتيازية. وبالرغم من طموح محمد علي والي مصر وبعد تطلعاته فقد عيّن بورتر ديفيد القائم بالأعمال الأمريكي في القسطنطينية المدعو جون جليدون الانجليزي الجنسية في ١٢ يناير ١٨٣٢م مندوبا قنصليا في الاسكندرية واعتمد محمد على تعيين جليدون(١٠).

اتفاقية الصداقة والتجارة بين مسقط والولايات المتحدة الأمريكية وبين الأخيرة وفارس

كانت التجارة الهندية مطمحا للتجار الأمريكان عرفوا مسالكها حتى بلغوا كلكتا عن طريق الموريشوس منذ عام ١٧٩٦م. ثم وصلت منذ ١٧٩٨م طلائع سفن التجارة الأمريكية الى المخا التي زاد نفوذ التجار الأمريكان فيها حتى أنهم حاولوا في ١٨٠٤م اقامة مستودع تجاري لهم في تلك المنطقة(١١). ودخلت السفن الأمريكية الى الخليج العربي منذ ١٨٠٣م حيث ظهرت في تلك السنة أول شراع أمريكي في أعالي الخليج. وكان في رأي وكيل البصرة البريطاني وجوب مصادرة تلك السفينة(١٢) ولم تقره سلطات الهند البريطانية على ذلك التصرف بالرغم من حرص تلك السلطات على قصر مياه الخليج العربي على السفن البريطانية دون سواها لتبعد عن الخليج العربي، وفي نطاق الأمن الهندي، كل تحد يمكن أن ينشأ من وجود قوة أجنبية أخرى.

عموما، فان حروب الجهاد العربية فوق مياه الخليج لم تكن قد انكسرت حدتها بعد، ولم تسمح للبريطانيين ولا للأمريكيين أو من شابههم بتثبيت أرجحيتهم في تلك المياه الاسلامية. ونجد في ١٨٠٤م أخبارا عن بعض السفن الأمريكية التي اعتلاها المجاهدون العرب وغنموها ثم أحرقوها، كما نجد ديفيد ستون الوكيل البريطاني على مسقط يتعقب، لحساب الأمريكيين، تلك الجماعة المجاهدة، وشد عليهم بالسفينتين مورنجتون وتيرناتي، ولكنه لم يصب منهم خبرا.

وفي أوائل ١٨٠٦م وصلت اسكس، المركب الأمريكي، الى المخا وأرادت أن تتجر مع الحديدة، وأسلمت قيادتها لتجار من العرب بلغ عددهم الثلاثين. وفي عرض البحر ثار العرب على مستخدميهم وأحرقوا السفينة. وقد وصل نبأ إحراق هذه السفينة الى ولاية سالم الأمريكية في أكتوبر ١٨٠٦م حين وصلت بالخبر سفينة أمريكية أخرى كانت تتجر في تلك المنطقة(١٣).

أما بالنسبة للعلاقات الحكومية بين مسقط وواشنطن فقد كانت علاقة حاولت سلطات مسقط السياسية تنميتها. ونجد أخبارا تفيد بوصول عدد بحارة سفينة أمريكية حطمها البحر الى مسقط منذ ١٧٩٢م وأن أولئك النفر قد غادروا مسقط بعد هذا الى بلادهم(١٤) غير أننا يمكن أن نؤرخ لوصول النفوذ الأمريكي الى دولة مسقط بوصول الباخرة الأمريكية انس Annes في ١٢ مارس ١٨٢٦م التي وصلت الى ساحل زنجبار الشق الأفريقي في سلطنة مسقط. ووفد في ١٠ يونيو ١٨٢٧م، على ظهر احدى السفن الأمريكية، التاجر روبرتس الذي سعى للتخلص من قانون سلطان مسقط. حيث قصر ذلك القانون تعامل التجار الأمريكيين بيعا وشراء على وكلاء السلطان، وذلك بعد أن يؤدي أولئك التجار الرسوم المستحقة على بضائعهم، في حين كان للتجار البريطانيين حرية البيع لمن يشاؤون بعد دفع رسوم أقل في مجملها من الرسوم التي تؤديها السفن التابعة الى دول أجنبية أخرى(١٥). وما أن أعلن روبرتس عزمه على مقاطعة الاتجار مع موانىء السيد سعيد حتى سعى سعيد اليه يدعوه الى عقد اتفاق عماني أمريكي يكون بموجبه للأمريكيين حقوق تجارية مساوية لما للبريطانيين، كما يكون من حق الدولة الأمريكية

أن تبعث لها بقنصل الى زنجبار(١٦).

اتجه سعيد بعد هذا الى توثيق علاقاته بالتجارة الأمريكية فأرسل في عام ١٨٣١م خطابا مع قبطان احدى السفن الأمريكية وأوصاه بنشره. وكان الخطاب دعوة لمواطني الولايات المتحدة الأمريكية للاتجار في موانئه. ولم ينشر ذلك الخطاب لأن أصحاب السفينة استصوبوا عدم نشره لما قد يجره ذلك عليهم من منافسة تجارية. وفي ٢٧ يناير ١٨٣٢م - قررت الحكومة الأمريكية ارسال المدعو روبرتس الى تلك المناطق للنظر في الوسائل التي تمكن الولايات المتحدة من زيادة تجارتها في البحار الهندية. وخوفا من أن يعرقل البريطانيون مهمته، ذهب روبرتس متنكرا ككاتب على السفينة بياكوك، ولم يكشف عن هويته الرسمية كمفاوض. ووصلت بياكوك الى مسقط في ١٨ سبتمبر ١٨٣٣م، وفي ٢١ سبتمبر حصل روبرتس على اتفاق للتجارة والصداقة من السلطان. أعطت تلك الاتفاقية ذات التسعة بنود(١٧) للأمريكيين حقوقا مماثلة للقوى الأخرى. وقصر الاتفاق بيع الذخيرة الأمريكية في الشق الآسيوي من السلطنة دون الافريقي وذلك للاضطرابات التي كانت تثيرها قبائل المزروعي العربية في الساحل الأفريقي قرب ممبسا والتي كان سعيد يخشى تفاقمها. وربما كان من المناسب أن نشير الى أن هذا الاتفاق كان أول امتياز تحصل عليه أي حكومة غربية في ممتلكات السيد سعيد. وقد وثق هذا الاتفاق وتم تبادل أوراقه في مسقط في ٣٠ سبتمبر ١٨٣٥م، وفي ١٨ مارس ١٨٣٦م جرى في زنجبار استقبال رسمي لوصول أول قنصل أمريكي(١٨)، وبدأ القنصل الأمريكي مهمته في حماية التجارة الأمريكية، والتجسس، والدعوة الى التبشير.

وفي اليمن لم يثبت المستودع الأمريكي في المخا كثيرا أمام منافسة الانجليز الذين احتلوا عدن في ١٨٣٩م وجذبوا تجارة البن الى ذلك الميناء وكان البن هو السلعة الرئيسية التي يحملها التجار الأمريكيون في تلك النواحي. ولم يكن بعدن من الأمريكيين في ١٨٥٦م سوى المدعو وليام لوكرمان الذي عينته الحكومة الأمريكية قنصلا فخريا هنالك وذلك قبل أن تؤسس واشنطن في ١٨٩٥م لها قنصلية رسمية في عدن(١٩).

لم تزدهر تجارة الولايات المتحدة الأمريكية في الخليج العربي رغم اتفاقهم مع سلطان مسقط. وربما

يرجع ذلك الى أن امكانات الخليج التجارية لم تكن تجذب القوى التي لم يكن لها تطلعات سياسية في تلك المنطقة المجدبة. ولم يكن اتصال التجار الأمريكان بفارس، التي كانت أنشط دول الخليج تجاريا، أمرا ميسورا، اذ كانت تعطي الخليج ظهرها وتتوجه الى الشمال صوب طرق القوافل الى آسيا الوسطى، وربما كان هذا هو السبب الذي جعل فارس تستقبل المبشرين الأمريكيين قبل التجار الأمريكيين. ولم تتحرك واشنطن لعقد اتفاق تجاري مع فارس رغم أن بعض المبشرين الأمريكان في الشرق دعوا الى هذا منذ بداية الأربعينات من القرن التاسع عشر.

أما الفرس فقد اتجهوا الى الأمريكان منذ ربيع ١٨٢٠م حين طلب ممثلوهم الى القائم بالأعمال الأمريكي في القسطنطينية عقد اتفاق للتجارة والصداقة مع واشنطن. ولم تنشط المفاوضات التي احتفظ بها سرية. وفي ٩ أكتوبر ١٨٥١م عقدت الحكومة الأمريكية مع فارس اتفاقا للصداقة والتجارة والابحار واستطاع الأمريكيون أن يحصلوا بموجب هذا الاتفاق على امتياز لاقامة قنصلية في بوشهر المطلة على الخليج العربي. ولم يصدق السنيت الأمريكي على الاتفاق ورفضه لأن لا يصل الى مستوى الاتفاقات التي للقوى الأخرى مع فارس، ولا يعطى لأمريكا من الامتيازات والحصانات ما تعطيه فارس للقوى الأخرى. وفي ابريل ١٨٥٢م بدأت في القسطنطينية مفاوضات أخرى بين ممثلي فارس والولايات المتحدة الأمريكية ولكنها لم تنجح(٢٠).

وفي نوفمبر ١٨٥٤م تقدم المبعوث الفارسي في القسطنطينية الى المبعوث الأمريكي بها يطلب عقد اتفاق للتجارة والصداقة بين الحكومتين الفارسية والأمريكية وكانت حكومة الشاه تأمل أن تجني من وراء الاتفاق رضاء الحكومة الأمريكية وموافقتها على بناء سفن حربية لفارس فقد كان الشاه في حاجة ماسة لها حيث أرادت الحكومة الفارسية أن تؤكد سيطرتها في الخليج العربي لمواجهة الأطماع البريطانية، والمنافسة العمانية، واستمرت المفاوضات بين الجانبين في القسطنطينية وفينا.

ووضح للمفاوضين الأمريكيين بأن الشاه يسعى لادخال نص في

الاتفاق يعطي للأسطول الأمريكي حق حماية التجارة الفارسية، ونص آخر يدعو الولايات المتحدة الأمريكية لحماية الموانىء والمدن التابعة لفارس من كل الأخطار التي تواجهها وبصفة خاصة ضد امام مسقط(٢١).

وفي مايو ١٨٥٥م بدأت محادثات القسطنطينية مرة أخرى بين الفرس والأمريكان وكانت تعليمات الحكومة الأمريكية لمفاوضها أن ينأى بها عن حماية فارس اسطوليا بينما كان من تعليمات الحكومة الفارسية أن تصبغ حمايتها على التجارة البحرية لفارس وأن يسمح للسفن الفارسية باستعمال العلم الأمريكي، وأن تنحاز أمريكا الى فارس ضد امام مسقط، وأن تستغل القوة الأمريكية في الحاق بعض الجزر التي تدعيها فارس في الخليج الى السيادة الفارسية. ولم تنجح المفاوضات. وهدأت حتى استؤنفت مرة أخرى في مايو ١٨٥٦م حين أرسل الشاه الى القسطنطينية مالكولم خان، وهو أحد المسيحيين الفرس، لبدء المفاوضات مع المبعوث الأمريكي. واقتصرت تعليمات المندوب الفارسي في هذه المرة على طلب حق استعمال العلم الأمريكي لحماية السفن التجارية الفارسية، وطلب قرض من الحكومة الأمريكية ينفق في بناء قوة أمن فارسية في الخليج العربي. وبدأت المفاوضات متثاقلة لاصرار المفاوض الأمريكي على الأسلوب اللاانحيازي لقوة دون أخرى، وعلى أن دولته تفر من الأحلاف، ولا تبغي الا تنشيط التجارة. واستقرت المفاوضات أخيرا على اتفاق(٢٢) أمريكي فارسي وقعه السفير فاروق خان عن الجانب الفارسي في ١٣ ديسمبر ١٨٥٦م. وكان فاروق قد استلم قيادة المفاوضات من مالكولم حين جاء الى القسطنطينية ليفاوض بشأن تحسن العلاقات البريطانية الفارسية(٢٣). ولم ينجح فاروق في مساعيه مع البعثة البريطانية وأرسلت الهند حملة لاحتلال جزيرة خارك في الخليج العربي للضغط على حكومة طهران.

وبالرغم من عزوف الولايات المتحدة الأمريكية المعلن عن الأحلاف الا أن المفاوض الأمريكي كتب الى واشنطن حين أبرم العقد بأن العلاقات الفارسية الأمريكية وتقويتها يجب أن تكون من الأمور ذات المغزى الكبير في السياسة الخارجية لأمريكا، اذ ربما تسوء

العلاقات الأمريكية مع بريطانيا في يوم من الأيام، وبما أن علاقة فارس مع بريطانيا لا يميزها الا الشد والاسترخاء فانه من حسن السياسة أن تقيم الدولة الأمريكية علاقة صداقة مع القوة الفارسية التي تستطيع في حالة قيام حرب بين أمريكا وبريطانيا أن تخدم الأهداف الأمريكية خاصة اذا استطاعت أمريكا أن تبذل المال لفارس. وأضاف المندوب الأمريكي بأن فارس ستفلح في هذه الحالة في مضايقة تلك الأمة التي لا تكف عن التدخل في شئونها الخارجية، وأنها ستكون في جميع الحالات شوكة في جنب انجلترا تحركها حين تريد، وذلك باستغلال النفوذ الروسي في فارس» (٢٤).

طلب فاروق خان في حالة موافقة الحكومة الأمريكية على التصديق على الاتفاق أن تبعث تلك الحكومة باحدى بوارجها الى الخليج العربي كي تحدث عن القوة الاسطولية للولايات المتحدة الأمريكية. وفي أبريل ١٨٥٧م أرسل وزير الاسطول الأمريكي بتعليماته الى قائد فيلق الهند الشرقية بارسال بارجة حربية لزيارة منطقة الخليج العربي. وفي الحقيقة فان أول بارجة أمريكية وصلت الى أطراف الخليج كانت البارجة مينسوتا Minnesota التي كان يقودها صمويل دبنت وزارت مسقط في ١٨٥٩م ولم تدخل أي بارجة أمريكية مياه الخليج العربي بعدها الا في ١٨٧٩م حين دلفت اليه السفينة تيكونديروجا Ticonderoga وعليها القائد روبرت شفلدت Shufeldt (٢٥). وكانت المعارضة البريطانية لوصول السفن الأجنبية الى الخليج العربي بشتى الوسائل كبيرة لدرجة أنه لم تقم للأمريكان قوة أسطولية في الخليج العربي الا مع الحرب العالمية الثانية وفي أعقابها.

لم تفلح اتفاقية السيد سعيد في جر الأمريكان الى الخليج العربي، وأفلح المندوب الأمريكي في جر فارس الى اتفاق هو في ظاهره لا انحيازي، وفي أعماقه يعني بجر فارس لمضايقة البريطانيين، ولم تقم ضرورة – تدعوا الى الأعمال. فلم تقم في فارس منافسة بريطانية أمريكية وكانت المنافسة في زنجبار التي ازداد فيها النفوذ الأمريكي رغم المنافسة البريطانية. وكان السيد سعيد جادا في تقوية أواصر التجارة مع أمريكا حتى أنه أرسل في نهاية عام ١٨٣٩م سفينة «السلطان» الى أمريكا محملة

بسلع زنجبار وشرق أفريقيا والجزيرة العربية والخليج العربي. وقد وصلت أول سفينة عربية الى نيويورك في ٢ مايو ١٨٤٠م ورأى رعاع نيويورك في تلك الأيام العرب لأول مرة. وقد جاء في تقرير من همرتون، الوكيل البريطاني لدى سلطان مسقط، كتبه الى اللورد بالمرستون «بأن الرعاع قد أحاطوا بالعرب ليشبعوا غريزة حب الاستطلاع، وأنهم كانوا يقتحمون على العرب خلواتهم، ويأخذون بذقونهم، ولم يظفر هؤلاء بالنجاة الا بعد أن دفعوا الى الشرطي لاكس Lax مبلغ ٥٣ دولارا فعمل على حمايتهم». وقد غادرت تلك السفينة نيويورك في ٢٨ سبتمبر ١٨٤٠م محملة بالذخيرة والأقمشة والصيني والخرز وغيرها من السلع الأمريكية(٢٦).

وبالطبع فانه لا يمكننا في هذه العجالة أن نحصي التجارة الأمريكية التي أصابتها الولايات المتحدة الأمريكية في الوطن العربي بالامتيازات التي نالتها من الدولة العثمانية ومن سلطان مسقط، وشاه فارس. ويكفي أن نشير الى أنها كانت مثلها ومثل الدول الغربية الأخرى تسعى لاستغلال تلك الامتيازات. ونرفض ما يردده بعض المستغربين من المؤرخين أو من المترجمين عن المؤرخين الغربيين بلا وعي من أنه لم تكن لأمريكا مطامع في الشرق الأوسط، وأنها لم تهتم به سياسيا الا مع الحرب العالمية الأولى وذلك تطبيقا لمبدأ مونرو الذي حكم أمريكا لفترة طويلة حتى تلك الحرب. فلم يكن مبدأ مونرو خاصا الا بالدول الأوربية.

ان تاريخ الحياد الأمريكي هو شيء خاص بالسياسة الأوربية لا شأن له البتة بقانون الاستعمار العالمي الذي قضى بمد السيادة والنفوذ على الدول المستضعفة فمنذ ١٧٧٦م أوصى الرئيس جون ادامز شعبه بالبعد عن السياسة الأوربية والحروب الأوربية وذلك تحقيقا للمصالحة القومية، والحرية الذاتية على الأرض الأمريكية. كما ساد في ثمانينيات القرن الثامن عشر في الدوائر السياسية الأمريكية القول بأن «الولايات المتحدة الأمريكية الضعيفة المناضلة لن تكون أكثر من «أرجوز» يرقص على النغمات التي تعزفها مجالس الحكم في أوربا(٢٧) اذا حاولت التدخل في تلك السياسة». ولهذا أصدر الكونجرس في ١٧٨٣م قراره بالابتعاد عن مسائل السياسة الأوربية، ولم تحد السياسة

الأمريكية عن التدخل في مسائل السياسة الأوربية الا في عشرينيات القرن الماضي حين قامت حروب اليونان، وكانت الدعوة في أمريكا للتحالف المقدس لمساندة اليونان «باسم القانون» لاقرار النظام. ولا أدل من هذا بأن الشرق لم يكن المقصود بسياسة العزلة والحياد الأمريكية. وقد ظفرت اليونان ببعض المساندة الأمريكية بالرغم من اعتراض بعض الساسة الأمريكيين من أن «الحروب الصليبية التي تشهر من أجل الدفاع عن الحرية ستخرج هذه المنطقة عن حيادها»[٢٨]. وعلى هذا يمكن أن نقرر بأن مبدأ مونرو في ديسمبر ١٨٢٣م صيغ من أجل بريطانيا بصفة خاصة والقوى الأوربية الأخرى بصفة عامة ولا دخل للبلاد العربية البتة به الا فيما يخص أمر منافسة القوى الأوربية على حيازة السيادة فيها أو النفوذ. وقد عرفت أمريكا بأنها لن تدلف الى أمصار الشرق الأوسط بالقوة فسلكت طريقا آخر وهو طريق التبشير.



الهوامش

(1) Field , James A., America And The Mediterranean World 1776 1882. (Princeton, 1969) P. 113.

(2) Loc. Cit.

(3) Ibid, PP. 116 - 118.

(4) Ibid, P. 135.

(5) Ibid, P. 145.

(6) Ibid, P. 146.

(7) Ibid, P. 147.

(8) Hurewitz, J.C., The Middle East and North Africa in World Politics, A Documentary Record, 2nd ed., vol. 1, European Expansion 1535 - 1914 (Yale, 1975), Doc. No. 68 PP. 245 - 248-

(9) Ibid, P. 245.

(10) Brinton, J.Y. The American Effort in Egypt, A Chapter in Diplomatic History in the Nineteenth Century, (Alexandria, 1972) PP. 13 - 14.

(11) Marco, Eric, Yamen and Western World Since 1571, (London, 1968) P. 23.

(12) L/P&S/20/C248A, Line of conduct to be Pursued (e) by the Resident of Bassrah with Respect to American Vesselts trading in the Persian Gulf.

(13) Marco, Eric, Op. Cit., P. 25.

(14) Ibid, P. 26.

(15) Grey, J. History of Zanzibar from the Middle Ages to 1856 (London, 1962) PP. 197 - 198.

(16) Skeet, Lan, Muscat and Oman



The End of An Era (London, 1974) P. 45.

(17) Hurewitz, J.C. Op. Cit., Doc 75, PP. 255/56.

(18) Grey, J., Op. Cit., P. 122.

(19) راجع: فاروق عثمان أباظة، «التنافس البريطاني الأمريكي في جنوب البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر» بحث غير منشور مقدم الى ندوة البحر الأحمر في التاريخ، جامعة عين شمس، مارس ١٩٧٩م.

(20) Field, James, A., Op. cit., P. 257.

(21) Ibid P. 258.

(22) Hurewitz, J.C., Op. Cit., Doc. 108. PP. 337 - 339.

(23) Kelly, J.B., Britain and the Persian Gulf 1795 - 1880 (Oxford, 1968) P. 458.

(24) Field, James, A., Op. Cit., P. 260.

(25) Ibid, P. 261.

(26) Grey, J., Op. cit., P. 213.

(27) Dulles, Foster Rhea, America's Rise to World Power, 1898 - 1954, (N.Y. 1955) P.2.

(28) Ibid, PP. 3 - 7.

المملكة تعتبر نفسها سندا لكل عربي.. في خدمة كل عربي.. ويجب تحرير كل البلاد العربية من ربقة الاستعمار..

«فيصل بن عبد العزيز»





في الفترة من ١١٥٧ إلى ١٢٢٥ هـ

بقلم الأستاذ / عبد الله حمد الحقيل

لقد تناولنا في الحلقة الأولى من هذه الدراسة، والتي ظهرت في العدد السابق عرضاً موجزاً لما واجهته الدعوة السلفية من أذى وحروب وخصومات حتى حقق الله لتلك الدعوة الظهور والانتشار رغم ما واجهته من حروب.

٣ - عهد صالح بك:

عين السلطان صالح بك واليا على الشام خلفا لأحمد باشا الجزار وقد قام صالح بك بعد تعيينه بكتابة تقرير عن مهمة الحجاز وذكر فيه أنه لا غنى عن اشتراك محمد علي باشا في دفع الوهابيين(١) عن الحجاز، لأن المهمة شاقة وليست هينة بحال من الأحوال. كما أوضح في تقريره أن طاهر باشا قد وصل الى جدة مع واليها الجديد زين العابدين باشا ومعه ألف وخمسمائة جندي لتخليص المدينة من حصار ابن سعود(١٦).

وبعد أن تطورت الأحداث، أرسل صالح بك تقريرا آخر يعزز التقرير السابق ويضيف اليه ما استجد في الموضوع. فيذكر أنه بالاضافة الى وصول المدد العسكري الذي يرأسه طاهر بك، فالأمل معقود على وصول مدد آخر من **محمد علي باشا الى المدينة المنورة**(١٧).

كل هذا يدل على أن السلطان العثماني وقع في حيرة من أمره، فمرة يكلف والي بغداد. وبعد أن يحس بالتسويف الكثير والتهرب من المأمورية، يكلف والي الشام، ووالي الشام بدوره يماطل ويماطل. ويقول كما قال والي بغداد بأنه لا غنى عن اشتراك والي مصر في المهمة ويسوق الحجج ويقدم الأعذار. ويقوم السلطان العثماني بارسال أوامره مرارا وتكرارا للضغط على هؤلاء الولاة. وقد كلف بعض الشخصيات الأخرى بالمساعدة والمعاونة في تنفيذ هذه المهمة.

٤ – عهد عبد الله باشا العظم :

وخلف عبد الله باشا العظم صالح باشا في ولاية الشام. وبعد التولية أرسل عبد الله باشا عدة رسائل الى السلطان العثماني يخبره فيها بتطورات الأمور بخصوص الاستعدادات التي تجري لمهمة الحجاز، وقد أفاد بأنه أعد كل اللوازم والمهمات لتيسير سفر **والي جدة زين العابدين باشا من الشام**، ويعد العدة لكي تسافر الجردة العسكرية المرافقة له. وقد وعد بتسهيل مهمة الحرمين الشريفين، وتيسير أمورها رغم بعض الاضطرابات القائمة في بعض مناطق الشام وصعوبة التغلب عليها بسهولة(١٨).

ولا يوجد لدينا وثائق تدل على أن عبد الله باشا العظم قام بخطوة ايجابية في سبيل مهمة الحجاز، ولكنه سافر الى الحجاز فقط كأمير للحج الشامي، والوثيقة التالية بها ملخص لعدة مراسلات بعث بها الى السلطان العثماني. وقد قام الكتاب بتلخيصها لعرضها، وتتضمن قيام عبد الله باشا على رأس الحجاج وبرفقته **والي جدة المعين زين العابدين باشا**، ولا تتضمن أي اشارة الى مواجهة عسكرية مع **ابن سعود**(١٩).

لم تتخذ التدابير اللازمة لمواجهة ابن سعود من قبل الدولة العثمانية، ولا أقدمت على خطوة عملية في هذا الصدد. وكل ما جرى من قبل والي بغداد



أو والي الشام كان بمثابة وعود براقة وامال وأحلام، لم يتحقق منها شيء ولا هي قابلة للتحقيق نظرا لثقل المسئولية وضخامة التبعات وتسويف كل منهما.

وقد اجتمع **مجلس الشورى العثماني في منزل شيخ الاسلام**. وجرى بحث الموضوع برمته من كل جوانبه. وقد تجاذب المجتمعون الحديث والنقاش وأدلى كل برأيه في هذا الصدد.

وكان النقاش حرا لم يتقيد بقيود. وقد تضاربت الأقوال والآراء وبرزت بعض الصعوبات نظرا لتعدد الآراء والحجج. وقد رجحت بعض الأقاويل الى حد ما، وتركت بعض المواضيع لكي يقررها السلطان بنفسه – ويتبين مما دار في جلسة المجلس أن الدولة العثمانية قد أصابها الارتباك والحيرة من جراء ما جرى في الحجاز، فهي لا تعرف لنفسها مخرجا من الأزمة. خاصة وان من كلفوا باجراء المهمة تنصلوا منها ووضعوا العراقيل والصعوبات في سبيل تنفيذها. دار النقاش حول تعيين قائد لجيش يخرج من الشام الى الحجاز، لاسترجاع الحرمين الشريفين من أيدي السعوديين ويرابط هناك ويكون في وضع يؤمن الصلح بينهم وبين أمير مكة الشريف غالب، مع عمل التدابير اللازمة للتوجه الى الدرعية.

غير أن المجلس تبين استحالة التوجه الى الدرعية، وان هذا من واجبات والي بغداد. وقد قرر المجلس تكليف والي بغداد بهذا العمل، في نفس الوقت الذي يتحرك فيه جيش آخر من الشام الى الحرمين الشريفين. وجرت مناقشات طويلة حول اختيار قائد لهذا الجيش الذي يتحرك من الشام. وهل يلزم أن يكون والي الشام بنفسه أم رجل عسكري آخر. وما مقدار التداخل في الاختصاصات بين مهام الرجلين؟(٢٠).

وقام **عبد الله باشا العظم** من جانبه بتقديم مقترحاته للسلطان العثماني لاستعادة الحرمين الشريفين للدولة العثمانية وعقد الصلح بين الشريف والسعوديين وتتضمن:

١ – تكليف وزير من أصحاب الثروة والجاه لايالة حلب.



٢ – تنصيب محافظ المدينة.
٣ – تكوين فرقة من ألف جندي من الخيالة والمشاة، وألف جندي آخر بقيادة ابن أحد الباشوات، ويتم تجهيز ذلك من الشام.

٤ – مرافقة والي مصر للمحمل واحضار الذخيرة من عنده.
٥ – العمل على اتمام الصلح بين الشريف غالب وابن سعود.
٦ – تسهيل تدارك الجمال باعفاء قرى الشام من التكاليف(٢١).

٥ – عهد يوسف كنج باشا :

وخلف يوسف كنج باشا سلفه عبد الله باشا في حكم الشام. وقد قام يوسف باشا بعد توليه بارسال تحريرات من قبله الى السلطان العثماني يخبره برأيه في مسألة الحجاز وبما تم من انجازات في سبيل هذه المهمة، والعقبات التي تقصر دونها بعض الاستعدادات.

كما وصلت الى السلطان تحريرات أخرى من والي بغداد علي باشا وقد أحال السلطان هذه التحريرات كلها الى مجلس الشورى لتدارس الموقف والادلاء بالرأي في هذا الخصوص. اجتمع مجلس المشورة في منزل شيخ الاسلام، وقرئت على الحاضرين تقريرات والي الشام ووالي العراق حول تطورات الوضع في الحجاز، والعقبات التي تواجه الحصول على بعض اللوازم والضروريات لمواجهة ابن سعود.

وقد ورد في تحريرات والي الشام أنه مستقل بالقيادة العامة للحجاز ولديه عساكر وذخائر كثيرة، وأنه بحاجة الى الجمال لتحميل الذخيرة. ويود أن ترسل اليه مصر الذخائر أيضا كما أنه يحتاج الى ١٨ ألف كيس من النقود. وذكر **يوسف باشا أن محمد علي باشا تعهد بامداده بالذخائر والعساكر، ولكنه انشغل بطرد الانجليز.** أما والي بغداد فلم يقدم على أي عمل كما ورد في تقريراته(٢٢).

أخذ يوسف باشا الوالي الجديد يراوغ كأسلافه ولاة الشام. فتذرع في سنة ١٢٢٢هـ بمتطلبات حرب الدرعية من المهمات والذخائر لكي يطلب من

السلطان العثماني ضم طرابلس واللاذقية وغزة ويافا وعجلون اليه، أو أن تمده الدولة العثمانية بالمال والمهمات ويؤكد أنه رغم التجهيزات والمصروفات والمهمات التي حشدها. فانها لا تكفي بل انه مازال في حاجة الى المدد(٢٣).

وبعد أن دخل آل سعود الحرمين الشريفين أرسل والي الشام يوسف باشا تقريرا الى السلطان سنة ١٢٢٣هـ مؤداه أنه اتفق مع والي مصر علي باشا (محمد علي باشا) ووالي بغداد سليمان باشا ثم انه يطلب من الدولة العلية تأمين المهمات المطلوبة له للتحرك، بعد أن وافق والي مصر ووالي بغداد على التحرك في نفس الوقت. ويستعجل والي الشام تنفيذ طلباته حتى يمكنه التحرك قبل حلول موسم الحج(٢٤).

وعاد والي الشام يطالب ببعض مناطق الشام لتسهيل مهمته، فطالب بغزة ويافا، لكي يتمكن من نقل الذخيرة والسلاح الى الحجاز، وينبه الى أن مسألة النقل تستلزم وقتا طويلا، نظرا لطول المسافة وصعوبة اجتياز الصحراء(٢٥).

وفي الوقت الذي بدأت فيه الدولة العثمانية تعد العدة لمحاربة ابن سعود، نقض الروس عهدهم مع الدولة وقاموا بمهاجمة بعض المناطق التابعة لها.

وقد قام والي الشام – تنفيذا لأوامر الدولة العثمانية بمواجهة السعوديين – بالاتصال بوالي جدة الشريف غالب ووالي مصر محمد علي باشا الذي وعد باكمال استعداداته خلال ثمانية أشهر.

وقد طلب **يوسف باشا** من الدولة العثمانية أن تبادر بمراسلة الشريف لضرورة الموافقة على دخول عسكر الشام الى الحجاز قبل التحرك(٢٦).

ووردت رسائل وتقارير من والي الشام يوسف باشا عن الحالة في الحجاز وعن ابن سعود، وقد قام الصدر الأعظم بتقديم خلاصة هذه المراسلات الى السلطان العثماني. وهي تتضمن انتشار وباء الطاعون في الجزيرة العربية. كما تتضمن تعيين الصدر الأعظم السابق يوسف ضياء باشا سردارا على الحجاز (٢٧).

توالت التقارير من **يوسف كنج باشا** عن الحالة في نجد وعن العربان الذين هاجمهم والي بغداد، فلجأوا الى الشام وتعقبهم والي الشام، فارتدوا الى بغداد مرة أخرى. ويقترح يوسف باشا في نهاية تقرير له أن تتحرك العساكر الى الدرعية من ثلاث جهات(٢٨).

وأرسل والي الشام عدة رسائل الى السردار الأكرم يعلن حاجته الى الذخيرة لمهمة الحرمين وينبىء عن استعداد والي مصر وترحيبه بارسال الذخيرة. ويطلب التأكد من تنفيذ والي مصر لتعهده، والكتابة اليه(٢٩).

وبدأت مراوغة والي الشام يوسف كنج تتضح شيئا فشيئا، فهو يراوغ بعد أن تعهد له محمد علي بامداده بالذخيرة، ويطلب من الدولة العلية ايضاحات عن نقل الذخائر لجيشه وعن رضى الشريف غالب عن نزول عساكر محمد علي في الحجاز(٣٠).

وصول السعوديين الى الشام :

لا شك أن الدعوة السلفية قامت لتنتشر في الآفاق ولم تقم لكي تقبع في نجد أو في الجزيرة العربية فقط. فهي دعوة اصلاحية لتصحيح الأفكار والمعتقدات التي بعدت عن مسار الاسلام الصحيح، بسبب تفشي الفوضى والخزعبلات والاعتقادات الباطلة التي لا تتفق وروح الاسلام.

كان الهدف اذا نشر الدعوة داخل الجزيرة العربية وخارج نطاقها في البلاد المجاورة أولا...

كانت الشام كما كانت العراق من قبل مستهدفة، لنشر الدعوة السلفية في أرجائها وقد اتبع **الامام سعود بن عبد العزيز في البداية طريق السلم**، فدعا والي الشام كما دعا والي بغداد من قبل الى اتباع الدين الاسلامي الصحيح والسير على هداه. ولما لم يعر والي الشام هذه الدعوة أذنا صاغية، وبدأ يستعد لمواجهة السعوديين في الحجاز لمحاولة ربطهم الى التبعية العثمانية، كان على الامام سعود أن يتوجه لنقل المعركة الى أرض الشام قبل أن يداهمه والي الشام في الحجاز.



وتفيض الوثائق في ذكر الارتباك الذي اعترى والي الشام يوسف كنج باشا بعد أن علم بتحرك السعوديين نحو بلاده من الشيخ صقر وقام بتقوية القلاع والاستعداد للمواجهة المرتقبة، وفي ذهنه هزيمة والي بغداد وقواته أمام السعوديين في كربلاء والنجف(٣١).

وأرسل يوسف كنج رسالة أخرى الى السلطان يخبره فيها بأن والي بغداد نصحه بأن يؤخر القوافل حتى لا تتعرض للأخطار لأن ابن سعود قد تحرك قاصدا الشام.

كما اطلع السلطان على كافة استعداد **قادة اللاذقية وطرابلس وحماه وحمص والقدس لأي مفاجأة** وارساله الجواسيس الى كل الأنحاء والي المضايق والمعابر لمراقبة الوضع في تلك المناطق عن كثب منعا للعواقب التي تحدث من جراء المفاجأة والمباغتة(٣٢).

ثم كان لقاء الجيش جيش الشام وجيش ابن سعود عند مزيريب، وحدثت بينهما معركة حامية سقط فيها قتلى كثيرون من الطرفين. **وانضم الى السعوديين كثير من عربان الشام أثناء اجتيازهم صحراء الشام.** وقد رجع ابن سعود من هذه المعركة بعد أن أبلى فيها بلاء حسنا وحقق بعضا من أهدافه، وهو نشر الدعوة السلفية في المناطق المجاورة(٣٣).

وبعد أن دخل **الامام سعود بن عبد العزيز الشام** ووصل في أراضيها حتى شمال مزيريب، وأصبح له أتباع كثيرون في هذه المناطق، قام سليمان باشا والي صيدا بتأمين الذخيرة وكذلك الحنطة والشعير والذرة من عكا وصيدا ويافا وأرسلها الى استانبول. كما تسلم الأموال المقتضبة الأداء من صيدا عن سنة ١٢١٩ – ١٢٢٤هـ، ونبه الى صعوبة الحصول على الذخيرة من غزة والرملة، نظرا لظروف هجرة معظم السكان وقلة الأمطار التي أدت الى النقص في المحاصيل. ثم يتعهد بأن يقف في مواجهة الامام سعود بن عبد العزيز اذا ما عاد الى الشام مرة أخرى(٣٤).

ولما يئس السلطان من كثرة مراوغة يوسف كنج عزله من منصبه، وعين مكانه سليمان باشا والي صيدا، كما كلفه بسردارية الحجاز.

كان موقف سليمان باشا كموقف أسلافه تماما، وعد بتنفيذ المهمة ثم أخلف الوعد، وأخذ يراوغ حتى يئس السلطان من كثرة مراوغته ودهائه، وقرر في النهاية أن يضغط على محمد علي باشا، لكي ينفذ المهمة الشاقة التي تخلى عنها ولاة الشام، كما تخلى عنها ولاة بغداد من قبل. والهدف هو هو محاولة تحطيم الدعوة السلفية ولكنها بقيت مشرقة مضيئة يبهر سناها كل الحاقدين وأعداء الاسلام وستظل شريعة الله نورا وهاجا تضيء المسالك والدروب لجميع المؤمنين.



الهوامش

(*) الوهابيون اصطلاح أطلقه خصوم الدعوة السلفية ممن لا يعرفون حقيقة الدعوة وأهدافها النبيلة ومقاصدها السامية.

(١٦) انظر الوثيقة رقم ٢ /٢م /٦ من مقتنيات الدارة.
(١٧) انظر الوثيقة رقم ٤ /١ /١٤٩ من مقتنيات الدارة.
(١٨) انظر الوثيقة رقم ١ /٢ /٤٢ من مقتنيات الدارة.
(١٩) انظر الوثيقة رقم ١ /٢ /٤٣ من مقتنيات الدارة.
(٢٠) انظر الوثيقة رقم ١ /٢ /٥٧ من مقتنيات الدارة.
(٢١) انظر الوثيقة رقم ١ /٢ /٥٨ من مقتنيات الدارة.
(٢٢) انظر الوثيقة رقم ١ /٢ /٦٢ من مقتنيات الدارة.
(٢٣) انظر الوثيقة رقم ٤ /١ /٨٦ من مقتنيات الدارة.
(٢٤) انظر الوثيقة رقم ٤ /١ /٩٣ من مقتنيات الدارة.
(٢٥) انظر الوثيقة رقم ٤ /١ /١١٦ من مقتنيات الدارة.
(٢٦) انظر الوثيقة رقم ٤ /١ /٢٥ من مقتنيات الدارة.
(٢٧) انظر الوثيقة رقم ١ /٢ /١٧٠ من مقتنيات الدارة.
(٢٨) انظر الوثيقة رقم ٤ /١ /١٠ من مقتنيات الدارة.
(٢٩) انظر الوثيقة رقم ٤ /١ /١٧ من مقتنيات الدارة.
(٣٠) انظر الوثيقة رقم ٤ /١ /٢٧ من مقتنيات الدارة.
(٣١) انظر الوثيقة رقم ٤ /١ /١ من مقتنيات الدارة.
(٣٢) انظر الوثيقة رقم ٤ /١ /٢٩ من مقتنيات الدارة.
(٣٣) انظر الوثيقة رقم ٤ /١ /٣١ من مقتنيات الدارة.
(٣٤) انظر الوثيقة رقم ٤ /٦ /١٠ من مقتنيات الدارة.



الغزل... في شعر

د. عبده عبد العزيز قلقيلة

لم يكن ابن المقرب مؤهلا للاكثار من الغزل أو للاجادة فيه بحكم ظروفه الخاصة به؛ فهو لم يبلغ مبلغ الرجال حتى سجن وصودرت أمواله، ولما وهب حريته باطلاق سراحه وجد نفسه مشغولا باسترداد ثرواته، وقد استنفد ذلك جهده طول حياته، واضطره الاخفاق في تحقيقه الى كسب قوته عن طريق رحلاته المتعددة الى بغداد وبعض مدن العراق الأخرى حيث الخليفة العباسي وولاته، كما لم يكن مؤهلا للاكثار من الغزل أو للاجادة فيه لعكوفه على قضايا مجتمعه وقومه ودولته، وهي قضايا شائكة ومتشابكة فلّتْ قوته وأوهنت صحته وجعلت منه إنسانا مكتئبا لا يعرف المرح إلا قليلا، ولقد كان صادقا وهو يخبر عن نفسه متحسرا على حاله بقوله:

لم تبق مني من مساورة الأذى   والضيم غير حشاشة وذمـــاء

وطبيعي ألا تسعفه تلك الحشاشة، وهذه البقية القليلة من روحه وحيويته بالضرب في فيافي الحب، وألا تمكنه من أدواته، خصوصا بعد أن أعلاها بتوظيفها في تحقيق مجده ومجد وطنه، وقد بالغ في ذلك بأن جعله وكده ومحور حياته، يقول في مطلع القصيدة ١١ ص ٧٤:

بيني فما أنت من جدي ولا لعبي ⠀⠀⠀ ما لي بشيء سوى العلياء من أرب

ويقول في مطلع القصيدة ٤٨ ص ٣١٦ :

إليكن عني فانصرفن على مهل ⠀⠀⠀ فلست بمرتاح لهجر ولا وصل
وماذاك عن بغض لكن ولا قلى ⠀⠀⠀ ولكن قلبي عن هواكن في شغل

ويقول بعد بيت المطلع من القصيدة رقم ٦٧ ص ٤٤٨ :

ظننت نحولي واصفراري من الهوى ⠀⠀⠀ وذلك مما يقتضيه التوهم
لعمرك ما بي من هوى غير أنني ⠀⠀⠀ بغر المعالي يا ابنة القوم مغرم
وقد عرضت من دون ذاك فأحرضت
أمور لها يستهلك اللحم والدم(١)

وقد بهتت هذه الأمور على قلب ابن المقرب بعد أن استهلكت لحمه ودمه، وأدت الى نحوله واصفراره، فجعلته غير متفتح للحياة وغير مبتهج بها، وفي أحيان كثيرة غير راغب فيها، لكن رفضه للحياة أو زهده فيها لا يعني خروجه منها ومادام أنه على قيدها فليلونها باللون الذي يعجبه ويوائم طبعه، ولم يعجبه ويوائم طبعه إلا اللون الحماسي، وهو مزيج من العزم الماضي والجد الصارم، هاهوذا يقول لصاحبيْه اللذين نصحاه بالترويح عن نفسه:

خليليَّ من عمرو بن غنم بن تغلب ⠀⠀⠀ ذراني فاني بالعلا جد هائم
وما السمر عندي غير خطية القنا ⠀⠀⠀ وما بالبيضِ عندي غير بيض اللهازم
ولا تذكرا الصهباء مالم تكن دماً ⠀⠀⠀ ولا مُسمِعاً مالم يكن صوت صارم
فاني أحب الشرب في ظل قسطل ⠀⠀⠀ مجالسهم فيه ظهور الصلادم(٢)

★ ★ ★

لكن ابن المقرب بعد ذلك كله، وبرغم ذلك كله شاعر، والشاعر رقيق المشاعر يحب أكثر مما يكره، ويأتلق أكثر مما ينغلق، ويعيش الحياة كلها

بلا سدود ولا قيود على قلبه ووجدانه، ثم هو قد تمرس بآثار الشعراء السابقين، وكثرتهم الكاثرة قد تدلهت فتغزلت، أو تغزلت بدون تدله، ومن تحقيقه لذاته أن يكون مثلهم، وأن يمضي معهم في موكب الغزل بلونيه: الصادق والكاذب، ومن هنا وجدنا له غزلا في عدد من قصائد ديوانه، جاء مطالع لها ولم يستقل بها إلا في قصيدة واحدة، لعل أبياتها الثلاثة عشر كانت - كأخواتها - مقدمة لقصيدة مدح ثم انفصلت عنها لأسباب نجهلها، يقوي هذا الفهم بل يؤكده أن هذه القصيدة رقم ١٨ ص ١٢٩ مصدرة في الديوان بقول جامعه «وقال أيضا رحمه الله تعالى» علما بأنها مصدرة في النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة بلدية الاسكندرية تحت رقم (ن ٢٠٢٨ - ج) بقول جامعها: «وقال أيضا يمدحه وأجاد». وليس في القصيدة أحد يمدحه الشاعر. كانت هذه الأبيات مقدمة غزلية لقصيدة مدح إذاً، ولو وصلنا شعر ابن المقرب كاملاً لأمكن جمع شملهما.

* * *

وبتتبع القصائد التي بدأها بالغزل نجده يسلك فيه الطرق الآتية:

١ - لوم العاذل والاجتهاد في تحويله من عاذل الى مساعد، ثم الانتقال الى ذكر محاسن المحبوب واظهار الافتتان به.

نجد ذلك في القصيدة رقم ٢ ص ١٩ ، وعدد أبيات الغزل فيها ١٩ بيتا
وفي القصيدة رقم ١٤ ص ١٠٠ ، وعدد أبيات الغزل فيها ١٣ بيتا
وفي القصيدة رقم ٤٤ ص ٢٨٣ ، وعدد أبيات الغزل فيها ٧ أبيات

ونكتفي في التمثيل لهذا الضرب من الغزل بأبيات منه جاءت في مقدمة القصيدة رقم ٢ وقد استحضر فيها بل عارض بها قصيدة المتنبي التي مطلعها:

عذل العواذل حول قلب التائه   وهوى الأحبة منه في سودائه(٣)

والتي منها :



لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه

قال ابن المقرب :

عذل المشوق يهيج في برحائه ويثير نار الوجـــد في حوبائه
فاترك ملامته ودعـه وشأنـه في نوحـه وحنينـه وبكائـه
وإن استطعت على الصبابة والأسى
فأعنـــه تحظ بوده وإخـــائـــه
يا عاذل المشتاق مهلاً واتئد في لومه فهــو العليم بدائـــه
ومتى ترد يوما ملامة عاشـــق
فاجعل فؤادك تحت ظل حشائه
فان استقر فلم أخاك وان نبا فكن النديم الفرد من ندمائه
نفسي الفداء لمن غدا رقي له رقا ولم أسمح به لسوائـه
يا عاذلي لا عشت إلا أخرساً أعمى أصم ترى بقلب تائه
أربيت في لومي وزدت ولن ترى
قلبي مطيعك في اتراك هـــوائه
أو أن ترى ما بين سلمى والحمى
بحراً يعـــوم الطير في أرجـــائه

والبيت الأخير منظور فيه الى قوله تعالى ردا على دعاء موسى له بقوله: «**رب أرني أنظر اليك، قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني**».

★ ★ ★

٢ – وصف شوقه الى محبوبه وديار محبوبه، وسؤال الغادين والرائحين عن أحوالهما، ثم وصف جمال المحبوب وإجراء حوار معه.

نجد ذلك في القصيدة رقم ٤ ص ٢٦ وعدد أبيات الغزل فيها ١٦ بيتا.
وفي القصيدة رقم ١٧ ص ١٢٠ ، وعدد أبيات الغزل فيها ١٦ بيتا.

ومن هذه القصيدة رقم ١٧ هذه الأبيات :

أرتها المآقي ما تكن الجوانح فبح؛ فالمعنى بالصبابة بائح
فكم تستر الشوق الذي خامر الحشا
ودمع المآقي للمحبين فاضح
وقائلة شبه الملام وراعها بياض مشيب جللته المسائح
أبعد اشتعال الرأس شيبا تعرض
لوصل الحسان البيض أم أنت مازح
فقلت: أليس الصبح أحسن منظراً
وأبهى من الظلماء والليل جانح
فمالت لهزل القول ثم تضاحكت
وقالت: لهذا فلتنحك النوائح
إذا كان شيب الرأس مما يزينه
فياحسن ثغر سودته القوادح(٤)

٣ – صدود الحبيب تيها بجماله وإدلالاً بشبابه، وغلبا مايكون ذلك مع محب أشيب فقير، حضوره أقل من غيابه.

وفي المقابل نجد المحب جافيا قاسيا يقابل الصدود بالصدود، وهو يسلك هذا المسلك الخشن إما تكبراً، وإما استقباء لماء وجهه.

نجد هذا المعنى في القصيدة رقم ١٢ ص ٨٤ وأبيات الغزل فيها ١٣ بيتا.
وفي القصيدة رقم ٨٨ ص ٥٨٦ وأبيات الغزل فيها ثمانية أبيات.
وفي كل من القصيدتين غزل بامرأتين، فقد تغزل في القصيدة الأولى بزينب قال:

صدت، فجذت، حبل وصلك زينب
تيها وأعجبها الشباب المعجب
لا تعجبن يا قلب من هجرانها فوصالها لو دام منه أعجب
أغرى المليحة بالصدود ثلاثة نأي وإقلال ورأس أشيب

فاضرب عن استعتابها صفحا فما
ذو الشيب والافلاس ممن يعتب
واستبق ماء الوجه فيه وكن به
حجياً ولا تقل القلوب تقـــلب

ثم انتقل الى من تغزل فيها بقوله:

وكـريمة الطـرفين ذروة وائـل آباؤها وجدودها إذ تنسب
شاطرتها شرخ الشباب وماؤه يجري وجـذوة ناره تتلـهب

وتغزل في القصيدة الثانية بنعم قال:

ألا رحلت نعم وأقفر نعمان فبح باسمها إن عزَّ صبر وسلوان

كما تغزل بمن صدته وتاهت عليه قال:

ومبدية تيها عليَّ وقد رأت، بياضا برأسي قد بدا منه ريعان(٥)
فقلت لها: لا يا ابنة القوم إنني
أعز إذا ذلت كهول وشـــيبان

٤ – ذكر بين الحبيب ووصف الأحاسيس التي تنجم عنه مع الاشادة بجمال المحبوب جملة وتفصيلا.

نجد ذلك في القصيدة رقم ١٨ ص ١٢٩، وهي القصيدة التي ذهبنا إلى أنها كانت مقدمة لقصيدة مدح، لكن المدح انفصل عنها ولم يصلنا.

ونجده في القصيدة رقم ٩٢ ص ٦١٨ وعدد أبيات، الغزل فيها ١٣ بيتا كسابقتها، وهذه أبيات، من القصيدة الأولى قال:

غداً نغتدي للبين أو نتروح وعند النوى يبدو الغرام المبرح

غداً تقفر الأطلال ممن نوده ويمسي غراب البين فيها ويصبح
خليليّ هبّا من كرى النوم وانظرا
مخائل هذا البرق من حيث يلمح
لقد كنت مما كاد أن يستفزني
أبوح بسري في الهوى وأصرح
ذكرت، به ثغر الحبيب وحسنه إذا ما تجلى ضاحكا وهو يمرح
ويا حبذا ذاك الحبيب الذي غدا
يلوح عليه الزعفران المذرح(٦)

٥ - غزل صادق أو أقرب الى أن يكون صادقا لما يترقرق فيه من عاطفة جياشة، ولما يمتاز به من عزوبة وسيولة، وأخيراً لما يشتمل عليه من وقائع محددة الزمان والمكان.

وابن المقرب هنا يكشف عن مطلوبه من حبيبه في مقدمة القصيدة رقم ٢٣ ص ١٦٠ وعدد أبيات، الغزل فيها ١٦ بيتا، وعن تحقق هذا المطلوب في مقدمة القصيدة رقم ٨٧ ص ٥٨٠، وعدد أبيات، الغزل فيها ٢٢ بيتا والمقدمتان تشتركان في أن كل واحدة منهما تصلح أن تكون قصيدة غزل قائمة بنفسها.

ونكتفي في التمثيل لهذا النوع من الغزل بأبيات، من مقدمة القصيدة الثانية قال:

من ذا أفتاك بسفك دمي يا غـرة حي بني جشـم
فتعـالي غير مدافعـة نقصص رؤيك عـلى حـكم
أبنظـرة عيـن عن خطـأ عرضـت بالعمـد يُراق دمي
إن كان جنى طرفي فلقـد يكفيه مقـالك: لا تنـم
فذرى الواشين فقد نطقـوا زوراً وهـم شر الأمم
يا طيب الوصل ودار الحي بحيث الأبطـح ذو الحرم
والدهـر بعينيـه سـدر عن شمل الحي الملتئـم
وأزور الـحِبَّ علانيـةً ويـزور جنـابي عن أمم
وأعـلله ويعـللني من ذي أشر عذب شبم (٧)

والمال يمد رواق السـتـر على المثرين من التهم
فتـرى الرقبـاء طلائعنـا وشهـود العفـة والكـرم

★ ★ ★

٦ - الوقوف بالأطلال، ووصف مشاعر الشاعر عندها، وذكر ما كان بينه وبين صاحبتها فيها من نجوى.

نجد ذلك في القصيدة رقم ٤٧ ص ٣٠٥، وعدد أبيات الغزل فيها ١٧ بيتا
وفي القصيدة رقم ٩٠ ص ٦٠١، وعدد أبيات الغزل فيها ١١ بيتا.
وهذه أبيات من القصيدة الأولى وهي تذكرنا بمعلقة زهير بن أبي سلمى:

أمن دمنة بين اللوى فالدكادك
شغفت بتذراف الدموع السوافك
ونُؤدي كجذم الحوض غيَّر رسمه
وجيف الحصا بالموجفات الحواشـك
كأن فؤادك ناطه ذو سخيمة قليل التحني في صدور النيازك
غداة تداعي الحي بالبين بعد ما جلا الصبح أعجاز النجوم الدوالك
وفي الجيرة الغادين لا عن ملالة ظباء على تلك الهجان البوائك
خماص الحشاحم الشفاه كأنما يلثن مروط العصب فوق العواتك
ويبسمن عن نَوْر الأقاحيِّ لم يزل يُغذَّى بدرات الذهاب الركائك
وفيهن من ذهل بن شيبان غادة يُطَيِّبُ رياها عبير المداوك
كأن على فيها سلافة قرقف وقد غورت أم النجوم الشوابك
أقول لها سرًّا وقد غاب كاشح رقيب مقال العاشق المتهالك
لك الخير ما هذا الجفاء وهذه دياري وأهلي زلفة من ديارك
أترضين قتلي لا بسلة صارم من البيض إلا سلة من لحاظك
فوالله ما أدري أإعراض بغضةٍ
لنا أو دلال فافصحي عن مقالك(٨)

٧ - غزل في طيف الحبيب الذي تراءى له وهو يعبر الفرات، مضطربا وجلا، فسرَّى عنه وسره، ولما انكشفت غمته زايله، فمضى في أثره يودعه ولم

يطمئن حتى أبلغه مامنه، وعند قفوله راجعا تبن له أن الذي كان فيه ماهو إلا حلم من أحلام اليقظة قال:

سما لك من أم العبيد خيال ودون لقاها أجرع وسيال
سما ومطايانا كأن اقتحامها غوارب أمواج الفرات، فيال
فأهدى سرورا عازبا كان قد مضى
وأنسته أيام مررن طوال
وعاد فلم يلبث فواقا كأنما عليه بتعجيل الرجوع كفال
فشايعتُه أقضى الذمام لأنني لذاك أب في الحالتين وخال
الى أن بلغنا الجسر والترعة التي
بأكنافها الحيُّ الكرام حِلال
وحانت لعيني يقظة بان عندها
بأن الذي قد كنت فيه محال
فواهاً لهـا تهويمة بعثتْ جوىً
حُرمت له اللذات، وهي حلال (٩)

مخايل الصدق واضحة في هذا الغزل، ونرجح لهذا أن أم العبيد هي زوجه التي كناها ولم يصرح باسمها؛ صونا لها، تذكرها وهو يعبر الفرات، في ظروف صعبة، والانسان يذكر أهله أكثر ما يذكرهم في الظروف الصعبة. ثم هو يأسى على اللذات، الحلال التي حرمها منها.

٨ - غزل في صورة شوق أثاره في الشاعر صوت، الحمام غناءً في القصيدة رقم ٢٣ ص ٢١٤، والغزل فيها أحد عشر بيتا، ونوحاً في القصيدة رقم ٨٢ ص ٥٦٢ والغزل فيها خمسة عشر بيتا قال:

رويدا بعض نوحك يا حمام أجدَّك لا تنيم ولا تنام
أكل الدهر تذكاراً ونوحا أما فنى اشتياقك والغرام
هتفتَ فهجت لي شوقا فقل لي
حمام أنت ويحك أم حِمام
ورفقا إن جارك من غرام ومن قلق ليؤلمه الكلام
أتذكر هالكاً من عهد نوح مضى والدهر حينئذ غلام

وأنسى خلتي والعهد مني قريب لم يمر عليه عام
شُفيتَ ولا شقيت بفقد إلف
فنعم العهد عهدك والذمام
ولكني أراك ضنين عين وعيني ماؤها أبدا سجام

وينقل شوقه به بين كثير من الأماكن في البحرين فيدعو لها ولساكنيها قال :

رعى الله الثليم وساكنيه وأجراعاً تكنفها الثلام
وجاد من الجديد الى المصلى الى الحصنين وكاف ركام
فمسرح لذتي ومراح لهوى هنالكم وجيرتي الكرام
وملعب كل غانية كعاب مخدمة يزين بها الخدام
يراها القابس العجلان لمحاً فيبقى لا وراء ولا أمام
وترسل من لواحظها سهاما فتمضي حيث لا تمضي السهام(١٠)

★ ★ ★

ويختتم مقدمته الغزلية بتحسره المبالغ فيه على زمنه الذي تفلت من بين يديه قال :

مضى ذاك الزمان فليت أنّي صدى من قبل ممضاه وهام

★ ★ ★

٩ – وصفه للخمر، وصولا بها الى ذكر محاسن المرأة في القصيدة ٨٤ ص ٥٧١ ، وعدد الأبيات، تسعة أبيات، ومطلعها :

قم فاسقنيها قبل صوت الحمام كرمية تجمع شمل الكرام
صهباء مما عتقت بابل مزاجها الأرْيُ وماء الغمام

★ ★ ★

١٠ – الجهر بالحب، والتهتك فيه، مع شرب الخمر ووصفها، ساقيتها أو ساقيها دون مبالاة باللحاة، ومع تذكره لأيام لهوه ولياليه متحسرا عليها ومتمنيا عودتها، جاء ذلك في مقدمة القصيدة رقم ٩٦ ص ٦٤٩، ومن عجب أنها في مدح النقيب تاج الدين إسماعيل وهو علوي من رجال الدين المرموقين، ولا يليق به أن يكون هذا مدخل مدحه قال:

تخفي الصبابة والألحاظ تبديها ... وتظهر الزهد بين الناس تمويها
وتستر الحبَّ كيما لا يقال: صبا ... شيخا فتعلنه الأنفاس تنويها
يا عاشقا تلفتْ في العشق مهجته ... كتمانك الحب في الأحشاء يؤذيها
واضرب عن التيه صفحا والغ صحبته ... ما أحمق العاشق المستصحب التيها
من كف خرعبة خُوٍّ مراشفها ... بيض سوالفها سود مآقيها
أو فاتر الطرف معسول الرضاب له ... دل ينبه وسنى الباه تنبيها
فان لحوك فقل كل له شجن ... ووجهة هو عم قصد موليها
ولا تلفت الى قول يزيد ضنى ... لا تحرق النار إلا رجل واطيها
ليس الخلي بباك للشجى أسىً ... ولا يحس الحميا غير حاسيها
يا منزل الحي بالجرعات، لا برحت ... تهمي بك المزن نهلا عزاليها
كم لي بمغناك من يوم نعمت به ... وليلة تعدل الدنيا وما فيها
واهاً لها من ليال لو تعود كما ... كانت وأي ليال عاد ماضيها(١٢)

★ ★ ★

أما بعد: فلم تكن الطرق السابقة هي كل ما سلكه ابن المقرب في غزله، وإن كانت أرحبها وأخصبها، وقد رأينا كيف استحال الغزل عنده الى وصف الخمر ومجالسها وطلبها والحث على شربها، ولعل ذلك مما أقدره على الجهر بحبه، أو على تذكر هذا الحب، بعد أن خرج على طوره، إما بشيخوخته، وإما بانشغاله بما كان من مقارعة الخطوب له.

★ ★ ★

● الهوامش ●

(١) الخَرِض [بخاء مفتوحة وراء مكسورة] هو الشخص الذي أذابه العشق أو الحزن.

(٢) خطية القنا: الرماح تتخذ من شجر بالخط، بيض اللهازم: القاطع من الأسنة. يريد أنه لا يشغل نفسه بالسمر والبيض من النساء بل يعني بالحرب وأدواتها. القسطل: الغبار، ويرمز الشاعر به الى الحرب لأنها تثيره. الصلادم: الشديد الحافر وهو القوي من الخيل.

(٣) ديوان المتنبي بشرح العكبري جـ١ ص١ الطبعة الثانية – القاهرة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

(٤) المسائح: جمع المسيحة وهي الذؤابة، يريد أن شيبة خالطة سواد. القوادح: تقول: قدح السوس في الأسنان قدحا وهو تآكل يقطع فيها.

(٥) ريعان الشييء: أوله وشدته.

(٦) ذرَّح الشييء في الريح كزاه، وذرَّح الزعفران وغيره في الماء تذريحاً جعل فيه منه شيئاً يسيرا.

(٧) السدر: تحير البصر من شدة الحر.

نم ذو أشر: في أسنانه تحزيز يكون خلقه ومستملحا، وفم شبم: بارد الريق.

(٨) • الدكادك: الأرض الغليظة.

• النؤى: الحفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل. الجذم: الأصل. وجيف الحصا: اضطرابه من مرور الريح. الوجفات، الحواشك: الرياح المختلفة أو الشديدة.

• ناطه: علقه. السخيمة: الضغينة والحقد. التحني: التعطف. النيازك: الرماح القصار.

• دلك النجم: غرب، أو قارب المغيب.

• ناقة هجان: بيضاء، وناقة بائكة: سمينة فتية حسنة.

• خماص الحشا: دقاق الخصور. حم الشفاه سودها. لاث المرط: لفه حول وسطه، والمرط: كساء من صوف يؤتزر به، عَنَكَ الرمل: تَعَقَّد وارتفع فلم يكن فيه طريق، يُشبِّه ما لففن عليه مروطهن في تلففه وتثنيه برمل عانك.

• الدرة: المرة من الدرر، والذهبة: المطرة الضعيفة، أما الركائك: فهو المطر القليل أو ما فوق الضعيف.

• المداوك: حجر يسحق عليه الطيب.

• السلافة: ما سال من العنب قبل أن يعصر. القرقف: الخمر. ويعني بقوله: «وقد غُورت، أم النجوم الشوابك» أي شربت الخمر بحبابها المتشابك، شبه حبابها بالنجوم المتشابكة في السماء. زلفى من ديارك: قريبة منها.

(٩) القصيدة رقم ٦٥ ص ٤٣٤.

• الجرعاء: الرملة الطيبة المنبت. سيال: جمع سيالة وهي نبات، له شوك أبيض طويل، أو الطوال من السمر.

- الفيال : لعبة للصبيان يخبئون الشيء في التراب ثم يقسمونه ويقولون : في أيها هو؟ يريد أنهم وقت اقتحامهم هذه المخاطر كانوا في خطر وفي يد القدر.

- الفواق : ما بين الحلبتين، أو ما بين فتح يد الحالب وقبضها على الضرع.

(١٠)

- وكف المطر : انهل وانصب. ركام : بعضه فوق بعض.
- الكعاب : التي كعب ثدياها. المخدمة : المترفة المرفهة. الخدام : الخلخال.

(١١) الأرى : العسل.

- الفئام : الجماعة.
- الظمياء من الشفاه : الذابلة في سمرة، ومن العيون : الرقيقة الجفن ومن اللثات، القليلة الدم. الحيام : العطش.

(١٢)
- منهتكا : متهتكا بالحب غير ساتر له.

- الخرعبة : هي الشابة الحسنة الخلق الرخصة. اللينة الجسيمة الرقيقة العظم. شفة حواء : حمراء الى السواد. السالفة : ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط.

- العزلاء : مصب الماء من القربة.



قال رسول الله ﷺ :

من تطهر في بيته ثم خرج إلى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط بها خطيئة، فإذا دخل المسجد لم يزل في صلاة ما انتظر الصلاة والملائكة تصلي عليه وتقول : «اللهم اغفر له، اللهم ارحمه».

الشيخ حمد بن فارس

١٢٦٣هـ/١٣٤٥هـ

بقلم : الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ

يطيب لي أن أكتب على صفحات مجلة الدارة الغراء عن عَلَم من أعلامنا المعاصرين هو العلامة الفرضي الحيسوب الفلكي. النحوي الفقيه الشيخ حمدابن الشيخ فارس بن محمد بن فارس بن عبد العزيز بن محمد بن الشيخ اسماعيل بن رميح من قبيلة سبيع ولد سنة ثلاث وستين ومائتين وألف للهجرة فنشأ نشأة صالحة على يد والده الشيخ فارس ورباه تربية طيبة ولازم والده ملازمة تامة فتخصص عليه في علمي الفرائض والحساب ثم قرأ على الشيخ عبد الله بن حسين المخضوب الهاجري صاحب الخطب المنبرية المشهورة ثم قرأ على العلامة الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن في الفقه والنحو حتى صار انحى علماء زمنه بنجد. وتولى بيت المال للامام عبد الله بن الامام فيصل ثم لأخيه الامام عبد الرحمن بن فيصل ثم لابنه جلالة الملك عبد العزيز رحم الله الجميع وغفر لهم. فكانت تجبى اليه زكوات الحبوب والتمور من جميع بلدان نجد ويقوم على حفظها في مخازن معدة لها في قصر الرياض ثم يقوم بتوزيعها حسب الأوامر العالية وكذلك أوقاف آل سعود وضحاياهم كانت موكولة اليه وهو المسئول عنها رحمه الله وكان متعبدا يحيى غالب الليل قراءة وتهجداً وله معرفة تامة في علم الفلك وداوم على التعليم في الفقه والنحو في مسجد الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد اللطيف من بعد صلاة الصبح الى الساعة الرابعة نهاراً في النحو والفقه فأخذ عنه هذين العلمين كثير من علماء نجد الى أن توفي وكانت وفاته في الساعة العاشرة بعد العصر في الثامن والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وألف وصلي عليه في مسجد جامع الرياض وأمَّ الناس في الصلاة عليه الشيخ محمد بن الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ وشيعه خلق كثير ودفن في مقبرة العود وخلف ابناً هو محمد، توفي عام (١٣٨٧هـ) وخلف أبناء أكبرهم اسمه فارس رحم الله الشيخ حمداً وابنه محمداً وإيانا وجميع المسلمين انه سميع مجيب.

نشاط التبشير(*) في شرق الجزيرة العربية

د. عبد الله ناصر السبيعي

كان من أهم سمات النشاط الأمريكي الخارجي خلال الفترة ١٨٤٧م - ١٩٤٤م التشجيع على ارسال البعثات التبشيرية المسيحية الى جميع أنحاء العالم، حيث تم ارسال بعثات عديدة الى الصين والفلبين وافريقيا طولا وعرضا تحقيقا لذلك. وحظيت تلك الارساليات التبشيرية بدعم من المؤسسات الدينية ورجال المال والأفراد(١)، كما نالت المباركة والتشجيع من الادارات الأمريكية المتعاقبة نظرا للتأثير القوي الذي كان يتمتع به رجال التبشير ومؤيدوهم. ثم ان النشاط التبشيري جاء في ذروة التوسع الاستعماري الأمريكي(٢) وخاصة في الصين والفلبين. وكان الهدف الرئيسي للمبشرين هو تنصير غير المسيحيين أو اغرائهم بالتحول عن معتقداتهم، وذلك باتباع وسائل شتى نتطرق اليها في الصفحات التالية:

وسوف نحاول في هذا البحث القاء بعض الضوء على تأسيس الارسالية الأمريكية العربية والأهداف المتوخاة من وراء ذلك مع التطرق لأساليبها وخططها للتغلغل الى عمق الجزيرة العربية تحقيقا لهدفها الأساسي دون التطرق بشكل واسع الى نشاطها في منطقة الخليج العربي الا حسبما تقتضيه هذه الدراسة.

انشاء الارسالية :

سبق انشاء **الارسالية الأمريكية العربية رسميا عام ١٨٨٩م**، فترة دار خلالها نقاش مكثف حول أهمية المبادرة **بنشر الديانة المسيحية في الجزيرة العربية. ففي عام ١٨٤٧م تبنى اتحاد مدارس الأحد الأمريكية The American Sunday School Union** فكرة تقضي بضرورة البدء بنشاط تبشيري في جزيرة العرب باعتبارها «**أكثر الأوطان قدسية وثباتا على دينها من أي قطر على وجه الأرض باستثناء فلسطين**»(٣)، وقد تمخض عن تلك التوصية ميلاد الارسالية الأمريكية العربية. وقد سارعت الكنيسة **الاصلاحية الهولندية الأمريكية The Dutch Reformed Church.** وهي كنيسة بروتستانتية بتبني مهمة القيام بذلك النشاط. ويعزى اقناع الكنيسة الهولندية بتبنيها للارسالية لجهود **البروفيسور لانسنج J.G. Lansing** الذي كان يدرس العربية والعبرية في المدرسة التابعة لتلك الكنيسة حيث أوضح أهمية ذلك النشاط باعتباره أول نشاط تبشيري لها في البلاد العربية(٤).

وهكذا فمن أجل غزو الاسلام في عقر داره، تقرر انشاء الارسالية الأمريكية العربية عام ١٨٨٩م التي اتخذت من مدينة «**نيوبرونزويك» New Brunswick** في ولاية نيوجرسي بالولايات المتحدة الأمريكية مقرا لها. وضمت بالاضافة الى مؤسسها (لانسنج) ثلاثة من تلامذته المتحمسين لنشاطها وهم **جيمس كانتين James Cantine ، وصموئيل زويمر Samuel Zwemer ، وفيليب فليبس Philip T. phelps**(٥) ومنذ البداية وضع المؤسسون في اعتبارهم صعوبة العمل وضرورة التخطيط السليم والتميز في أسلوب عمل البعثة عن أساليب عمل البعثات الأخرى نظرا لكون المنطقة مهبط الديانة الاسلامية وقلب العالم العربي، ثم ان شدة تمسك سكانها بدينهم الاسلامي سيدفعهم لمقاومة نشاط الارسالية التبشيري متى ما تكشف لهم المخطط الرئيسي وخاصة في وسط الجزيرة العربية.

عملت الارسالية منذ البداية على اعداد تصور عام لكيفية بدء نشاطها الفعلي في الجزيرة العربية وفقا للمعلومات المتوفرة لديها. وبدا لها أهمية تكثيف جهودها من أجل النفاذ الى وسط الجزيرة العربية مستغلة الأوضاع السيئة

السائدة آنذاك حيث عم الجهل، والفقر علاوة على تفكك الوحدة السياسية القائمة حينذاك، وسيطرة بريطانيا على الساحلين الجنوبي والشرقي للجزيرة العربية.

وقد لخص (زويمر) ذلك التصور المبدئي بقوله: يمكن تقسيم شبه الجزيرة العربية الى ثلاث مناطق. المنطقة الأولى تشمل الأجزاء الخاضعة للنفوذ البريطاني وخاصة عدن وعمان والبحرين والكويت، وقد بدا للارسالية بأنها سهلة الوصول اليها وأكثر المناطق حرية للعمل نظرا للوجود البريطاني الذي لا يشكل عراقيل أو عقبات في وجه المبشرين، وذلك بعكس المناطق الواقعة تحت النفوذ العثماني. أما المنطقة الثانية فانها تشمل الأجزاء الواقعة تحت الادارة العثمانية وتشمل الحجاز واليمن والاحساء والقطيف. واعتقدت الارسالية امكانية مزاولة نشاطها بها وخاصة في المدن ذات الكثافة السكانية مثل جدة والحديدة وصنعاء والهفوف والقطيف، الا أنها كانت تدرك مدى تأثير الضوابط التي يضعها العثمانيون للتصدي للتبشير كضرورة الحصول على اذن بالاقامة وعدم الجهر بالتبشير وفرض الرقابة على المطبوعات مع الزام أطبائهم بضرورة الحصول على دبلوم طب تركية قبل السماح لهم بممارسة العمل الطبي. وتشمل المنطقة الأخيرة المناطق المستقلة في الجزيرة العربية مثل نجد وجبل شمر وعسير ونجران التي لم يتوفر للارسالية معلومات كافية عنها، ولذلك فانها اعتبرت أدراجها ضمن مخطط عملها مغامرة قبل أن تتمكن من ايفاد مبعوثين خاصين يجمعون لها معلومات متكاملة يمكن على ضوئها تقرير امكانية العمل من عدمه(٦). وبناء على ذلك التصور بدا للمسئولين عن الارسالية أن المنطقة الأولى هي الأنسب لبدء نشاطها التبشيري.

أتمت الارسالية الأمريكية العربية استعداداتها عام ١٨٨٩م بعد اعتمادها رسميا للهدف الرئيسي من وراء تكوينها وهو محاولة الوصول الى مسلمي وسط الجزيرة العربية، وقد كشف جيمس كانتين عن ذلك الهدف بقوله: «ان هدفنا النهائي هو الهيمنة على وسط الجزيرة العربية»(٧). وقد اعتبر ذلك الهدف شعارا للارسالية وحافزا لأفرادها للعمل حثيثا لتنفيذه، ادراكا منهم أن تحقيقه سوف يكون انجازا فريدا وحدثا هاما في تاريخ التبشير المسيحي يفوق أي انجاز آخر يؤمل في تحقيقه من وراء ارسال البعثات التبشيرية الى مختلف أنحاء العالم.

ولبدء وضع مخطط الارسالية موضع التنفيذ فقد كلفت أحد مؤسسيها جيمس كانتين بمغادرة أمريكا في ١٦ أكتوبر (تشرين أول) ١٨٨٩ الى سوريا ومنها الى السواحل الجنوبية والشرقية للجزيرة العربية، وذلك من أجل اختيار الأماكن المناسبة لبدء عمل الارسالية. وفي طريقه الى سوريا توقف كانتين في ادنبرة باستكلندا للتشاور مع The Free Church of Scotland Committe. حول امكانية السماح للارسالية بالعمل من خلال مركز تلك الكنيسة الموجود آنذاك في عدن. وقد رحبت الكنيسة الاسكتلندية بذلك ولكنها أبدت أنه من الأفضل استقلال الارسالية بنشاطها قدر المستطاع. وفي ٢٨ يونيو (حزيران) ١٨٩٠م كلفت الارسالية **صموئيل زويمر بالالتحاق بكانتين في سوريا**، ومن ثم التوجه الى القاهرة لأخذ التوجيهات اللازمة من (لانسنج) الذي كان آنذاك في القاهرة في رحلة خاصة(٨).

غادر (كانتين)القاهرة الى عدن في ١٨ ديسمبر (كانون أول) ١٨٩٠م، ولحق به (زويمر) في ٨ يناير (كانون الثاني) ١٨٩١. ومن عدن افترقا في رحلتين للبحث عن مواطىء قدم للارسالية. فبينما توجه زويمر الى اليمن، مضى كانتين الى لحج ومنها واصل طريقه في رحلة استطلاعية لسواحل الخليج العربي، حيث زار مسقط والبحرين والبصرة، وانتهى به المطاف في بغداد(٩).

وتعد زيارة كانتين تلك بمثابة الانطلاقة الفعلية لبدء عمل الارسالية في الجزيرة العربية. فبعد دراسة ومفاضلة للأماكن التي زارها بدا له بأن البصرة(١٠) هي أفضل مكان يمكن أن تنطلق منه الارسالية نحو تحقيق أهدافها التبشيرية، وذلك لكثافة سكانها وسهولة الوصول اليها، وموقعها الاستراتيجي الذي يميزها عن بقية الأماكن التي زارها خاصة وأنها قد تسهل مهمة النفاذ الى عمق الجزيرة العربية، ويتجلى ذلك من رسالة بعث بها كانتين الى مقر الارسالية يبرر فيها اختياره للبصرة بقوله: «**يبدو أن هذا المكان (البصرة) هو الأنسب لفتح ثغرة نحو الهدف**»(١١).

ولتحقيق الآمال المعقودة على تأسيس الارسالية وضمانا لتحقيق مخططاتها، فقد حرصت على انتقاء أفرادها بعناية فائقة، فاختارت من يمتاز بحماس فائق لنشر الدين المسيحي، ويلم بخلفية كافية عن تاريخ المنطقة وظروفها، حيث

حاولت منذ البداية حصر عضويتها في أشخاص تميزوا بثقافتهم الدينية والمامهم بالدراسات العربية والاسلامية(١٢). هذا وقد تم ارسال الأفواج الأولى من مبشريها الى بيروت كمحطة مؤقتة يتم خلالها اتصالهم بالبعثات التبشيرية العاملة هناك، وبغرض الالمام باللغة العربية والافادة من دراسات البعثات المسيحية السابقة وتجاربها والتعرف على خصائص المجتمع العربي(١٣).

ظلت البصرة ولفترة وجيزة القاعدة الرئيسية لنشاطهم التبشيري في شرقي الجزيرة العربية، الا أنهم أدركوا بعدئذ أن تركيزهم على البصرة الواقعة تحت الادارة العثمانية قد لا يتيح لهم تنفيذ مخططاتهم مما جعلهم بالتالي يقررون توسيع نشاطهم وذلك بافتتاح أربعة مراكز جديدة للارسالية في كل من البحرين عام ١٨٩٢م، ومسقط عام ١٨٩٣م **والكويت عام ١٩١٠م وأخيرا المحمرة، كما أنهم حاولوا افتتاح مركز لهم في قطر، الا أن محاولتهم تلك باءت بالفشل**(١٤).

ومما سهل مهمة افتتاح المراكز الرئيسية في الخليج العربي انتماء السلطات البريطانية المهيمنة على الخليج في ذلك الوقت الى المذهب البروتستانتي، وهو المذهب الرسمي لبريطانيا عموما. وقد يبرر تسهيل بريطانيا لمهمة الارسالية برغبتها في استخدام مبشريها في خدمة أغراض بريطانيا الاستعمارية في المنطقة. كما **أن انزعاج بريطانيا البالغ من تعاظم تأثير دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ومحاولاتها للتصدي لها**، وخاصة بعد أن لمست مدى تأثيرها على مسلمي الهند الذين بدأوا في التصدي للوجود البريطاني من منطلق اسلامي، يمكن ايراده كعامل مؤثر في عدم ممانعة بريطانيا لنشاط الارسالية، ولا سيما وأن تعاظم تأثير الدعوة السلفية قد أجبر بريطانيا - كما ذكر زويمر - الى المسارعة بارسال موفدين من قبلها الى وسط الجزيرة العربية لدراسة أسس الدعوة وأهدافها عن كثب(١٥).

ومما ساعد مهمة الارسالية أن بدء نشاطها قد جاء في فترة ضعف الدولة العثمانية وتعاظم نفوذ الدول الأوربية وتداخلها في شئونها الداخلية. الا أن العثمانيين - بالرغم من ذلك الضعف - حاولوا التصدي قدر الامكان لنشاطات المبشرين، فقد ذكر (زويمر) أن السلطات العثمانية في البصرة قد قامت عام ١٨٩٢م باعتقال موزعي الانجيل التابعين للارسالية واقفال حوانيتهم

ومصادرة كتب الارسالية مع وضع حراسة على مدخل المبنى الذي تشغله الارسالية(١٦)، وأنهم كرروا نفس الاجراءات في عام ١٨٩٤م(١٧). غير أن تمتع مبشري الارسالية بالجنسية الأمريكية وتدخل حكومتهم وضغطها المستمر على السلطان العثماني أضعف موقف العثمانيين، اضافة الى أن العثمانيين كانوا يركزون جل جهودهم للتصدي لبريطانيا، باعتبارها عدوتهم الأولى في المنطقة.

وقد أجمل **الدكتور عبد الملك التميمي** ود الحكومة العثمانية الرامية الى احباط مخططات المبشرين أو على الأقل الحد من تأثيرها بقوله: «**كان اعتراض السلطات العثمانية الرئيسي هو أن أطباء الارسالية يجب أن يحصلوا على شهادة دبلوم تركية في الطب، ليسمح لهم بمزاولة العمل هناك.. وكان موقف السلطات العثمانية من المبشرين لا يسمح لهم بمهاجمة الدين الاسلامي أو القاء الخطب في الأماكن العامة أو طبع وتوزيع منشورات تشكك في الاسلام.. وقد سبب هذا الموقف بعض المتاعب للارسالية ولكنها لم تكن من الخطورة بحيث تهدد العمل التبشيري**»(١٨).

أساليب الارسالية للتغلغل الى وسط الجزيرة العربية :

كثفت الارسالية نشاطها من خلال مراكزها الثلاثة في البحرين ومسقط والكويت، حيث كانت تخطط لاستخدامها كمنطلق يسهل منها النفاذ الى وسط الجزيرة العربية لتنفيذ خططها الرامية الى تنصير سكانها، أو على الأقل زعزعة معتقداتهم. وقد ركزت وبشكل أكبر على مقرها في البحرين كمرتكز أساسي يمكن الوصول منه الى قلب الجزيرة العربية مستغلة موقعها الاستراتيجي الهام، حيث كانت آنذاك الميناء الرئيسي الذي يمون الاحساء والقطيف ونجد بالبضائع التجارية، ولكثرة القادمين الى البحرين من الجزيرة العربية نظرا لقرب المسافة ولوقوعها في الطريق الى الهند التي كانت مقصدا للكثيرين من سكان الجزيرة العربية آنذاك طلبا للتجارة والعمل.

اعتمدت الارسالية خطة مدروسة تتفق وظروف المنطقة وتهدف الى تمكينها من تحقيق أهدافها. ويمكن أن نحصر وسائل تبشيرها عموما في أسلوبين متميزين هما: الأسلوب المباشر والأسلوب غير المباشر. وسنبحث في الصفحات التالية بشيء من التفصيل منهج الارسالية في تطبيقها للأسلوبين المذكورين :

الأسلوب غير المباشر :

ابتدأت الارسالية نشاطها بتركيزها على الأسلوب غير المباشر حرصا منها على عدم اثارة الشكوك حول وجودها في المنطقة، وذلك بتقديمها خدمات طبية وتعليمية واجتماعية حرمت منها المنطقة آنذاك، وكانت تأمل أن يؤدي ذلك الى ترحيب السكان بها وثقتهم بخدماتها، ومن ثم يمكن استخدامها كمنطلق لنشاطها التبشيري السافر.

أ - استخدام الطب لخدمة الأغراض التبشيرية :

وخشية أن يثير وجود الارسالية ونشاطها شكوك السكان في المنطقة خاصة وهي تعلم شدة تمسكهم بدينهم، فقد حرصت منذ البداية على أن تبدأ عملها بتقديم الخدمات الطبية التي أثبتت تجارب الارساليات التبشيرية السابقة في البلاد الاسلامية مدى نجاحها وجدواها كوسيلة هامة لاقناع السكان المحليين بقبول الارسالية وأهمية خدماتها. وقد أوضح (زويمر) تلك الأهمية بقوله:

«ان التجارب التبشيرية للارساليات المسيحية في البلاد الاسلامية الأخرى كالبنجاب وشمال افريقيا وجاوه والبلاد المشابهة للمنطقة التي تعمل فيها الارسالية الأمريكية العربية قد أثبتت مدى قوة ومكانة المراكز الطبية كوسيلة مؤثرة للتبشير وخاصة في حالة توفر الأطباء الجراحين»(١٩) **ويؤكد الدكتور بول هاريسون** - أحد الأطباء العاملين مع الارسالية على أهمية تركيز المبشرين على استغلالهم المراكز الطبية كمشروع مسيحي تبشيري قبل كونه مشروعا طبيا انسانيا بقوله: **«ان المبشر لا يرضى عن انشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة عُمان بأسرها. لقد وجدنا نحن في الجزيرة العربية لنجعل رجالها ونساءها نصارى»**(٢٠) وانطلاقا من تلك الأهمية فقد أسست الارسالية أكبر مستشفياتها وأشهرها في مدينة المنامة بالبحرين في مطلع القرن العشرين والمسمى **The Mason Memorial Hospital** ودعمته بعدد من الأطباء المتحمسين لأهدافها ومخططاتها ومدتهم بجهاز طبي متكامل يكفل له النجاح والشهرة يقينا منها بأن شهرته سوف تسترعي انتباه العديد من سكان شرقي الجزيرة ووسطها وتجعلهم يفدون اليه طلبا للعلاج وقد تحقق لهم

ذلك الهدف بمرور الزمن وخاصة في ظل انعدام وجود رعاية صحية محلية تضاهي خدمات مستشفاهم. فقد ورد في تقرير ذلك المستشفى لعام ١٩٢١م «**ان أطباءه قد أجروا ٥٠٣ عمليات جراحية، وعالجوا مايزيد على ٦٠٠٠ مريض راجعوا المستشفى خلال ذلك العام**» وأضاف التقرير «**وبالاضافة الى ذلك فقد قام بعض أطباء المستشفى بزيارات علاجية للرياض والهفوف والظهران والقطيف وقطر، وأمضى بعضهم مايزيد على شهرين في ساحل عمان**»(٢١).

وبناء على النجاح الذي أحرزه ذلك المستشفى حيث اتسعت دائرة مراجعيه لتشمل الاحساء والقطيف وبعض الأفراد من نجد، ومراعاة للتقاليد المحلية ورغبة في استخدام مجال الطب بشكل أوسع، قررت الارسالية تأسيس مستشفى جديد خاص بالنساء أطلقت عليه اسم **The Mason Memorial Hospital for Women** افتتحه رسميا **عام ١٩٢٧م**، ودعمته بجهاز طبي متكامل.

ولما كانت منطقة الاحساء ذات كثافة سكانية كبرى، ولقربها من البحرين وسهولة الوصول اليها عن طريق ميناء العقير النشط آنذاك، فقد فكر رجال الارسالية في ادماجها ضمن منطقة نشاطهم التبشيري يقينا منهم بأن ذلك سوف يساعدهم على تسهيل تنفيذ أهداف مخططهم في الوصول بنشاطهم الى عمق الجزيرة العربية. ولدراسة امكانية تنفيذ ذلك فقد زارها **(زويمر) في شهر أكتوبر** (تشرين أول) **عام ١٨٩٣م قادما من البحرين عن طريق ميناء العقير. ورافق الى الهفوف تاجرا من نجد أسماه صالح.**

أقام **(زويمر) في الهفوف** مدة أربعة أيام قضاها في جمع المعلومات التي جاء من أجلها. ويذكر أنه قابل نائب الحاكم التركي **(عبد الرحمن بن سلامة)** الذي أجابه على بعض تساؤلاته، ومنها أفادته عن المسافات بين الاحساء وكل من الرياض ووادي الدواسر وجبل شمر ومكة(٢٢). وأثناء اقامته تلك رسم (زويمر) مخططا لمدينة الهفوف صحح بموجبه المخطط الذي سبق وأن رسمه بلغريف للهفوف عند زيارته لها عام ١٨٦٢م(٢٣). وقبل عودته للبحرين قام بزيارة كل من القطيف والكويت. ويبدو أن حصيلة تلك الزيارة لم تكن مشجعة لزويمر، حيث أبدى بعض التخوف من رد فعلِ العثمانيين في حالة اقدام الارسالية على القيام

بنشاط تبشيري في الاحساء. الا أن ذلك لم يثن الارسالية عن مواصلة جهودها الرامية الى مد نشاطها الى الاحساء. ففي ١٤ أغسطس (آب) ١٨٩٤م، أوعزت الارسالية لزويمر أثناء وجوده في اليمن بمعاودة زيارة الهفوف مرورا بنجران ووادي الدواسر. لكن سرقة نقوده ومعارضة العثمانيين حالت دون اتمام الرحلة(٢٤). وقد جاء استردادا الملك عبد العزيز(٢٥) للاحساء من العثمانيين عام ١٩١٣م ليقضي على آمال الارسالية في امكانية ايجاد موطىء قدم لها فيها.

ونظرا لما كان بين سكان الاحساء والبحرين من روابط تاريخية وأسرية وتجارية يسرت سبل الاتصال الدائم بينهم، فقد لمس سكان الاحساء مدى جدوى الأساليب الحديثة وبالتالي كثرت زياراتهم العلاجية للبحرين، الا أن عدم قدرة الكثيرين منهم ماديا على تحمل مصاريف السفر والاقامة في البحرين دفعهم الى الالتماس من الملك عبد العزيز بدعوة بعض الأطباء لزيارة الاحساء تسهيلا لهم وتوفيرا للعلاج محليا.

وادراكا من الملك عبد العزيز لفائدة الطب الحديث ورغبة في التسهيل على مواطنيه رأى أنه يمكن دعوة بعض أطباء المستشفى المشهورين كلما اقتضت الحاجة القصوى شريطة أن يتم تنسيق زياراتهم مسبقا مع ممثل الملك في البحرين مع التأكيد على رفضه الحاسم بالسماح لهم بتأسيس مراكز طبية دائمة أو اقامتهم فترة تجاوز فترة العلاج للحالات المعروضة عليهم، وذلك بلا شك ناتج عن شك جلالته في دوافعهم وتخوفه من النتائج المترتبة على طول اقامتهم والتي قد تحقق بعض أهدافهم التبشيرية.

وكان أول الأطباء الذين زاروا الاحساء عام ١٩١٧ بدعوة شخصية من الملك عبد العزيز، هو الدكتور بول هاريسون Dr. Paul W. Harrison وكررت له الدعوة عام ١٩١٨م وبعد ذلك التاريخ تكررت زيارته كلما اقتضت الحاجة، وكان يقيم أثناء تلك الزيارات في المبنى المسمى بالرشدية وهو مبنى حكومي قديم كان يستخدم مدرسة منذ أيام الحكم العثماني. وفي عام ١٩٢٠م، دعا الملك عبد العزيز الدكتور لويس ديم Dr. Louis P. Dame وهو طبيب جراح ماهر ذاعت شهرته وتلا تلك الزيارات زيارات متعددة، وكان ينزل عادة في منزل السيد صالح اسلام مدير مالية الاحساء(٢٦). وكان آخر أطباء المستشفى

الذين دعوا لزيارة الاحساء هو **الدكتور هارولد ستورم Dr. Harold W. Storm** والذي جاء اليها عام ١٩٤٣، وأقام في منزل **الشيخ عبد الرحمن القصيبي**. وكان يرافقهم أثناء وجودهم في الاحساء فريق طبي يمكنهم من اجراء العمليات الجراحية والعلاجية. ومما لا شك فيه أن أولئك الأطباء قد قدموا خدمات طبية جيدة ولم يثبت أنهم حاولوا أثناء زياراتهم للاحساء القيام بأي نشاط تبشيري (٢٧).

ورغبة في توفير العناية الطبية وخاصة في مجال الجراحة التي لم يكن في المستطاع توفيرها في نجد آنذاك، فقد دعا الملك عبد العزيز بعض أطباء المستشفى المشهورين في مجال الجراحة لزيارة الرياض من وقت لآخر. وقد شجع الملك عبد العزيز على تلك المبادرات الفائدة التي لمسها المواطنون في الاحساء، وعدم تعرض الأطباء لما يمس العقيدة الاسلامية. ومن أولئك الأطباء الذين دعوا الى الرياض الدكتور بول هاريسون آنف الذكر الذي قام بأول زياراته للرياض عام ١٩١٧م ثم عاود الزيارة عام ١٩١٩م. وقد قام هاريسون خلال زيارتيه القصيرتين باجراء بعض العمليات الجراحية ومعالجة العديد من المرضى في مدينة الرياض أو ممن أحضرهم الملك عبد العزيز من خارجها.

وفي عام ١٩٢١م استدعى الملك عبد العزيز الدكتور ديم والذي ذاعت شهرته في مجال الجراحة لزيارة الرياض، ثم تكررت الدعوة عام ١٩٢٤ وقد قام الدكتور ديم خلالها بمعالجة ٥٥٢ مريضا واجراء العديد من العمليات الجراحية. وكانت زيارته الثالثة والأخيرة للرياض في عام ١٩٣٣م، وفي تلك الرحلة صحبته زوجته. وبما أن تلك الزيارات للرياض كانت تتم على ظهور الجمال وهو أمر لم يتعود عليه الأطباء ومساعدوهم **فقد روى أنه أثناء رحلة ديم الأخيرة للرياض، وعند نهوض الجمل المحمل بالأدوات الطبية سقط ميكروسكوب طبي وتحطم مما أحنق ديم كثيرا** (٢٨).

وبالرغم من أن بعض أطباء الارسالية اتيح لهم زيارة المملكة الا أن تلك الزيارات كانت تتم بدعوات شخصية من الملك عبد العزيز، وحسب ترتيبات مسبقة تمليها الحاجة الماسة، ومن أجل توفير الرعاية الصحية المتقدمة للمواطنين ولفترات محددة لا تتعدى في معظمها أكثر من شهرين. ورغم حرص الارسالية

على سرعة تلبية الدعوات التي تتلقاها من الملك عبد العزيز، واختيارها لأشهر أطبائها مع تجنبهم لاثارة شكوك المسؤولين، وذلك بتركيزهم على الجانب العلاجي فقط.

إن اصرار الملك عبد العزيز على رفض السماح لها بتأسيس مراكز ثابتة في بلاده أو منحهم حرية الزيارة للمملكة قد أحنق المسؤولين عن الارسالية حيث بدا أن آمالهم في التغلغل الى وسط الجزيرة العربية أمر ميئوس منه، وأخذوا ينظرون الى المملكة العربية السعودية كمنطقة حرموا من حرية العمل في أراضيها. وبدأ يتجلى لهم جهلهم التام بالأوضاع السائدة في الجزيرة العربية، حيث تكشف لهم مدى اختلاف النظام السياسي المطبق في المملكة عن الأنظمة الأخرى، وذلك من حيث اعتماده على تطبيق مبادىء الشريعة الاسلامية التي قامت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وتبنيه لها واقرار الملك عبد العزيز لمشروع توطين البادية وتثقيفهم دينيا. وان نظاما يتركز على مثل تلك القاعدة العقائدية القوية يصعب خداعه والتغلغل في أرضه.

ب - التعليم والفن ونشاطات الكنيسة :

لم ينحصر نشاط الارسالية غير المباشر للتبشير على المجال الطبي بل تعداه ليشمل مجالات متعددة. ففي المجال التعليمي والثقافي أعطت الارسالية أهمية كبرى للنواحي التعليمية بشكل متميز، وخاصة في المجالات التي لا تستطيع الحكومات المحلية توفيرها لمواطنيها أو منافستها في تقديمها. ففي الكويت مثلا أنشئت مدرسة خاصة لتعليم المكفوفين باستخدام **طريقة برايل**. وقد أوكل أمر تلك المدرسة الى **الممرضة جوزفين بيرسم** **Josephine Van Peursem** وزوجها القس جرت بيرسم **Gerrit Van Peursem** (٢٩) كما انشئت دور خاصة لرعاية الأيتام في كل من **البحرين ومسقط والكويت**، وكانت تحرص على تبني اللقطاء والحاقهم بتلك الدور. واهتمت بتأسيس المكتبات العامة التي زودت بالعديد من الكتب التي تختارها بعناية فائقة لخدمة أغراضها التبشيرية، مع حرصها على اهداء النشرات والملصقات ونسخ من الانجيل لزوار تلك المكتبات(٣٠). وقامت بتشييد كنائس في مراكز الارسالية واحاطتها بجل اهتمامها مع التركيز

على دعوة السكان لمشاهدة الطقوس والصلوات والحفلات التي تقام بها. وكانت تعمد وبشتى الصور والمغريات الى دعوة المواطنين لحضور صلاة يوم الأحد بشكل خاص، فقد ورد في أحد تقارير الارسالية الصادرة من مسقط أنه في عام ١٩٢٩م بلغ عدد الأشخاص الذين يحضرون الى الكنيسة يوم الأحد لمشاهدة الطقوس الدينية التي تجري في الكنيسة خمسين شخصا، وان أغلبهم قد جاء بدافع حب الاستطلاع(٣١) كما اهتمت الارسالية بأن تضم بين رجالها عددا من النحاتين والرسامين الذين تفرد لهم حوانيت صغيرة يقومون فيها بصنع عدد من التماثيل للسيد المسيح ومريم العذراء ورسم صور دينية يقومون بعرضها وبيعها بأسعار رمزية.

وقد تميز مركزا البحرين والكويت بذلك النشاط الفني، غير أن سكان الكويت قد أبدوا اشمئزازهم لذلك النشاط وتصدوا له بتمزيقهم للصور وبتحطيم التماثيل المعروضة في واجهة الحوانيت(٣٢). وقد جاء في أحد تقارير الارسالية الصادر من البحرين ما يدل على رواج تلك الأعمال الفنية الدعائية، فقد ذكر أنه في ختام السنة الأولى لافتتاح مركزهم سنة ١٨٩٢م – ١٨٩٣م، تم بيع مئتي قطعة، وبنهاية سنة ١٨٩٩م قفز العدد الى ٢٤٦٤ قطعة(٣٣).

ومما يدل على تصميم الارسالية على تنفيذ مخططاتها، قيامها بتوسيع نشاطاتها وتكثيف جهودها واستخدامها عددا كبيرا من العاملين الرسميين في مراكزها، حيث بلغ عددهم في عام ١٩٣٠م ثمانية وثلاثين فردا يعملون في المستشفيات والمؤسسات الأخرى، حيث كان أهم واجباتهم عرض شرائح مصورة للمسيح على المترددين على مراكز الارسالية(٣٤).

ولتعذر ممارسة الارسالية لأي من نشاطاتها داخل الجزيرة العربية، فقد حرصت على تصيد من يراجع مستشفياتها من سكان المملكة ومحاولة اغرائهم بحضور نشاطاتها أو شراء شيء من أعمالها، وبالرغم من ذلك فقد ضاعت جهودهم هباء.

٢ – الأسـلوب المبـاشر :

لم تستمر الارسالية في اخفاء نواياها وخططها التبشيرية حيث حرصت من خلال مبشريها على انتهاز الفرص السانحة لنفث سمومها. ويتجلى انتهاج الارسالية



للأسلوب السافر في محاولة تشكيك مسلمي الجزيرة العربية في دينهم في أقبح صوره في الملصق الدعائي الذي صممه وأصدره **صموئيل زويمر عام ١٨٩٧م في عمان** واستهل به عمل المطبعة اليدوية التي أنشأتها الارسالية في مسقط وطبع باللغتين العربية والانجليزية والذي قال فيه بالنص «**محمد والمسيح على أي منهما تعتمد**»(٣٥) وقد أثار توزيعه في عمان غضب واحتجاج السكان كما بادر السلطان العثماني الذي أحنقه ذلك الهجوم الدنىء على مشاعر المسلمين بالاحتجاج الرسمي لدى وزارة الخارجية الأمريكية التي نصحت زويمر بالتخلي عن توزيعه(٣٦).

كما تمثل ذلك الأسلوب في حرص الارسالية على استمرار خدماتها الطبية في أوقات الصلاة وخاصة صلاة الظهر والمغرب رغبة منها في أن تصرف مراجعيها عن اقامة الصلاة في حينها، وأملا في أن يؤدي ذلك الى خلق عادة التهاون في اقامة الصلاة جماعة في المساجد ويمكن ارجاع انتهاج ذلك الأسلوب الى قناعة المبشرين بحتمية فشل أسلوبهم التبشيري المباشر في تنصير مسلمي الجزيرة ووجوب تركيز جزء كبير من جهودهم على اضعاف الوازع الديني لدى المسلمين أملا في أن يؤدي ذلك في النهاية الى زعزعة المسلمين في عقيدتهم على الأقل.

ويتجلى ذلك الأسلوب في حرص الارسالية على توصية مبشريها بالتعرض للناس في الشوارع والتجوال بين المدن وحثهم على مخالطة الناس في المقاهي الشعبية والحرص على ارتياد مجالس الشيوخ العامة والتركيز على استخدام أسلوب الجدل(٣٨). ولايضاح الأساليب التي يجب على مبشريها انتهاجها عمدت الارسالية الى توزيع دليل ارشادي للتبشير في البلاد الاسلامية ألفه **آرثر برنكمان Arthur Brinckman** وأسماه Notes on Islam: A Handbook for Missionaries. وخاصة بعد أن تبين للارسالية جدوى الاستفادة منه في عملها في شرقي الجزيرة العربية، ولا سيما فيما يتعلق بكيفية التأثير على السامعين حيث ينصح المؤلف المبشر بأن: «**يحاول أن يخاطب مستمعيه قدر الامكان من مكان مرتفع، وأن يتخذ وضعية الجلوس بدلا من الوقوف وأن يحتفظ برباطة جأشه بحيث لا يبدو منفعلا أو مثارا من جراء حرارة النقاش، لأن الموقف لا يتطلب مواجهة حامية**». ويستمر برنكمان في نصحه بقوله:

«يجب أن يسند المبشر ظهره الى جدار وذلك لأسباب عدة. وأنه عندما يضطر المبشر الى الدخول فيمناقشةدينية فعلية الاستمرار في تلاوة الدعوات الدينية والتحدث ببطء وتأثير. كما أن عليه عدم التسرع في الاجابة لأنه حين يفعل ذلك فانه سوف ينظر اليه كمجرد مجادل عنيد». ويختتم نصائحه بقوله: «ينبغي أن تفكر بتأن في اجابتك ومن ثم طرحها بهدوء وبطء واذا كان ممكنا فانه ينبغي أن تبدأ اجابتك أو تنهيها باقتباس من آيات القرآن. وإياك والتردد في ايراد ذلك الاقتباس»(٤٠).

يتضح من تلك النصائح وخاصة فيما يتعلق بالتركيز على ايراد بعض آيات من القرآن الكريم، مدى خبث المبشرين وتضليلهم اذ أنهم وبدون شك سيحصرون اقتباسهم على الآيات الكريمة التي يرد فيها ذكر عيسى عليه السلام أو التي تشير الى الديانة المسيحية.

ومن الأساليب الأخرى التي انتهجتها الارسالية وحرصت على تطبيقها في جميع مراكزها - وخاصة في البحرين، حيث يكثر بها الوافدون لمراجعة المستشفى من المملكة - استخدامها لغرفة الانتظار والكشف في المستشفيات كبؤرة للتبشير، أن التركيز على عيادات المستشفيات يعود الى قناعتهم في جدواها، حيث ينفرد وجها لوجه بالمريض الذي يكون في حالة شد نفسي لما سيلقى عليه. وقد عبر عن ذلك رشتر بقوله: **«في هذه المناسبات من التطبيب في مستشفى يمكن للطبيب أن يخاطب المسلمين بكلام كثير لو سمعوا بعضه في مكان غير المستشفى ومن شخص غير الطبيب لامتلأوا غيظا وغضبا»**(٤١).

واستغلالا لتلك الفرص شحنت الارسالية معنويات أطبائها وحذرتهم من تمسكهم بالمفاهيم والأعراف الطبية التي تحول دون قيامهم بمثل ذلك النشاط الديني المباشر، فقد نصحتهم السيدة ايرا هاريس بأنه **«يجب أن ينتهزوا الفرص للوصول الى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز**(٤٢) **لهم بالانجيل. واياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات فانه أثمن تلك الفرص على الاطلاق ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك ان واجبك التطبيب فقط لا التبشير، فلا تسمع منه»**(٤٣) **وقد نتج عن تطبيق ذلك الأسلوب**

تحويلهم غرفة الانتظار في المستشفيات الى قاعة محاضرات للتبشير مع الزام كل مريض يراجع الأطباء بضرورة المرور من خلالها. وقد عهدت بالقاء تلك المحاضرات الى نفر من المسيحيين العرب وخاصة العراقيين الذين كان لتشابه لهجتهم مع اللهجة السائدة في الخليج، ومعرفتهم بكيفية التأثير على السكان أملا من الارسالية بأن يؤدي ذلك على التأثير على مشاعر وعواطف المراجعين.

وعن استخدام قاعة الانتظار، روى لي سعادة الشيخ عبد الله بنعبد الرحمن الشعيبي مساعد مدير التعليم بالاحساء سابقا، انه كان في زيارة لمستشفى البحرين لمرض ألم به، وفوجىء باصرار المسئولين في المستشفى على ضرورة مروره بقاعة الانتظار كشرط أساسي للسماح له برؤية الطبيب المعالج. وفي تلك الغرفة التي كانت تكتظ بعديد من المراجعين، دخل في نقاش ديني ساخن لم يرق للمحاضر العراقي مما جعله يبادر فورا بادخاله على الطبيب، مع أنه كان آخر المراجعين حضورا مكتفيا باعطائه نسخة من الانجيل.

وأضاف **الشيخ الشعيبي** بأنه بعد خروجه من غرفة الطبيب بدا له قيام ذلك الحاضر بمراقبته، وتأكد له ذلك حين نزع **الاستاذ الشعيبي** ورقة من الكتاب الذي لا يزال في يده ليضع فيها الأقراص الطبية، حيث سارع اليه مبديا معارضته وطالبا منه الانصراف، خشية أن يؤثر سلوكه هذا على بقية الموجودين في المستشفى. ومن الطريف أنه خلال الأيام التالية لتلك الحادثة، وأثناء تردد **الأستاذ الشعيبي** لاتمام علاجه، كان ذلك المحاضر يبادر بادخاله على الطبيب بمجرد رؤيته متجنبا مروره بغرفة الانتظار.

وداخل غرفة الكشف الطبي، حرص الأطباء على انتهازها فرصة للتبشير فعمدوا الى اطالة مدة الفحص الطبي وذلك باثارة نقاش ديني بينهم وبين المرضى. وكانوا يركزون على الشباب والسذج من الناس. ومما يروى في هذا الصدد الجدل المشهور الذي دار بين أحد الأطباء وأحد المراجعين، يتلخص في أن الطبيب وكعادته في اثارة المناقشات الدينية بادر المريض قائلا انكم يا معشر المسلمين، وحسب ما ورد في كتابكم تؤمنون بأن الله أنقذ عيسى من القتل، وأنه حي يرزق عند ربه وتؤمنون بأن نبيكم قد مات، فمن في رأيك أكثر فائدة

الحي أم الميت؟ وهنا بادره المريض قائلا ولكن كتابنا نص على أن عيسى بشّر بنبي يأتي من بعده اسمه أحمد، فهل هذا هو عيسى الذي تقصده؟ وهنا أسقط في يد الطبيب حيث أجاب بالنفي وأنهى النقاش وعلاج المريض(٤٤). ومن الأمثلة الأخرى لما كان يدور في غرف الأطباء ترديدهم بأن دينهم يأمرهم بأن يكونوا نظيفي القلب والمظهر، دائما بينما الدين الاسلامي لا يأمر بالنظافة الا عند اقامة الصلوات الخمس. وهذا قول مردود وجهل فاضح بما يأمر به الاسلام، وفيه دس وخبث يمكن أن ينطلي على بعض السذج من الناس وخاصة في تلك الفترة التي عم فيها الجهل مع عدم معرفة كثير من السكان لدوافع الأطباء الحقيقة من وراء اثارتهم لتلك النقاشات.

ومما يرويه الناس ممن عاصروا تلك الحقبة، حرص الأطباء على حسن مظهرهم واعتنائهم الفائق بنظافة ملابسهم، مع تركيزهم على اللون الأبيض والتعطر بأحسن الروائح، ومما يروى عن **الدكتور ستوم** الذي كان آخر من زار الاحساء من أطباء الارسالية التزامه بارتداء الزي العربي وحرصه على ارتداء العباءة العربية واطلاقه للحيته الكثة، مما أضفى عليه هيبة ووقارا بين مراجعيه. ولا شك أن ذلك كان أحد الأساليب التي أوصت الارسالية أفرادها بالحرص عليه.

ومن الأساليب الأخرى تركيز الارسالية على اقامة النوادي الرياضية وتأسيس الفرق الكشفية والجمعيات المتعددة. ويتضح من استغلال الارسالية لهذا الأسلوب التبشيري وخاصة بعد خيبة أملها في موافقة **الملك عبد العزيز** للسماح لها بأن تمارس في بلاده نشاطا مماثلاً لما تم في مناطق الخليج العربي، محاولتها التحايل بطلب السماح لفرقتها الكشفية بزيارة الأراضي الحجازية سنة ١٩٢٧م. الا أن الملك عبد العزيز كان يقظا ومدركا لدوافع الرحلة مما جعله يسارع الى اخطار الادارة الأمريكية برفضه التام لتلك الفكرة مضمنا ذلك في رسالة احتجاج بعث بها الى وزارة الخارجية الأمريكية جاء «**اننا نرفض أن تستخدم أرض الحجاز المقدسة لنشر المذهب المسيحي، وان حكومتي لن تتحمل أية مسئولية فيما قد يحدث لهؤلاء المغامرين من المبشرين الذين قد يدخلون البلاد بطريقة غير مشروعة لنشر تعاليم الانجيل أو محاولة الدعوة الى الدخول في الدين المسيحي**»(٤٥).

التورط السياسي للارسالية وعلاقتها بالاستعمار :

من الثابت وجود علاقة متينة بين التبشير والاستعمار. فان مجرد سماح بريطانيا للارسالية بتأسيس مراكز دائمة للارسالية الأمريكية العربية في الخليج العربي، وان تم ذلك بعد تردد في البداية خشية أن تكون مقدمة لنشاط أمريكي رسمي يهدف الى تثبيت أقدامه في المنطقة، ما كان الا بعد دراسة أكدت استفادة بريطانيا من جهود رجال الارسالية وخاصة في مجال جمع المعلومات عن الأحوال السائدة في الجزيرة. يتضح ذلك جليا من اصرار بريطانيا على أن تخضع الارسالية لها مباشرة، وتوافيها بنسخ من تقاريرها ونشاطاتها(٤٦).

ويعترف (زويمر) صراحة بأن «**الأبواب المفتوحة التي تؤدي فعلا الى الاسلام، انما هي المستعمرات التي يعيش فيها المسلمون تحت حكم مسيحي**»(٤٧). وقد حظيت الارسالية الأمريكية بجانب الحماية البريطانية بدعم الحكومة الأمريكية ممثلا في سفاراتها وقنصلياتها مما سهل مهمتها، وذلك حسب اعتراف بول هاريسون بقوله: «مالم يحصل المبشرون على حماية الحكومات الغربية بقوتها الحربية فانهم لن يتمكنوا من اعلان رسالتهم المسيحية(٤٨).

ومن خلال مراجعة تقارير أعضاء الارسالية يتضح مدى تورطهم السياسي وانصرافهم عن التركيز على الجانب التبشيري، وهو هدفهم المعلن، الى تكثيف جهودهم على جمع معلومات سياسية واجتماعية واقتصادية يمدون بها حكوماتهم والتي تعتمد عليها في صياغة سياساتها تجاه المنطقة. ومن أشهر تلك التقارير، تقرير أعده بول هاريسون يحلل فيه بالتفصيل الأوضاع السياسية والاجتماعية ووضع القبائل في شرقي الجزيرة العربية وقد اختتم هاريسون تقريره بتقديم نصحه الى الحكومة البريطانية عن الكيفية المناسبة لبسط سيطرتها على المنطقة(٤٩). كما أن التقرير السياسي الذي كتبه **الدكتور لويس ديم اثر زيارته للرياض عام ١٩٢١م، وبعث به لوزارة الخارجية الأمريكية** يعطينا مثالا واضحا لتورط رجال الارسالية في المجال السياسي. وهنا تجدر بنا الاشارة الى جهل بعض أفراد الارسالية بالأوضاع السياسية والاجتماعية في المنطقة وخاصة فيما يتعلق بوسط الجزيرة العربية – يتضح ذلك جليا من تقرير الدكتور ديم المشار اليه، والذي

يصف فيه **حملة الملك عبد العزيز ضد ابن الرشيد أمير حائل حيث قال الدكتور ديم**: «**ان خسارة الاخوان كبيرة جدا وان حكومتهم تقريبا في حالة افلاس. ان مصير الحملة أمر مفروغ منه وسوف يتحقق ذلك خلال أشهر قلائل. واذا تحقق هذا فانه يعني نهاية نفوذ وهيبة ابن سعود الى حد كبير، وفي الوقت نفسه يعني أن شريف مكة سوف يكون في مأمن نتيجة لذلك**»(٥٠) وقد أثبتت الأحداث عكس ما توقعه ديم تماما.

وكانت وزارة الخارجية الأمريكية تعتمد على رجال التبشير وتحثهم على موافاتها بتقاريرهم باستمرار خاصة في تلك الفترة التي تميزت بعدم وجود نشاط دبلوماسي أمريكي متكامل في المنطقة. وقد رحب المبشرون بالقيام بذلك الدور من منطلق أن ذلك لا يتعارض مع مفهوم الوجود التبشيري فالسيدة ر. نايكرك تعترف في مقابلة لها مع **الدكتور عبد الملك التميمي** جرت في شهر **أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٤م** «**اننا أحيانا يكون لنا نشاط سياسي – لقد حاولنا أن نكون مواطنين صالحين وسفراء لبلادنا الى جانب قيامنا بخدمة الله باخلاص**(٥١)». وقد أسبغت وزارة الخارجية الأمريكية على المبشرين هالة من التقدير والأهمية حيث حرصت على اظهارهم في الصورة دائما بدعوتهم الى المناسبات الرسمية التي كانت تقيمها بعثاتها في المنطقة. فقد روى لي بهذا الخصوص الاستاذ عبد الله الشعيبي، انه خلال احدى زيارته للبحرين قام بزيارة **للشيخ عبدالرحمن القصيبي** ممثل المملكة هناك، والذي أصر عليه بمرافقته لتلبية دعوة غداء تلقاها من القنصل الأمريكي والتي ستقام على ظهر احدى السفن الأمريكية. وانه أثناء تجوالهم على ظهر السفينة وقبل تناولهم طعام الغداء فوجئوا بظهور **الدكتور بول هاريسون** فجأة والتصاقه بهم وحرصه على ملاطفتهم والاحتفاء بهم.

ان احدى نتائج تورط المبشرين في السياسة وامدادهم الحكومة الأمريكية بتقارير يغلب على معظمها الدس والتشويه ما نلمسه اليوم من تشويه لصورة العالم العربي لدى الرأي العام الأمريكي. ومن المؤسف له أن يتباهى المبشرون –وهم من يفترض فيهم كرجال دين أن يلتزموا جانب الصدق – بدورهم في التأثير على الشعب الأمريكي ورسم خاطىء للأمة العربية وحضاراتها وهذا مايؤكده جون دي نوفو بقوله: «**ان المبشرين هم المرآة التي يرى الأمريكيون من خلالها الشرق الأوسط وكانوا كثيرا ما يطلبون الدعم الدبلوماسي من الادارة الأمريكية ويحصلون عليه**» (٥٢).

فشل الارسالية ونهاية عملها في المنطقة:

بعد عمل مضن وجهد متواصل دام قرابة نصف قرن من الزمن تبين للارسالية وبوضوح تام وخاصة منذ عام ١٩٤٠م بأن آمالها كانت مجرد سراب كاذب ولا سيما بعد اكتشاف النفط وبكميات هائلة في شرقي الجزيرة العربية، منهيا بذلك حالة الفقر والبؤس والمعاناة والتي كانت الارسالية تركز على استغلالها خدمة لأهدافها التبشيرية. وقد راقب رجال الارسالية بحسرة وأسى وذهول اكرام الله لسكان المنطقة بتدفق النفط واعتبروا ذلك بمثابة الضربة القاصمة لاستمرار نشاطهم.

ان خير مثال على عدم غبطة الارسالية أو ترحيبها بعصر النفط قد صوره لنا بول هاريسون، أحد أقطاب الارسالية في البحرين، وهو يترحم على سنوات الفقر وشح الموارد الاقتصادية التي طبعت حياة الانسان المحليين بالبؤس والمعاناة بقوله: «**ان العربي يشبه الصقر، فنحافته واستطالة جسمه القوي قد تكونت لتساعده على تحمل الاجهاد والمعاناة، وتحكي تقاطيع وجهه قصصا مليئة بشتى صور الجوع والفقر والبراءة. بكثير من اللطف وهذا ما كنا نتوقعه**»(٥٣). وقد حاول رجال الارسالية أن يعزوا فشل مهمتهم التبشيرية الى موضوع تدفق النفط وهو ما عناه بول هاريسون حينما قال في عام ١٩٤٠م «**ان قطب الحياة لم يعد مراكز العبادة ولكنها تتمركز الآن حول جهاز حفر آبار النفط**(٥٤)». وقد جانب هاريسون الصواب في اصدار حكمه هذا وذاك باتخاذه من النتائج التي صاحبت التغييرات المادية في المجتمعات الغربية مثلا يمكن تطبيقه في هذه المنطقة الاسلامية متجاهلا الاختلافات الدينية والحضارية بين المجتمعين ولا سيما وأنه قد أمضى فترة طويلة مع الارسالية في المنطقة. كما يتضح أيضا روح التبشير المفعمة بكراهية الاسلام والمسلمين والحقد عليهم وقد تجلت في صياغة ذلك الحكم والذي أصدر خصيصا لاقناع الرأي العام المسيحي لفشل الارسالية وانسحابها من المنطقة.

وبالرغم من **أهمية عامل النفط** حيث مكن الحكومات المحلية من توفير الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية مع توفيره لفرص عمل هائلة الا أنه لايمكن التسليم بأنه كان العامل الحاسم لفشل التبشير كما يزعم رجال الارسالية.

ان هناك عوامل رئيسية أفشلت محاولات المبشرين الرامية الى تنصير مسلمي الجزيرة العربية أو زعزعة تمسكهم بعقيدتهم السمحة. وأهمها العامل الديني. فتمسك المسلمين بدينهم وايمانهم القوي كان الصخرة الصماء التي تحطمت عليها آمال رجال الارسالية وجهودهم التبشيرية اليائسة. لم يغب هذا العامل عن أذهان كثير من المطلعين على خطط الارسالية منذ البداية. فقد اعترف (زويمر) بأن الارسالية تعرضت لنصح وتحذير من قبل العديدين قبل بدء عملها في شرقي الجزيرة العربية. فلقد حاول الناصحون أن يثنوا الارسالية عن تنفيذ مخططها يقينا منهم بأن عملية التبشير مجرد مضيعة للوقت والجهد في تلك المنطقة التي أكرم الله سكانها بديانة سماوية سامية ولأنهم يعبدون نفس الاله وانه من الأجدر بالارسالية توجيه جهودها نحو مناطق لاتزال تدين بالوثنية(٥٥). لكن تلك النصائح لم تلق اذنا صاغية. ثم ان لنفور السكان المحليين من التعامل مع المبشرين باعتبارهم نصارى ولاختلاف الديانة السماوية واللغة والطباع عامله المؤثر في افشال التبشير. يضاف الى تلك العوامل، الموقف الحازم **للملك عبد العزيز** والمتمثل في رفضه السماح للارسالية بتأسيس مراكز لها على أراضي المملكة والذي نتج عنه افشال مخططات الارسالية للتغلغل الى داخل الجزيرة العربية، وجعلها منطقة يحرم عليهم العمل فيها، **ولا سيما بعد استرداده للاحساء عام ١٩١٣م والتي كانت تراود رجال الارسالية الآمال في أن تكون منفذهم الرئيسي الى عمق الجزيرة العربية.**

وهكذا أجهضت تلك العوامل مجتمعة مخططات وآمال الارسالية وجعلتها تقرر رسميا في عام ١٩٤٤م تصفية نشاطاتها نهائيا، بعد أن أصيبت بخيبة أمل كبرى. ورحلت عن المنطقة وهي تجر ذيول الفشل الذريع لجهود مضنية دامت خمسون عاما ولم تسفر عن أي نجاح يذكر اللهم الا تظاهر ثلاثة أشخاص أحدهم أعمى وثانيهم كسيح وآخرهم مختل في عقله بالتحول الى المسيحية. وبذلك طويت صفحة سوداء من عمل تبشيري استعماري فشل في تحقيق أهدافه التي رسمها لنفسه منذ البداية.

● الهوامش والتعليقات ●

(*) ان استعمال كلمة (تبشير) التي روج لها الغربيون والتي يقصدون بها بث الأفكار والعقائد المسيحية لا تنطبق في اعتقادنا على نشاط الارسالية الأمريكية العربية في شرقي الجزيرة العربية لكونها منطقة أكرمها الله بالاسلام دينا، لكننا نستخدمها هنا اضطرارا لشيوع استخدامها.

(١) كمثال الدعم المادي الفردي للارسالية، أوضح تقرير رسمي للارسالية عام ١٩٢٠ بأن رجالها تمكنوا من جمع مبلغ ٣٨٨٨ دولارا في حملة قاموا بها في مقاطعةSioux في ولاية نبراسكا بالولايات المتحدة الأمريكية في حملة خططوا أثناءها لجمع مبلغ ٥٠٠٠ دولار انظر :-

Calverley Papers, Box 146, Document 69417, Box 119, Document 57615.

(٢) Joseph J. Malone, America and the Arabian Peninsula: The First Two Hundred Years, The Middle East Journal, vol. 30, No. 3. (1976) P. 412.

(٣) Anon, The Arab and his Country, (Philadelphia: the American Sunday School Union. 1847.) P7.

(٤) وفي هذا دليل على تنافس المذاهب المسحيه في ميدان التبشير وحرص كل مذهب على نشر معتقداته على حساب المذاهب الأخرى.

(٥) الدكتور عبد الملك التميمي، النشاط السياسي للمبشرين في منطقة الخليج العربي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٢٠ ص ١٠٣.

(٦) Samuel M. Zwemer, Arabia, The Cradle of Islam (New york: Fleming H. Revell Company. 1900) PP. 376 - 377.

(٧) Ibid, P. 357.

(٨) Ibid, P. 359.

(٩) Malone, OP. Cit., P. 413.

(١٠) كان هناك خلاف مبدئي حول اختيار أول موطىء قدم للارسالية في الجزيرة العربية، فقد كان زويمر يفضل أن تكون صنعاء هي المقر الأول بالنظر لطيب مناخها وموقعها المناسب، ولذا قام بزيارتها مرتين وذلك في عام ١٨٩١ وعام ١٨٩٤م، ولكنه لمس صعوبة العمل مع وجود الحكم العثماني.

(١١) Malone. Op. Cit., P. 413.

(١٢) Zwemer, Op. Cit., P. 389

(١٣) التميمي المصدر السابق، ص ١٠٣.

(١٤) المصدر السابق ص ١٠٤.

(١٥) Zwemer, Op. Cit., P. 192.

(١٦) Ibid. 362.

(١٧) Ibid. 364.

(١٨) التميمي، المصدر السابق، ص ١٠٨.

(١٩) Zwemer, Op. — Cit., P. 383.

(٢٠) Paul W. Harrison, Doctor in Arabia, (New York: John Day: 1940). P. 277.

(٢١) Calverley Papers, Box 149 Document 69835.

(٢٢) Zwemer, Op. Cit., P. 114.

(٢٣) Ibid. P. 133.

(٢٤) Ibid. P. 68.

(٢٥) اطلق لقب الملك على السلطان عبد العزيز وذلك قبل أن يتلقب بهذا اللقب رسميا بعد توحيد المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢م. ومرد ذلك الى أن البحث يشمل الفترة ١٨٤٧ - ١٩٤٤م.

(٢٦) يقوم مكانه حاليا فندق الحرمين.
(٢٧) أكد لي ذلك أكثر من مصدر وخاصة فضيلة الشيخ يوسف المبارك والشيخ أحمد الملا وهما من المهتمين بتاريخ المنطقة وممن يعتمد عليهم في ذلك. وقد قابلتهما في ١٠ / ١٠ / ١٩٨١م.

(٢٨) روى في ذلك الاستاذ / ابراهيم بن عبد الرحمن الشعيبي مدير مدرسة الملك فيصل. أثناء مقابلتي له في ٨ / ١٠ / ١٩٨١م.

(٢٩) Malone, Op. Cit. P. 407.
(٣٠) كانت نسخ الانجيل تأتي من مطابع البعثات التبشيرية في كل من مصر وسوريا.
(٣١) Malone, Op. Cit., P. 414.
(٣٢) Calverley Papers, Papers, Box 149, Document 69835.
(٣٣) Zwemer, Op. P. 365.
(٣٤) Calverley Papers, Box 146, Document 69417.
(٣٥) Zwemer, Op. Cit., P. 366.
(٣٦) Malone, Op. Cit., P. 414.
(٣٧) Ibid.
(٣٨) Zwemer, Op. Cit., P. 384.
(٣٩) Ibid.
(٤٠) Ibid.
(٤١) الدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية. الطبعة الخامسة (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٧٣)، ص ٦٢٠.

(٤٢) تكرز بمعنى تغط.
(٤٣) الخالدي وفروخ، المصدر السابق، ص ٦٢ – ٦٣.
(٤٤) سمعت هذه الرواية من أكثر من مصدر. وعند سؤالي للشيخ يوسف بن راشد المبارك – وهو مؤرخ ثقة – أكد لي بأنه سمع بنفس الرواية.

(٤٥) Foreign Relation .... 1928, P. 63.
(٤٦) التميمي، المصدر السابق، ص ١٠٧.
(٤٧) الخالدي وفروخ، المصدر السابق ص ١٤٦.
(٤٨) التميمي، المصدر السابق، ص ١١٠.
(٤٩) المصدر السابق ص ١٠٩.
(٥٠) Calverley Papers, Box 146. Document 69833.
(٥١) التميمي، المصدر السابق، ص ١٠٩.
(٥٢) المصدر السابق، ص ١١٣.
(٥٣) Paul W. Harrison, The Arab at Home, (New York: Crowell, 1924) P. 8.
(٥٤) Paul W. Harrison, Doctor in Arabia, P. 300.
(٥٥) Zwemer, Op. Cit., PP. 391 - 392.

من أدب الدّعوة



بقلم : الشيخ محمد بن أحمد العقيلي

مهد الشيخ حسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي في كتابه الديباج الخسرواني لهذه المحاورة الشعرية بقوله: (ولما وصل أمراء نجد الى هذه البلاد لم يسلم لهم أمير المنطقة حتى وصلت قصيدة من الشيخ محمد بن أحمد الحفظي صاحب (رجال ألمع) موجهة الى الوالد القاضي العلامة عبد الرحمن ابن حسن البهكلي يستحث أهل الجهة في سلك طاعة النجدي)!، وقد أجاب عن هذا النظام الوالد القاضي وجماعة من علماء الجهة، وقد رأيت إثبات جواب العلامة حسن بن خالد لأنه أحسنها وأجمعهم).

وكأن الدرعية رأت أن طريق الاستمالة بالدعاية العلمية، وتوضيح حقيقة الدعوة والهدف السامي لها من طريق نشرها السلمي هو الأفضل، فأرسلت تلك القصيدة الى كبير قضاة المنطقة، ونخال عند وصول القصيدة الى قاضي البهكلي عرضها على الأمير ووزيره، ثم على علماء الجهة.

لقد أجاب القاضي البهكلي وهو في تلك الفترة قاضي مدينة أبي عريش قاعدة الامارة، كما أجاب عليها عدد من علماء المخلاف السليماني، وكان في ذلك التاريخ في علماء المنطقة سنيون كآل الحكمي في أبي عريش، وآل شافع النمازيين والسباعية في صبيا، وفيها شيعة ومتشيعون في جهات أخرى.

فكانت النتيجة أن الاجابات كانت متباينة بحسب الميول المذهبيه سلبا وايجابا، وانما لم يورد الشيخ حسن بن أحمد الضمدي لا جواب القاضي البهكلي ولا غيره واكتفى بايراد قصيدة العلامة حسن بن خالد وزير الأمير، وأمير المنطقة آنذاك في حرب مع الدولة السعودية، وهو يدين بالولاء الروحي والسياسي والمذهبي لامام صنعاء، ومن ذلك المنطلق نخال أنه كان الرد في القصيدة.

وليست امارة حمود هي التي وقفت من الدولة السعودية والدعوة الاصلاحية بله الخلافة العثمانية وامبراطوريتها الواسعة في البلاد الاسلامية والبلاد العربية خاصة.

بل ان امراء شبه الجزيرة كان يقض مضاجعهم ويهز حكمهم أزيز تلك الدعوة الاصلاحية، فكانوا في طلائع مناوئيها، وحشد العلماء للنيل منها والغمز واللمز بله التجريح والتكفير لأصحابها.

كان النصف الشمالي الممتد من شمال درب بني شعبة الى جنوب مدينة صبيا قد تقبل الدعوة سراً، عن طريق الدعاة وأصبح مهيأ لاعلان انتمائه اذا وصل من يرفع أو يقوم برفع لوائها، وبعد ذلك ببرهة عاد عرار بن شار الى وطنه الدرب وأعلن الدعوة كما وصل الى وطنه صبيا الداعية أحمد بن حسين الفلقي يحمل كتاب عبد العزيز بن محمد الى أمير المخلاف ولما لم يستجب له خرج الى جهة الجعافرة وقام بواجب الدعوة.

وعلى كل فالجديد من كل الدعوات الاصلاحية يلقى عادة كل مقاومة، ولا يقبل عليه الناس الا القليل منهم، وسواء كان الانسان عالماً أو مقلدا فانه يصعب عليه الانعتاق من ماضيه القريب الا بعد أن يتخلص من مناعة

المقاومة والانفلات من جاذبية قيود الاعتياد ويثبت الشيىء الجديد صلاحه للبقاء وأهليته للهداية.

وبعد هذا التمهيد علينا دراسة القصيدة دراسة موجزة لنستشف من ثناياها ما وراء معانيها.

تتألف القصيدة من خمس مقاطع يشيد في المقطع الأول بالدعوة وما تقوم عليه من التوحيد ومنها:

يا حبذا يا حبذا يا حبذا	فالنصح مقبول على الوجه الجلي
فتبين الداعي وما يدعو له	فى الآن والزمن الرحيب المقبل
أمرٌ مهمٌ وهو أمرٌ لازب	للعالم المتفطن المتعقـــــل
أما الرسالات التي تأتي من	الدّاعي فأمر ما به من مدخل
يدعو الى التوحيد ثم لوازم	ثبت لها والحق منهجه جلي
ولزوم سنة أحمد بأصولهـــا	وفروعها لم تخف عن متـــأمل
قسما لقد سر الفؤاد بما حوت	وشفا بنور منارها المتهـــلل

أما المقطع الثاني فيبتدئه مستثنيا بقوله:

لكنها جـــاءت بأيدي عصـــبة	عمـــلوا بضد مفصل مع مجمـــل
بل صرحوا بالشرك في كل الورى	في أمة الهادي بغير تأمـــل

ومضى يورد معنى الآية (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ومعنى ما جاء في الأثر(أنه لا يخشى على أمة محمد شرك). وان تلك العصبة قد استباحوا النساء وأحلوهم وأنهم يتعاقبون على النساء في المحافل والبعض يكريهم وأنهم كم قتلوا من صبي في سن اليفوعة؟.

أما المقطع الثالث فهو امتداد للمقطع الثاني فيذكر أنهم استباحوا شيوخا ركعا أتقياء، وأن الرسول ﷺ لم يغز قرية يقام فيها الأذان للصلاة واذا غزى الكفار قدم داعيا يدعوهم فان استجابوا والا قاتلهم.. الخ.

أما المقطع الرابع فهو مختص (بالمقادمة)، والمقادمة يقصد بهم قادة السرايا وكبار الدعاة مثل عبد الوهاب المتحمي الملقب بأبي نقطة، وعرار بن شار الشعبي داعية بني شعبة وأميرهم، وأحمد بن حسين الفلقي، داعية الجعافرة ومن يليهم وينسُب اليهم، انهم يجهِّلون الناس وان داء الجهل أصبح فاشيا فيهم وللحقيقة والتأريخ ومع تقديري لعلامتنا المواطن نورد نبذة يسيرة عن كل منهم:

★ عبد الوهاب أبو نقطة: ممن تلقى الدعوة من الدعاة في وطنه ثم هاجر الى الدرعية هو وأخوه محمد ودرسوا مباديء الفقه والتوحيد وعادا لوطنهما – وقد أشارنا الى ذلك في كتابنا المخلاف السليماني – وعلاوة على ذلك فان عبد الوهاب أبي نقطة أثبت وجوده كقائد سعودي من الطراز الأول ومن أشهر القادة السعوديين في ذلك العهد لا في أرجاء السعودية الأولى بل ولدى الأوروبيين وبالأخص الرحالة منهم، – راجع كتابنا محاضرات في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب. –

★ عرار بن شار: تلقى الدعوة على أيدي الدعاة في بيشة ثم هاجر الى (الدرعية) وتلقى مباديء التوحيد ثم عاد داعية الى وطنه فلم يعيقه مركزه عن طلب العلم فتتلمذ على يد العلامة علي بن داحش القنبي الذي كان على علم بأصول التوحيد ومن المناوئين لمخالفيه، ويقول صاحب نفح العود: (تناول ابن داحش من ثمار تلك الدعوة ما ينع وطاب، وكان المذكور فاضلا تعلق بطلب العلم وحصل من فروع الفقه شيئا، وانتسب الى طلبة العلم ثم انحاز الى مجاورة الشيخ الرئيس عرار بن شار فتتلمذ له عرار وطلب على يديه العلم، هذا هو عرار، ويقول عنه صاحب نفح العود كان عرار رئيسا جوادا مقصودا يهب المال ويحمي الذمار وله مقاصد حسنة ومعرفة بأمور الآخرة، وفي رئاسة ظاهرة.

★ أحمد بن حسين الفلقي: ولد بصبيا ثم رحل الى الدرعية ودرس الفقه والتوحيد وعاد داعية الى وطنه – راجع ترجمته في تعليقات نفح العود.

وعلى كل قد أفضوا الجميع الى رحاب الله تغمدهم الله برحمته وقد أفضوا الى ما قدموا، وعلينا الاستفادة من عبر التاريخ وعظات الزمان.

أما المقطع السادس فيبتدئه بقوله:

هذا ولسنا قائلين بأن ذا بالأمر من عبد العزيز الأكمل

فهو يبرىء عبد العزيز بن محمد امام الدولة من فعل ما نسبه الى أولئك القادة أمراء السرايا ودعاة الدعوة، ولكنه يطلب تدارك الأمر بالنهي عن سفك الدماء والقتل للأولاد والسبي للنساء كما يقول؟ ثم يختم هذا المقطع بقوله:

أو مرسل يدعو لسنة أحمد في الناس ينشدها بغير تبدل
الله يعلم أنه لو كان ذا كنا نسارع نحوه بتعجل
فخذ الجواب لسان حال سائل عن كل اشراف البلاد الكمل

ان الخصومة السياسية في ذلك العهد ما بين أمير المنطقة ورجال الدعوة كانت على أشدها ولم يكن في ذلك الوقت اذاعة تقوم بالدعاية للدعوة كما أنه لم يكن لخصومها وسائل تقوم بالدعاية المضادة وانما كانت الدعاية الفردية ورسائل العلماء، وقصائدهم هي وسائل التعبير عن تلك المواقف وكما هو الشأن الآن فتسمع على موجات الأثير الدعايات بمختلف أنواعها من نبذ الخصوم بالشيوعية والامبريالية والرجعية بل وتتناول النواحي الدينية وهذا شيء صار الغالب على الدعايات الدولية لا يستثنى منه الا القليل وعلى رأسهم حكومتنا السعودية التي هي بمسلكها الاسلامي بعيدة عن المهاترات والردح والخصومات الكلامية، وبما أن الرجوع الى الماضي مستحيل مادياً فعلينا أن نستقرىء مواد التاريخ وما سجله المؤرخون مع الحيطة أن المؤرخ بشر فاذا كان في الجانب المهاجم فهو يمجد ويبرر واذا كان هو من الجانب المدافع فهو بدوره ينبذ الخصوم بكل وسائل التكفيرومخالفة الدين ونسبتهم الى فئة لا ينظر اليها الجمهور بعين الرضا كأن ينبذهم بالخوارج والمعتزلة وغيرهم، أو ينسب اليهم القتل والتدمير والسب والنهب والتحريق وهذا شيىء سائر في كل العصور، واذا أضفنا الى ذلك المواقف العدائية للدولة العثمانية من الدعوة الاصلاحية وشيوع التشيع في جنوب الجزيرة، كان ذلك من أكبر ما يدفع المؤرخ بميوله وبحكم مجاراة التيارات، ومع كل ذلك نجد أنه لا يخلو كل عصر من رجال قليلين يلتزمون جانب الاعتدال أو يظهر في نفاثاتهم تلميحات مضيئة، فيما يكتبون للأجيال.

وبين أيدينا مصدرين تاريخيين لتلك الفترة وهما:

١ - **كتاب نفح العود تأليف القاضي العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي** وهو من رجال المنطقة ورجال القضاء وهذا العالم عايش الأحداث وعاصر الحوادث مشاهدة ومعاينة سنة ١١٨٢ - ١٢٤٨هـ /١٧٦٨ - ١٨٣٢م.

٢ - **كتاب الديباج الخسرواني في ذكر ملوك المخلاف السليماني للشيخ حسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي الملقب عاكش** وهو ولد سنة ١٢٢١هـ ١٨٠٦م وتوفي سنة ١٢٨٩هـ ١٨٧٢م وعلامتنا يقول في مؤلفه الديباج الخسرواني ما نصه:

«أنه لما بلغني أن والدنا وشيخنا قاضي الجماعة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي ألف مؤلفا بديعا في أيام الشريف حمود لم أزل أبحث عنه ممن أظن عنده ذلك الخبر، ولم أقف له مع ذلك على أثر، وكان قد ألفت مجموعة في أخبار أعيان المخلاف السليماني وسميته الديباج الخسرواني وأثبت فيه ما بلغني من وقائعه الفخام، كما تلقيته من الثقات لأن بعض أيامه وقعت قبل أن أبرز الى عالم الوجود»، وسجل فيه الأحداث الى عام ١٢٧١هـ.

ويظهر أنه بعد ذلك التأريخ عثر على ذلك المؤلف المسمى نفح العود فيقول: (فلما تأملته وجدته قد استكمل مبتدى سيرته لأن تلك الوقائع على عين منه ومسمع ولا ينبئك مثل خبير، وبلغ فيه الى سنة ١٢٢٥ وفي طي ذلك وقائع متتابعة وملاحم كثيرة رائعة، وقد أردت أن أكمل ما فاته من سنين -الخ.

فعلامتنا عاكش توفي حمود أمير المنطقة وعمره سنتان تقريبا وأخذ بعد ذلك في طلب العلم والترحال الى زبيد وصنعاء وبيت الفقيه وغيرهم، ويظهر أنه ألف كتابه الديباج الخسرواني في سرار العقد السابع واستمر فيه الى عام ٧١ فاستقى كل معلوماته كما يقول من الثقات وبعد ذلك عثر على كتاب نفح العود.

وفي خلال تلك الفترة من سنة ١٢٢٥ هـ الى سرار العقد السابع من ذلك القرن مضت نحو أربعين عاما انقرض فيها جيل ونشأ جيل ولم يتبق من الجيل الأول الا الأقل في عهد لم يزد متوسط الأعمار فيه عن ٣٠ سنة، وفي الوقت نفسه مضت على انتهاء الدولة السعودية الأولى وسقوط الدرعية ٣٥ سنة وعاد لخصوم الدولة السعودية والدعوة السلفية نشاطهم ومكانتهم الرسمية والحربية والاجتماعية سواء في الحجاز أو في المخلاف السليماني أو تهامة أو في اليمن الأعلى وأصبح النفوذ الرئيسي لمحمد علي خصم الدولة السعودية الأولى، ورجال حكومته أو من أقامهم هو في الامارات ممن يحاورون طريقته ويسيرون على هواه، ثم أعقب ذلك رجوع الأتراك العثمانيين الى جنوب الجزيرة وأصبح لا يروج مؤلف الا اذا تناول عهد الدولة السعودية بالتجريح والقدح، وقد قيل في المثل ويل للمغلوب.

والعهد الأموي أزهى عهود الفتوحات العظام التي خفقت فيه راية الاسلام على أغلب آسيا وأفريقيا وقسم من أوروبا، ولم يشهد عظمة الدولة الاسلامية الا في ذلك العهد.

ومع ذلك عندما انهارت تلك الدولة العظمى والامبراطورية الواسعة على يد خصومها من العباسيين كان لا يروج مؤلف الا اذا تناول سيرة بني أمية بالقذف والتجريح ويتخذ من رجالهم الحازمين وعمالهم البارزين وقادتهم وسيلة الى تجريحهم وتحميلهم وزر تجاوزاتهم والاتخاذ من ذلك وسيلة الى القدح والنيل من مكانتهم في مثل الحجاج بن يوسف وزياد بن أبيه وغيرهم.

ولنعد الى ما ورد في أقوال مؤرخي تلك الفترة قال صاحب مؤلف نفح العود عن أكبر وقعة سجلها وهي وقعة ضمد بين قادة الدعوة وحمود.

(**نعم فتوجه حزام العجماني الى خبت السيد غرب وادي بيش فلقي بعض النعميين وهم أهل ابل وماشية، فقاتلوه وكانت الدائرة عليهم**).

ويقول في ص ٨ : (وصلت غازية من قحطان وكان قصد تلك الغازية اليمن لبلاد أبي عريش وضمد، فحصل منهم تعدي على راعي غنم وبقر من أهل الملحا عاهدوا حزام العجماني قبلا ففتكت الغازية بالراعي واستاقوا الماشية



وذكر لهم أهل الملحا العهد فلم ينصتوا له، فاجتمع أهل الملحا على قتال الغازية وحصلت معركة ذهب فيها الكثير من تلك الغازية ولم ينج الا أميرهم.

والمؤرخ رحمه الله لم يقف فقط عند الغزوات السعودية بل يذكر حتى غزوات حمود وما وقع منها فمثلا يورد في ص ١٠ عند توجه حمود من أبي عريش لقتال الداعيتين عرار بن شار وأحمد الفلقي في قرية السلامة في شهر الحجة عام ١٢١٦ : (ارتحل حمود من أبي عريش الى الساحل - يقصد الجعافرة الذين قد دخلوا في طاعة السعوديين - فأحرق القرى ونهب ما فيها من الحبوب وتوجه الى بيش.. الخ.

وفي غزوة ضمد التي هي تعد من أكبر وأهم غزوة بعد أهمية غزوة أبي عريش يقول صاحب نفح العود : (واجتمع من جميع غزو الدعوة ما ينوف عن الثلاثة آلاف - بما فيهم غزو أمير صبيا الداخل في الدعوة والداعيتين الفلقي وعرار - ثم توجهوا الى بلدة ضمد وقد اجتمعت كلمة أهلها على المدافعة والقتال ورئيسهم من قبل حمود - العلامة حسن بن خالد الحازمي فصبَّحهم العدو وقت الاشراق واشتد القتال واستولى الشروق على البلد بعد أن شربوا الزعاف وتجرعوا الكمد، وقتل جماعة من أهل العلم وهتك كثير من الحرم ولم يراع صاحب ولا خليل لخليله شيء من الذمم.

(وسبب ذلك التأويل فان أهل نجد يزعمون أن أهل ضمد أهل شرك ثم أسلموا عند وصول القائد حزام العجماني ومقابلته الأمير يحيى بن محمد الحسني وصحبته شيخ الاسلام أحمد بن عبد الله الضمدي وانعقد الأمر بينه وبين حزام أن يقوم الأمير يحيى بالعهد والدعوة في أبي عريش، ومنصور بن ناصر في صبيا، وأمورهما مناطة لشيخ الاسلام أحمد بن عبد الله الضمدي).

وتأويل أهل ضمد وحسن بن خالد أن أهل نجد خوارج، وهذه مسائل قد فرغ منها، وعند الله يجتمع الخصوم، وقد رددنا على هذا القول في تعليقنا على كتاب نفح العود في الحاشية رقم ١٤، وأوردنا تاريخ الخوارج ونشأتهم ومذهبهم وان الشيخ محمد سلفي العقيدة حنبلي المذهب يشيد بالصحابة ويقدرهم ويترضى عنهم جميعا، ويتولى الخلفاء الراشدين الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

أما في موضوع الخلافة والامامة فهو يتبع رأي أهل السنة والجماعة لأن الخلافة أمر دنيوي والله سبحانه وتعالى يقول: (**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**) وفي الحديث (**اسمعوا وأطيعوا ولو ولي عليكم عبد حبشي**) وفي الرجوع الى البحث نفسه ما يغني.

وفي موقعة أبي عريش نكتفي بنص ما أورده صاحب نفح العود وهو من علماء امارة حمود وممن عايش الأحداث وشاهدها فيقول: (وثبت جند حمود ريثما غشيهم جند عبد الوهاب كأنهم السيل الجرار وحملوا على الحصون فلاقوا عنها شرب المنون وثبت أهلها ثباتا حتى لم يبق منهم الا رجل أو رجلان، ومازالوا يفتحون حصنا بعد حصن ويأتون على من فيها قتلا وما سمع أنهم أسروا أحدا من الرجال الا من النساء واستدام الحرب الى العصر من ذلك اليوم ١٥ رمضان سنة ١٢١٧هـ وانحاز من نجا من أهل أبي عريش الى ديرة الأشراف).

من ظن أن يلقى الحـــــروب ولم يصـــــب قد ظن عجـــزا

أما مؤلف حدائق الزهر حسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي الملقب عاكش فقد علق على هذه القصيدة بقوله: (وهذه القصيدة – يقصد قصيدة حسن بن خالد الحازمي – قد شرحت جملة مما هم عليه وقد وقعت مقاولة بين صاحب هذه القصيدة وعلماء وقته هل يطلق على هؤلاء الطائفة أنهم خوارج أو لا يطلق، وألفوا في ذلك رسائل، وقد اطلعت على بعض تلك الرسائل وفيها ما يقتضي بالحكم عليهم أنهم خوارج، بالعلامات الواردة منهم من صاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة والسلام).

(ومن أنصف واطلع على سيرتهم علم عدم اتصافهم بتلك العلامات الواردة فى الأحاديث، وقد سمعت جماعة من علماء العصر يصرح بأن مذهبهم مذهب الخوارج ولكن هذا خروج عن الانصاف وركوب متن الاعتساف فان عامة ما هم عليه هو الدعوة الى التوحيد وترك ما عليه الآباء والأجداد من التقليد وهدم ما أمر الشرع بهدمه، ومجرد الخطأ في مسألة أو مسائل لا يخرج العالم عن طريق الشرع المحمدي، وكلام من تكلم انما هو بحسب المعصية وعدم التفطن لموارد الأدلة الشرعية فان بدعوتهم زالت بدع كثيرات وابتعد

الناس عن المنكرات فجزاهم الله خيرا والأعمال بالنيات وقد أبان العلامة الكبير ابراهيم بن محمد الأمير في مؤلفه الذي سماه «فتح الكبير المتعال الفارق بين الهدى والضلال» طرق دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب واستدل على صحة ما دعى الخلق اليه، مما لا يبقى لمنصف بعده ارتياب انه على طريق الصواب.

أشرنا قبله الى ما أورده صاحب نفح العود حول غزوات الدولة السعودية في المنطقة واكمالا للبحث نورد ما ورد في كتاب حدائق الزهر للعلامة حسن بن أحمد الضمدي الملقب عاكش، في حال أنه كما أسلفنا ألف مؤلفه بعد مضي نحو أربعين سنة على تلك الأحداث ووقوع تلك الحوادث في عهد قد انطوت فيه صفحة الدولة السعودية الأولى والنهضة الاصلاحية - وذهب رجالها من هذه الدنيا الفانية وقد قامت في المنطقة امارة من الصالحين مع محمد علي فقال ما نصه باختصار: (واعلم أن وقائع أبو مسمار كثيرة مشهورة وفي صفحات الدهر مسطوره ففي سنة ١٢١٧هـ كان صباح قرية ضمد على يد أصحاب عبد العزيز بن سعود من أهل تهامة وغيرهم من جبال عسير وقحطان وغيرهم وصباح عظيم قتل فيه خلق كثير، وأسر فيه جماعة من أهله وأخذ جميع ما في القرية وأحرقت وثبت في ذلك جماعة وواسطة عقدهم حسن بن خالد، ثم إن أهل القرية تفرقوا في القرى ومنهم من رجع الى القرية، الى أن كانت الوقعة الكبيرة التي أفضت الى صباح أبي عريش في شهر رمضان).

وسببها أنها لم تزل الغزايا من طريق أمراء نجد تتابع على أهل هذه الجهات ويقع منهم النهب والتعدي في الطرقات، والشريف حمود أبي مسمار لم يزل يحمي أطراف بلاده ولكنه بكثرتهم كلما بعثوا سرية خلفتها أخرى فوقع منهم صباح بقرية السلامة وقرية ضمد واتفقت أمور منهم ينكرها العقل والشرع:

وكان ما كان مما لست أذكره فاكفف لسانك لا تسأل عن الخبر

«وبعد ذلك تأبط عبد الوهاب بن عامر الشر ولم يزل يطلب الاذن من عبد العزيز ليمده لقتال حمود فأسعده الى ذلك المراد، فزحف الى أبي عريش بجيش جرار من رجال نجد وتهامة وحاطت بالمدينة العريشية وصدق بين الفريقين الجلاد واستقام حمود وابن أخيه علي بن حيدر في ذلك اليوم مع أهل

المدينة غاية القيام، وما غربت شمس ذلك اليوم الا وقد هلك جمع غفير من الجانبين نحو الألف واستولوا على المدينة بأسرها ونهبوا ما فيها، وهكذا بفعل من كان همه الملك العضوض».

هذا ما ورد عن الغزوات نورده للحقيقة والتاريخ ومن بعده دخل حمود في طاعة السعوديين كما هو معروف، وبعد هذه الدراسة والتمهيد نورد قصيدة الشيخ الحفظي ثم قصيدة العلامة حسن بن خالد.

قصيدة الشيخ محمد بن أحمد الحفظي التي أرسلها الى قاضي أبي عريش الشيخ عبد الرحمن[1] بن حسن البهكلي يستحث بها أهل الجهة الى الدخول في الدعوة السلفية وهي :

هام السجى وهاج يوق الممتلى	وبدت صبابات الغرام الدول
وتذكرت بيش المشوق عهودها	وورودها بسعودها في المنهل
وبدت له في تغرد نسبه	هشت له أوراح قوم كُمل
ولئن ظفرت بمطلبي فلي الهنا	ان كان قصدي صالحا في أول
ولئن تعذر ما نظمت لأجله	فبقدرة الله العلي المعتلى
فهو الذي ما شا كان ولم يكن	مالم يشا فاعلم بهذا واعملي
فيا باسمك اللهم أبدأ أولا	متعرضا لنوالك المتنزل
ومعرضا لا معرضا لنصحة	ندبت لها آي الكتاب المنزل
فليك يا قاضي البلاد قصيدة	حسنت معاني لفظها المتعلل
وفدت اليك وفود ضيف يرتجى	حسن القِرا المستحسن المتسهل
فابسط لها بسط القبول تكرما	واجمع لها أعْيَان أهلِ المنزل
فمن الظهور خفا تنصيص لهم	لا يحسن التنصيص في الأمر الجلي
واشرح لهم بيت القصيدة وقصده	فاليك شرح مطول أو أطول
واستشهد الأيام وانظر شأنها	وارقب عواقب حالها المتحول
والحق أولى أن يجاب وانما	لم أدر ما حيلولة المتحيل
ان كان ظنا أن ذاك مخالف	فهو البرىء من الخلاق المبطل
بل قام يدعو النـاس للتـــ	ــوحيد والتجريد والتفريد للرب العلي
ويذب عن عرش النبي محمد	ويذم من يدعو النبي أو الولي

ولقد أصاب فكم أزال شنائعاً وبدائعاً وصنائعاً لم تقبِ
أو كان ظنا أن فيه غلاظة وفظاظة وشكاسة لم تحمل
فأقول حاشا أن فيه ليونة وهيونة للمقبل المستقبل
لا يطلب الأموال من خزانها وينفل الأبطال ان لم تبطل
أو ينزع الملك المولى أوله غرض بمذهب آخر عن أول
بلى قصده التوحيد في أقوالنا ثم اتباع للنبي المرسل
هذان ليس سواهما مقصوده فعلام ينفر كل ندب أفضل
فالواجب الشرعي اجابة من دعا لهما ولو عيد فكيف بمدول؟
واليكم هذا النظام وعنكم تستخرج الأنظار في المستشكل
ولئن أجبتم فالجواب سجيته والخير فيما اختاره الرب العلي
تم الصلاة على النبي وآله ما لاح برق جنح ليل أليل

وقد أجاب الشيخ البهكلي بقصيدة كما أجاب عليها غير واحد من علماء المنطقة سلبا وايجابا إلا أن صاحب كتاب الديباج الخسرواني لم يورد الا القصيدة الجوابية التي أجاب بها العلامة حسن بن خالد الحازمي(٢)

ومع أننا لا نقر بعض ما جاء فيها من تجاوزات وخاصة الاتهامات الموجهة للدعوة السلفية ولدعاتها إلا أننا نوردها لبيان اقتحام الأدب ميدان الصراع السياسي والديني في ذلك الوقت.

فقال العلامة شرف الدين الحسن بن خالد الحازمي رحمه الله:

الله أكبر كل هم ينجلي عن قلب كل مكبر ومهلل
وموحد لله جل جلاله والشرك عنه والضلال بمعذل
وبدايتي اللهم الله فيما ابتغى من نظمي العذب الرحيق السلسل
ثم الصلاة على النبي محمد خير الورى النبي العظيم المرسل
والال ارباب الهداية والثقة من ودهم نص الكتاب المنزل
ولقد عثرت على نظام صاغه في رام أنجحا، شأنه لم يجهد
يا حبذا يا حبذا يا حبذا فالنصح مقبول على الوجه الجلي
فتبين الداعي وما يدعو له في الآن والزمن الرحيب المقبل

أمر مهم وهو فرض لازب للعالم المتفطن المتعقل
أما الرسالات التي تأتي من الداعي فأمر ما به من مدخل
يدعو الى التوحيد ثم لوازم ثبت لها والحق منهجه جلي
ولزوم سنة أحمد بأصولها وفروعها لم تخف عن متأمل
قسماً لقد سر الفؤاد بما حوت وشفا بنور منارها المتهلل

★ ★ ★

لكنها جاءت بأيدي عصبة عملوا بضد مفصل مع مجمل
بل صرحوا بالشرك في كل الورى في أمة الهادي لغير تأمل
أوليس أمة أحمد فيهم أتى القرآن كنتم خير أمة مرسل
وكذلك قال الطهر لا أخشى لكم شركا يكون فطالعن وتأمل

★ ★ ★

وكم استباحوا كم شيوخ ركع كم من تقي عابد متبتل
لم يدع غير الله جل جلاله لم يدع أصناما ولم يدع الولي
وكذاك أيضا صح أن المصطفى لم يغز قرية ذي الآذان مهلل
واذا غزى الكفار قدم داعيا يدعونهم نهج الهدى لم يعدل
فاذا استجابوا لم يرد عليهم ايمانهم بالله في المستقبل
وتثبت الوالي عنه محتم لا ينبغي التقصير في أمر الولي
هذا الوليد أتى فعالا منكرا فأتت قوارع ربنا في المنزل
ان جاءكم فيما ترون فاسق فتبينوا بصراحة فيما تلي

★ ★ ★

أما المقادمة الذين تراهم ففعالهم نكر بغير تأول
لا يسمعون مقالة من عالم بل ينسبون الحبر أجهل أجهل
واذا سمعت كلامهم بأدلة تجد الكلام عن الصواب بمعزل
لكن داء الجهل أصبح فاشيا فيهم فانا ينصحون بمعدل

فالشيخ، ان كان المراد هداية — بعث الهداية كل شخص أفضل
لا كالعرار وشكله ونظيره — ذو نقطة والكل عن علم خلي
أو ليس قاتل سالم ومعوض — والندب من نسل النبي وصى علي
من غير لا ذنب ولا بجناية — بل هم على الدين القويم الأمثل

★ ★ ★

هذا ولسنا قائلين بأن ذا — بالأمر من عبد العزيز الأكمل
لكن تجاوب بالوجوب تدارك — والنهي عن سفك الدماء المنهل
والقتل للأولاد أمر ظاهر — واذا جهلت فعالهم عنه سلي
والسبى للنسوان كل خريدة — تحت الحجاب بستر مولانا العلي
تالله ما في القلب انكار لما — يدعو الى التوحيد للمتنزل
أو مرسل يدعو لسنة أحمد — في الناس ينشرها بغير تبدل
الله يعلم أنه لو كان ذا — كنا نسارع نحوه بتعجل
فخذ الجواب لسان حال سائل — عن كل اشراق البلاد الكمل

● مصادر البحث ●

١ – نفح العود – مخطوط – للبهكلي.
٢ – الديباج الخسرواني – مخطوط – حسن بن أحمد عاكش.
٣ – البدر الطالع – للشوكاني.
٤ – نيل الوطر – لمحمد زبارة.

● الهوامش ●

(١) هو الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن البهكلي ولي وظيفة القضاء في مدينة أبي عريش قاعدة امارة آل خيرات.

(٢) كان من أعيان علماء عصره في جنوب الجزيرة علما وفضلا وهو مؤلف كتاب خلاصة العسجد في دولة محمد بن أحمد الخيراتي، ولد سنة ١١٤٨هـ وتوفي سنة ١٢٢٤ - راجع كتابنا أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان - الجزء الأول -.



العربية الفصحى لغة التعبير الاعلامي

د. عبد العزيز محمد شرف

ان اللغة - شأنها في ذلك شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى عرضة للتطور في مختلف عناصرها : أصواتها وقواعدها ومتنها ودلالالتها وانه ينبغي علينا أن نربط ما بين دراستنا للغة ودراستنا لأنواع النشاط الاجتماعي والانساني الأخرى وأن نفسر دلالة كل لفظ في إطار السياق الحقيقي الذي تنسب اليه، واللغة بهذا المفهوم تعد نمطا من أنماط السلوك البشري لا يؤدي وظيفة ثانوية فحسب بل يؤدي دورا وظيفيا خاصا به - دورا فريدا لا يمكن أن يحل محله شيء آخر والكلمات المنفردة هي في الواقع تصورات لغوية لا وجود لها في الحقيقة اذ أنها نتاج تحليل لغوي متطور..

ذلك لأن طريقة الجماعية اللغوية في التفكير والشعور وأسلوبها في تجربة العالم واتخاذ موقف لا تتوقف في الحقيقة على بنية اللغة وما يطرأ عليها أثناء تطورها التاريخي المستمر من تغييرات أو يعرض لها من تقلبات ومصادفات - بل تتوقف على واقع الحياة التي تعيشها الجماعة اللغوية وتتحدد بالظروف التي تحيط بالناس.

فليست اللغة – على حد تعبير **الدكتور جنتر هيترة** – هي التي تحدد التاريخ بل ان الناس هم الذين يحددونه من خلال صراعهم الدائم مع العالم وموافقتهم المختلفة من الواقع ومواجهتهم المستمرة للبيئة.

فلم يسبق من قبل ان كان للكلمة المنطوقة أو المكتوبة مثل ما لها اليوم من قوة وسلطان فأصبحت كل هذه الأعداد البشرية تقرأها أو تسمعها في وقت واحد «**ان عصرنا وهو عصر الثورة العلميـة والتكنولوجية هو كذلك عصر الوسائط الجماهيرية الحديثة**»(١).

لقد بلغ التواصل بين الناس أقصى مداه وأضخم أبعاده فقرّاء الصحف والكتب والمجلات يتزايد عددهم كل يوم وأجهزة الاذاعة المرئية والمسموعة تدخل الكلمة المنطوقة في كل بيت وتؤثر في نفس الوقت على تفكير مئات الألوف من الناس بل ملايينهم كما تؤثر على شعورهم وإرادتهم وسلوكهم.

وتصبح الوظيفة الاجتماعية للغة – موضوع «**علم الإعلام اللغوي**» أو ما يطلقون عليه «**علم المنفعة العلمية للغة**» معنى أو مغزى أو دلالة لغوية معينة بل هي وظيفة اجتماعية بحتة.. بحيث لا يمكن فصل الناحية اللغوية للعبارة عن السياق الاجتماعي والثقافي – فاللفظ يرتبط ارتباطا قويا بالموقف الذي يحدث فيه – أي بالناس والأشياء التي يتعاملون بها – هذا مما حدا بمالينوفيسكي أن يقول عبارته المأثورة في مقاله «**مشكلة المعنى في اللغات البدائية**» الكلام والموقف مرتبطان ببعضهما ارتباطا لا ينفصم وسياق الموقف لا غنى عنه لفهم الألفاظ.

ويذكرنا **كورتسيسكي** أن أغلب مشكلاتنا الاجتماعية متركزة حول مصطلحات غامضة كثيرة الصور – وهذه المصطلحات تتداخل مع انفعالاتنا تداخلا نتج عنه أن استجاباتنا الدلالية تصبح مختلطة أيما اختلاط – ويرجح **كورتسيسكي** الانحرافات الشخصية والقومية والعالمية الى «**ردود أفعال عصبية**» تستلزم اعادة التربية.

ويقول كورتسيسكي «إن أكثر شقائنا في حياتنا لا ينشأ في الميدان الذي تنطبق عليه «صادق» أو كاذب بل في الميدان الذي لا تنطبق عليه احدى هاتين الكلمتين

أي في المجال الكبير مجال الوظيفة النسبية والخلو المعنى حيث ينعدم الانفاق لا محالة «ويصف كورتسيسكي رموزا مثل «النقود» بأنها تجريدات بالغة القوة تحكم حياتنا عن طريق الذين يسيئون استعمالها - أي الذين يبرعون في استعمالات مضللة ويرى كورتسيسكي آخر الأمر كما رأى ثورمان ارنولد أن جل مشكلاتنا يتلخص في أن نعثر على من يستعمل رموزنا استعمالا صحيحا وقد درس ارنولد مشكلة «الرموز» بما فيها الكلمة وناقش سلطاتها علينا وحلل في كتابه المشهور «فولكلور الرأسمالية(٢) القوة السحرية التي تمتاز بها بعض العبارات الآسرة في اللغة الانجليزية الأميركية مثل الدستور ومؤسسو هذا البلد تحليلا يثير الضحك المر والسخرية وقضية ثورمان اننا يحكمنا من يسيئون استعمال ما للكلمات من سلطان، ويوجهونه الوجهة التي يرضونها ولكنه لا يقدم اقتراحا لوقف هذه الاساءة اللهم الا القيام بتمرينات «مقوية» في تعريفات الكلمات والموضوعات.

وهكذا يبدو لنا أن اتباع كورتسيسكي من أمثال ستيورات تشيزوهاياكاوا قد اهتموا بابراز مدى حاجتنا الى توضيح الموضوعات والأشياء والأسماء في مجالات مختلفة كالقانون، والاقتصاد والحكم والادارة والاجتماع ولكنهم يسرفون في الوعود اذ يرون أننا حالما نصل إلى التعريفات الواضحة للموضوعات والكلمات، وحالما ننحت الكلمات التي لا معنى لها فاننا نصل الى حل مشكلاتنا الاجتماعية.

ومعنى ذلك أن هذه المدرسة ترى أن الدراسة الدلالية - وهي دراسة لغوية في أصلها - ستحل المشكلات الاجتماعية غير اللغوية كالفقر والجهل والحرب.. الخ، ولكن لا شك أن قراءهم تعتريهم خيبة الأمل أو يصيبهم اليأس عندما يدركون آخر الأمر أن «**التحليل الدلالي**» لن يحل لهم مشكلاتهم الاجتماعية على أي وجه من الوجوه(٣).

ولكن الذي لا شك فيه أن الخلط المقصود من استعمال الكلمات - والتفنن في تضمينها إيحاءات مخالفة - مسائل تمارسها مجتمعاتنا المتحضرة على نطاق واسع وخاصة في مجالات الاعلام السياسي والاتصال بالجماهير ولا شك أيضا

أن علماء الدلالة يستطيعون أن يقدموا للاعلاميين وعلماء النفس وغيرهم من المشتغلين بالاتصال الجماهيري عونا صادقا لحل مشكلات انحراف الرأي باساءة استخدام الرموز(٤).

وقد اهتم علماء العرب بدراسة موضوع العلاقة بين اللفظ والمعنى – فقال متى بن يونس لأبي سعيد لا حاجة بالمنطقي الى النحو وبالنحوى حاجة الى المنطق لأن المنطقي يبحث عن المعنى والنحوي يبحث عن اللفظ، فان مرّ المنطقي باللفظ فبالعرض وان مرّ النحوي بالمعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضح من المعنى(٥).

وتناوله اللغويون فكتبوا فيه الرسائل ثم اتسع الأمر بهم واشتدت الحاجة إلى المجامع اللغوية فآل الأمر الى المجامع والمعاجم على أنها مجموعات ضخمة لألفاظ العربية تعكس لونا من ألوان التطور في استخدام الألفاظ.

على أن اللغويين الأقدمين ذهبوا الى اعتبار اللغة الفصحى مقصورة على المستعمل منها في لغة الشعر الجاهلي ولغة الصدر الأول للدولة الاسلامية وفي ذلك إنكار للغة نفسها وجعلها أشبه ما تكون بالتحفة الأثرية التي حرص عليها ويحتفظ بها لأنها علق نفيس شأنها شأن سائر الأعلاق النفيسة والعاديات العتيقة(٦) – وذلك أن اللغة كما تقدم من صنع المجتمع وفي ذلك ما يجعلنا نذهب الى أن هذه اللغة لابد أن تتطور فتساير الزمان والمكان... لأن المشكلة اللغوية تتعقد في حضارة العصر – التي تتطلب أدوات لغوية تترجم عنها ترجمة صادقة وليست اللغة العربية بعيدة عن التطور فالألفاظ العربية كما يدل البحث التاريخي كانت عرضة للتبدل الذي اقتضاه الزمان وتقلب الأحوال والنظم الاجتماعية وما الألفاظ الاسلامية الا لون من ألوان هذا التطور الذي عرض للفظة العربية البدوية القديمة فاستحالت شيئا آخر يقتضيه الدين والبيئة الجديدة.

وحين ننظر في لغة الاتصال بالجماهير التي نستعملها اليوم في أجهزة الاعلام العربي، ممثلة في الخبر والمقال الصحفي والحديث والتقدير الصحفي والمقابلة الاذاعية والتلفازية نجد أنها لغة مباشرة تصل الى الهدف

الذي نقصده بطريقة فورية وتنصب عليه متجنبة اختيار الايحاءات الجمالية والفنية للألفاظ ولإيثارها هذه البساطة والمباشرة فانها تتخلى بالتدريج عن العبارات المقتبسة والأنماط المحفوظة المتوارثة التي يعافها الذهن وتأباها روح المعاصرة.

ومن هنا كانت هذه اللغة الاعلامية تؤثر أن تقول:

عرض للبحث بدلا من عرض على بساط البحث.

وقاتل – بدلاً من خاض غمار القتال... و – اشتد القتال بدلا من حمي وطيس القتال..

و – انتهت الحرب – بدلا من وضعت الحرب أوزارها.

و – صب غضبه – بدلا من صب جام غضبه.

و – نتحدث – بدلا من نتجاذب أطراف الحديث.

وهل منا الآن من يقول: الحرب الضروس أو الموت الزؤام؟ وفي استغنائنا عن كل هذه التعابير التي تشبه (الكليشهات) الثابتة اقتصاد ذهني ومادي هو سمة من سمات لغتنا الاعلامية المباشرة(٧).

كما أصبح المخبر في الصحيفة أو الاذاعة يكيف الأخبار وفقا للقالب الصحفي أو الاذاعي المطلوب – مع حرص على القواعد المصطلح عليها في النحو والصرف والبلاغة وما اليها.

واذا كانت **اللغة الاعلامية** تحرص على مراعاة القواعد اللغوية المصطلح عليها فانها تحاول كذلك أن تحرص على خصائص أخرى في الأسلوب وهي البساطة والايجاز والوضوح والنفاذ المباشر والتأكيد والأصالة والجلاء والاختصار والصحة فأصبحت اللغة الاعلامية تجنح الى الاستغناء عن الكلمات الزائدة كأداة التعريف التي لا لزوم لها مثل شبت النار في القرية بحيث تكون أقوى في لغة الاعلام حين تكون: شبت نار في القرية – أما أدوات التعريف اللازمة فلا تستغنى عنها **اللغة الاعلامية** بحال من الأحوال.

كما تستغنى اللغة الاعلامية عن الأفعال التي لا قيمة لها مثل: قام باعداد بحث بحيث تكون أقوي في لغة الاعلام حين نقول: أعد بحثا.

وتستغنى لغة الاعلام عن الصفات وظروف المكان والزمان

وأحرف الاضافة مثل دمرت السيارتان تدميرا - وتقول لغة الاعلام دمرت السيارتان ومن هنا تؤثر اللغة الاعلامية أن تقول:

- عمارة من ثمانية عشر طابقاً بدلا من عمارة عالية من ثمانية عشر طابقا.

كان من الذين غادروا القطار - بدلا من كان بين الذين غادروا القطار.. الخ، كما تجنح هذه اللغة الاعلامية الى الاستغناء عن أحرف ربط للكلمات فتؤثر أن تقول قال في حديثه بدلا من: وقد قال في حديثه. وتستغنى كذلك عن الأسماء المعروفة فتؤثر أن تقول جاء من الاسكندرية بدلا من جاء من الاسكندرية في الوجه البحري - ولا تميل لغة الاعلام الى الجمل الطويلة وتؤثر أن تقول:

- استغرقت المناقشة نحو ساعتين بدلا من:-

- استغرقت المناقشة مدة تقرب من ساعتين:

ومن أهم سمات **اللغة الاعلامية** استخدام الألفاظ البسيطة الصحيحة الواضحة فتؤثر استخدام الكلمات القصيرة المألوفة على كل ما عداها من كلمات فتستخدم «حريق» بدلا من «أتون» و«سافر» بدلا من «ظعن».. الخ.

وقد تسللت بعض التعبيرات والأساليب الى لغتنا بفعل الترجمة من آداب ولغات أوربية مثل ذر الرماد في العيون - يكسب خبزه بعرق جبينه لا يرى أبعد من أرنبة أنفه - يلعب بالنار - لا جديد تحت الشمس - وألقى المسألة على بساط البحث - وتوتر العلاقات - ويلعب دورا خطيرا في السياسة أو التاريخ أو شئون الحياة العامة - وان هذه القضية تشكل خطرا دائما على السلام أو ان هذا العمل يشكل أزمة من أزمات الأمم المتحدة.

وقد كان من أثر الترجمة الصحفية وهي جزء هام من أقسام الأخبار الخارجية في الصحف العربية استخدام أسلوب جديد لا علاقة له بالأدب بل إن اللغة العربية استخدمت تراكيب جديدة من طبيعة تعبير اللغات الأجنبية ومثال ذلك شيوع استخدام الجمل الاسمية وتناثرها وكأنها وحدات مستقلة فهذه هي طريقة التعبير

الأوربي تماما بالجمل الاسمية المستقلة التي تجعل فيها النقط والوقفات فقرات تالية.

فطريقة تحرير الأخبار الصحفية المترجمة من أجهزة «**التيكرز**» أو المبرقات الصحفية، قد ساعدت على تطوير أسلوب صحفي جديد على اللغة العربية تتناثر فيه الجمل ويستقل بعضها عن بعض وفي وحدات ذات مغزى غير أن هذا الأسلوب الاخباري الصحفي سرعان ما أخذ يغزو فنون الاعلام الأخرى حتى طغى على المقال والتحقيق والحديث والعمود واليوميات وغيرها.

وتقدم أن من الأمثلة الطريفة على الفرق بين لغة الاعلام ولغة الأدب عنصر التكرار الذي يعتبر عاملا هاما للقضاء على الغموض وازدواج المعنى فالصحفي لا يتردد في تكرار كلمات معينة بغرض الوضوح وتبديد كل غموض محتمل.

وفي سنة ١٩٤٠ نشر «بريل» كتابا عن الألفاظ الأساسية في الجرائد اليومية في «مصر» وفي دراسة احصائية للألفاظ الواردة في الصحف اليومية في مصر في المدة سنة ١٩٣٦ وبلغ ما أحصاه من الألفاظ المستعملة - ١٣٦ كلمة وكانت النتيجة التي وصل اليها «بريل» تتفق والنتائج التي تحدث عادة في احصائية الألفاظ في اللغات وهي ورود عدد مرتفع من الكلمات بالنسبة لغيرها.

وأثبت بريل أن خمسمائة كلمة ترد حوالي ٦١٪ من نسبة مجموع الكلمات وأن ألف كلمة ترد حوالي ٧٦٪ من نسبة مجموع الكلمات أي أن ألف كلمة تكون ثلاثة أرباع الثروة اللفظية للكاتب.

ولهذا يذهب أصحاب اللغة الى أن تعليم اللغات يجب أن يسبقه احصاء شامل حتى يعتمد اختيار الألفاظ على كثرة ورودها في الاستعمال ونرى أن هذا الاحصاء ألزم ما يكون في علم الاعلام اللغوي لتحقيق المنفعة العملية للغة.

وقد لاحظ لانداو في دراسة اللغة العربية أن أكثر الألفاظ المختارة في كتب تعلم اللغة العربية لا تفي بالحاجة لأنها تختار على غير أساس عملي.

واستعان لانداو بعدد من مساعديه في احصاء الألفاظ وعمد الى اتمام العمل الذي بدأه بريل

فاختار ستين كتابا من مصر ألفت في موضوعات متباينة لكتاب مختلفين وذلك في التاريخ والاجتماع والاقتصاد ووصف الرحلات وغيرها وقلة في الأدب الرفيع ونشر نتيجة بحثه في كتاب ظهر في نيويورك سنة ١٩٥٦ تحت عنوان احصاء اللفظ في النشر العربي الحديث وقد أثبت ٤٠٠ – ١٢ وحدة لفظية تشمل على حوالي ٠٠ – ٧٢ كلمة.

وجمع في **القسم الأول** من كتابه الألفاظ مرتبة ترتيبا هجائيا وفي **القسم الثاني** رتب الألفاظ على حسب نسبة ورودها ثم أضاف اليها نسبة ورودها في الصحف اليومية عن بريل كما وضح النسبة بين ورودها في المنشور وبين ورودها في الصحف اليومية.

وكانت النتيجة التي توصل اليها أن الخمسمائة كلمة الأولى نسبتها ٥٦٪ من مجموع الألفاظ تقريبا بدلا من ٦١٪ في الصحف وأن الألف كلمة الأولي نسبتها ٧٠٪ من مجموع الألفاظ بدلا من ٧٦٪ كما هي في الصحف.

ويرتبط هذا الاحصاء بالمادة التي يقع عليها الاختيار فلو اختار لانداو من كتب الادب قدرا أكثر ولم يقم للغة الصحف هذا الوزن لجاءت نتيجة الاحصاء مغايرة بعض الشيء كما يقول الدكتور مراد كامل أي لما جاءت كلمة حكومة مثلا في المكان الخامس والعشرين من الترتيب.. ولما جاء لفظ الجلالة (الله) في المكان الثامن عشر.

وكذلك يؤثر تحديد معنى الكلمة في الترتيب فنجده قد اعتبر مثلا الكلمة وصيغ اشتقاقها وتصريفها كلمة واحدة وعد جمع التكسير كلمة لذاتها أما الصفة فقد عدها أحيانا كلمة لذاتها مثل بيضاء وأبيض وأحيانا كلمة واحدة مثل «كبر» وكبير وعد كلا من الظرف واسم الفعل كلمة لذاتها أما أسماء الفاعل والمفعول فقد عدها مع فعلها وعد الكلمة التي تشترك لفظا وتختلف معنى – على حسب معناها مثل «مرشح» في الانتخاب أو من البرد «وقص وقصه أو بالمقص» والجَد (**أبو الأب أو الحظ أو الاجتهاد**).

وقد أفاد هذا الاحصاء من ناحية اختيار الألفاظ ونسبة ورودها ولكن تنقص هذه المحاولة دراسة أدق وبحث أعمق وتفصيل أوضح في

إطار علم المنفعة العملية للغة بحيث تتيح فرصة لمن أراد معرفة الألفاظ التي يكثر ورودها في لغة الاعلام الأمر الذي يعمل على انتشار العربية الفصحى لتقف على قدم المساواة مع اللغات العالمية الواسعة الانتشار.

وتمتاز هذه **اللغة الاعلامية** لغة الاتصال بالجماهير أيضا بالمرونة والقدرة على الحركة فهي لغة حركية وهذه الصفة تتمثل في استيعابها لمنجزات الحضارة وروح العلم وواقعية المجتمع الجديد – وهذه المرونة التي تكسبها جمالها والجمال شرط أساسي لأية لغة على أن اللغة الاعلامية العربية تؤثر الافصاح في التعبير عن ذلك كله تارة بالتنقيب في ركائز اللغة عن الكلمات العربية التي تدل من قرب أو بعد على ما طرأ من المسميات، مادية كانت أو معنوية وتارة باستحداث ألفاظ وصيغ من المادة العربية الصميمة تسد الحاجة الى التعبير الحضاري في حياتنا الراهنة يقول محمود تيمور :

ولم يبق كبير جدال في اننا الى الفصحى جانحون وعن الدخيل والعامي متجافون وحسبنا أن الفصحى هي في يومها الحاضر – كما كانت على توالي الحقب في حضارة العرب لغة علم ومعرفة للأمة العربية في رحابها الفسيح.

لذلك بات من واجبنا أن نمكن لهذه الفصحى في ميدان التعبير الحضاري الشامل للحياة العامة في البيت والمصنع والمتجر والسوق حتى يجد الكاتب حاجته منها سهلا منالها حين يتوق الى الافضاء بما يخطر لفكره من معنى أو يعالج وصف ما يقع تحت عينه من أداة.

ولقد كان **للوعي اللغوي** أثر بالغ خلال الحقبة الماضية في امداد الفصحى بالمئات من الكلمات التي عبرت عن جديد الحضارة ومازالت جهود اللغويين والباحثين والمترجمين والكاتبين عامة تتواصل في هذه السبيل ويظهر فيما تنشر الصحف السيارة من أنباء ورسائل وفيما تخرج المطابع من مؤلفات ونشرات.

ولقد كان موقف **مجمع اللغة العربية** من ألفاظ الحضارة موقفا طيبا أقبل على المسميات الدائرة في الحياة العامة يعالج أن يتخذ لأسمائها الأجنبية بديلا مستمدا من الكلم الفصاح وهو نفس الموقف الذي

اتخذه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي في الرباط في حملته لمحاربة اللفظ الدخيل في العالم العربي، وما نجد ثماره في معجم «**قل ولا تقل**» والذي تطالعنا به مجلة اللسان العربي التي يصدرها المكتب المشار اليه.

وجاء هذا الموقف ضرورة بالنسبة لألفاظ الحضارة وكلمات الحياة العامة مما تمس اليه حاجة الاستعمال في البيوت والشوارع والأسواق اذ الكاتب أو الصحافي انما يكتب كلاهما ليفهم القاريء في المحيط العام فلزام عليه أن يستخدم من اللفظ ما هو مألوف لديه – متعارف عنده فان عدل عن المألوف المتعارف الى غريب من اللفظ غير مأنوس جديد غير شائع أظلم قوله وغم تعبيره وانقطع بينه وبين قارئه خيط الابانة والافهام.

من هذه الكلمات الفصاح ما صارع كلمات دخيلة تمكنت واستقرت حتى لم يكن أحد يحسب أن في المكنة اقتلاعها وإحلال غيرها محلها في مجال الاستعمال وان هذا ليدلنا على أن استقرار الكلمات الأجنبية وثباتها لا يدعو الى الاستسلام لها.. واليأس من تغييرها.. فالمحاولات المتجددة المثابرة كفيلة ببلوغ الغاية.. مادام تغليب الفصيح نزعة النفوس ووجهة الأذواق.

تستعمل في **سورية ولبنان والكويت** كلمة الهاتف مكان كلمة التليفون وتستعمل كلمة الحافلة مكان كلمة الاوتوبوس وفي مصر تشيع في الصحف كلمة الدراجة النارية مكان كلمة الموتوسيكل وكلمة اللافتة مكان كلمة اليافطة.

فان لم تكن تلك الكلمات الأجنبية وأشباهها قد دالت دولتها فانها على مدرجة الاختصار وان لم يكن بديلها من الكلمات الفصاح قد شاع كل الشيوع فانه على وشك أن يكون صاحب غلبة وسلطان(٨).

منذ قليل أخذ بعض الكتاب يتحدثون عن جهاز اخترعه **رودلف كتلير** يفيد المحققين ورجال الأمن في تسجيل ظواهر جسمانية ونفسية تكشف عن كذب القول وزيف الادعاء واسم هذا الجهاز «بزليجراف كيل فارع» فذهب الى تسميته جهاز الحقيقة وسماه كاتب آخر المفضاح والكاتبان كلاهما

يسايران نزعة الافصاح في التعبير بلفظ عربي يؤدي مؤدى ذلك اللفظ الأجنبي.

وفي مناسبة مرور خمس وعشرين سنة على انشاء الطيران في مصر - تنوقلت كلمة «**اليوبيل الفضي**» بقدر ضئيل أما الكثرة من الصحف فكانت تستخدم كلمة العيد الفضي متجافية عن اليوبيل التي كانت الغالبة فيما مضى من زمن قريب.

وفي ساحة اللغة الرياضية - لعبة كرة القدم وجد اللاعبون ومن اليهم من تلقاء أنفسهم بمعزل عن مجامع اللغة وفي غير فرض من أحد في تسمية مايتصل بهذه اللعبة من ظواهرها وأدواتها بأسماء عربية فصاح تغلبت الى شأو بعيد على مقابلاتها من الكلمات الأجنبية التي اقترنت بتلك اللعبة في طروئها على حياتنا الحديثة فكلمة «**الفوتبول**» فازت عليها كرة القدم وكلمة التيم صرعتها كلمة الفرقة أو الفريق وكذلك نتيجة المباراة بين منتخب الهاف تيم والجول والباك ومنتخب والشوط والهدف والظهير حتى لقد أصبح الريفري حكما بلسان عربي مبين(٩).

وفي هذا الصدد نقرأ نبذة كتبها مراسل رياضي في احدى صحف الصباح واصفا مباراة رياضية قال:

الضباب كيف يخيم على الملعب والرؤية عسرة ولم يبق من المباراة سوى ثماني دقائق وأحد الفريقين فائز على الآخر بهدف واحد.. وفجأة تختفي الكرة ويبحث الحكم عنها الى آخر ما جاء في هذه النبذة.

هذا **المراسل الرياضي اللغوي** يستعمل فقرة قصيرة بها أربع كلمات فصيحة هي مباراة للماتش وفريق للتيم وهدف للجول وحكم للريفري.

وهناك مراسل فني يدبج نبذة عن صنع التماثيل في احدى صحف الصباح يقول فيها: الفن والعلم انهما يتعاونان في وحدة الحراريات والخزف وترى في الصورة الفنانة وهي تضع لمساتها الأخيرة لتمثالين صغيرين عن الفلاحة.

استعمال ذلك هو ما يسود الصحافة العربية اليوم من اتجاه جديد نحو التميز للالفاظ الفصاح والسمو بالأسلوب الكتابي(١٠).

ليس بدعا اذن ما نلاحظه من

وفرة الكلمات الجديدة التي صنعها الاعلام واستعملها كُتَّابهُ محاولين بها اقصاء الكلمات الأجنبية الدالة على مسميات في ميدان الحياة العامة فالاعلام بذلك يسهم في تحقيق أغراض المجامع اللغوية وهيئات التقريب ويشيع من فصيح الحضارة ما يشيع ويسهم في تطور الوعي والنقمة على الكلمة الدخيلة المطموسة أو العامية المبتذلة تزداد على مرّ الأيام.

بالأمس كانت كلمتا البوستة والبوستجي هما الشائعتان في الاستعمال نطقا وكتابة وما يسوغ اليوم لكاتب أن يكتبهما عادلا عن كلمة البريد والساعي أو الموزع.

وبالأمس القريب أيضا كانت كلمة التايبريتر هي صاحبة السيادة وكادت اليوم أن تنزع عنها سيادتها كلمة «**الآلة الكاتبة**».

على أن المعركة حول الألفاظ الحضارية الدخيلة التي تدور في حياتنا العامة ما لبثت أن أسفرت عن مباراة بين ألفاظ عربية يحاول بعضها أن يتغلب على بعض في الدلالة على تلك المسميات.

ذاعت في مصر كلمة المذياع للدلالة على الراديو وفي لبنان يحاولون أن يستبدلوا بكلمة الراديو كلمة المواج.

وهكذا انتقل **الكفاح اللغوي** من حرب بين الألفاظ العربية والألفاظ الدخيلة الى تنازع البقاء بين الألفاظ العربية أعيانها في مختلف بلاد الناطقين بالضاد بغية انتخاب الأصلح الذي تكتب له الغلبة والشيع وما أكثر الفرق بين الحالين فالمباراة بين العربي والدخيل تهديد بهزيمة لفظ فأما المباراة بين الألفاظ العربية بعضها وبعض فلن تكون نتيجتها الا انتصار اللفظ العربي على أية حال(١١).

وفي **اللغات الأجنبية** نسمع أو نقرأ كلمات متداولة فاذا بحثنا عنها في المعجمات العصرية الحاضرة لتلك اللغات لم نقف لها على أثر وذلك لأن تلك الكلمات لم ترتفع الى مراتب الألفاظ التي توافرت لها سلامة التعبير ومن ثم لم تقرها الهيئات الثقافية ولم تسجلها المجامع اللغوية فهي تستأنى بها حتى يتضح الأمر في شأنها ليكتب لها الرفض والزوال أو يتاح القبول والاستقرار.

يقول محمود تيمور :

«لقد عن لي أن أتمثل مجمعنا



اللغوي هذا قد أنشىء قبل نصف قرن أو يزيد فوردت عليه الكلمات التي كانت شائعة يومئذ من نحو الغازته أو الجورنال أو الروزنامة والاسبتالية والخوجة والوابور واللوكاندة والأجزخانة فاذا هو قد سجلها بحجة شيوعها ومنحها جواز البقاء والاستقرار اما كان ذلك يقطع الطريق على من حاولوا من بعد احلال كلمات فصاح محلّ تلك الكلمات الدخيلة فما كنا نظفر بكلمات الجريدة أو الصحيفة والدراجة والسيارة والمالية ودار الكتب والقطار والفندق والصيدلية».

لقد قطعت اللغة الاعلامية العربية رحلة طويلة كاملة من أجل أن يتحقق لها شكل المستقر المتطور الذي نراها عليه اليوم من خلال صراع الألفاظ والتعبيرات والمصطلحات ومن خلال قيود التزمت والمحافظة ومشاق التعريب والاقتباس والترجمة ومن خلال محاولة الوصول عبر أجهزتنا الاعلامية المختلفة الى القاريء والمستمع والمشاهد.

فاللغة الاعلامية اذن هي اللغة التي تشيع على أوسع نطاق في محيط الجمهور العان وهي قاسم مشترك أعظم في كل فروع المعرفة والثقافة والصناعة والتجارة والعلوم البحتة الاجتماعية والانسانية والفنون والآداب ذلك لأن مادة الاعلام في التعبير عن المجتمع والبيئة تستمد عناصرها من كل فن وعلم ومعرفة.

وقد اكتسبت **اللغة الاعلامية** هذه المرونة من امتياز الفصحى بالعمق الذي يجعلها تنبض بالحياة والذي يجعلها تقوم على الترجمة الأمينة للمعاني والأفكار والاتساع للألفاظ والتعبيرات الجديدة التي يحكم بصلاحيتها الاستعمال والذوق والشيوع واذا كانت لغتنا الفصحى تباهي فيما مضى بالسجع والترادف والكناية والمجاز فانها أصبحت اليوم تحرص على السهولة والجزالة والدقة والوضوح فهذه هي روح العصر وتلك هي مقتضياته كما يقول **الدكتور ابراهيم بيومي مدكور أمين عام مجمع اللغة العربية في القاهرة.**

وعلى ذلك لم تعد لغة الاعلام كما كانت في لغة الصحافة في القرن التاسع خليطا من العامي والدخيل فقد تحقق التحول العظيم بنهضة التعليم وشيوعه وبتوافر وسائل التثقيف والاعلام وبانتعاش الوعي

الجماهيري أيما انتعاش وفتح الطريق أما لغة الاعلام الفصيحة لتتسرب في كل مكان وليكون لها في التعبير الجماهيري سلطان.

وان التحول لفرصة أمام حراس اللغة المحافظين على سلامتها أو على حد تعبير الاستاذ تيمور، لكي يبذلوا جهودهم للاستبدال بالعامي والدخيل من ألفاظ الحضارة بوجه خاص فانهم اذا تضافرت جهودهم في تلك السبيل أمكن لهم أن يحيلوا اللفظ والمجلات والكتب التي تقرأ فتقرع الأسماع في المجالس والأندية والاذاعات ! ونتيجة ذلك أن يصبح اللفظ الحضاري طعاما جماهيريا يسوغ في الأفواه كما جرى على الأقلام.

على أن الصحافة وغيرها من وسائل الاعلام قد حققت مايهدف اليه المجمعيون من محافظة على سلامة اللغة العربية وتمكينها وهي قادرة على الوفاء بمطالب العلوم والفنون كما يقول الدكتور مدكور بل ان ذلك رهين الجهد المتواصل الذي يبذل في العالم العربي من أجل مواكبة لغة الضاد لمقتضيات العصر والذي يسعى ليجعلها لغة العلم المتقدم التي بدأت تغرض نفسها الآن على المحافل الدولية ويجب ذكر أن الزعيم الراحل (**جمال عبد الناصر**) رحمه الله قد أسهم بجهد كبير في ابراز هذه الحقيقة عندما ألقى خطابه التاريخي في الأمم المتحدة باللغة العربية ولا نغفل أن الوكالات المتخصصة ومنها هيئة العمل الدولية قد اعتبرت اللغة العربية لغة رسمية في مؤتمراتها.

وعلى ذلك فاننا يمكن أن نقول ان الاعلام والصحافة بوجه خاص قد حققا للغة العربية كل ما كان يأمل فيه المجددون من رجال اللغة وكل ما نادى به الغيورون على هذه اللغة من وجوب تبسيطها بحيث يفهمها أكبر عدد من القراء ومن وجوب تزويدها بالحيوية الكافية حتى لا يضيق بها أحد من القراء بل من وجوب تطويرها حتى تتسع للتعبير عن كل جديد أو مستحدث في الأدب والعلم والفن جميعا.

بيد أن **لغة التعبير الاعلامي** مع ذلك في حاجة شديدة وملحة الى معجم يشمل مجموع ثروتها أي كل ما استوعبته الموسوعات اللغوية العربية القديمة والحديثة من مفاهيم وكل ما تضمنته الكتب العلمية والتقنية العربية على اختلاف أنواعها

قديما وحديثا من مدركات ودلالات اصطلاحية، معجم يشمل هذا كله ويعرضه مرتبا ترتيبا صنفيا باعتبار معاني المفردات والعبارات في تبويب قويم ملائم لعقلية العصر وذوقه يتسنى معه العثور بدون عناء على الألفاظ المؤدية للمعاني التي تتردد في أذهان المشتغلين بالتعبير الاعلامي.

ومن حسن حظ لغة الضاد أن الرأي العام العربي قد وعى حاجتها الى هذا المعجم(١٢) وعبر عن وعيه هذا على لسان أعضاء مؤتمر التعريب الذي انعقد الرباط من ٣ الى ٧ ابريل سنة ١٩٦١ والذي جعل ضمن قراراته التوصية التالية :-

يوصي المؤتمر بوضع معجم معان ليستعين به أبناء العربية في العثور على الألفاظ الدقيقة لما يجول في أذهانهم من المعاني والصور.

هذا المعجم الذي يفتقده رجال الاعلام العرب وتشتد حاجتهم اليه والذي أخذ المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي على نفسه انجازه ضمن التصميم العشاري للتعريب المنشور في شكل أخبار بعنوان «منهاج لتنسيق التعريب في العالم العربي» وقد قام بانجاز هذا المعجم فعلا السيد الأمين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله وهو كما يقول المؤلف :

كتاب يضم بين دفتيه جميع ألفاظ اللغة العربية مبوبة حسب معانيها تبويبا موضوعيا ملائما لعقلية هذا العصر وذوقه يسهل على الباحث. أن يعثر فيه على الألفاظ المؤدية للمعاني التي تجول في خاطره ويتوقف في التعبير عنها، كتاب يمكن اعتباره معجما للمعاني ومحيطا بكل ما في اللغة العربية من الألفاظ والمعاني بحيث يسوغ لنا عندما لا نجد فيه اللفظ الصالح لمقابلة مصطلح أجنبي أو اللفظ المؤدي لمعنى معين أن نجزم بأن اللغة العربية خلو منه فيمكن حينذاك وضع لفظ جديد(١٣).

وعلى ذلك فان معجم المعاني المنشود للغة الاعلامية ينبغي أن يتجنب الحوشي من الألفاظ وأن يلغي ضِدِّيّة المفردات المعروفة بالأضداد وذلك بأن يحذف من مدلول اللفظ أحد المعنيين المتضادين فيبقى محتفظا بالراجح بين أهل اللغة أو بالدقيق أو الفريد

أو النادر الذي يصعب وجود لفظ آخر يؤديه أو الذي تشتد اليه حاجة التعريب.. مثال ذلك أن يحذف من مادة «بيع» معنى الشراء فتبقى مختصة بمعنى البيع كما يحذف من مادة الشراء معنى البيع وأن تختص مادة خفي بمعنى الستر والكتمان وان يحذف منها معنى الظهور والاعلان.. الخ.

وكذلك ينبغي الاقلال من معاني الكلمات المشتركة بحذف معانيها الغريبة أو النادر استعمالها بها مما لا تحتاج اليه اللغة العربية لوجود ألفاظ أخرى تؤديه ومثال ذلك أن يحذف من مدلول كلمة راموز معنى البحر فتبقى مقصورة على الأصل والنموذج.

كما يجب التمييز بين معاني المترادفات في لغة التعبير الاعلامي باظهار الفوارق الدقيقة الموجودة بينهما أصلا في اللغة والمطموسة باقتضاب المعاجم شروحها وايجازها

اذ كثيرا ما تورد المعاجم العربية مرادفا في شرح لفظ يقصد بقصد

تقريب معنى هذا الأخير للفهم لا على سبيل تحديد مدلوله بكيفية دقيقة أكاديمية.

ومثال ذلك «تجمأ» في ثيابه فقد ورد شرحه بمفردة واحدة هي فعل تجمع في لسان العرب لابن منظور وفي تاج العروس للزبيدي وفي المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وفي متن اللغة لأحمد رضا لكن عندما يتعرض اليه معجم المعاني يورد معناه بالشرح التالي (١٤).

وتجمع وانكمش حتى توارى في ثيابه فلم يعد يظهر منه الا لباسه ومن شأن أمثال هذا الشرح أن يبعث أمثال هذه المفردة من القبر الذي دفنتها فيه الشروح المعجمية المقتضية والأضمن أن يترك فعل تجمع ويستعمل بدله فعل تجما ليعني به ما يعنيه الأول تماما بدون زيادة ولا نقصان ولا أدنى فرق.. وكذلك يمكننا أن نقول عن فعل تبدأ – الذي شرحته المعاجم بمفردة واحدة هي فعل «بدأ» لا غير بينما للفعل الأول معنى أدق من الثاني وذلك أنه فعل المطاوعة من بدأه بمعنى جعله يبدأ قبل غيره أي

بتعبير العصر أعطاه الأسبقية فيمون شرحه على الأصح وبالتدقيق خول

له – أو خول لنفسه أن يبدأ قبل غيره فبدأه ومن شأن هذا الشرح

أن يجنب الكاتب الوقوع في كثير من الأخطاء التي قد تنشأ عن استعمال تبدأ بمعنى حيث لا يسوغ لغة هذا الاستعمال وعن استعمال اسم المفعول مبدأ بمعنى مفضل بينما قد يكون الشيء مبدأ من غير أن يكون مفضلا والعكس بالعكس.

وفي الحديث الشريف «**الخيل مبدأه يوم الورد»أي يبدأ بها في السقى قبل الابل والغنم** ولذلك يجتنب معجم المعاني نقل الشرح المقتضب الوارد لهذا اللفظ في المعاجم العربية القديمة والحديثة بهذا النص «مقدم مفضل» ويشرحه على النحو التالي:

رجل مبدأ مخول له أن يبدأ قبل غيره وشيء مبدأ حقيق بأن يبدأ به قبل غيره ويضع قبالته **المصطلح الفرنسي Prioritaire والمصطلح الانجليزي Priority holder**، وتأسيسا على ذلك، نجد أن معجم المعاني(١٥) يحقق ما سبق أن أكدنا عليه من ضرورة وجود معجم يفيد

منه رجال للتعبير الاعلامي محققا المنهج المنشود في دراسة اللغة الاعلامية عن طريق البحث الاستقصائي عن المفردات في مختلف كتب اللغة العربية القديمة منها والحديثة والصحف والمجلات ثم تجريد مصطلحات معاجم الترجمة الفرنسية – العربية – الانجليزية – العربية المختصة منها وغير المختصة وتصنيفها حسب مواضيعها.

ويعتمد هذا المنهج كذلك على الاستقصاء في بحث المعاجم العربية والأجنبية القديمة والحديثة عن مفردات المعالج والحرص بقدر الامكان على مقابلة المفردة العربية باللفظ الأجنبي كما ثبت في هذه المقابلة.

وبذلك يتمكن **التعبير الاعلامي** من استخدام لغة دقيقة – المعنى والمبنى من جهة ويسهم في تعميمها من جهة أخرى – عن طريق سعي وسائل الاعلام لتحقيق وظائفها الرئيسية من رأي وخبر حتى لدى بعض الصحف التي تعتبر صحيفة رأي أكثر منها صحيفة خبر وبالطبع يغلب على صحافة الرأي العام السياسي والاجتماعي الذي يهم المواطنين في حياتهم اليومية بالشئون العامة في المجتمع سياسية كانت أم اجتماعية أو الى جانب هاتين

الوظيفتين وهما الخبر والرأي أخذت وسائل الاعلام تسهم في نشر وتنمية الثقافة ولا سيما الأدب ولذلك أصبحت لها وظيفة ثقافية ونافست «**الكتاب**» منافسة شديدة في أداء هذه الوظيفة بحكم أنها أرخص ثمنا وأكثر انتشارا وأسهل قراءة من الكتب ولذلك قلما نرى أديبا لا يكتب في الصحف ذلك لأنها أقوى وسائل الاتصال بالجماهير وإن كانت الأجهزة الآلية كالاذاعة والتلفاز أخذت تنافس الصحافة أيضا في شتى وظائفها ومع كل ذلك فان الكلمة المكتوبة لاتزال تحتفظ بقيمتها وثباتها عند الجماهير وهذا هو السبب في أن الاذاعة والتلفاز لم يستطيعا القضاء على أجهزة الاتصال الأخرى بالجماهير.. فالكلمة المكتوبة في الصحف تتيح للانسان أن يقف عندها ليفهمها على مهل.. ويناقشها بينه وبين نفسه.. وفي كل هذا لا تزال القراءة أعمق وأوضح وسيلة للمعرفة والفهم والثقافة.

وبناء على ذلك نلاحظ أن **الكتب والصحف والمجلات** لم تختف كأجهزة للثقافة ونشر المعرفة وفي مجال الأدب لم تكتف الصحافة بانشاء مجلات أسبوعية أو شهرية متخصصة لنشر الانتاج الأدبي والفني بل نرى الصحف اليومية والأسبوعية تخصص أجزاء منها أو ملحقات خاصة بشئون الثقافة والأدب والفن وكانت فكرة الصفحة الأدبية الأسبوعية قد انتشرت في الصحافة العربية من سنوات.

وكثير من كتب الثقافة والأدب والنقد الموجودة الآن ضمن تراثنا الثقافي العام كانت في الأصل مقالات نشرت في الصحف ثم جمعت بعد ذلك في الكتب ولاتزال تعتبر من الكتب العامة في التثقيف العام مثل.. المنتخبات لأحمد لطفي السيد وفي أوقات الفراغ **للدكتور محمد حسين هيكل** وحديث الأربعاء بأجزائه الثلاثة **للدكتور طه حسين** ومطالعات في الكتب والحياة **لعباس محمود العقاد وحصاد الهشيم للمازني وغيرها.**

وعندما نتبين قيمة هذه الكتب التي ذكرناها وتأثيرها في الأجيال المتعاقبة نستطيع أن ندرك الخدمة الكبيرة التي تؤديها الصحافة للغة والفكر في المساهمة في نشر أقلام الكتاب القادرين.

وصفوة القول أن للصحافة وأجهزة الاعلام تأثيرا كبيرا على اللغة فمن المؤكد أنها هي التي خلصت النثر العربي من الزخارف

اللفظية كالسجع والطباق وغيرها من المحسنات التي كانت تعتبر عبئا على التعبيرات وأحلت محل هذا الأسلوب المزخرف المنمق - الأسلوب المرسل السهل السريع الذي يحرص على المادة الفكرية والعاطفية والتعبير عنها أكثر مما يحرص على البهرجة اللغوية والزخرفة اللفظية وكان للصحافة فضل كبير في خلق لغة الاعلام التي تجمع بين البساطة والجمال وسرعة الأداء والتعبير.

الهوامش .

(١) هنتر هينزه: سلطان الكلمة (ترجمة) عبد الغفار مكاوي، في مجلة الفكر المعاصر، العدد ٦٤ - القاهرة ١٩٧٠م ص ٣

(٢) The Folklore of Capitalism

(٣) The Constitution of the Founders of the Country.

(٤) د. ابراهيم امام العلاقات العامة والمجتمع ص ١٧٠ (المرجع السابق).

(٥) أبو حيان التوحيدي: المقابسات (المطبعة الرحمانية) ص ٧٤.

(٦) ابراهيم السامرائي التطور اللغوي التاريخي، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية: ١٩٦٢)، ص ٣٩.

(٧) فاروق شوشة في مجلة الهلال ابريل ١٩٧٠ - القاهرة، ص ١١٨.

(٨) محمود تيمور معجم الحضارة ص ص ٥ - ٨.

(٩) المرجع نفسه، ص ٧.

(١٠) المرجع نفسه، ص ٨.

(١١) المرجع نفسه، ص ١٣ - ١٠.

(١٢) مقدمة المعاني للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله، ص ٢.

(١٣) المرجع نفسه، ص ٣.

(١٤) المرجع نفسه، ص ٤.

(١٥) المرجع نفسه ص ٤.

العمل بغير اخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه.

«ابن القيم»

بين الغابر والحاضر

المجمعة

تعقيب الشيخ عبد الله بن ادريس

تبنت الرئاسة العامة لرعاية الشباب في أواخر السنة المنصرمة ١٤٠١ هـ فكرة لا بأس بها في حقيقتها.. هي التشجيع (المادي) على كتابة معلومات عامة عن كل مدينة من مدن المملكة.. من باب تعريف الناس ببلادهم تعريفا أوسع مما هو حاصل في أذهانهم.. ورصدت لهذه الكتابات مبالغ جيدة من المال تعطى لمن يقدم بحثا مفصلا عن مدينته أو منطقته.

وهذه الخطوة من الرئاسة خطوة طيبة تشكر عليها، وبخاصة اذا جاء البحث مركزا ومعلوماته صحيحة تاريخيا وجغرافيا حتى تخرج هذه البحوث مطابقة للواقع حافظة السمات، صادقة التحديد والمسميات.. كما هي تاريخيا، وجغرافيا، وأنسابا، وقبائل.. الخ.. و «أول الغيث قطر ثم ينهمر» فقد بدأت طلائع هذه الكتابات تنشر على صفحات مجلاتنا الكبيرة، حيث نشر الأخ الدكتور محمد الشويعر مقالين عن «شقراء» و «المجمعة» كما نشر الأخ الأستاذ عبد الله حمد الحقيل مقالا عن «المجمعة».



واذن فعندنا الآن مقالتان عن «المجمعة» احداهما للشويعر نشرها في «المجلة العربية» العدد التاسع صفر ١٤٠٢هـ بعنوان عام «من المعالم التاريخية لمدننا» تحدث فيه عن المجمعة. ويعتبر هذا المقال مقدمة للبحث المفصل الذي سيكتبه عن المجمعة، كما يقول.

أما الأستاذ عبد الله الحقيل فقد نشر مقالا في مجلة «الدارة» - العدد الثاني - السنة السابعة، بعنوان (المجمعة بين الحاضر والغابر).

ونظرا الى أن مقالة الأستاذ الحقيل قد نشرت قبل مقالة الدكتور الشويعر بشهر ولأن فيها أخطاء تاريخية وجغرافية كثيرة جدا مع أن الحقيل من أهل المجمعة والشويعر من أهل شقراء، والمفروض في صاحب المدينة وساكنها أن يكون أكثر معرفة بمدينته تاريخيا وجغرافيا من البعيد عنها - أقول نظرا لذلك سأبدأ الحديث عن مقالة الحقيل قبل مقالة الشويعر.

تحدث الأستاذ الحقيل عن المجمعة من حيث تسميتها وموقعها وتاريخ نشأتها، وكيف نشأت، والقبائل التي تسكنها، والقضاة، والأمراء الذين تعاقبوا عليها، ثم تحدث عن وديانها وشعابها ورياضها ومزارعها، واختتم مقالته بقصيدة محمد عبد المنعم خفاجي عن المجمعة.

ولأن هذا المقال ومثله مقال الشويعر يمثلان بحثا وثائقيا قد يعتمد عليه آخرون ممن سيكتبون في المستقبل عن المجمعة خاصة وعن منطقة سدير عامة - فقد أحببت تصويب الأخطاء التي وقعت في أسماء الأودية والشعاب والمزارع والرياض والحزون، وغيرها في مقال الحقيل، وان من تمام الفائدة للكاتب والقراء والباحثين أن تصحح هذه الأخطاء. وبصفتي أحد أبناء هذه المنطقة.

وممن يعرفونها جيدا بأسمائها ومسمياتها كما يعرف ذلك الكثرة الكاثرة من سكان المجمعة وسكان منطقة سدير عامة - فاني أورد الملاحظات التالية :-

بل قبل سردي للمآخذ والأخطاء التي شملت بحث الحقيل أود أن يعرف القراء انني لا أومن بالاقليمية الضيقة فضلا عن الانتماء القروي.. بل ازدرى هذا الاتجاه واحتقره. لأن واجبي أن أنظر الى بلدتي التي ولدت فيها كما أنظر الى

أية قرية أو مدينة في شمال المملكة أو جنوبها.. فعهد الانتماءات الاقليمية فضلا عن الانتماءات الى المدينة أو القرية – قد ولّى الى غير رجعة ان شاء الله.. وذلك بفضل الله ثم بانتشار التعليم واتساع الثقافة والوعي الاجتماعي والسياسي، والاتجاه في الانتماء الى ما هو أكبر من المدينة والقرية والاقليم بل والدولة – الى وحدة الأمة العربية بل وحدة الأمة الاسلامية كلها.. فهذا واجبنا وقدرنا في هذا العصر كما كان هو واقع أمتنا في عصور ازدهارها. وليس معنى ذلك أن ننسى أو نتنكر لمساقط رءوسنا ومراتع صبانا.. أو أن نتجاهل تاريخ وجغرافية مدننا وقرانا وأنسابنا وقبائلنا وانما الذي أعنيه أنني في مثل تصحيح هذه الأخطاء أو غيرها لا أستمد معلوماتي بدافع عاطفة الانتماء القروي أو الاقليمي بل لمجرد التصحيح التاريخي والجغرافي فقط. كما هو مدون ومعروف ومحفوظ في كتب التاريخ التي بين أيدينا بل ومحفوظ لدى الكثير من الأحياء.

والى القاريء الكريم الملاحظات على البحث فيما يلي :–

١ – فيما يتعلق بنشأة المجمعة نقل الأستاذ الحقيل فقرات من كتاب (تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد) للمؤرخ ابراهيم بن صالح بن عيسى – رحمه الله – وترك فقرات أهم منها مثبتة تاريخيا واستبدل ما في التاريخ بما تتناقله بعض العامة، بناء على الحدس والتخمين ليس غير.. فعند ما جاء على ذكر منح (ابراهيم بن حسين بن مدلج) (لعبد الله الشمري) موضع بلدة المجمعة قال : **(ولم يلبث ابراهيم وأولاده ان أشاروا على الشمري أن ينتقل الى شمالي حرمه ففعل، ولما كان ذلك الموضع الذي انتقل اليه واقعا على طريق «الحدارات» –يقصد الكاتب بالحدارات القوافل– وهو طريق كان يعتبر في تلك الحقبة مصدر خير لمن يسيطر عليه، فطلب ابراهيم من الشمري أن يعود الى مكانه الأول فاستقر هناك وأخذ غيره من الناس يفدون الى المكان فتجمع أناس كثيرون في ذلك الموقع وعمروه وغرسوه وسمي لذلك المجمعة)**.

ان هذا النص الذي أورده الأخ الحقيل فيه زيادة وتصرف في النص التاريخي.. ولو انه أتى بالنص كاملا من كتب المؤرخين كابن بشر وابن عيسى لكان ذلك أولى وأصدق في تحري نقل ما قاله المؤرخون.

لقد قال المؤرخ بن عيسى في تكملة النص مايلي (... **وصار كلما حضر أحد من بني وائل وطلب من ابراهيم بن حسين بن مدلج ومن أولاده النزول عندهم أمروه أن ينزل عند عبد الله الشمري طَلبا للسعة وخوفا من التضييق عليهم في منزل وحرث وفلاة..) الى أن قال: (فأتاهم جد التواجر المعروفين، وهم من جبارة من عنزة، وجد آل بدر وهم من آل اجلاس من عنزة، وجد آل سحيم من الحبلان من عنزة، وجد الثماري من زعب، وغيرهم فأنزلوهم عند عبدالله الشمري المذكور فعمروا بلد المجمعة وغرسوها)** (١).

ولهذا فان ما يستفاد من النص الحقيقي الذي أورده المؤرخ ابن عيسى أن بني وائل جاءوا للسكنى بجوار ابن عمهم ابراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي، وانه هو الذي أنزلهم بأعلى الوادي مثلما أنزل عبد الله الشمري.

هذه هي الحقيقة التاريخية الواقعية لا كما أورد الأستاذ الحقيل. واذا عرف أنه لا يفصل المجمعة عن حرمه سوى بطن الوادي اتضح بما لا شك فيه أن ابراهيم ابن حسين بن مدلج لم يقصد ابعاد بني عمه الذين كوّنوا المجمعة وانما قصد السعة له ولهم.

بل ان وجود نخيل ومعالم لأهل حرمه جنوب غربي الوادي تدل بوضوح على ان ابراهيم بن حسين بن مدلج لم يقصد قسمها الى بلدتين بل أرادها بلدة واحدة قسم في شرق شمال الوادي وقسم في غربه وجنوبه.. ومصداق ذلك أن نذكر من النخيل والأماكن التي تربط غربي الوادي بشرقيه «كالظاهرية» نخل مديلج المعيى (سعة الله) (الوسطى) (قلبان العود) (مريقب بن ادريس) الخ. كل ذلك يدل على أن المجمعة في بداية نشأتها كانت امتدادا لنشأة حرمه وليست منفصلة عنها أو مناوئة لها.

٢ - أسماء الوديان :

أورد الأستاذ الحقيل (أربعة وثلاثين) اسما قال عنها أنها وديان المجمعة..؟! ولو صح ذلك لما بقى للناس أماكن يسكنونها اللهم الا شعاف الجبال..!.

ولعله يسعده أن أصحح له بعض المعلومات التي ساقها وذلك لقيمة البحث وتوثيقه فأقول:

انه ليس من بين (الأربعة والثلاثين) اسما التي أوردها الكاتب. ما يمكن تسميته واديا تسيل منه المجمعة وحرمه سوى (ستة فقط) وهي التي جاءت في بداية تعداده لهذه المسميات.

٣ - ذكر تسعة (ثغبان) (مفردها ثغب) على أنها أودية، واللغة العربية والعرف المتداول يقول غير ذلك لأن «الثغب» لغة وعرفا عند العامة هو المكان المنخفض.. ويكون عادة في جزء من أجزاء الوادي يبقى فيه الماء فترة أطول بعد جريان السيول، وهي بهذا التعريف الحقيقي الذي ذكرته تعد بالمئات في جميع الأودية المحيطة بالمنطقة ولكنها لا تسمى أودية.

٤ - ذكر خمسة مما أسماه (مدرج) على أنها أودية، والكل يعرف أن «المدرج» عبارة عن حاجز من الحجارة توضع في الأودية والشعاب لترفع منسوب السيول كي تدخل في النخيل، وهي بمثابة سدود صغيرة وبدائية، وتوجد بالمئات في طرق السيول وتقسيماتها على النخيل والمزارع.. فكيف يعدها الكاتب أودية وهي كما وصفت.. ؟!.

٥ - ذكر عراص (حويزة) وعراص (الحرحرية) في المجمعة على أنها وديان، وهو خطأ كالذي قبله (فالعراص) معروفة بأنها قناطر لعبور المشاة من فوقها وهي كثيرة..

٦ - ذكر (١٢) واديا جاءت في آخر الـ ٣٤ منها (وادي الاعصل) و (وادي الارطاوي) وهذان الواديان يقعان ناحية بلدة (الأرطاوية) التي تبعد عن المجمعة أكثر من ثمانين كيلا. وكذلك (وادي الشوكي) وهذا الوادي يقع شرق بلدة تمير في الطرف الشرقي الجنوبي من منطقة سدير ويبعد عن المجمعة أكثر من ١٠٠ كيل.

أما (الحذاقي) و (سدحا) فهما يقعان في ضلع المجزل.. وبقية الأودية التي ذكرها الكاتب تقع ضمن أودية صغيرة غير مشهورة.



وهنا لابد لنا من وقفة قصيرة مع الكاتب حول تعريفه وتحديده لمدينة المجمعة.. ونتساءل هل الكاتب أراد أن يتحدث عن المجمعة كمدينة لها حدودها المعروفة وموقعها وتاريخها وسكانها..؟ فحالها اذن كحال المدن الأخرى - وهذا ما نتوخاه في الأستاذ الحقيل وفي غيره ممن يريد أن يكتب عن أية مدينة أو قرية أو منطقة - أم أنه أراد أن يكتب عن المجمعة كقاعدة مركزية ادارية لمنطقة سدير..؟.

ان كان الكاتب أراد الهدف الأول وهو الحقيقي الطبيعي فقد أخطأ في التوسع الكبير جدا لحدودها.. لأنه أدخل عددا من المدن والقرى القريبة منها والبعيدة عنها ضمن حدودها.. كما أدخل أودية وشعابا وفلوات ورياضا ومسميات أخرى تابعة لعدد من مدن وقرى سدير في جميع الجهات - أدخلها ضمن حدود المجمعة.. وهذا خطأ في المعرفة البدهية لجغرافية المجمعة خاصة ومنطقة سدير عامة.

ولكن يبدو أن الحماس العاطفي هو الذي أوقع الأستاذ الحقيل في هذا التحديد العجيب للمجمعة.. وليته غلب جانب البحث التوثيقي فيما كتب ليسلم من الوقوع في هذا الحماس العاطفي الذي لا جدوى منه!.

وهذا ما أردت التنبيه اليه قبل أن تكثر الكتابات عن المدن والقرى بشكل بعيد عن حقائق التاريخ وطبيعة المواقع الجغرافية.. لأن النتيجة من ذلك هي ضياع التاريخ وضياع أسماء المواقع والأماكن وتداخلها فيما بعد..

أما لو كان أراد أن يكتب عن المجمعة لا كمدينة لها حدودها كالمدن الأخرى - بل كقاعدة لمنطقة سدير، وهي بالفعل قاعدة سدير، فانه في هذه الحالة يلزمه أن يحول مجرى البحث الى طريق آخر يتفق وما أراد الحديث عنه أي الى منطقة سدير بكاملها بما فيها قاعدتها ومركز الثقل فيها وهي المجمعة.. لكن خلطه بين ما يتبع المجمعة ومالا يتبعها وادخاله حدودا لمدن وقرى تبعد عن المجمعة عشرات الكيلومترات ضمن حدود المجمعة - أنقص من قيمة البحث وجعله بعيدا عن صدق وواقعية التحديد والتعريف والتوثيق!.

٧ – أسماء المزارع :

ذكر الكاتب أسماء الكثير من المزارع لكن أكثرها جاء محرفا خاصة تلك التي في ناحية بلدة حرمه.

وصحة أسمائها كما يلي :–

(أ) (الاجدع) صحتها أبا الجذعان في المجمعة.
(ب) (ثغب الباهلية) ثغب كاسمه وليس مزرعة وهو بالمجمعة.
(جـ) (لقح) صحتها ققح بحرمه.
(د) (الطويلة) صحتها الطويلعة بحرمه.
(هـ) (طلعة عَود) صحتها طلعة عَون بحرمه.
(و) (سبب) صحتها (لبب) بحرمه.
(ز) (باب المغيريب) يفهم بداهة من اسمه أنه باب وليس مزرعة وهو المدخل الغربي لبلدة حرمه أي «الدروازة» وغير ذلك..

وذكر الكاتب أسماء وديان وأسماء جهات بأنها مزارع وهي ليست على اطلاقها نحو (السفالة) أي الجهة السفلى ونحو (المشقر) وهو وادي المجمعة الرئيسي و (الكلبي) وصحتها (وادي الكلب) وهو وادي حرمه، و(النزية) و(المعيذر) وهما واديان وليسا مزارع.

وقد ذكر الكاتب ضمن مزارع المجمعة (حاير آل حقيل) وكان عليه أن يذكر أيضا مزارع بلدة (جوى) لأنها أقرب الى المجمعة من الحاير. حيث لا تبعد جوى عن المجمعة الا بعشرين كيلا تقريبا..

أسماء الرياض (جمع روضة) :

التعقيب على أسماء الرياض وتصحيحها قد يطول ولكني سأعمد الى الاختصار غير المخل ما أمكنني ذلك.

ذكر الكاتب (٤٣) اسما لما تعنيه كلمة روضة نسبها الى المجمعة والصحيح أن (١٤) فقط منها يصدق عليه اسم روضة وهي منتشرة في فلوات المجمعة، وحرمه، والارطاوية. وتمير، وجوى، ومبايض..

أما غير هذه الـ ١٤ فليس لها نصيب في التسمية وايضاح ذلك كما يلي:

★ (حصاة القريف) وهذه اسمها يدل عليها بداهة فهي كتلة من الصخر الأسود ترتفع عن مستوى الأرض عدة أمتار، وهي تقع محاذية لمدينة جلاجل شرقا عنها.

★ (الكضيمة) فتحة واسعة في سلسلة جبال المجزل وفيها مورد ماء.. وليست بروضة.

★ (حصاة المراح) يكفي اسمها للدلالة على نوعية أرضها فهي كتلة صغيرة من الصخور.

★ (أبو شجيزة) كانت في السابق روضة لكنها الآن أصبحت ضمن مخطط حرمه الشرقي رقم ٣٩٧ وقامت المباني فيه وتسمى (حي البصيرة).

★ (النصلة) جبل مستقل بمفرده يقع على شعيب المغيدر شمالي حرمه وبمسافة ٥ أكيال عنها وتتخذ مكان استراحة وفيها غار كبير ولكن ليس بقربها روضة.

★ (النخيل وبزم النخيل) وادي شرق حرمه وحين يدخل داخل الضلع يسمى بزم النخيل، لأن جبال المجزل تبزمه أي تضيق مدخله فسمى بزما لهذا السبب.

★ (القاعية) هجرة بدو، تقع شرق جنوب بلدة الأرطاوية وتبعد عن المجمعة أكثر من ٩٠ كيلو.. وليست روضة..!.

★ (دابان) واد ومورد ماء خلف جبال المجزل من الشرق وبقربه مكان تنبت فيه الكمأة اذا سأل في نجوم الوسم وهذا المكان القريب من دابان يشبه الروضة، لكن اسم (دابان) يعني الوادي.

★ (ثغب العاشور) ثغب على اسمه في طرف جبل بالقرب منه منابت عشب.

* (الحذاقي) واد كبير وليس بروضة.
* (العينبات) صحة اسمها (العنيبات) تصغير عنبات، وهما جبلان متجاوران يمر بحذائهما الطريق الآتي من الكويت الى مكة.
* (الحيرى) هذا اسم لم أسمع به من قبل ولعله محرف من اسم معروف.
* (الأعصل) يقع جنوب شرق الأرطاوية وبعيد جدا عن المجمعة.
* (الشوكي) يقع خلف بلدة ثمير شرقا وبعيد جدا عن المجمعة أيضا.
* (حمار صبحا) حزم وليس بروضة والتسمية تدل عليه.
* (حسيانة) لعله يقصد بها الحسيان، وهذه مورد ماء وليست روضة.
* (قليب بن عبد الكريم) خسو ماء وسط واد.
* (السحيمي والفشخاء) مزارع وليست رياضا.
* (حاير آل حقيل) ورد ذكره ضمن المزارع وهو كذلك لأنه مجموعة نخيل داخل جبل طويق ولكنه ليس بروضة.

هذا واكمالا للفائدة في هذا البحث التاريخي الجغرافي ونظرا الى أن الأستاذ الحقيل ذكر بعض القبائل والأسر التي تسكن المجمعة ولأنه في بحثه لم يقتصر على مزارع المجمعة وانما شمل بعض مزارع حرمه – فاننا نورد هنا أسماء بعض الأسر التي أسست بلدة حرمه ومازالت تسكن فيها وهي:(آل مدلج)و(اللعبون) ومنهم المؤرخ المعروف حمد بن لعبون وابنه الشاعر المشهور (محمد بن لعبون) (آل ادريس) (آل ماضي) (آل عون) وهذه الأسر الخمس هي سلالة (حسين ابن مدلج الوائلي) الذي خرج من (اشيقر) في أوائل القرن الثامن الهجري وسكن بلدة التويم ثم أسس أولاده وأحفاده بلدة حرمة.. وهذه الأسر الخمس من قبيلة «الحسنى» من بني وائل من عنزة.. وفي حرمة أيضا أسر كبيرة أخرى مثل (آل عبد الكريم) من وهبه من تميم و (آل عقيل) من عنزة. (آل تركي) من الدواسر (آل ضاوي) (آل نحيط) (آل التويجري) (آل مقحم) (آل مشعل) (آل سليمان) (آل حسن) وغيرهم..

ويجدر بالتنويه أن بعض هذه الأسر غير الأسر الخمس الأولى قسم منها في حرمه وقسم في المجمعة مثل (آل حسن) (آل تركي) (آل التويجري) (آل سليمان) وربما أسرة آل حقيل التي منها كاتبنا تسكن حرمه في الزمن السابق بدليل أنه يوجد في حرمه نخل يسمى (فيد الحقلة) تملكه حاليا أسرة آل عقيل.

والى هنا أصل نهاية تعقيبي وتصحيحي لما كتبه أخي وصديقي الأستاذ عبد الله الحقيل عن المجمعة وعن المدن والقرى التي أدخلها ضمن بحثه - عرضا - وأرجو أن أكون قد وفقت في التصويب والتصحيح.

أما ما كتبه الأخ الدكتور محمد الشويعر في (المجلة العربية) العدد ٩ شهر صفر ١٤٠٢هـ بعنوان (من المعالم التاريخية لمدننا - المجمعة) فقد وقع هو أيضا في بعض الأخطاء الهينة غير التي وقع فيها الأخ الحقيل من ذلك مثلا قوله:

١ - (وقد اطلقت التسمية في المنطقة على واد في أعلى المجمعة لايزال لدى بعض الناس معرفة به حتى الآن باسم منيخ).

والحقيقة التي يعرفها الجميع أن «منيخا» جبل وليس واديا، إنه الجبل الذي يقع عليه مرقاب المجمعة غربي المدينة.

٢ - أوحت احدى عباراته بشيء اسمه «سدير» وشيء اسمه «الروضة» والواقع أن كلمة «سدير»، لا تعني بلدة معينة ولا واديا باسمه وانما تعني منطقة تضم ٢٥ مدينة وقرية يطلق عليها اسم سدير ومن ضمنها الروضة وجلاجل. وان كان بعض المؤرخين يطلقون اسم منيخ على المجمعة وحرمه وأشى، وظلماء والخيس.. لكن العرف العام هو أن سدير اسم لكامل المنطقة من المجمعة شمالا حتى العودة وعشيرة وثمير جنوبا وشرقا.

٣ - ذكر الدكتور الشويعر أن للمجمعة ثلاثة أسماء هي (المجمعة والفيحاء، وديرة عثمان) وقد وهم الأستاذ الشويعر في هذا وكلف نفسه عناء البحث عن تعليل لكل اسم من هذه الأسماء.. !.

وحقيقة الأمر أنه ليس لها من الأسماء الا اسم واحد فقط هو المجمعة.

أما الاسمان الآخران (الفيحاء) و(ديرة عثمان) فهما صفتان لمدينة المجمعة وليسا اسمين .. وفرق كبير بين الاسم والصفة.. فالفيحاء وصف للمدينة بأنها كبيرة وواسعة.. وهو اسم يطلق على «دمشق» و «البصرة» وعلى «عنيزة»

كذلك.. وسواء جاءت الصفة مطابقة للموصوف أم غير مطابقة إلا في أذهان من يطلق مثل هذه الصفات على موصوفاتها.. الا أنها على أية حال صفات وليست أسماء.. ولم ترد هاتان الصفتان للمجمعة الا في بيت شعر (لحميدان الشويعر) قبل مائتي سنة حينما قام بجولته المعروفة على قرى سدير والزلفي والمحمل والوشم.. فأخذ يصف كل مدينة وقرية بالصفة التي أطلقها عليها وفق ما استقبل به من اهتمام ورفد وضيافة أو عدم ذلك.. والبيت هو هذا:

الفيحـــاء ديرة عثمـــــــان ومقـابلتها بـــلاد الزِّيَـــرة

ويعني بالفيحاء المجمعة وهي ديرة عثمان.. ويعني عثمان بن حمد ابن سيف بن عبد الله الشمري أحد أحفاد مؤسس المجمعة..

فكأن الشاعر يريد أن يجعل عثمانا هذا هو كل شيىء في المجمعة لأنه هو شيخها وهو وحده الذي أكرمه واحتفى به ليقطع لسانه «وعداوة الشعراء بئس المقتنى». أما بلاد الزِّيَرة التي جاءت في الشطر الثاني من البيت فهو يعني بها حرمه لأنه لا يقابل المجمعة سواها.

أن الزِّيَرة تعني الأسود (قال ابن الأعرابي الزير من الرجال الغضبان المقاطع لصاحبه، قال أبو منصور أصله مهموز من زأر الأسد) أي اذا غضب وظهر صوته. والزير الذي يخالط النساء ويحب مجالستهن فيقال فلان زير نساء، سمي بذلك لكثرة زياراته لهن والجمع الزِّيَرة. (لسان العرب جزء ٥ ص ٤٢٧).

٤ – ويقول الشويعر عن سور المجمعة وقلاعها (**أما مقاصير هذا السور فان على كل باب مقصورة للحراسة والاستحكامات.. بالاضافة الى مقصورة ظهرة العولة «المرقب» غرب البلد فوق مرتفع صبيح، ومقصورة ضبحا عنه جنوبا**).

هذا الكلام فيه اضطراب كما يبدو أن الأمر قد اختلط على الكاتب فجعل مرقب ظهرة العولة غربي البلد.. والواقع أن مرقب ظهرة العولة يقع في شرق المجمعة على الظهرة أو المرتفع المسمى ظهرة العولة.

أما المرقب الذي يقع غرب المدينة فهو المرقب الهام والقلعة الحصينة وهو يقع على جبل (منيخ). أما (مرتفع ضبيح وضبحا) اللذين ذكرهما الشويعر فلا أدري أين يقعان ولم أسمع بهما..

ه - ذكر الدكتور محمد الشويعر ان من معالم مدينة المجمعة بيت الشيخ عبد الله العنقري رحمه الله.. وقال (**إن هذا البيت يحكي بساطة هذا العالم وبساطة الزمن الذي عاش فيه ووقاره وتواضعه**).

ويوحي هذا الكلام ان بيت العلامة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري - رحمه الله - هو بيت متواضع أي عادي جدا.. والواقع أنه ليس كذلك بل هو بيت من أكبر وأجمل البيوت الطينية الموجودة في المجمعة.. وقد عمر في حياة الشيخ.. ويشتمل على أروقة فسيحة ومجالس كبيرة وشرفات، وهو مقسوم الى قسمين قسم للرجال وقسم للنساء.. وليس هذا التصميم من عادة البيوت القديمة..

وبالتالي فأنا أضم صوتي الى صوت أخي الدكتور محمد الشويعر بضرورة العناية بهذا البيت الذي خرج عشرات القضاة وطلبة العلم والأئمة ونفع الله بصاحبه نفعا كبيرا - رحمه الله رحمة الأبرار -.

وبعـــد :

فأرجو أن أكون بهذه التصويبات والتصحيحات على مقالتي الأخوين الكريمين الأستاذين عبد الله الحقيل ومحمد الشويعر.. قد أعدت كل شيء الى نصابه في هذين المقالين من الناحيتين التاريخية والجغرافية.

وشكرالله للاثنين صنيعهما.. وبارك فيهما.

قال رسول الله ﷺ :

«من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار».

«صحيح رواه أحمد»



الصوت . واللحن ، والانشاد ، والترتيل

في الشعر العربي الحديث

بقلم الأستاذ جعفر الخليلي

لقد أصبح الشعر العربي مفهوما منذ وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري التفعيلة وحصر كل الشعر المألوف نظمه في عصره كتابة، أما الصوت ورنينه، ونغماته المودعة في بحوره فلم يأت لنا أحد بمثل منها منقولا بطريقة من الطرق طوال تاريخ نظم الشعر، فلم ندر كيف كانت تلاوة الشعر، وانشاده، ونغماته، باستثناء أنغام (الموشحات) التي جاءتنا عن طريق التواتر اذا صح ذلك.

وكل ما ندريه هو أن الشعر كان ينشد منذ القدم انشادا، والانشاد، لا يجري لغة الا بارتفاع الصوت،، وليس من شك أن للصوت، - اذا ما ارتفع - درجات،، وموازين في الارتفاع لا يمكن أن يكون على سوية واحدة، فكان لابد أن تكون له لحون، ومعنى ذلك أن الشعر لم يُقرأ قراءة مسترسلة مثلما نقرأ فصلا من كتاب، وانما كان ينشد، ويرتل، ويلحن بنبرات، منغمة موسيقية.

يقول ابن رشيق: « ان صاحب الموسيقى يزعم بأن ألذّ الملاذ كلها هو اللحن» ويقول: «ونحن نعلم أن الأوزان هي قواعد الألحان، وان الأشعار هي معايير الأوتار لا محالة».

والترتيل لغة، هو تحسين الصوت،، وما هو تحسين الصوت، اذا لم يكن فيه شيء من التلحين، والغناء، والنغم، وأكبر دليل على أن الشعر كان يتلى في



الجاهلية بالغناء، واللحون الحبيبة الى الاسماع هو قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في كيفية وجوب تلاوة القرآن، فقد جاء عنه.

« إتلوا القرآن بلحون العرب »

ومن هذا يفهم أنه كانت للعرب لحون ولهجات، تظهر على أشعارهم، وكانت أنغام وتراتيل تلازم قصائدهم، ولا شك أن هذه اللحون كانت متنوعة وهي تتغير بتغير بحور الشعر، ومن يدرينا فلربما كان هذا الحداء الذي يحدو به البدو الشعر في البادية اليوم قديم وقد وصل الينا عن طريق التواتر مثلما وصلت أصوات، الموشحات، الأندلسية، وهناك من يقول بهذا ويجزم.

ومن المفروض أن يرتل القرآن ترتيلا يلائم الذوق، وهو دعوة دعا اليها الله في قراءة القرآن لما في الترتيل من نغمات،، ونبرات تجلّي الألفاظ وتكشف عن دقة المعاني التي تتضمنها الآيات، وتنعش النفوس، وتشنف الآذان وكم هو الفرق كبير بين أن تقرأ (الأغنية) مثلا قراءة مرسلة كما تقرأ الكتاب، وبين أن تسمعها من مغنّ أو مغنية ذات صوت رخيم تغنيها بأعذب الألحان، وعلى الأخص اذا كانت كلماتها الشعرية بارعة رائعة، وحينذاك يجسّم الغناء معانيها لك تجسيما رائعا، ولذلك قال الله تعالى في محكم كتابه:

«وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا».

وقال في آية أخرى:

«ياأيهـــا المزمل، قم الليل إلا قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيـــلا»،
والى ماقبل نصف قرن وأقل من هذا القرن كان الشعر في مدينة النجف بالعراق يرتل ويغنى من فوق المنابر، ولذلك كان الشاعر يعهد بشعره الى من هو معروف برخامة الصوت،، والتغني في التلحين، فيرتله هذا ويلحنه بنغمات تناسب بحر القصيدة، وقد تتبدل هذه الألحان في البحر الواحد في مناسبات أخرى فيسمع السامعون نغمات، جديدة، وأصواتا تكشف عما يتضمن الشعر من المعاني لذلك يقفّي الأدباء بيت الشعر وينطقون بالقافية قبل وصول المنشد

اليها، ثم طغت التلاوة (العادية) المرسلة للشعر، وصار الشاعر هو الذي يتلو شعره بنفسه كما يفعل شعراء العربية في أقطارهم، وبهذا ضاعت مزية الانشاد، والترتيل وما كان يرافق الشعر من عذوبة الغناء، واللحون التي كان لها الفضل الأكبر في تجلية القصيدة وهز المشاعر، والتمتع بعذوبة الشعر معنى ومبنى.

وكم هو مؤسف أن لا تكون هناك وسيلة كوسائل العصر الحاضر لتنقل لنا الألحان، والأصوات،، والأغاني التي كان العرب يتغنون بها في أشعارهم، وكل ما عرفناه أنهم كانوا ينشدون أشعارهم بلحون معينة، ونغمات، خاصة، اقتصرت، معرفة أساليبها وألحانها على أبناء جيلها حتى اذا انطوى الجيل انطون معه تلك الأصوات، والأغاني، وذابت كما تذوب دوائر الماء دائرة بعد أخرى حين تلقي في النهر الحجارة، وكالصدى الذي يخف ترديده حتى لم يعد له أثر في الأذن، أو طابع في الذهن.

ويميز (ماركري بريستول) بين الشعر الماثل للعين مما هو مكتوب، وبين الشعر الماثل للأذن عن طريق الصوت، والنغمة، فنقول: (والشكل المادي «في الشعر» هو المظهر الخارجي الماثل على الورق أمامنا، ولكن الأهم من ذلك بكثير انما هو الجانب الصوتي للشعر سواء ما نسمعه من الغير حين يقرأ علينا الشعر أو ما نسمعه ذهنيا حين نقرأه على أنفسنا، ويشمل هذا الايقاع والقافية، والتنغيم، وأنواعا عديدة من الصدى والتكرار، والقدر الكبير من شكل الشعر يدرس بالحواس، بالأذن والعين دون حدوث أية عملية ذهنية، وان الأطفال الصغار ليستمتعون بالأشياء ذات الأيقاع المميز. وقد مر معظمنا بتجربة فُتن فيها بأصوات لقصيدة دون أن يكون قد فهم معاني كلماتها فهما تاما أو ناقصا»(١).

الأصـــوات :

ولا حاجة للشرح فيما يتعلق بجانب (الصوت) في الشعر من الأهمية التي تتجاوز أهمية الشكل المادي الماثل أمامنا على الورق، لا سيما اذا أفرغ هذا الشعر في لحن يلائم بحر الشعر بحيث يتحول الى (صوت) من الغناء الأخاذ وقد كان للغناء في أيام الأمويين والعباسيين شأن كبير، كم كان مفيدا لنا من حيث سبر التاريخ، ومعرفة أحوال المجتمع، وأسلوب الفن، والذوق العام، ومن حيث دواعي علم الاجتماع، لو كانت قراءة النغمة، ومعرفة الصوت، واللحن في تلك الأيام متيسرة مثلما تيسرت، اليوم بسبب ضبط (النوتة)، والمؤسف هو أن

كل ما بقى لنا من الماضي من هذه النغمات،، والأصوات، أوصاف ضبطها لنا أبو الفرج الأصفهاني كتابة في موسوعته الكبيرة الجليلة (كتاب الأغاني) أكثر مما ضبطها غيره، وهي أوصاف كان يفهمها الموسيقيون والمغنون من أبناء تلك الأجيال وعصرهم، فلما ماتوا وانقرضوا ماتت تلك (الأصوات) بموتهم ولم يحصل لنا من يستطيع أن يحل ألغازها من أوصافها التي ثبتوها على الورق كتابة، فأصبحت عندنا رطينة لا نفهم منها شيئا.

يقول أبو الفرج الأصفهاني في (الأغاني):

أخبرني اسماعيل بن يونس، قال حدثنا عمر بن شبّه، قال حدثنا حماد بن اسحاق عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن حماد الراوية قال:

كتب الوليد بن يزيد الى يوسف بن عمر – وكان عامله في الكوفة – أما بعد فاذا قرأت، كتابي هذا فسرِّح اليّ حماد الراوية على ما أحب من دواب البريد وأعطه عشرة آلاف درهم يتهيأ بها – الى أن يقول حماد – وخرجت حتى انتهيت الى الوليد وهو بالبخراء، فاستأذنت عليه، فأذن لي فاذا هو على سرير ممهد، وعليه ثوبان أصفران، ازار ورداء، يقيئان الزعفران قيئا، واذا عنده (معبد) و (مالك بن أبي السرح)، و (أبو كامل) مولاه – وهؤلاءمن أساطين الغناء في الذروة.

ويصف حماد هذا المجلس وكيف غنى فيه المغنون وكان منهم (ابن عائشة) الذي شغف الوليد بغنائه، ويأتي حماد بالشعر الذي غنى به كل واحد منهم.

ويعلق أبو الفرج على هذه الأصوات، التي غنى بها (مالك) وغنى بها (ابن عائشة) واصفا موسيقاها، ونغماتها، ونبرات، أصواتها، وألحانها، وذاكرا اسم شاعرها، وملحنها فيقول عن غناء:

جلا أمية عني كل مظلمة سهل الحجاب وأوفى بالذي وعدا
اذا حللت بأرض لا أراك بها ضاقت عليّ ولم أعرف بها أحدا

قال أبو الفرج «**ان الغناء لابن عباد الكاتب، وهو خفيف، ثقيل**



باطلاق الوتر، في مجرى البنصر، وذلك عن اسحاق، (ثم يقول أبو الفرج) وذكر عمرو ابن بانه: «انه لعمر الوادي، وذكر حبشي: ان فيه (لمالك) لحنا من خفيف الثقيل الأول بالوسطى» !!.

ولا نظن أحدا يستطيع أن يفهم من هذا الوصف شيئا، أو يستطيع أن يغني هذا الصوت بمقتضى هذا الوصف، ويقول أبو الفرج في غناء (مالك) للوليد في ذلك المجلس الذي وصفه حماد والذي غنى فيه مالك:

أتنسى اذ تودّعنا سليمي بفرع بشامة سقى البشام (الخ)

يقول أبو الفرج «ان الشعر لجرير، والغناء لابن سريج، وله في هذه الأبيات ثلاثة ألحان، أحدها في الأول والرابع (أي البيت الأول من هذه المقطوعة، والبيت الرابع منها) ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن ابن اسحاق».

والآخر في الثاني ثم الأول (من الأبيات) ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

وعلى هذا النمط من الوصف يأتي أبو الفرج على جميع الألحان والنغمات في الأشعار التي كان يغني بها المغنون، وان ضبط (الصوت) على هذه الشاكلة لا يصلح لانتقال مفهومه من جيل الى جيل، وكل ذلك لانعدام القاعدة التي يسمونها اليوم (بالنوتة) التي لم تكتشف الا في العصور المتأخرة، حتى لقد أصبح شأن هذه (النوتة) شأن سطور الكتابة، يقرأها هذا الجيل، ويسمع صوتها فهي كالتفعيلة في بحور الشعر.

النـــوتة :

والنوتة، أو (النوطة) كما يسميها «ناسنا» هي اشارات كتابية، بها تتغنى درجات الأصوات،، من ارتفاع، وانخفاض، وذبذبات، وارتعاشات،، وأي اهتزاز من الاهتزازات، الصوتية التي تجمع بين مختلف النبرات على قدر ما تستطيع أن تستوعب كل آلة موسيقية، ومثلها الحروف الهجائية التي تتألف الكلمة من

صورها، وصف بعضها الى بعض، ثم يتألف من كل ذلك الكلام المفهوم، وان (النوتة) لكذلك فان من صورها المثبتة على الورق، وموضع ومكان هذه الصور يتألف الصوت،، وتبرز النغمة فيتم نقلها من واحد الى آخر، ومن جيل الى جيل كالكتب والوثائق والرسائل، وكم كان مفيدا لو أن هذه النوتة كانت معروفة في العصور القديمة لكان قد تم لنا الوقوف على كيفية انشاد الشعر ونغماته وألحانه.

وتثبت هذه الاشارات، الصوتية فوق خمسة خطوط آفقية متوازية، ظاهرة باللونين (الأسود والأبيض) وبها يتعين مدى الوقت الذي يستغرقه كل صوت،، وكل مقطع من الأمواج الصوتية، وان الاشارات، هذه تقرأ من اليسار الى اليمين جريا على الكتابة اللاتينية وقراءتها.

والمتتبع لتاريخ الأصوات،، والنغمات، لا يعدم وجود ما يدل على أن غير واحد وفي غير جيل واحد قد فكر في الوسائل التي يمكن التوصل بها الى ضبط الصوت،، واللحن، والنغمة، وسعى، ولربما كان سعيه حثيثا في سبيل الاهتداء الى وسيلة ما ولكنه أخفق، ويبدو أن المسيحية كانت أكثر اهتماما وتفكيرا بتثبيت الألحان وتخليدها على الورق خوفا من ضياع الترتيلات، الدينية، وألحان الأناشيد، فكانت أكثر جدا ونشاطا من أهل الموسيقى أنفسهم للاهتداء الى طريقة مضمونة لحفظ الأصوات، بجميع لحونها، ونبراتها، ونغماتها لكي يسهل نقل الأناشيد من كنيسة الى أخرى، ويسهل انتشار هذه الأناشيد في المجتمع كله فضلا عن المجتمع المسيحي نفسه، وهي أناشيد كان يتجدد بعضها، ولم يبق على وتيرة واحدة الا ما يتعلق بالنصوص التقليدية، وهي نصوص خاصة يضمن بقاءها التواتر، ولا تحتاج الى ضبط في كتابتها، مثل ترتيل القرآن الكريم، والأذان عند المسلمين، فان طريقة الأداء فيهما قد ضمنها التواتر حسب سليقة كل قطر من الأقطار الاسلامية.

نقول ان أكبر الظن هو أن المسيحية كانت أكثر اهتماما من الموسيقيين في البحث عن الوسيلة التي يتم بها ضبط الصوت، ونقله الى أقصى نواحي الدنيا، فكان أن ظهر في ميدان الموسيقى راهب ايطالي كان يشغل كرسي التدريس للموسيقى الايطالية بين سنة (٩٩٥ – ١٠٥٠م) ذلك هو الراهب كيدو أ رزّو (Guido D. Arezzo) من أبناء القرن الحادي عشر الميلادي، وقد أعطى هذا الأمر اهتماما كبيرا من نفسه، ولا يبعد أن يكون قد قضى وقتا طويلا وهو يفكر في كيفية تثبيت اللحن على الورق، وكان من نتيجة ذلك الاهتمام، ومواصلة

التفكير التوصل الى ابتداع الاشارات، الصوتية المعروفة اليوم، فسجل – أول ما سجل – على الورق ست اشارات، وضعها فوق أربعة خطوط أفقية، متوازية، فكان بهذا أول مبتكر لضبط الأصوات، على الورق كما جاء في دائرة المعارف البريطانية.

وقد سميت الأسس التي وضعها الراهب لهذا التثبيت (بالسلم الموسيقي) الأمر الذي جعل دراسة الموسيقى من حيث ضبط الأصوات، بجميع نبراتها أمرا ممكنا، وفي غاية السهولة(٢).

وخطا العرب منذ ذلك التاريخ خطوات، واسعة في تدوين الأصوات، وحفظ (السيمفونيات،) والأغاني في اشارات، يمكن تعلمها من قبل العازفين، وقد أجريت تحسينات، على (سلم الموسيقى) وأضيف الى الخطوط الأربعة خط خامس، أما الشرق، والأقطار العربية منه خاصة، فقد تأخر في الأخذ بهذا الفن بسبب تأخر المضطلعين بعلم الموسيقى، ولم يتسع للموسيقى العربية الاهتمام بهذا العلم الا في الآونة الأخيرة من السنين حين عُني العرب بدراسة الموسيقى وصارت، لها كليات،، ومعاهد، وأساتذة، ومدرسون، وعازفون وضاربون بمختلف الآلات، الموسيقية.

واذا فاتتنا هذه الوسيلة لاتفقنا عمليا على أن الشعر العربي قد ولد في حضن الغناء، أو أن الغناء قد ولد في حضن الشعر، فان لنا من التبصر في تاريخ الأدب العربي ما يدل على أن الشعر هو الغناء، والغناء هو الشعر، والا فهما قد ولدا توأمين، وان قراءة الشعر بهذه الطريقة المبسطة المرسلة التي تقرأ بها النثر انما هي طارئة وان بَعُد تاريخها، وحديثة وان كانت بعيدة العهد، ولهذا التحول أسباب يطول شرحها، ولربما تناولناها في فرصة أخرى، ومجال أوسع ودللنا على الأسباب التي عزلت الموسيقى عن الشعر عند الالقاء.

● الهوامش ●

(١) تعريب الدكتور محمد حسن عبد الله – مجلة الشعر – العدد ١٤ أبريل ١٩٧٩ – القاهرة.
(2) The world Book Encyclopedia, volume (13) New York, 1977.

دور أسلاف عرب شمال الجزيرة العربية في نشأة الخط المسند اليمني القديم

بقلم

د. / عبد المنعم عبد الحليم سيد

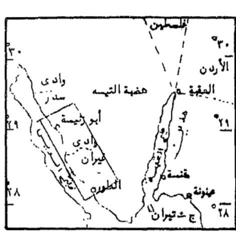
كان الاعتقاد السائد بين الباحثين في أصول الكتابات، أن الأبجدية العربية الجنوبية القديمة المعروفة باسم «الخط المسند» ترجع في أصلها الى الأبجدية الفينيقية بسبب التشابه بين بعض حروف الأبجديتين. غير أنه تبين عدم صحة هذا الرأي بعد دراسة احدى الكتابات المحفورة على صخور شبه جزيرة(١) سيناء والمعروفة بين الباحثين باسم «الكتابة البروتوسينائية» فقد اتضح أن سبب هذا التشابه يرجع أساسا الى أن الأبجديتين اشتقاق مصدر واحد هو هذه الأبجدية البروتوسينائية.



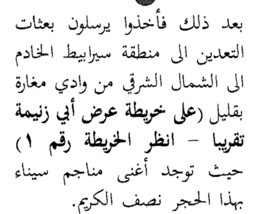


والأبجدية البروتوسينائية **تتكون من ٢٧ حرفا** وقد اشتقت من الكتابة الهيروغليفية المصرية. وأصحابها أو الذين ابتكروها هم أهل سيناء القدماء أي أنهم من العنصر السامي الشمالي الذي ينتمي اليه عرب شمال الجزيرة العربية. وسوف نطلق عليهم في هذا المقال اسم «سكان سيناء القدماء» أو «سكان سيناء» فقط تيسيرا على القاريء في متابعة المقال.

أما كيف تعرّف سكان سيناء القدماء هؤلاء على الكتابة الهيروغليفية المصرية واشتقوا منها كتابتهم البروتوسينائية فقد حدث ذلك إبان النشاط المصري القديم في سيناء. فلقد ارتاد المصريون القدماء سيناء منذ أقدم عصور تاريخهم بحثا عن المعادن والأحجار الكريمة اذ كانت مناجمها الغنية بالنحاس أول مالفت أنظار المصريين اليها. فكان ملوكهم منذ عصر الملك زوسر **(باني الهرم المدرج في سقارة حوالي عام ٢٧٥٠ قبل الميلاد)** يرسلون البعثات التعدينية الى منطقة وادي مغارة **(الواقعة الى الشمال من وادي فيران بقليل، انظر الخريطة رقم ١)** لتعدين النحاس، ثم اجتذبت مناجم الفيروز اهتمامهم



خريطة لشبه جزيرة سيناء
المستطيل يوضح المنطقة التي رسمت لها
الخريطة التفصيلية المجاورة

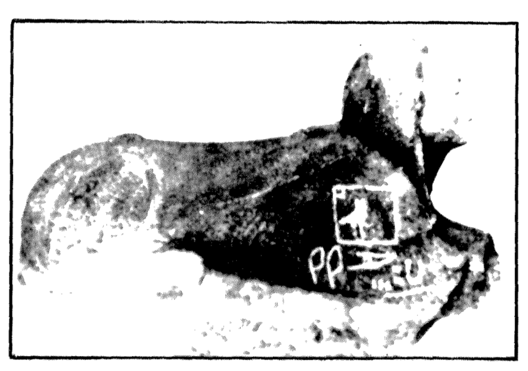


بعد ذلك فأخذوا يرسلون بعثات التعدين الى منطقة سيرابيط الخادم الى الشمال الشرقي من وادي مغارة بقليل **(على خريطة عرض أبي زنيمة تقريبا - انظر الخريطة رقم ١)** حيث توجد أغنى مناجم سيناء بهذا الحجر نصف الكريم.

ورغم أن العلاقة بين المصريين وبين سكان سيناء بدأت عدائية، إذ تصور الرسوم المصرية على صخور سيناء، الفراعنة وهم يضربون زعماء هؤلاء السكان، إلا أنه بمرور الوقت حدث نوع من التقارب بين الطرفين وخاصة ابتداء من عصر الأسرة الثانية الفرعونية (مابين ٢٠٠٠، ١٨٠٠ قبل الميلاد) عندما بلغ النشاط التعديني المصري في سيناء ذروته ثم في عهد الأسرة الثامنة عشرة

الفرعونية أيضا (مابين ١٥٥٠ – ١٣٥٠ ق.م) فقد كان لملوك هاتين الأسرتين نشاط تعديني واسع النطاق في سيناء وخاصة في مناجم الفيروز بسيرابيط الخادم. ويدلنا على ذلك ضخامة البعثات المصرية الى هذه المناجم. ففي عهد الأسرة الثانية عشرة بلغ أفراد احدى هذه البعثات ٧٣٤ رجلا، ولكن رغم ذلك يبدو أن المصريين احتاجوا الى المزيد من الأيدي العاملة للحفر في المناجم، ومن هنا لجأوا الى سكان المنطقة لمعاونتهم في ذلك. وكان زعماء هؤلاء السكان يقومون بامدادهم بالأعداد اللازمة من العمال كما تدلنا على ذلك النقوش الهيروغليفية، وهكذا كانت المصلحة المشتركة دافعا للتقارب بين المصريين وبين سكان سيناء.

وتدلنا ألقاب الموظفين المصريين في البعثات التعدينية المسجلة على الآثار المصرية في سيناء أن المصريين كانوا من ناحيتهم يبذلون جهدهم نحو هذا التقارب مع سكان سيناء ونحو تفهمهم. فقد ورد بين هذه الألقاب لقب **«مترجم العامو» وكلمة «العامو» هو الاسم الشامل الذي أطلقه المصريون على الشعوب السامية**



(شكل ١) تمثال على هيئة أبي الهول المصري عثر عليه في المعبد بمنطقة سيرابيط الخادم بسيناء وهو من صنع سكان سيناء الساميين وقد دون عليه نص بالهيروغليفية وأسفله نص بالبروتوسينائية.



(شكل ٢)

تفصيل النصين الهيروغليفي والبروتوسينائي على التمثال الموضح في شكل (١). والنص البروتوسينائي هو ترجمة تقريبا للنص الهيروغليفي وكان هذا النص أول الخيط الذي التقطه العلماء وساروا على هديه حتى تمكنوا من حل رموز الكتابة البروتوسينائية.

(شكل ٣)

التمثال المصري المعروف بين علماء الآثار باسم «تمثال الشخص القابع» وقد وجد في المعبد المصري بسيرابيط الخادم وقد حفرت عليه كتابة هيروغليفية تسجل اسم صاحب التمثال وعبارة دينية نذرية.

بوجه عام ومن بينهم سكان سيناء.

والظاهر أن الساميين كانوا يطلقون هذا الاسم على أنفسهم أي أنه سامي الأصل فهو قريب من كلمة «عم» العربية. وربما يعني ما نقوله اليوم في العربية «ولد العم» أو «أولاد العم».

أما من ناحية سكان سيناء فقد تقاربوا مع المصريين باتباع بعض عاداتهم الدينية وتقليد مظهرهم.



(شكل ٤)

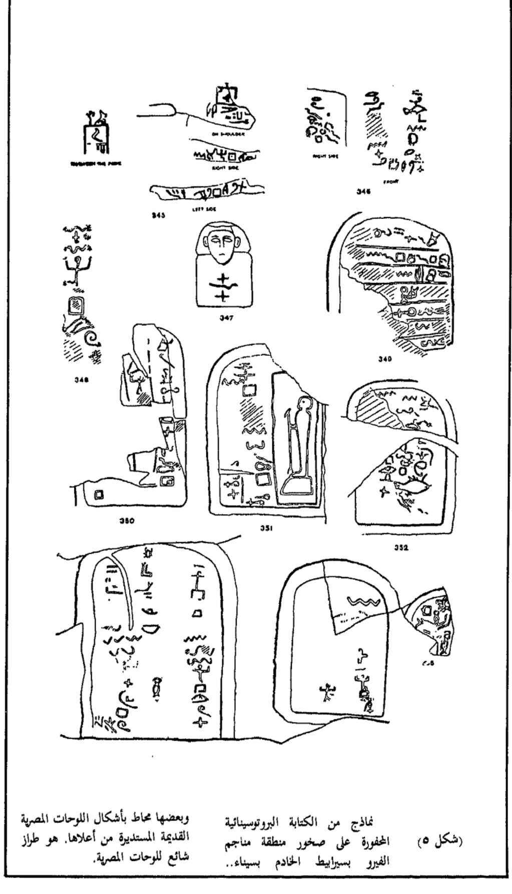
تمثال بروتوسينائي نحته أحد سكان سيناء على غرار التمثال المصري الموضح في شكل (٣) وعليه كتابة بروتوسينائية تسجل اسم صاحب التمثال وأيضا عبارة دينية نذرية.

فقد وجد بين الاثار المصرية في سيناء تماثيل على هيئة أبي الهول وغيرها من الأشكال المصرية الصميمة وقد دونت عليها عبارات بالكتابة البروتوسينائية (الأشكال ١ – ٤) أي أن أصحابها الساميين صنعوها على الطراز المصري بينما نقشوا عليها كتابتهم، كذلك ظهرت بين الرسوم في سيناء صور لبعض سكان سيناء وهم يرتدون الزي المصري الصميم (النقبة القصيرة) وقد حلقوا لحاهم كالمصريين (شكل ٦) وذلك على عكس عادة الساميين الذين كانوا يظهرون في الرسوم المصرية وقد أطلقوا لحاهم وارتدوا ملابس طويلة مزركشة (شكل ٧).

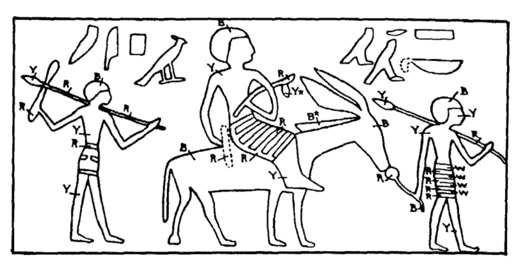
والمركز الرئيسي للالتقاء بين المصريين وسكان سيناء كان المعبد المصري الذي أنشأه المصريون في منطقة سيرابيط الخادم حيث توجد مناجم الفيروز. وتدل الآثار التي تبقت من هذا المعبد أنه أنشيء في مكان معبد خاص بسكان سيناء، وبذلك أصبح موقعه منطقة مقدمة لدى كل من سكان سيناء والمصريين ونقطة التقاء بين الحضارة المصرية القديمة والثقافة السامية. ورغم تعدد النواحي الحضارية التي أخذها سكان سيناء عن المصريين القدماء سواء أثناء لقائهم في المعبد المذكور أو أثناء عملهم المشترك في مناجم الفيروز، فلا شك أن أهم هذه النواحي جميعا هي الكتابة التي أخذ سكان سيناء أغلب علاماتها من الكتابة المصرية الهيروغليفية كما أخذوا بعضها من الكتابة الهيراطيقية(٢). وتمكنوا بذلك من ابتكار أقدم أبجدية في التاريخ وهي الأبجدية البروتوسينائية.

نقش سكان سيناء الكتابة البروتوسينائية عند مداخل مناجم الفيروز في منطقة سيرابيط الخادم إما متناثرة مبعثرة أو في داخل اطار على شكل اللوحات المصرية القديمة (المستديرة من أعلاها شكل ٥) كما نقشوها على آثار ذات طابع مصري خالص مثل تماثيل أبي الهول (شكل ١) وتمثال الشخص القابع (شكل ٤).

وقد استخلص الباحثون من دراستهم لهذه الكتابة أنها حروف أبجدية محورة في أشكالها عن بعض العلامات الهيروغليفية المصرية(١) ولكنها فقدت خصائصها الأصلية في الكتابة الهيروغليفية سواء كانت مقاطع أو مخصصات(٣). واتخذت



(شكل ٥) نماذج من الكتابة البروتوسينائية المحفورة على صخور منطقة مناجم الفيرو بسيرابيط الخادم بسيناء.. وبعضها محاط بأشكال اللوحات المصرية القديمة المستديرة من أعلاها. هو طراز شائع للوحات المصرية.



الصِّبغة الأبجدية. أما طريقة اختراعها فتبدو أن الكتابة المصرية الهيروغليفية بعلاماتها التي تصل الى حوالي ستمائة وخمسين علامة بخصائصها المقطعية المعقدة، والتي لم يكن يستطيع استخدامها إلا الذين نشأوا في البيئة المصرية وتمرسوا عليها منذ صغرهم، يبدو أن هذه الكتابة استعصت على سكان سيناء من الساميين البسطاء، فبسّطوا بعض علاماتها بأن حولوها من كتابة مقطعية (أي تنطق بصوتين أو أكثر) الى حروف أبجدية واتبعوا في ذلك طريقة يطلق عليها علماء اللغات اسم الطريقة

(شكل ٦)

رسم على لوحة منقوشة بالهيروغليفية وجدت بين أطلال المعبد المصري بسيرابيط الخادم، يمثل ثلاثة من سكان سيناء الساميين. وقد دونت أسماء اثنين منهما فوقهما بالهيروغليفية. فأحدهما يدعى «أبيم» والثاني «شكام» وهذا الأخير قريبا من الاسم السامي المعروف «شكيم». ويلاحظ أن الرجال الساميين الثلاثة قد تشبهوا بالمصريين في حلق لحاهم وارتدوا النقبة القصيرة.

(شكل ٧)

منظر ورد على الآثار المصرية في صعيد مصر يمثل المظهر الشائع للساميين في الرسوم المصرية القديمة فمانوا يمثلون دائما بملابس طويلة مزركشة وقد أطلقوا لحاهم (والرجلان اللذان الى اليمين هما موظفان مصريان يتقدمان موكب الساميين ويلاحظ أن هذين المصريين حليقي الذقن)



الاكروفونية Acrophonic principle وهي تشبه الطريقة التي نتبعها في الوقت الحاضر لتعليم الأطفال القراءة، فمثلا عندما نريد تعليم الطفل قراءة حرف «ب» فاننا ننتقي كلمة تبدأ بحرف الباء مثل كلمة (بيت) ونرسم له شكل بيت ونطلب منه أن ينطق اسم هذا الشكل. ثم نكتب له الحرف الأول من الكلمة وهو «ب». وبهذه الطريقة يتعلم الطفل قراءة حرف الباء من ارتباط نطقه بكلمة «**بيت**».

بهذه الطريقة نفسها ابتكر الساميون سكان سيناء الأبجدية البروتوسينائية مستخدمين في ذلك بعض علامات الكتابة الهيروغليفية المصرية. ومثال ذلك أنهم عندما أرادوا اختيار علامة لتمثل حرف «ع» من العلامات الهيروغليفية علامة على شكل عين الانسان (انظر الجدول شكل ٨) وكان المصريون يستخدمون هذه العلامة كمقطع ينطق «إر» في صلب الكلمات مثل كلمة «إرتت» ومعناها (**لبن**) ومثل كلمة (**ارتيو**) ومعناها «حُزْن» أو «حداد». ولما كانت هذه العلامة ترسم على شكل «عين الانسان» التي تدعى أيضا «عين» في لغتهم السامية القديمة (وهو نفس اسمها في العربية الحالية فمن المعروف أن اللغة العربية هي احدى اللغات التي انحدرت من اللغة السامية القديمة) أي أن الحرف الأول منها ينطق «ع»، **فقد أخذ الساميون شكل العين هذه كعلامة لحرف «العين» أي حولوا العين المقطعية** (إر) **في الكتابة الهيروغليفية الى حرف «ع» الأبجدي في كتابتهم البروتوسينائية.**

وبالاضافة الى تحويل العلامات المقطعية الهيروغليفية الى علامات أبجدية، فقد انتقى سكان سيناء عدة حروف من الأبجدية الهيروغليفية المصرية واستخدموها استخداما سليما. فقد كانت الكتابة الهيروغليفية يوجد بها اثنان وعشرون حرفا أبجديا (بالاضافة الى العلامات المقطعية التي ذكرناها والعلامات الأخرى التي تستخدم كمخصصات). ولكن المصريين القدماء لم يستخدموا هذه الحروف الأبجدية في صلب الكلمات استخداما أبجديا سليما في أغلب الأحوال، بل استخدموها كمكملات صوتية للكلمات مما أفقدها قيمتها الأبجدية. ومثال ذلك استخدام حرف «ز» في كلمة

الحرف	الحروف الحبشية	حروف الخط المسند فى العصر التاريخي	الاصول الاولى لحروف الخط المسند	الحروف البروتسوسيناثية	العلامات الهيراطيقية الوسيطة	العلامات الهيروغليفية	مدلول شكل العلامة الهيروغليفية
ا	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	راس ثور
ب	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	منزل
ج	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	جدار
د	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	باب
هـ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	شخص يهلل
و	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	حبل/زرار
ز		[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	عصا
ح	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	زهرة لوتس
ك	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	نبات البوص
ل	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	دائرة الافق
م	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	موجة مياه
ن	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	ثعبان مائى
س/ز		[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	سمكة
ع	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	عين
ف	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	فم
ص	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	وجه
ق	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	بطن
ر	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	راس
ش	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	غصن
ت	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	مفتاح

(شكل ٨) جدول يوضح مراحل تطور بعض علامات الكتابة الهيروغليفية المصرية (إما مباشرة أو عن طريق الكتابة الهيراطيقية) الى الأبجدية البروتوسينائية ثم الى الخط المسند ومنه الى الأبجدية الحبشية (عن طريق هجرة السبئيين الى الحبشة منذ القرن السابع ق.م).



«حز» بمعنى «أبيض اللون». وكان المصريون يرسمون هذا الحرف على شكل ثعبان مائي (انظر الجدول شكل ٨) فكانوا يكتبون هذه الكلمة بعلامة مقطعية على شكل مضرب من الخشب. ورغم أن هذه العلامة تشمل أصوات الكلمة كلها (الحاء والزاي) إلا أنهم لم يكونوا يكتفون بذلك، بل كانوا يضيفون في آخرها الحرف الأبجدي «ز» (الذي يرسمونه على شكل ثعبان مائي) ليؤكد هذا النطق. وهذه الطريقة أضاعت القيمة الأبجدية للحرف لأن الذي لم يكن على معرفة تامة بالكتابة الهيروغليفية كان يخطىء في قراءة الكتابة بتكرار نطق الحرف الأخير. فبدلا من نطقه «حز» فقط مثلما كان المصريون ينطقونه، فانهم نطقوه «حزز». وهذه الطريقة عقدت الكتابة الهيروغليفية وأضاعت قيمة حروفها الأبجدية.

ويرجع الفضل الى سكان سيناء مخترعي الأبجدية البروتوسينائية في تلافي هذا العيب وبالتالي في استخدام الحروف الأبجدية المصرية استخداما أبجديا سليما. فمثلا استخدموا الحرف (ز) هذا الذي كان المصريون يرسمونه على شكل ثعبان ليمثل الحرف (ن) في كتابتهم بنفس الطريقة الاكروفونية التي ذكرناها لأن الثعبان اسمه في لغتهم (نحاش) أي أن اسمه يبدأ بالحرف (ن).

وهكذا تلافى مخترعو الأبجدية البروتوسينائية ذلك القصور في استخدام الحروف الأبجدية في الكتابة الهيروغليفية.

بهذه الطريقة ابتكر سكان سيناء أبجدية من ٢٧ حرفا أخذوا أشكالها من العلامات الهيروغليفية المصرية فنشأت بذلك أقدم أبجدية في التاريخ. فهي تسبق أبجدية رأس شمرا المسمارية (أقدم أبجدية معروفة قبل أن يتوصل العلماء الى حل رموز الكتابة البروتوسينائية) بحوالي ٢٠٠ سنة.

أما كيف انتقلت الأبجدية البروتوسينائية الى اليمن وحضرموت فقد حدث ذلك عبر منطقة مدين المتاخمة لسيناء ومنها خلال الطريق التجاري الشهير الذي كان يخترق الجزيرة العربية من شمالها الى جنوبها والأدلة على ذلك العثور على حروف مبكرة من الخط المسند في منطقة مدين ثم العثور على حروف

من الأبجدية البروتوسينائية في جنوب الجزيرة العربية. أما بالنسبة للأمر الأول فقد عثر الباحثون على الأحرف المبكرة من الخط المسند في منطقة تل الخليفة المتاخمة لميناء العقبة وذلك في احدى الطبقات التي ترجع الى القرن الثامن قبل الميلاد(٣) أي حوالي الزمن الذي ظهرت فيه حروف الكتابة العربية الجنوبية في اليمن وحضرموت أو بعده بقليل. وبالنسبة للأمر الثاني فقد وجدت أحرف بروتوسينائية محفورة على الصخر في منطقة «العبر» في شمال حضرموت(٥).

وأخيرا **فان الدليل الواضح على اشتقاق حروف الخط المسند من الأبجدية البروتوسينائية هو التشابه الكبير بين حروف هذا الخط وخاصة حروفه المبكرة وبين حروف الأبجدية البروتوسينائية كما يتضح ذلك من الجدول في شكل ٨.**

الهوامش

(١) أطلق الباحثون عليها اسم البروتوسينائية Proto. Sinaitic أي «السينائية المبكرة» تمييزا لها عن كتابة أخرى محفورة على صخور شبه جزيرة سيناء أيضا لكنها متأخرة عن الكتابة البروتوسينائية بفترة تتراوح بين ١٥٠٠، ١٨٠٠ سنة. والكتابة السينائية هذه محفورة على صخور وادي المكتب في غرب سيناء وهي الأصل المباشر للخط العربي، وقد تطورت من الخط النبطي أي أنها حلقة الاتصال بين الأبجدية النبطية والأبجدية العربية.

(٢) الكتابة الهيراطيقية مشتقة من الكتابة الهيروغليفية وعلاماتها أكثر اختصارا من علامات الهيروغليفية (انظر على سبيل المثال العلامات الهيراطيقية شكل ٨).

(٣) المقاطع Syllables سنشرحها فيما بعد، أما المخصصات Deteminatives فهي علامات كان المصريون يضيفونها الى آخر الكلمات الهيروغليفية دون أن تدخل في نطق هذه الكلمات، بل لتوضح معناها فمثلا كلمة «ست» معناها «سيدة» في اللغة المصرية القديمة (مثل اللغة الدارجة في مصر)، كان المصريون يرسمون في آخر هذه الكلمة شكل امرأة جالسة أي مخصص ليوضح معناها.

4. N. Glueck, «The first campaign at Tell el-khelifeh», Bull. Amer. Sch. Or. Res., No. 71 (1938) PP. 3-17.

5. A. Jamme, «Preliminary report on epigraphic research in north - western Wadi Hadramawawt and at Al-Abar.» Bull. Amer. Sch. Or. Res. No. 172 (1973) PP. 14 - 53-

«أهم المصادر والمراجع»

أ - عن آثار سيناء المصرية والبروتوسينائية :

1. Petrie, M.W., Researches in Sinai, 1906.

2. Cerny, Gardiner and peet, The inscriptions of Sinai, (2vols), 1955.

(الكتاب الأخير عن الآثار المصرية).

ب - عن حل رموز الكتابة البروتوسينائية :

1. Gardiner, «The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet» Journ. Egyp. Arch. vol III (1916).

2. Sprengling. M., «The Alphabet», Univ. of Chicago Orient. Inst. Communic. No. 12 (1931).

هذا الكتاب يتناول أيضا طريقة اشتقاق الخط المسند من الأبجدية البروتوسينائية بالتفصيل).

3. Cowley, AE, The Sinaitic insctiptions. Journ. Egyp. Arch. vol.r XV (1929).

4. Albright, W.F., The early alphabetic inscriptions from Sinai and their decipherment, Bull. Amer Sch. Or. Res. No. 110 (1948).

5. Albright, W.F. «The Proto - Sinaitic insctiptions and their decipherment», Harv. Theol Stud. XXII, 1966.

وقد اتفق الباحثون الثلاثة (المذكورين في ١، ٢، ٣) تقريبا في قراءة الكلمات والعبارات البروتوسينائية وخاصة في العبارة الواردة على تمثال أبي الهول (شكل ١، ٢) على أنها ترجمة للعبارة الهيروغليفية الواردة على نفس التمثال ولكن البريت اختلف عنهم في هذه القراءة وفي كثير من القراءات الأخرى بل اختلفت قراءاته في بحثيه (رقم ٤، ٥) مما يضعف من قراءاته ويرجح قراءات الباحثين الآخرين.

وأحدث بحث شامل في هذا الموضوع :-

6. Jensen H., Sign, Symbol and script, rev. ed. (1958).





د. فتحي عبد القادر فريد

الحمد لله الذي خلق السّموات والأرض في ستة أيَّام، والصلاة والسلام على خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

وبعد :

فلما كان الناس يعيشون في عالم تعد السرعة أوضح معالمه، وأهم خصائصه، وكانت مضار تلك السرعة على العمل الأدبي أكثر من منافعها، وسيئاتها تفوق حسناتها حيث تهوى بقيمته، وتفسد بلاغته، وتذهب بآثاره كتبت هذه الصفحات في التنبيه إلى أفضال التأني والتروي، والتحذير من عواقب التعجل والتسرع في صناعة العمل الأدبي عسى أن تعيد اليه مجدا كان يصاحبه، وبلاغة كانت تاجه.

«وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب»

العمل الأدبي والصناعات المختلفة :

ان الدور التي نقيم فيها لم تقم وحدها، ولم ترتفع ذلك الارتفاع بين يوم وليلة، ولكنها مرت في بنائها بمراحل متعددة، وتعاقب عليها أفواج

من العمال وأصحاب الحرف والصناعات المختلفة حتى وصلت الى ما هي عليه وأصبحت صالحة للسكنى والاقامة وتتلخص تلك المراحل المتشابكة في : تحديد المكان واختياره – وإعداد شكل البناء وصورته – وتوفير المواد التي يعتمد عليها البناء – ثم قيام العمال والصناع على تجهيز البناء وإعداده.

وتستغرق كل مرحلة من المراحل السابقة قدراً من الوقت، وتأخذ طاقة من الجهد لتنفيذها على الوجه السليم، وعلى قدر الجهود المبذولة في اتمام المراحل تتحدد قيمة البناء المادية والمعنوية، ومدى صلاحيته واستمراره – فنحن نرى من وقت لآخر أبنية تنهار بعد أيام من الانتهاء منها، بل أخرى تسقط قبل اتمامها والفراغ من بنائها – ويكون ذلك لأسباب يأتي في مقدمتها من غير شك : التسرع والعجلة وعدم التأني في تنفيذ المراحل السالفة وتوفية كل منها ما تحتاجه من وقت وجهد – وينطبق ذلك على كل الأعمال وجميع الصناعات.

والعمل الأدبي(١) من لحظة البدء فيه الى حين الانتهاء منه، أو من لحظة كونه فكرة عابرة الى أن يصبح ثمرة ناضجة لا يختلف عن أي عمل، ولا يفترق عن أية صنعة، من حيث إنه يعتمد على عناصر، ويمر بمراحل لابد أن ينال كل منها حقه الأوفى، ويحصل على نصيبه الأوفر من الاهتمام والعناية بصبر وتثبيت حتى يبلغ درجة النضج، ويحظى بمنزلة من البلاغة.

وقد أجاد «ابن سنان الخفاجي المتوفى سنة ٤٦٦هـ في تحديد المراحل التي يمر بها كل عمل من الأعمال ومنها العمل الأدبي بخمسة أمور: الموضوع، والصانع، والصورة، والآلة والغرض.

وقرر رحمه الله أن أية صناعة لا تبلغ درجة اكتمالها إلا اذا تمثلت فيها الأمور السابقة آخذة نصيبها من العناية والرعاية.

ووضح رحمه الله مكانة كل عنصر مما سبق وأثره في العمل الذي ينتسب اليه، وذلك بالتمثيل بصناعة النجارة. فذكر أن: الموضوع: يماثل الخشب في صناعة النجارة وأن الصانع يماثل: النجار.

وأن الصورة تماثل : مكان الجلوس إن كان المصنوع كرسيا.



وأن الآلة تماثل : المنشار والقدوم وما يجري مجراهما.

وأن الغرض يماثل : الغاية التي صنع من أجلها الكرسي وهو الجلوس عليه.

وبيّن «ابن سنان» منزلة هذه العناصر من العمل الأدبي قياسا على ما سبق.

فموضوع الكلام والكتابة: الألفاظ المؤلفة من أصوات وحروف.

وصانع الكلام هو: المؤلف الذي ينظم الكلام بعضه مع بعض - كالشاعر والكاتب وغيرهما.

والصورة : كالفصل للكاتب والبيت للشاعر، وما جرى مجراهما.

والآلة هي: طبع هذا الناظم، والعلوم التي اكتسبها بعد ذلك، حيث لا يستطيع أن يعلم الشعر من لا طبع له وإن جهد في ذلك، لأن الآلة التي يتوصل بها غير مقدورة لمخلوق، ويمكن تعلم سائر الصناعات لوجود كل ما يحتاج اليه من آلاتها.

وأما الغرض : فبحسب الكلام المؤلف، فان كان مدحا كان الغرض به قولا ينبيء عن عظم حال الممدوح، وان كان هجوا فبالضد - وعلى هذا القياس كل ما يؤلف[٢].

فنرى من كلام «ابن سنان الخفاجي» أن العمل الأدبي مثله مثل كل الأعمال لا يبلغ نضجه، ولا يوصف بالبلاغة إلا اذا اعتمد على الأمور السابقة مستوفية نصيبها من التحقيق والتدقيق بصبر وطول أناة.

مع بِشْر بن المعتمر وأبي هلال العسكري :

ونظرا لأهمية الصبر وطول الأناة في صناعة الأدب ومالهما من أثر بالغ في تحقيقه لأهدافه، ووصوله لغاياته فانا رأينا كثيرا من علماء الأدب والبلاغة يرسمون السبل ويحددون الضوابط التي يحتذيها أهل الأدب من الشعراء والخطباء والكتاب وغيرهم حتى يكتمل عملهم، ويخلو من المعايب والمآخذ، ويقع من البلاغة موقعا مقبولا فهذا «بشر بن المعتمر»[٣] في وصيته المعروفة لأهل الأدب يحدد ثلاث منازل لمن يقبل على الكتابة تعتمد كلها على التثبيت والتروي وعدم التسرع.

المنزلة الأولى : أن يمضي الكاتب في كتابته عند حضور المعاني في ذهنه ظاهرة مكشوفة وقريبة معروفة، وانقياد الألفاظ له شريفة عذبة وفخمة سهلة.

المنزلة الثانية : أن يؤجل الكتابة الى ساعات ينقدح فيها فكره، ويتفتح ذهنه، فتواتيه الفِكَر طائعة، وتقبل عليه الألفاظ راضية وذلك عندما يجد نفسه مندفعا للكتابة متكلفا لمعانيها متعملا لألفاظها.

المنزلة الثالثة : أن يتوجه الى صنعة أخرى غير صنعة الكتابة يفرغ فيها جهده ويعطيها وقته واهتمامه اذا لم تسعفه القريحة، ولم تواته السليقة في وقت يشعر فيه بالراحة والهدوء جسميا ونفسيا.

فلو تأمل الأدباء والكتاب المنازل السابقة وحاولوا السير على هديها الذي يعتمد كما ذكرنا على الصبر والروية لكان نتاجهم الأدبي في معظمه بالغا أهدافه محققا لأغراضه كما تبدو فضيلة الصبر وعدم التسرع في معالجة الكتابة واضحة في وصية «بِشْر» التي يحذر فيها الكتّاب من الشروع في الكتابة في أوقات التعب وساعات تكاثر الهموم والصبر والتأني الى أوقات يكون البال فيها مرتاحا والفكر صافيا «خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها إياك فان قليل تلك الساعة أكرم جوهرا، وأشرف حسبا وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطأ، وأجلب لكل عين وغرَّة، من لفظ شريف، ومعنى بديع، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة، وبالتكلف والمعاودة(٤).

كما نجد الروية والتأني في نسج العمل الأدبي هي الزاوية التي يدور حولها كلام «أبي هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥هـ» في الباب الذي تحدث فيه عن: «صنعة الكلام وترتيب الألفاظ»، وقد أفرد فيه فصلا عن فضيلة الشعر وما ينبغي استعماله في تأليفه، فبالنسبة للكتابة يدعو الكتاب الى :

استحضار المعاني في الذهن، واختيار الألفاظ المناسبة لها، والاقبال على الكتابة عند النشاط وراحة الجسم والنفس، والإمساك عند التعب والملل، وأن يراجع الكاتب ماكتبه عبارة عبارة، فاذا بدا له لفظ أحسن من لفظ، أو

معنى بديع التقطه بسرعة قبل أن يفلت منه «اذا أردت أن تصنع كلاما فأخطر معانيه ببالك، وتنوَّق(١٦) له كرائم اللفظ، واجعلها على ذكر منك، ليقرب عليك تناولها، ولا يتعبك تطلبها، واعمله مادمت في شباب نشاطك، فاذ غشيك الفتور، وتخونك الملال فأمسك، فان الكثير مع الملال قليل، والنفيس مع الضجر خسيس، والخواطر كالينابيع يسقى منها شيء بعد شيء، فتجد من الري، وتنال أدبك من المنفعة، فاذا أكثرت عليها نضب ماؤها، وقل عنك غناؤها، وينبغي أن تجري مع الكلام معارضة، فاذا مررت بلفظ حسن أخذت برقبته، أو معنى بديع تعلقت بذيله، وتحذر أن يسبقك فانه إن سبقك تعبت في تتبعه، ونصبت في تطلبه، ولعلك لا تلحقه على طول الطلب، ومواصلة الدأب، وقد قال الشاعر:

اذا ضيعت أول كل أمر . أبت أعجازه إلا التواء(١)

وكذلك بالنسبة للشعر دعا «أبو هلال» الشعراء الى مراعاة الضوابط والاشارات السابقة «واذا أردت أن تعمل شعرا فأحضر المعاني التي يريد نظمها فكرك، وأخطرها على قلبك، واطلب لها وزنا يتأتى فيه ايرادها وقافية يحتملها، فمن المعاني ماتتمكن من نظمه في قافيته ولاتتمكن منه في أخرى، أو تكون في هذه أقرب طريقا كلفة منه في تلك، ولأن تعلو الكلام فتأخذه من فوق فيجيء سلسا سهلا ذا طلاوة ورونق خير من أن يعلوك فيجيء كزًّا فجًّا، ومتجعدا جلفا، فاذا عملت القصيدة فهبها ونقحها بالقاء ماغثَّ من أبياتها، ورثَّ ورذُل، والاقتصار على ما حسن وفخم بابدال حرف منها بآخر أجود منه، حتى تستوى أجزاؤها، وتتضارع هواديها وأعجازها»(٧).

وذكر «أبو هلال» أن عددا من الشعراء قد احتذوا ذلك المنهاج، ونفذوا تلك الضوابط فجاءت أشعارهم خالية من المعايب والمآخذ إلا في النادر أمثال: زهير والحطيئة وأبو نواس والبحتري ومن حذا حذوهم ممن عرفوا بعبيد الشعر «وقد كان هذا دأب جماعة من حُذَّاق الشعراء من المحدثين والقدماء منهم: زهير – كان يعمل القصيدة في ستة أشهر، ويهذّبها في ستة أشهر ثم يظهرها، فتسمى قصائد الحوليات لذلك، وقال بعضهم: خير الشعر

الحولي المنقح، وكان الحطيئة يعمل القصيدة في شهر، وينظر فيها ثلاثة أشهر، ثم يبرزها وكان «أبو نواس» يعمل القصيدة ويتركها ليلة ثم ينظر فيها فيلقي أكثرها ويقتصر على العيون منها، فلهذا قصر أكثر قصائده وكان البحتري يلقي من كل جانب قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به فخرج شعره مهذبا، وكان أبو تمام لا يفعل هذا الفعل، وكان يرضى بأول خاطر فنعى عليه عيب كثير» (٨).

وهكذا نرى أن الضوابط السابقة لأهل الأدب من الكتاب والشعراء تعتمد في تنفيذها على الصبر والروية وتعهد العمل الأدبي بالتأمل والمراجعة، والعودة اليه من لحظة لأخرى بالتهذيب والتنقيح حتى يبلغ درجة النضج، ويحقق الغرض الذي جاء من أجله مما يجعله جديرا بدخول دائرة البلاغة كما عرفها «أبو هلال العسكري» بأنها: ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن» (٩) أو كما عرفها الخطيب القزويني المتوفى سنة ٧٣٩هـ بأنها: «مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته(١٠).

مع «أحمد حسن الزيات» (١١)

ولما كان للصبر على صناعة العمل الأدبي الآثار الحميدة التي يتمثل أهمها في إلباسه كسوة البلاغة، وللتسرع وعدم التروي العواقب الوخيمة التي تنتهى به الى عدم الاحترام وضياع الهيبة فقد كان الأديب المرحوم «أحمد حسن الزيات» على حق وصواب عندما قرر أن السرعة ومعها الصحافة، والتطفل من أسباب التنكر للبلاغة وذلك في مطلع كتابه: «دفاع عن البلاغة» تحت عنوان: «أسباب التنكر للبلاغة» فقال: «السرعة، والصحافة، والتطفل هي البلايا الثلاث التي تكابدها البلاغة في هذا العصر» (١٢).

فأوضح «الزيات» أن خطورة السرعة كان على الفكر بصفة عامة، وعلى البلاغة بصفة خاصة.

فكانت جريرتها على الفكر أن استحال تقدير القيم التي يحتاج وزنها الى الروية والتأمل، أو الأناة والصبر، فظهر الخبيث في صورة الطيب، ودخل الرديء في حكم الجيد، وقس كل عمل بمقياس السرعة لا بمقياس الجودة!.

وأما جريرتها على البلاغة فانها أصابت الأذهان فلم تعد تملك الاحاطة بالأطراف ولا الغوص الى الأعماق، فجاء لذلك أكثر انتاجها من الغثاء الذي لا رجع منه، أو من الزبد الذي لا بقاء له، كما أصابت الأفهام فلم تعد تصبر على معاناة الجد من بليغ الكلام، فكان من ذلك انكبابها على الأدب الخفيف الذي لا غناء فيه ولا وزن له، وأصابت الأذواق كذلك، فلم تميز الفروق الدقيقة بين الطعوم المختلفة، فاختلط الحلو بالمر والتبس الفج(١٣) بالناضج.

وختم «الزيات» حديثه عن السرعة بأنها قد تقع خطأ في موازين بعض النقاد فيحسبونها شرطا في حسن الانتاج، وربما عابوا الكاتب المروي بالابطاء، وغمزوه بالتجويد، وسفهوا قول الحكيم: لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده، فان الناس لا يسألون في كم فرغ؟، وانما يسألون عن جودته واتقانه».

أما عن «الصحافة» ودوها في أسباب التنكر للبلاغة فلأنها تقوم بعرض الأخبار العالمية، وتسجيل الأحداث اليومية، ونشر الثقافة العامة، وهي في كل أولئك تخاطب الجمهور فلا مندوحة لها عن التبذل والتبسط والاسفاف والمط مراعاة للموضوعات التي تكتب فيها، وللطبقات التي تكتب لها، وللسرعة التي تعمل بها.

وأما «التطفل» فانه يتمثل في من يدعون صناعة الأدب، ويصنعون أنفسهم في صفوف الأدباء بدون أن يطبعوا على الأدب، أو يأخذوا بأسبابه(١٤).

وواضح أن الأمور الثلاثة السابقة التي كانت وراء تدهور البلاغة في العصر الحديث في نظر المرحوم: «أحمد حسن الزيات» وهي: السرعة، والتطفل، والصحافة لم تخرج عما ذكره البلاغيون والنقاد العرب وان كان وضعها تحت عناوين محدثة يوهم أنها إضافات جديدة، فمشكلة عدم التروي في صنع العمل الأدبي عبر عنها بالسرعة، ومشكلة ممارسة أفراد لصناعة الأدب من غير استعداد وتهيؤ لها عبر عنها بالتطفل — ومشكلة دنو الأساليب وانحطاط شأنها عبر عنها بالصحافة — واذا كانت الأمور السابقة قد وردت عند السابقين مع أمور كثيرة، فقد

عدها «الزيات» وحدها المسئولة عن تدهور البلاغة في العصر الحديث.

وواضح أيضا أنه لا يقصد البلاغة كعلم وقواعد، وانما يقصد الأعمال الأدبية التي تعد البلاغة أسمى غاياتها وأبعد مراميها.

الخاتمة :

ولما كان الصبر على صناعة العمل الأدبي يحقق له سمو المكانة وعميق الاحترام والتقدير مما يمكنه من طول البقاء ويزيد من افادة الدارسين منه وكثرة ترددهم عليه فان التسرع والعجلة يضعفان من مكانته ويقللان من هيبته مما يجعله قصير العمر وقليل الافادة وضعيف التأثير(١٥).

وهناك لخطورة السرعة ما يعد أشد مما سبق، وذلك هو ركود البحث الأدبي وجموده، حيث يتحاشى الباحثون تناول موضوعات سبقت دراستها وان كانت الدراسة السابقة لم تأت بفوائد ولم تضف جديدا، فلم يفد السابق ولم يبتكر اللاحق وأعتقد أن جريرة ذلك على الفكر خطيرة وعلى البحث شديدة.

واذا كان صاحب العمل المتقن يلقي تقدير الناس وحبهم ويحظى باحترامهم وثنائهم فانه من غير شك يكون أرفع قدرا، وأعظم ثوابا

وأجرا عند الله الذي لا يظلم الناس شيئا وصدق الرسول ﷺ في قوله: «ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه».

● الهوامش ●

(١) وهو التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية.

سيد قطب – النقد الأدبي – أصوله ومناهجه ط رابعة – بيروت ١٩٦٦م.

(٢) انظر : ابن سنان الخفاجي – سر الفصاحة – ص ٨٢ وما بعدها – تحقيق: عبد المتعال الصعيدي – مطبعة صبيح ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م.

(٣) المتوفّى سنة ٢١٠هـ.

(٤) راجع: البيان والتبيُّن – الجاحظ تحقيق: عبد السلام محمد هارون ط رابعة – القاهرة ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م جـ١ ص: ١٣٥ ومابعدها.

(٥) أي تخير – من تنوَّق في الأمر: تأنق فيه.

(٦) أبو هلال العسكري، الصناعتين ص:

١٣٩ – تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ط عيسى الحلبي.

(٧) الصناعتين ص : ١٤٥.

(٨) الصناعتين ص : ١٤٧.

(٩) الصناعتين ص : ١٦.

(١٠) عبد المتعال الصعيدي.

بغية الايضاح ١ : ٢٦ ط سادسة – القاهرة.

(١١) ولد سنة ١٨٨٦م، وتلقى العلم في الأزهر، واشتغل بتدريس اللغة العربية في المدارس الفرنسية، وحصل على اجازة الحقوق من باريس، كما درس اللغة العربية وآدابها بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، وانتدب سنة ١٩٣٠م للتدريس بدار المعلمين العالية في بغداد، وعاد الى مصر سنة ١٩٣٣ وأنشأ مجلة «الرسالة» عقب عودته، ثم انتخب عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ورأس تحرير مجلة الأزهر، وانتقل الى رحمة الله في سنة ١٦٩٨م.

ومن أهم آثاره: وحي الرسالة في أربعة أجزاء – دفاع عن البلاغة – تاريخ الأدب العربي. كما ترجم الى العربية «آلام فرتر» لجيتة – وروفائيل للامرتين.

د. بدوي طبانة – البيان العربي ص: ٣٩٨ ط رابعة مكتبة الأنجلو المصرية ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

(١٢) أحمد حسن الزيات – دفاع عن البلاغة ص: ٥ مطبعة الرسالة ١٩٤٥م.

(١٣) الفِجّ : بكسر الفاء البطيخ الشامي الذي يسميه الفُرس الهندي وكل شيء من البطيخ والفواكه لم ينضج فهو فِجّ بالكسر.

الرازي – مختار الصحاح ص: ٤٩١ مادة = ف ج ج ط أولى، بيروت ١٩٦٧م.

(١٤) اقرأ : دفاع عن البلاغة ص: ٥ ومابعدها.

(١٥) ويقول «الزيات» في ذلك: «دعك من هؤلاء وأولئك وانظر أنت في الأسلوب الذي ارتضيته لنفسك فتعهده بالتصحيح والتنقيح مااستطعت، ولا تحفل بالزمن الذي تنفق فيه، فانك تخلق الخلق ليعيش، وتبدع الأثر ليخلد، والزمن لا يبقى على عمل يتم بدونه، وما العبقرية كما يقول «بوفون» إلا صبر طويل، ولا عليك أن يقال عنك: إنك بطيء بكيء، فان زهيرا لم يعبه أحد بحولياته وابن المقفع لم يغض من عبقريته قلة مؤلفاته، وأبو نواس شهر بالتختر والتفكر، كما شهر «أبو العتاهية» بالارتجال والاقتضاب، فجاء شعره كله من حر الكلام ومختاره... وجاء في أخبار العلماء باخبار الحكماء للقفطي قوله: تفاخر «ايرخس» الشاعر اليوناني و«أوميروس» ففخر «ايرخس» على «أوميروس» بكثرة الشعر وسرعة عمله، وعيَّره ببطء عمله وقلة شعره، فقال «أوميروس» : بلغنا أن خنزيرة بأنطاكية عيرت لبؤة بطول زمن الحمل وقلة الولد وافتخرت عليها بضد ذلك، فقالت اللبؤة : «لقد صدقت! إني ألد الولد بعد الولد، ولكنه أسد» – فالروية والعمل والتهذيب والتأنق نشف عنها العبقريات الخالدات للعباقرة الخالدين».

أحمد حسن الزيات – دفاع عن البلاغة ص: ٧٥، ٧٦.

المراجع

١ - ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة صبيح بالقاهرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٢ - أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: على البجاوي ومحمد أبو الفضل، ط عيسى الحلبي بالقاهرة.

٣ - أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٩٤٥م.

٤ - الرازي، مختار الصحاح ط أولى - بيروت ١٩٦٧م.

٥ - الجاحظ، البيان والتبيُّن، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ط رابعة، القاهرة: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٦ - بدوي طبانة (د)، البيان العربي ط رابعة - مكتبة الانجلو المصرية ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٧ - سيد قطب، النقد الأدبي: أصوله ومناهجه. ط رابعة، بيروت، ١٩٦٦.

٨ - عبد المتعال الصعيدي، بغية الايضاح ط سادسة، القاهرة.

● ● ●

في المغرب الإسلامي والعروبة

[illegible] أنثروبولوجية

دكتور عبد الباقي علي قصة

وردت الاشارة الى «بني مرينا» في شعر امرئ القيس في قوله:

ملوك بني حجر بن عمرو لساقون العشية يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا

وحجر بن عمرو هو الجد الأكبر لامرئ القيس، ولكن الذي حدث أن الحارث بن عمرو (٤٩٠م) ابنه، وكان ملكا على كندة(١) بعد أبيه، وسقوط دولة التبابعة في اليمن على يد الأحباش، أضعف من قوة كندة فوجه نظره شطر العراق، وطمع في ضم الحيرة الى مملكته الصغيرة، وراح يترقب الفرص لتحقيق مطامعه، وقد حانت الفرصة حينما تغير كسرى «قباذ» ملك الفرس على «المنذر بن ماء السماء» ملك الحيرة بسبب امتناع الأخير عن اعتناق المزدْكية(٢) ومن هنا نجد أن الحارث يتجه بقواته ويغزو الحيرة، بتحريض من كسرى «قباذ»، وذلك لاعتناق الحارث المذهب المزدكي، ولكن الأمور لا تصفو تماما للحارث فسرعان ما قتل «قباذ» وآل الملك الى «أنو شروان» الذي فتك بالمزدكية، وأعاد المنذر بن ماء السماء الى ملك الحيرة، وكان ذلك شديداً على الحارث، فنشبت بينه وبين المنذر معركة انتهت بقتل الحارث وولديه في ديار بني مرينا(٣).

موطن المرينيين الأصلي :

كان الأمل عندما زرت قلعة المنصورة مع قسم التاريخ بجامعة قسنطينة معرفة شيء عن هذه القلعة التي تقوم أطلالها في إحدى ضواحي تلمسان، وقد طلب اليّ إلقاء كلمة عن هذه القلعة، ومن أجل الحصول على معلومات تاريخية عن هذه القلعة لجأت إلى المركز السياحي بتلمسان التي أمدتني بمطبوعة بالعربية وأخرى بالفرنسية، فقرأت فيها «المرينيون عرب رحل قدماء، حاصروا تلمسان سبع مرات بعد أن قضوا على العرش الموحدي بالمغرب الأقصى ففي سنة ٦٩٨هـ (١٢٩٩م) بدأ الحصار الدامي الذي عزل تلمسان عن العالم مدة ثمان سنوات (٦٩٨هـ – ١٢٩٩م الى ٧٠٦ – ١٣٠٧م) وشيدوا أثناء الحصار مدينة المنصورة المفتخرة بمسجدها وقصرها ومخازنها وحدائقها وحماماتها وديارها».

وقد أثار انتباهي الى ما عرضته في التمهيد السابق قول النُشرة «عرب رحل قدماء» اذ كيف لعرب رحل أن يبنوا هذه القلعة، بل أن يبنوا «مدينة المنصورة المفتخرة بمسجدها وقصرها ومخازنها وحدائقها الخ».

من هنا أدركت أن الموضوع في حاجة لدراسة للبحث عن موطن هؤلاء العرب الأول، وكيف هاجروا إلى شمال افريقية، ومتى حدث ذلك؟ وهل كان ذلك قبل الاسلام، الشيء الذي توحي به كلمة «عرب رحل قدماء» مع أن ما قاموا به من بناء يتمثل حتى الآن في قلعتهم التي تمتاز منارتها عن قلعة الحماديين بالاتقان والزخرفة، لذلك رجحت أن يكون لهؤلاء العرب تواجد قبل وصولهم الى المغرب في مركز حضاري هام، عرفوا فيه الاستقرار، ودرسوا فن المعمار وأتقنوه، ومن ثم لا محل لوصفهم بالعرب الرحل، لأن البدو لا يعرفون من البناء إلا الخيام وبيوت الشعر، أما هؤلاء فقد أسسوا مباني ذات قيمة حضارية فلابد أن تكون قد مضت فترة تاريخية طويلة على انتقالهم من البداوة الى الحضارة.

وقد كان الأمل أيضا أن يعطيني صاحب كتاب «معجم قبائل العرب القديمة والحديثة» مادة علمية غزيرة في هذا الموضوع حسب المعتاد إلا أنه

وللأسف لم يعط من المادة إلا القدر الذي أثبت فيه عروبة هذه القبيلة وموطنها الأصلي حيث قال «مرينا: بطن كان يقطن الحيرة وينتسب الى لخم من القحطانية»(٤).

ومن هنا يتبين لنا أنهم نشأوا في منطقة اليمن ذات الحضارة العريقة، وانتقلوا مع اللخميين الى وادي الرافدين، ومعنى ذلك أنهم حينما وصفوا بالعرب الرحل يعتبر هذا الوصف ليس له مدلول تاريخي، وأنهم أصحاب قدم راسخة في الحضارة العربية القديمة منذ فجر التاريخ حتى قيام دولة الاسلام، وانتشاره في المشرق والمغرب.

كيف وصل المرينيون الى المغرب الأقصى؟

كان لابد - والحالة هذه - من الرجوع الى العلامة عبد الرحمن بن خلدون للفصل في هذا الموضوع ولكي يجيبنا على هذا التساؤل، ولكننا وجدنا ابن خلدون يقول في معرض حديثه عن تلمسان «فكان - أي أبا سعيد بن خليفة - كثيراً ما يخرج من زناتة من أهل المغرب الأوسط مثل مغراوة وبني يغرن وبني يلومو وبني عبد الواد وتوجين وبني مرين»(٥).

وفي الفصل الثامن من الكتاب الأول من الباب الثالث من المقدمة تحت عنوان «في أن عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة» يقول «ثم اعتبروا بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد لزناتة بني مرين» الى أن يقول «يقال ان عدد بني مرين لأول ملكهم كان ثلاثة آلاف».

ثم يقول «ورد بالمغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة»(٦) وذكر قصة ابن بطوطة حينما عاد من رحلته من المشرق (كانت الرحلة - من سنة ٧٢٥هـ - ٧٥٤هـ) ويبدو أن لونا من الاختلاط وقع بين بني مرين وقبيلة زناتة حتى ظن ابن خلدون أنها بطن من زناتة فقد قال في معرض حديثه عن مناصب الدولة «وأما دولة زناتة بالمغرب وأعظمها دولة بني مرين فلا أثر لاسم الحاجب عندهم»(٧).

واذا كان حديث ابن خلدون عن المغرب حديث خبير الا أن حديثه عن أصل بني مرين يشوبه الغموض، وقد اعتبر بني مرين من زناتة مستدلا بالوضعية الجغرافية، من ذلك قوله عن بعض شارات الملك ومنها الرايات «ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين – كما هو عند زناتة – وقد بلغت أيام السلطان أبي الحسن (وهو من بني مرين) فيما أدركناه مائة من الطول، ومائة من البنود ملونة بالحرير ومنسوجة بالذهب»(٨).

ومن ذلك قوله «وأما لهذا العهد فأدركنا بالمغرب في الدولة المرينية لعنوانها وشموخها رسما جليلا لقنوه من دولة ابن الأحمر معاصرهم بالأندلس» وهو يعني اتخاذ الخاتم والطراز(٩).

ويقول ابن خلدون في معرض حديثه عن الدعاء للخليفة «وكذلك يعقوب ابن عبد الحق ما هدا (كذا) دولة بني مرين حضره رسول المستنصر الخليفة بتونس من بني أبي حفص، وثالث ملوكهم وتخلف بعض أيام عن شهود الجمعة فقيل له: لم يحضر هذا الرسول كراهية لخلو الخطبة من ذكر سلطانه فأذن له في الدعاء له، وكان ذلك سببا في أخذهم بدعوته» الى أن يقول «وكذا بنو مرين من زناتة خرجوا على الموحدين، فمكثوا يطاولونهم نحوا من ثلاثين سنة، واستولوا على فاس واقتطعوها وأعمالها من ملكهم، ثم أقاموا في محاربتهم ثلاثين أخرى حتى استولوا على كرسيهم بمراكش»(١٠) وهكذا انتقل هذا الخلط الى بقية المؤرخين المحدثين حتى الشيخ عبد الرحمن الجيلالي فهو يقول في التأريخ لبني مرين «المرينيون هم فخذ من بطون القبيلة العظيمة زناتة كانت مساكنهم ومواطنهم وراء تلمسان غربا على ملوية، وجنوبا الى نواحي سجلماسة – تافيلالت – وبصحراء فيقيق الى أرجاء الأغواط وربما يخطون في ظعنهم الى بلاد الزاب»(١١) الى أن يقول «وهم قوم مرهوب جانبهم، شديد بأسهم كثير جمعهم يضاهون في مجتمعهم أمة العرب والفرس واليونان»(١٢).

وهنا نجد الشقة صارت بعيدة بين ابن خلدون والشيخ عبد الرحمن الجيلالي فابن خلدون يرى أن عددهم لا يتجاوز ثلاثة آلاف بينما الشيخ عبد الرحمن يرى أنهم يضاهون في مجتمعهم أمة العرب، فكيف تم لهم ذلك اذا لم يكن قد مر على هجرتهم الى بلاد المغرب وقت طويل؟.

وضعية المرينيين في المغرب الأقصى والأوسط :

وقد أبلى بنو مرين بلاء حسنا في «نصرة الموحدين على خصومهم بني صنهاجة»(١٣) الا أنهم انقلبوا على الموحدين، ولم يزالوا يثيرون الفتن والغارات بأرجاء المغرب الأقصى بدافع التراحم على الملك والتنافس على الرئاسة حتى أحسوا ضعف دولة الموحدين، فاقتحموا «تلة» سنة ٦١٠هـ (١٢١٣م) ثم فتح أميرهم أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق مدينة مراكش سنة ٦٦٨هـ (١٢٦٩م) فقضوا بذلك على عرش الموحدين.

وقد أصبح المرينيون قوة في البر والبحر، فقد كان لهم أسطول عظمت شوكته بالبحر المتوسط، والمحيط الأطلنطي، في عهد السلطان أبي الحسن المريني فقد خرج من تونس بستمائة سفينة(١٤)، وقد وصف المؤرخ الفرنسي «أندري جوليان» فيقول «إنه من أقوى الملوك وأعظم السلاطين على الاطلاق في القرن الرابع عشر الميلادي، ويقول.ابن خلدون عن أبي الحسن: ان أساطيله كانت عند مرامه الجهاد مثل عدة النصارى وعديدهم»(١٥) وقد صارت وهران في أيامهم ميناء بحريا كبيرا، كان عليه عبوس بن سعيد «وقد ضبطها وثقفها وملأها قوات ورجالا وسلاحا، وملأ مرساها أساطيل»(١٦).

وقد سجل الشعر ذلك فقال أبو القاسم الروحي يمدح أبا الحسن حين وحد أقطار المغرب الثلاث سنة ٧٤٨هـ (١٣٤٧م) من قصيدة طويلة:

تملكت شطر الأرض كسبا وشطرها	وارثا فطاب الكل إرثا ومكسب
بجيش على الألواح والماء يمتطى	وجيش على الضمر السوابق يركب
وجيش من الاحسان والعدل والتقى	وذاك لعمر الله أعلى وأغلب
فلا مركب إلا يزين راكبــــا	ولا راكب إلا به ازدان مركب

آثار المنصورة أو مدينة المنصورة :

المتأمل فيما بقى من آثار في المنطقة يجد أن القلعة مازالت قائمة جهة الغرب، وفي مقابلها بقية سور لمدينة جهة المشرق بوابته الكبرى منحرفة قليلا

جهة الغرب ومن هنا يتبين أن القلعة غير المدينة وأن المرينيين لم يبنوا خلال فترة الحصار غير القلعة أو أنهم بنوا القلعة والمدينة فخربت المدينة وبقيت القلعة.

أما المدينة المقابلة فقد بناها الموحدون، وسورها قائم حتى الآن، ذلك أن عبد المؤمن بن علي حاصر تلمسان(١٧) سنة ٥٢٣هـ (١١٤٣م) ولكنه عجز عن فتحها أمام صمود المرابطين بقيادة تاشفين خليفة وابن علي بن تاشفين، واتجه عبد المؤمن الى وهران، ثم عاود تلمسان فدخلها.. وأصبحت تلمسان منذ ذلك التاريخ عاصمة للموحدين، أما الذي ابتنى السور الموجود حاليا فهو أبو عمران الموحدي، ولا تزال باب القرمادين قائم من أهم بقاياه»(١٨).

المرينيون وبنو عبد الواد :

تعددت الأسباب التي أدت الى الصراع بين بني مرين وبني عبد الواد، فكان منها الرغبة في السيطرة والتوسع من طرف بني مرين، هذا بالاضافة الى «المنافسة على رئاسة زناتة والتشوف الى السلطان المطلق بالمغرب الاسلامي»(١٩) ويعرض الشيخ عبد الرحمن الجيلالي لسبب ثالث يبدو غير منطقي فيقول «لما أشرفت سفينة العراك والحرب بالأندلس على شفا المنحدر والغرق، وانكشف لملوك بني مرين انهزام دولة الاسلام هناك قد حانت أو كادت، وكان شعور الدولة المرينية بالمسئولية العظمى الملقاة على كاهلها يومئذ قد تضاعفت بحكم أنها سيدة العدوتين، وأنها وارثة عرش الموحدين طالما أخضعت لعرشهم الأندلس بما فيها من رعايا وملوك وشريف وصعلوك فساءها أن تضع الكارثة بالأندلس على مرأى ومسمع منها بدون أن تكون قد اتخذت لهذه الحال المتوقعة عدتها، أو تحتاط لها على الأقل لكيلا تتهم بين الأمم بالاهمال وعدم الصلاحية للملك، فاهتمت وقتئذ بالعمل على مزيد الاقتراب من الساحل الشرقي باتخاذ عاصمة ثانية لها بالمغرب الأوسط ليتيسر لها الدفاع عن أرض الأندلس»(٢٠) فيممت تلمسان وعزمت على فتحها، ويبدو أن هذا الذي خيل الينا أنه غير منطقي كان داخلا في اطار استراتيجي للقيادة العسكرية المرينية، من حيث إنها أرادت أن تكون هذه البلاد بثرواتها داخلة في نفوذها، حتى تستعين بهذه الثروة على خوض غمار حرب ضروس مع الأسبان.

وأدى ذلك الى الحصار الذي فرضه المرينيون على تلمسان، ومما يؤكد وجهة النظر التي أبديناها أنه في سنة ٦٧٣هـ (١٢٧٤م) غزا أبو يوسف يعقوب

المريني سجلماسة (تافيلالت) فاقتحمها، واستعمل في هجومه لأول مرة في تاريخ المغرب الاسلامي البارود، وأسر سادة بني عبد الواد وفيهم القائد عبد الملك، وفي ذلك يقول ابن خلدون «ولما فتح السلطان أبو يوسف المغرب، وانتظم أمصاره ومعاقله في طاعته وغلب عبد المؤمن على دار خلافتهم ومحارسهم، وافتتح طنجة وطوع سبتة مرفأ الى العودة وثغر المغرب سما أمله الى بلاد القبلة الجنوب - فوجه عزمه الى افتتاح سجلماسة من أيدي بني عبد الواد المتغلبين عليها وادالة دعوتهم اليها في العساكر والحشود في رجب من سنة ٦٧٢هـ (١٢٧٤م) فنازلها وقد حشد اليها أهل المغرب من زناتة والعرب والبربر، وكافة الجنود والعساكر»(٢١).

ويؤيد ابن خلدون وجهة النظر التي تقول «ان العرب أول من استعمل المدافع النارية، قبل أوربا بزمن طويل، وأن أوربا عرفت البارود وصناعته عن طريق العرب»(٢٢) وفي ذلك يقول «ونصب عليها - أي أبو اسحاق - آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزائنه أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة»(٢٣) وقد تم لبني مرين فتح سجلماسة وماحولها، أما السبب المباشر في غزو بني مرين لتلمسان الى «ايواء صاحبها الثوار على دولة مرين، ولقد حاول من قبل استسلام هؤلاء الثوار المشاغبين وانتزاعهم من يد بني زيان «عبد الواد» فلم يسمحوا له بذلك وحينئذ تقدم بنو مرين لحصار تلمسان ونصبوا عليها المجانيق، وأطلقت أيدي الجند فيها فعبثوا بها وأخذوها بالنهب والتخريب، ثم أقلعوا عنها، وان كل ما كان بعد ذلك من عداوة أو ضغينة بين بني زيان (والمرينيين) كان منشؤها هذه الحادثة» ذلك أن عصيان أبي عامر وخروجه عن طاعة أبيه السلطان أبي يعقوب والتجائه الى تلمسان واحتمائه بسلطانها عثمان بن يغمراس»(٢٤).

وينضم الى هذا السبب المباشر سبب اخر أقل مباشرة ذلك أن ثابت بن منديل أمير مغراوة استصرخ السلطان أبي يوسف يعقوب سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٤م) على ملك تلمسان عثمان بن يغمراس لرد عادية قومه عنه، فأرسل يوسف بشفاعته في ذلك الى عثمان فرفضها، كل ذلك من وراء غزو تلمسان سنة ٦٩٥هـ (١٢٩٥م) وقد بدأ بأعمال تلمسان ففتح ندرومة وهنين ووهران ومزغران، ومازونة ومستغانم وونشريس ومليانة والمدية وتنس وشرشال والبطحاء وتدلس، واستولى على جميع ضواحي شلف كلها وأذعنت له مدينة الجزائر ماعدا تلمسان.

المرينيون بالأندلس :

في الوقت الذي حشد فيه أبو يوسف يعقوب المريني جنوده وخرج لغزو تلمسان غرة صفر سنة ٦٦٩هـ (١٢٨٠م) وماكاد يتحرك حتى جاءه من يستصرخه من بني الأحمر لنجدة المسلمين في الأندلس، فجمع كبار مستشاريه وعرض عليهم الأمر «فاتفقت كلمتهم جميعا على تقديم انجاد الأندلس وحمايتها على غزو تلمسان، فعدل السلطان يومئذ عن خطته المرسومة، وراسل صاحب تلمسان في الصلح»(٢٥).

يقول الشيخ عبد الرحمن الجيلالي «ولما حل المرينيون بالأندلس، وامتلكوا شطرا منها أخذت عقارب الحسد تدب في قلوب الأندلس من بني الأحمر وانتشر بينهم داء الأثرة، فعمد سلطانهم الى يغمراس الزياني طالبا مودته وصداقته وواصله بهدايا أندلسية فخمة وأموال عظيمة على أن يشغل عنه ملوك بني مرين بمشاغبتهم واحداث مشاكل لهم بالمغرب، وما كاد يشيع خبر اتصال أهل الأندلس بيغمراس حتى بادر السلطان أبو يوسف المريني من صاحب تلمسان»(٢٦) وقد تكرر ذلك من المرينيين رغم رفض بني زيان (بني عبد الواد) وهكذا أدى عدم التفاهم الى التلاحم، وكانت موقعة «وادي تافنة» حيث انتصر بنو مرين وأسسوا المنصورة أثناء حصارهم لتلمسان القديمة، وهو أطول حصار في التاريخ حيث دام ثماني سنين وثلاثة أشهر وأياما(٢٧).

بناء المنصورة :

أثناء هذا الحصار قام أبو يوسف يعقوب المريني ببناء المنصورة على نحو أربع كيلومترات غربي تلمسان، وكان ذلك في شتاء سنة ٦٩٨هـ (١٢٩٩م)، ويروي أن الذهب الذي طعمت به منارة هذه القلعة بلغ سبعمائة دينار، ثم السور الثاني حول المنصورة بعد أن انتشرت حولها المنازل والقصور الأنيقة والحمامات العامة والفنادق والأسواق وأجريت المياه بالبساتين سنة ٧٠٢هـ (١٣٠٢م) وقد وصفها ابن مرزوق الخطيب فقال «منصورة تلمسان التي لم ير الراءون مثلها ولا وصف الواصفون مثل وصفها، وأما قصرها ومسكن الامام بها فقد رأيت كثيرا ممن دخله من المتجولين ممن رأى العراق ومصر والمباني القديمة في

الأندلس ومراكش أجمعوا كلهم على أن الذي اجتمع فيه لم يجتمع في غيره، وبحق ماقالوه، وأما دار الفتح والبستنة وما اتصل بها، والمشور فما أظن أن المعمور اشتمل على مثلها».

من المسئول عن تخريب المنصورة ؟

تقول النشرة التلمسانية «اغتيل السلطان أبو يوسف من طرف أحد مواليه ففك المرينيون الحصار، ورجعوا الى المغرب (الأقصى) فهدم التلمسانيون (يعني الزيانيين) المدينة، وكان على رأسها في ذلك الوقت أبو زيان، وكان ذلك انتقاما لما عانوا من حموم الحصار الطويل».

ويقول الشيخ عبد الرحمن الجيلالي «كان اغتيال السلطان أبي يوسف يعقوب المريني سنة ٧٠٦هـ (١٣٠٦م) سببا مباشرا في اخراج بني مرين عن تلمسان، وانفكاك الحصار عن أهلها، فتفرقت يومئذ جنودهم واختلفت كلمتهم بموت أبي يوسف، وتنازع على العرش المريني كل من ولده وأخيه وحفيده أبي ثابت عامر بن عبد الله، واستند الحفيد هذا الى بني زيان مستظهرا بهم على مزاحمية» (٢٨).

زناتة أصلها ونسبها وأهم فروعها :

اذا كان قد وقع الوهم بأن بني مرين فرع من زناتة، فانه من الضرورة البحث عن أصل هذه القبيلة ونسبها وموطنها الأصلي وأهم فروعها، يقول المؤرخون المحدثون الذين اهتموا بشئون الدراسة القديمة مثل «Gautier» : «لم يعثر على اسم زناتة مع أسماء القبائل البربرية (الأمازيغ) التي وجدت في كتب المؤرخين القدماء من يونان ورومان وبيزنطيين».

أما ابن خلدون فيقول : «اعلم أن أصل هذه اللفظة هي صفة جانا التي هي اسم الجيل كله».

أما نسب زناتة فقد ناقشه ابن خلدون فأتى بآراء المؤرخين الذين ينسبونها

الى حمير أو التبابعة أو العماليق، وأنكر ذلك جميعها، ثم اكتفى برد زناتة الى الجنس السامي، وليست زناتة وحدها بل البربر والبتر، وان كان المؤرخون المسلمون على أن البربر بترا وبرانس ساميون.

ولكن الواقع التاريخي لا يواقفنا على أثر لقبيلة زناتة داخل تقسيم القبائل البترية ذلك أن المؤرخين «قسموا كتلة البتر الى أربعة قبائل هي : ضريسة ونفوسة واداسة وبنو لوى»(٢٩).

وما وجدت قبيلة زناتة إلا بدخول المسلمين الفاتحين، ذلك أنه من الصعب تحديد موقع زناتة جغرافيا مثل صنهاجة مثلا، لأنهم طوال حياتهم بدو رحل، على أن ابن خلدون يحدد موطنهم «بالمغرب الأوسط حتى انه لينتسب اليهم فيقال وطن زناتة»(٣٠).

ويرى بعض المؤرخين أن زناتة فرع قبيلة ضريسة «والذي يلاحظ اختفاء اسم البتر شيئا فشيئا أمام اسم ضريسة، ثم اختفاء هذا الأخير أمام اسم زناتة بالتدريج»(٣١).

ويورد بن حميزة في أطروحته «دور قبيلة زناتة في الحركات المذهبية في المغرب الاسلامي» فنجد من فروعها بني يغرن، ومن أشهر أفخادهم «بنو واركو ومريخيسة» وقد انتشروا بافريقية وجبل أوراس والمغرب الأوسط، ثم تراجعوا الى المغرب أمام زحف القبائل الطرابلسية من لوائه وهوراة المنتشرة بالجنوب التونسي وضواحي الأوراس.

ومنها مغراوة «وكانوا من أوسع بطون زناتة» ولمغراوة فروع كثيرة أهمها بنو سنجاس وبنو غيار، وبنو ريغة وبنو ورا، وكان انتشارهم بجبل راشد (عمور) وجبل كريكرة والزاب وشلف، وقسنطينة ووراكلا والأغواط ومراكش والسوس.

ومنها جراوة ومن فروعها بنو يرينان وجديجن أيضا والأولى تسكن جبل الأوراس والثانية ملوية والثالثة المغرب الأوسط، ومنها واغمرت وبنو ومانو وبنو يلومي وبنو بالدس وبنو واركلا، وبنو دمر ومن بطونها بنو ورغمة وبنو ورنيد وبنو ورتاتين وبنو غرزول وبنو تافورت.



على أن أعظم فروع زناتة حما قبيلة جراوة التي قاومت الفتح الاسلامي أولا، ثم ساعدت على إنجاحه مؤخرا بانضوائها تحت الرايات الاسلامية ويليها في ذلك بنو يغرن فأين كان بنو مرين هؤلاء؟.

خصائص زناتة :

اذا كنا قد عرضنا في أول مقالنا هذا لخصائص «بني مرينا» وملنا الى أنهم من أصل حضاري قديم فان كل الدلائل الانثروبولوجية تشير الى أن زناتة كانوا بدوا ولم يعرفوا الاستقرار، وفي ذلك يقول الادريسي انّ من المعروف عن زناتة أنهم «قوم رحالة ظواغن ينتجعون من مكان الى مكان غيره»(٣٢).

ومن أهم خصائص زناتة ما يأتي :

١ – تختلف لهجاتهم عن سائر اللهجات البربرية وتعود في أصلها الى السامية لما لها من خصائص مشتركة مع اللغة العربية.

٢ – الفروسية ذلك أن أكثر زناتة فرسان يركبون الخيل»(٣٣).

٣ – التكهن : يقول الادريسي «لايدري أحدا من الأمم أعلم من زناتة بعلم الكشف»(٣٤) ويبدو أن المقصود التكهن بحالة الطقس المعروفة عند العرب بعلم النوى أو الأنواء.

٤ – استهلاكهم اللحم بكثرة فأغلب طعامهم المشوي.

وكل هذه الخصائص تربطهم ربطا محكما بالعرب، الشيء الذي جعلهم فيما رواه ابن خلدون – ينتسبون للعرب، ولعل ذلك هو الذي دفع ابن خلدون الى ضم بني مرين اليهم، وربما كانت هجرتهم الى شمال افريقية في وقت واحد.

على أن العربي ارتبط بالجمل، وليس معنى ذلك أن فروسية زناتة تبعدهم عن استعمال الجمل في انتجاع الصحراء فالثابت «أن الجمل وحيد السنام كان موجودا بالصحراء ثم تعرض للفناء بعد العصر الجيولوجي الرابع، ثم ظهر



من جديد قادما من الشرق في القرن الاول الميلادي، وعلى وجه التقريب في نهاية القرن الأول الميلادي(٣٥)، وهو التاريخ المناسب لانهيار سد مأرب، على أن الهجرات من اليمن بدأت قبل ذلك من عدن الى افريقية، فقد أصبح الجمل منتشرا في القرنين الثالث والرابع الميلادي ما بين الحدود الموريطانية في الشمال الشرقي وحدود برقة شرقا، ومما يدل على أن العرب جاءوا قبل الاسلام الى شمال افريقية من الجنوب واستوطنوا الصحراء «أن البربر لم يعيشوا في الصحراء قبل أسرة سيفيروس Severes التي حكمت الامبراطورية الرومانية في الفترة الواقعة بين ١٩٣ – ٢٣٥م» تاركين الشمال الذي استولى عليه الرومان لاستغلاله في الزراعة.

أما متى كان ميلاد زناتة؟ فالجواب أنها جاءت من الجنوب في نجد سنة ١١٥ ق.م الميلاد أو قبل ذلك بقليل من اليمن، والدليل على ذلك أن كتاب اليونان والرومان لم يشيروا الى غابات النخيل الموجودة بوادي ريغ جنوب بسكرة بينما وجدت تفاصيل دقيقة في كتب التاريخ الاسلامية تتناول «نخيل القورارة كل هذا يدفع الى الاعتقاد بأن مؤسس هذه الغابات جاءوا مهاجرين من الشرق في عام الفيل»(٣٦).

من هنا يتبين لنا أن العرب وصلوا الى شمال افريقية من الجنوب ومن الشمال الشرقي، والاحتمال الأقرب الى التصديق أن «بني مرين» ومن الشمال الشرقي قبل الاسلام، وأنهم اتخذوا في أول أمرهم من قبائل زناتة حلفاء لقرب اللغة والاتفاق في الخصائص.



الهوامش

(١) كندة قبيلة قحطانية هاجرت بعد سيل العرم، ونزلوا في مكان يشرف على حضرموت فسمي باسمهم، ثم استقر بهم المقام حوالي سنة ٤٥٠م في بلاد نجد، يقول بيكلسن «كانت كندة محالفة لليمن»، وكانت «عبارة عن تحالف يجمع قبائل متعددة ذات نظام قبلي.

(٢) المزدكية تنسب الى مزدك الذي دعا الى الاشتراك في المال والمرأة من حيث انهما من وجهة نظره سبب الصراع بين الناس، وقد قضى على هذا المذهب على يد أنوشروان



(٣) د. محمد مصطفى النجار: تاريخ العرب ط الأزهر سنة ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م ص ٦٢.
(٤) راجع جـ ٣ ص ١٠٨ وراجع لسان العرب لابن منظور جـ ١٧ ص ٢٩٢ والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني جـ ٢ ص ١٦ والقاموس المحيط للفيروزابادي جـ ٣ ص ٢٧١.
(٥) راجع العبر جـ ٧ ص ٤٥.
(٦) المقدمة ص ٢١٥، ١٤٧، ١٦٢.
(٧) ابن خلدون : المقدمة ص ٢١٥.
(٨) المرجع نفسه ص ٢٣١.
(٩) نفسه ص ٢٣٨.
(١٠) المرجع نفسه ص ٢٧٠.
(١١و١٢) تاريخ الجزائر العام ص ٧٣.
(١٣) المرجع السابق ص٧٣.
(١٤) نفسه ص ٧٥.
(١٥و١٦) المقدمة ص ١٢٥ والعبر جـ ٧ ص ١١٧.
(١٧) عرفت تلمسان في عهد الرومان بومارجليه، وفي القرن السابع الميلادي غرقت بأجادير ويبدو أن تسميتها بتلمسان جاءت في العصر الاسلامي.

(١٨) النشرة السياحية التلمسانية ص ١.
(١٩و٢٠) المرجع السابق ص ٧٦.
(٢١) لاحظ قول ابن خلدون «من زناتة والعرب والبربر» فذلك يدل على أن المرينيين أدخلوا زناتة في تجمعهم الكبير في دولتهم فصاروا بعد أن كانوا ثلاثة آلاف جموعا غفيرة. العبر جـ ٧ ص ١٨٨.

(٢٢) د. غوستاف لوبون: حضارة العرب ص ٥٧٧ ط القاهرة سنة ١٩٤٨م.
(٢٣) ابن خلدون : المرجع السابق جـ ٧ ص ١٨٨.
(٢٤) الشيخ عبد الرحمن الجيلالي : المرجع السابق ص ٧٨، ٧٩.
(٢٥) نفس المرجع ص ٨٠.
(٢٦) المرجع السابق ص ٨١.
(٢٧) ابن خلدون : المرجع السابق جـ ٧ ص ٩٥ وما بعدها.
(٢٨) المرجع السابق ص ٨٣.
(٢٩) Le Passè de L'Afrique du Nord. Paris 1952 P. 208.
(٣٠) العبر جـ ١ ص ٢، وتنطق «شانا» راجع ابن حزم جمهرة أنساب العرب ص ٤٦١.
(٣١) انظر الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى للسلاوي جـ ١ ص ٣١.
(٣٢) بن حميزة : قبيلة زناتة ص ٦.
(٣٣) العبر جـ ٢ ص ١.
(٣٤) الادريسي : وصف افريقية الشمالية ص ٦١.
(٣٥) نفس المرجع ص ٦١.
(٣٦) نفسه.
(٣٧) بن حميزة : المرجع السابق ص ١٤.
(٣٨) S.G-Sall: la IRipolitaine et le Sahara P. 160.
(٣٩) بن حميزة : المرجع نفسه ص ١٦.



هذا باب جديد .

ننشر فيه كل جديد من الآداب والعلوم والفنون

نحن في هذا الباب معكم و بكم

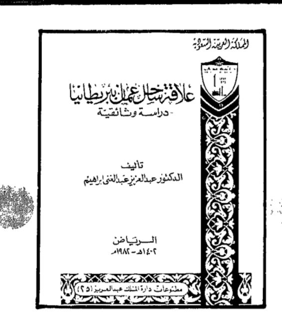
وهو لذلك منكم وإليكم

إعداد

● الأستاذ مصطفي أمين جاهين ●

★ الكتاب : علاقة ساحل عُمان ببريطانيا
«دراسة وثائقية»

★ المؤلف : الدكتور عبد العزيز عبد الغني ابراهيم



★ الناشر : دارة الملك عبد العزيز «٢٥»
الرياض «١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م»

★ المحتويات : «إثنا عشر فصلا، وستة عشر ملحقا، وخمسمائة صفحة»

يتناول هذا الكتاب جانبا هاما من تاريخ منطقة الخليج العربية خلال النفوذ البريطاني وهيمنته على شواطىء دول الخليج، ودور صراع عرب الخليج لمقاومة البريطانيين وعدم الرضوخ أو الاستسلام، وقد تحققت جهودهم في الاستقلال واقامة دول ذات سيادة نالت احترام العالم وتقديره.

ففي عام ١٨٢٠م، تمكن البريطانيون من المنطقة عسكريا، وربطت المنطقة بمعاهدات واتفاقيات لأجل مصالحهم الاستعمارية، حتى جلت عن المنطقة في ١ / ١٢ / ١٩٧١م.

فالكتاب يعطى أهمية لدراسة «منطقة الامارات العربية المتحدة حاليا» التي عرفت باسم

«**الساحل العماني** أو **ساحل القراصنة**» في الوثائق البريطانية، ثم صار اسمها «**ساحل الصلح البحري**، أو **المشيخات المهادنة**».

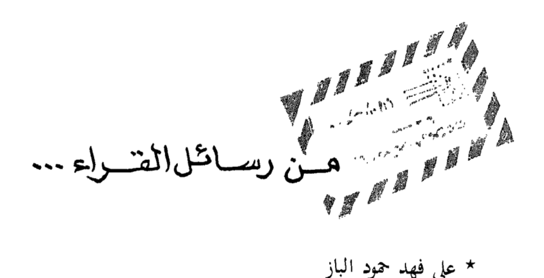
ففي **الفصل الأول** يستعرض المؤلف صلات الخليج العربي بالعالم الأوربي في عهد البرتغاليين، ثم استعرض النفوذ البريطاني في الخليج العربي وتوافق مصالحه في الأمن والتجارة مع المصالح الفارسية والعمانية في الفصل الثاني.

أما **الفصل الثالث** فقد أورد فيه المؤلف العوامل التي ساعدت أهل الساحل العماني على مقاومة النفوذ البريطاني، وفي الفصل الرابع استعرض المؤلف «اتفاق عام ١٨٠٦م، وبداية العلاقات والمعاهدات في المنطقة ونتائجها».

وألقى المؤلف الأضواء على هذا الاتفاق، في **الفصلين الخامس والسادس**، الذي جاء في أعقاب الحروب الطويلة التي شنتها بريطانيا على أهل المنطقة حتى استعمرتها عسكريا في عام ١٨٢٠م، وجعلت عليها حامية انجليزية وفقا لما جاء ببنود الاتفاقية، ثم استعرض معاهدة تجارة الرقيق مع شيوخ الساحل العماني وأهداف البريطانيين من وراء محاربتها، وذلك في **الفصل السابع**.. أما في **الفصل الثامن** فقد خصصه المؤلف لدراسة الاتفاقية الدائمة بينهما «١٨٥٣م — ١٢٦٩هـ»، كما وردت بالملاحق، وتتبع أيضا تطورها واستغلال بريطانيا لها في وجه القوى والتيارات المختلفة في المنطقة، وفي **الفصلين العاشر والحادي عشر**، وفي **الفصل الأخير** استعرض «**معاهدة ١٨٩٢م ومشكلات الحدود في المنطقة**».

لا كبير عندي الا الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا ضعيف عندي الا الظالم حتى آخذ الحق منه، وليس عندي في اقامة حدود الله هوادة، ولا أقبل فيها شفاعة..

«عبد العزيز آل سعود»



★ علي فهد حمود الباز
طالب في جامعة قطر – كويتي الجنسية.

★★ يستفسر عن علاقة عائلة الباز الكويتية، بعائلة الباز السعودية.

★ **لأول مرة تنشر المجلة سؤالاً عن تحقيق النسب كأنما على القارىء أن يعطينا بعض ما يعرف عن ذلك، فالجدوى أن يعطي المجلة بحثا في هذا الموضوع، ولقد كلفت بعض الباحثين لدى الدارة أن يراجع كتب النسب «كالجمهرة لابن حزم، والبلازري، ورضا كحالة»** لعلهم يجدون ما يثبت، أو ما هو غير موجود.

أما اسم «**الباز**» فقد عرفنا في «**المدينة**» أن الأشراف الحسينيين المعروفين «**بالجمازيين**» أو «**آل جماز**»، درجوا على أن يسموا باسم «**صقر – شاهين – باز –**»، فمنهم عوائل مشهورة لبعض هذه الأسماء التي تطلق الجوارح من الطير، سواء كان في الفرع الذي بقي من «آل جماز» في «**المدينة المنورة**»، وفي «**العالية**» بالذات، أو «**السوارقية**» شرق المدينة، أو في الفرع الثاني الذي سكن «**محافظة قنا في مصر**»، وهم انقسموا في «قنا» إلى فرعين، فرع «**البطاطخة**» وفرع «**الخادمة**»، ولعل هذا الشرح أرجح منه انه ليست هناك قبيلة باسم «**الباز**»، ولا أبعد نفسي عن الجهل، فلعل عند غيري علم أكثر.

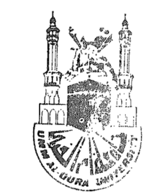
«رئيس التحرير»

العمارة الإسلاميّة

لقد استطاع المعماري العربي أن يعالج الفراغات الداخلية في المنازل والقصور والمساجد معالجة معمارية سليمة، فإننا نلاحظ في المساجد تعدد الأعمدة التي تعطي شعورا فراغيا بالامتداد والانطلاق الى اللانهائية، وأيضا فإن تعدد هذه الأعمدة يجعل الضوء يتسلل ضعيفا باهتا، فيترك أثره في النفس، مما يجعل الانسان يشعر أنه بعيد عن نطاقه الحقيقي، ويظل مستغرقا في صلاته الخاشعة.

كما أن الأعمدة في المساجد تتكرر في وحدات زخرفية رائعة.

«نماذج من المشربيات القديمة بمدينة جدة»



الدارة تشارك في اللقاء الأول لأقسام الجغرافية بجامعات المملكة العربية السعودية



بناء على الدعوة الموجهة من قسم الجغرافيا - كلية التربية. جامعة أم القرى بمكة المكرمة لكافة أعضاء هيئات التدريس بأقسام الجغرافيا بجامعات المملكة وبعض الجهات المختصة لعقد أول لقاء جغرافي في الفترة ما بين ١٩ - ٢١ / ٦ / ١٤٠٢هـ.

وقد مثل الدارة في هذا اللقاء الاستاذ عبد الله حمد الحقيل مدير عام الادارة الفنية بالدارة والذي شارك بالقاء بحث عن أهمية التراث الجغرافي الاسلامي وقد جرى في هذا اللقاء مناقشة العديد من الموضوعات التالية:

١ - مجالات التنسيق بين أقسام الجغرافية المختلفة.

٢ - الكتاب الجامعي الجغرافي.

٣ - الدراسات الميدانية والتطبيقية.

٤ - احياء التراث الجغرافي الاسلامي.

٥ - اعادة تنشيط الجمعية الجغرافية الاسلامية.

٦ - التعاون في مجال البحث العلمي بين أعضاء هيئات التدريس وانشاء وحدات أبحاث جغرافية في كل قسم.

٧ - تبادل الزيارات بين أقسام الجغرافيا لعرض بحوثهم العلمية وتبادل المعلومات.



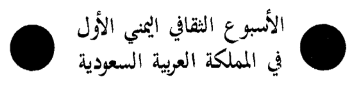
نـــدوة

«ماذا يريد التربويون من الاعلاميين ؟»

★ في صباح يوم السبت «٦ شعبان ١٤٠٢هـ الموافق ٢٩ مايو ١٩٨٢م» افتتح صاحب السمو الملكي الأمير / **نايف بن عبد العزيز** وزير الداخلية ورئيس المجلس الأعلى للاعلام، أعمال ندوة «**ماذا يريد التربويون من الاعلاميين ؟**» التي نظمها مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية، بالتعاون مع وزارة الاعلام **بالرياض**.

وقد أكد سموه في كلمته على ضرورة طرح الحلقة المفقودة بين التربية والاعلام بجدية والحاح وبأسلوب علمي، لأن الارتباط بين الاثنين يكاد يكون تاما لعلاقتهما بصياغة شخصية الفرد والناس وتكوين مفاهيمه وعناصر شخصيته.

وناقشت الندوة التي استمرت أربعة أيام أهداف الاعلام والتربية لدول الخليج وتحديد دور التربويون في تحقيق أهداف التربية من خلال وسائل الاعلام، كما تناولت الندوة مناقشة وضع استراتيجية للتنسيق والتكامل بين الاعلام والعملية التربوية في منطقة الخليج العربي.



الأسبوع الثقافي اليمني الأول في المملكة العربية السعودية



★ تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير «**ماجد بن عبد العزيز**» أمير منطقة مكة المكرمة، تم افتتاح الأسبوع الثقافي اليمني الأول يوم السبت ٨ من رجب عام ١٤٠٢هـ.

هذا وقد ترك هذا الأسبوع انطباعا جيدا، حيث جدد هذا اللقاء بين المفكرين والمثقفين والعلماء من البلدين الشقيقين الصلات والعلاقات التاريخية العريقة، والتعرف على كثير من النهضة الثقافية والفنية لدى كل من الآخر في هذه الميادين.



«تحية .. واعتذار»

بينما هذا العدد ماثل للطبع، وصلت إلى **رئيس التحرير** رسالة كريمة من **معالي وزير الإعلام والشبيبة والرياضة المغربي «عبدالواحد بلقزيز»**، بدأها بثناء جميل منه على المجلة، الأمر الذي نعتز به، ثم تطرق إلى موضوع كانت هذه المجلة قد نشرته في عددها السابق «**العدد الرابع-السنة السابعة-رجب ١٤٠٢هـ مايو ١٩٨٢م**» **بعنوان «الصحراء الغربية-دراسة جغرافية»** للدكتور أحمد رمضان شقلية، فأبدى معاليه بضع تصحيحات لبعض ما تضمنه المقال.

وقد كان يسعد المجلة أن يتسع المجال في العدد الحالى لنشر رسالة معاليه كاملة مع الخرائط والوثائق التي تفضل معاليه بإرسالها إلينا، لولا ضيق الوقت، ونعد بنشرها جميعاً بإذن الله في العدد التالى.

غير أنه لا يفوتنا هنا، أن نحدد وجهة نظر هذه المجلة بأنها ترتفع عن الخوص في وجهات النظر المختلفة في السياسة، فالتاريخ والجغرفة يجب أن تكون محددة بحيث لا تتطرق إلى الاختلافات السياسية.

«استدراك»

تحت عنوان مقال (الصحراء الغربية – دراسة جغرافية) في العـدد الرابع – للسنة السابعة «رجب ١٤٠٢ هـ» تداخل خطأً اسم الدكتور جلال شوقي، الى جانب الدكتور أحمد رمضان شقلية صاحب المقال المذكور.

لذا فالمجلة تعتذر لوقوع هذا الخطأ المطبعي الغير مقصود.



مع أطيب التحيات والشكر...

لكتاب المجلة الكرام..

ترجو مجلة الدارة من كتابها الكرام أن يبعثوا اليها بحوثهم وموضوعاتهم ومقالاتهم وقصائدهم **باسم رئيس التحرير ص.ب. / ٢٩٤٥ الرياض - المملكة العربية السعودية.**

١ - أن تكون مكتوبة بخط واضح أو مطبوعة على الآلة الكاتبة حتى تخرج سليمة من الأخطاء.

٢ - أن يزودوا المجلة بالصور والوثائق والخرائط أو الشرائح الملونة، - اذا احتاج البحث ذلك - حتى تخرج البحوث والموضوعات بصورة جيدة ترضي القراء.

٣ - ألا تزيد صفحات البحث الواحد عن عشرين صفحة لتنويع ونشر أكبر عدد ممكن من البحوث والموضوعات، وكذا **تلخيصا للبحث في عشرة أسطر**، وترجمتهم الى **اللغة الانجليزية** - ان أمكن -.

٤ - أن تزود المجلة **بصورتين شمسيتين** وبيانات عن حياة الكاتب العلمية. وذلك لمرة واحدة إذا كان الكاتب دائم الكتابة بالمجلة.

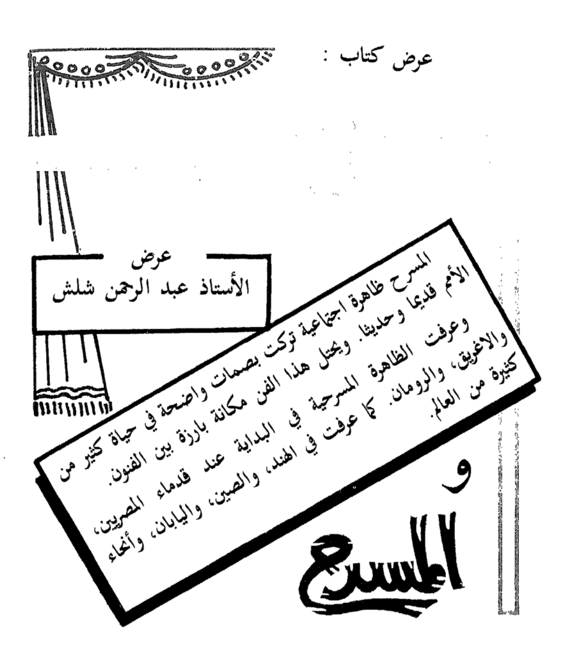
٥ - أن يكون عنوان وهاتف الكاتب واضحا ومفصلا للاتصال به عند اللزوم، ولارسال مطبوعات الدارة.

٦ - ألا سعثوا بنسخة أخرى من البحث الى مجلة أو جريدة أخرى.

٧ - البحث أو الموضوع أو المقال الذي يتم اجازته، يخطر كاتبه بذلك، أما البحث الذي لم يتم اجازته لا يرد له، ولكن يخطر أيضا بذلك.

٨ - في حالة «عرض كتاب ما...» نأمل تزويد المجلة بنسخة منه، أو بصورة واضحة للغلاف.





والسؤال المطروح هو : هل عرف العرب فن المسرح قديما مثلما عرفه غيرهم من الأمم والشعوب الأخرى، أم أنه وفد اليهم في العصر الحديث؟.

يجيب على هذا السؤال كتاب (العرب والمسرح) الصادر عن سلسلة كتاب الهلال القاهرية لمؤلفه محمد كمال الدين الذي بحث في أصول المسرح عند العرب. ويحتوي كتابه على ١٧٨ صفحة، ويقع في ستة فصول، عدا المقدمة. وسنعرض أهم ما جاء في الكتاب من وجهة نظر صاحبه. ثم سنعلق في النهاية على النتيجة التي وصل اليها في هذا البحث.

يستهل الباحث كتابه بقوله في المقدمة : يزعم بعض المفكرين في الغرب -والشرق أيضا- أن العرب لم يعرفوا المسرح الا في القرن التاسع عشر، حين وفدت مع الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م فرق مسرحية، عرفت مصر - والشرق العربي كله - عن طريقها فن المسرح، ومن وقتها انتشر هذا الفن بطابعه الغربي، وتراثه الأجنبي، وعلى نسقه كان المسرح العربي الخالص الذي نشأ فيما بعد، فكان قولهم بذلك ينفي أن يكون للعرب تراث مسرحي، أو أن يكونوا قد عرفوا المسرح في أي من عصورهم التاريخية. ولو تأنى هؤلاء المفكرون، ودرسوا تراث العرب وحضارتهم دراسة جادة غير متحيزة، لعرفوا أن التراث العربي كان أصل كل حضارة، ومنبع كل معرفة، ومن المؤسف أن الأوربيين أخذوا هذا التراث وشكلوه ببيئتهم فبدت صورته وكأنه غريب عنا، هذا في الوقت الذي نسي فيه العرب تراثهم أو تناسوه، وقعدت بهم مطالب العيش عن مواصلة البحث.

ويعرض الباحث في الفصل الأول : (من اراء المعارضين) مجموعة من الآراء التي يرى أصحابها عدم معرفة العرب للمسرح قديما.

يقول العقاد : التمثيل فن من الفنون التي ترتبط بالحياة الاجتماعية ارتباطا وثيقا، وطالما أن بيئة العرب لم تتعدد فيها أدوار الحياة الاجتماعية على حسب اختلاف الأعمال والصناعات والطبقات، لم يعقل أن ينشأ فيها فن التمثيل.

ويقول زكي نجيب محمود : لم يعرف العرب الأدب المسرحي - بل والقصصي - لعدم التفاتهم الى تميز الشخصيات الفردية بعضها عن بعض.

ويقول توفيق الحكيم : لم يعرف العرب الأدب المسرحي ولا نقلوه لأنه لم يكن لديهم مسرح، ولم يكن لديهم مسرح لأنهم كانوا بدواً رحلاً لا يستقرون في مكان.

ويرى أحمد أمين : أن الدين يمنع التصوير، وبالتالي يمنع التمثيل.

ويري زكي طليمات : أن العرب لم يعرفوا المسرح لأنه يعتبر مرحلة أولية لم تتهيأ لها أسباب التطور والتقدم.

وترى سهير القلماوي : أن العرب بطبيعة عقلهم ينظرون الى الكليات ولا يميلون الى التحليل، والمسرح يعتمد على العقلية التحليلية لا التركيبية.

ويرى المستشرق الألماني جوستاف فون جرينبوم : أن الاسلام السني لم ينجح في خلق فن مسرحي رغم معرفته بالثقافة اليونانية والهندية، وهذا لا يعود الى سبب تاريخي قدر ما يعود الى مفهوم الانسان في الاسلام، وهو مفهوم يمنع وقوع أي صراع درامي.

ويرى المستشرق الفرنسي جاك بيرك : أن التقاليد العربية تعاني بالنسبة للمسرح من مشكلتين، أولاهما عدم تناسب اللغة الكلاسيكية العربية مع المتطلبات الداخلية للغة الدرامية، والثانية صعوبة اختيار واحدة من اللغات العربية الثلاث وهي : الاشارة والتعبير والدلالة.

ويرد الباحث في الفصل الثاني (في موقف الدفاع) على الآراء السالفة الذكر مستشهداً بآراء دفاعية.

يرى طه حسين : أن مزايا كثيرة من خصائص الشعر القصصي موجودة في الشعر العربي، ومنها أنه مرآة لحياة الجماعة، وخاصة عند جرير والفرزدق والأخطل، وما أدته الالياذة والأوديسة بالنسبة لليونان، أداه الشعر العربي القديم من تصوير الحياة الاجتماعية وحياة الأبطال بالنسبة للعرب.

ويقول عبد الرحمن بدوي : تلقى العرب في مواطنهم بعض النماذج المتأثرة بالمسرح الاغريقي حين تدهور هذا الفن، وحين تحطمت صيغة الحياة التي بررت ازدهاره في بلاده الأصيلة..

ويقول الباحث : لقد عرف العرب الاستقرار قديما، عرفوه فيما قدمنا في حضارة اليمن، وعرفته مدن مثل مكة والطائف ويثرب وينبع ومنى وخيبر في شبه الجزيرة العربية، وعرفته بغداد ودمشق وفلسطين في بلاد الشام وما جاورها، بل تجاوزت المدن الزراعية، والمناطق الرعوية.

ويضيف الباحث : لقد تميزت حياة القبيلة العربية بنظام واتساق وتماسك شديد يستند الى نسبها المشترك ومجدها التليد.

ويدافع عن العقلية العربية التحليلية التي قيل انها تركيبية: العلم لم يثبت من ذلك شيئا، والا فأين منهم المعلقات الطويلة، والأوصاف الدقيقة للفروق بين الألوان، وأين حوليات زهير، وتنقيحات النابغة الذبياني، كما أن العرب ليسوا أهل اختصار للقول، اذ أنهم أحيانا يتهمون بالتطويل والافاضة كما في كتب الفقه.

ويرد الباحث على الادعاء بأن اللغة العربية غير درامية : إن للغتنا قدرة على احتمال التعبير الدرامي والمسرحي، وعلى تأدية هذا الدور بقدرة وكفاءة، وأننا لنقرأ الحوار في التراث القديم، كما نقرؤه في الانتاج الروائي والمسرحي، الحديث، فنفهمه ونستوعبه ونحفظه.

ويحرص الباحث في الفصل الثالث (من تاريخ العرب الاجتماعي والفكري) على القاء نظرات في تاريخنا عبر العصور الماضية. ويبدأ بالقاء نظرة على بلاد العرب من حيث السطح والمناخ والسكان مقارنا بينها وبين بلاد أخرى عرفت المسرح لتأكيد حقيقة مؤداها أن الشعوب في بدايات تكوينها البشري والعمراني تتشابه. ويتبعها بنظرة على السمات الفكرية للأمة العربية التي تمثلت في أسواقها الأدبية حيث كان الناس يأتون في موسم الحج ويتناقلون الآداب، وينشدون الأشعار، ويتحدثون بشرف أصلهم، وكرم محتدهم، وتلك الأسواق هي: سوق ذي المجاز، وسوق مجنة، وسوق عكاظ. ويلقي نظرة على كنوز العرب الثقافية والفكرية التي تمثلت في تراثنا من كتب ومخطوطات تعد بالآلاف. ثم يلقي نظرة على القصص الاسلامي والقصص الشعبي.

ويتحدث الباحث في الفصل الرابع (ظواهر مسرحية قديمة) عن القصة، والشعر، والملحمة، والمقامة. يقول: الاستعداد القصصي خاصية يشترك فيها كل الناس، والقاص يختار لنفسه المواقف التي يريدها، والانفعالات التي يحس بها، ويستفيد من تجارب الغير، وقد وجد ذلك عند العرب قديما وحديثا. ويقول عن الشعر : اذا كان الشعر هو ديوان العرب، ومصدر فخرهم ومناط عبقريتهم، فاننا سنجد فيه ملامح درامية كثيرة، نجدها في المعلقات السبع كمعلقة امرىء القيس اللامية، ومعلقة النابغة الذبياني، ومعلقة زهير بن أبي سلمى، ومعلقة عمرو بن كلثوم، وبعض القصائد الطويلة. ويقول حول المقامة: تعتبر المقامة في الأصل أدبا تمثيليا عرف منذ العصر الجاهلي، وأنها من القيام في دار الندوة في ذلك العصر الجاهلي، وكانت تمثيلا مباشرا متواصلا يقوم به ممثل فرد، وتعتمد على جمهور يحضر العرض. ومن أشهر المقامات: مقامات الجاحظ، ومقامات محمد بن الحسن بن دريد، ومقامات بديع الزمان الهمذاني، ومقامات الحريري.

ويعرض الباحث في الفصل الخامس (من كتب الدراما عند العرب). بعض المؤلفات التي تضمنت قصصا درامية كما أسماها، الى جانب كتب الجاحظ والمقامات التي سبق الاشارة اليها، ويحرص على بيان أهميتها التاريخية في الأدب العربي، ومدى أسبقيتها على غيرها من كتب الدراما في الشرق والغرب على السواء. ومن هذه الكتب كتاب: التيجان في ملوك حِمْيَر الذي رواه أبو محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبي ادريس بن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه، وقد جمع فيه قصة الكون منذ خلقه الله، وخلق السماء والملائكة والنجوم والجنة والنار وابليس والجان والحيوانات ثم خلق الأزمنة والأرض حتى خلق آدم وحواء وذريتهما الى عصر حمير. وكتاب: الفرج بعد الشدة للقاضي ابن تميم التنوخي وهو من أكبر الكتب العربية احتواء على بذور الدراما، وتقوم قصص الكتاب على فكرة بسيطة هي سعي الانسان الدائب في الحياة ثم اصطدامه بعقبات كثيرة لا تجعله يتوقف أو ييأس، بل ينتصر عليها في النهاية. وكتاب: رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، وهي من النثر المسجوع وتدور في عالم الجن (الزوابع) والجنيات (التوابع) من خلال رحلة تقابل فيها ابن شهيد مع أشهر شعراء الجاهلية وكتّاب نثرها، وينقدهم نقدا لاذعا كما ينقد

التقاليد الأدبية السائدة في الأندلس وقتئذ. وكتاب: رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، وهي تعتمد على الحركة والحوار، وتصحبها موسيقى تصويرية من الانشاد الشعري المعبر، وقد تخيل المعري أنه قد صعد في نزهة الى الجنة ممتطيا جوادا من ياقوت ودر بعد أن يمر بأهوال يوم الحشر. وكتاب: يوم القيامة للكاتب محمد بن محرز الوهراني ويتضمن مسرحية متكاملة، وهي تدور فيما يشبه حلما يراه المؤلف وكأن القيامة قد قامت، وكأن المنادي ينادي، والأسلوب فيها في شكل حوار رشيق خال من السجع. وهذه الأعمال الدرامية -كما يقول الباحث- تصلح لتقديمها على خشبة المسرح بشيء من الاعداد.

ونصل الى نهاية رحلتنا مع المؤلف في الفصل السادس (مسرح عربي خالص) فهو يؤكد بأن هناك مسرحا عربيا خالصا عرفناه نحن العرب.. يقول: لقد عرف العرب المسرح منذ قديم الزمان، عرفوه قصة ومكانا وممثلا وجمهورا، ولا يكاد شعب آخر ينافسهم فيما صاغوه من قوالب للتعبير عن القصص والأشعار، فهم أول من قال من غابر الدهر: قال الراوي، ويحكى أن، وزعموا أن، وكان ياما كان. ومن هذا المسرح - كما أشار الباحث - عرف العرب مسرحية مقتل الحسين في كربلاء التي تحكي قصة الحسين منذ مولده الى مصرعه، وهي تعرف باسم (التعازي)، وهناك رسالة دكتوراه عنها للكاتب التونسي محمد عزيزه، وتروي قصة مصرع الحسين مصحوبة بالموسيقى والمؤثرات الصوتية، وتخلد معاني البطولة والشجاعة والصبر والتضحية عند الحسين وأنصاره. ومن هذا المسرح الخالص أيضا نص (سارة وهاجر) ويحكي قصة سارة والخليل ابراهيم. ونص (سعد اليتيم). كما عرف العرب مسرح الأراجوز أو القره كوز، وهو صورة قديمة لمسرح الأطفال والكبار أيضا، ومسرح خيال الظل، والأول تمثيل بالدُمي أمام الجمهور مباشرة بواسطة خيوط أو أيدي اللاعبين أنفسهم كمسرح العرائس المعروف الآن، والثاني تحريك الدمي بالقاء ظلالها على ستارة شفافة أمام الجمهور الذي يرى الظلال فقط.

ولقد حاول الباحث أن يثبت لنا أن العرب عرفوا المسرح قديما، وليس في العصر الحديث كما تؤكد الدراسات التي تناول أصحابها هذا الموضوع.

ومن هنا كان كتابه بحثا يدور حول نشأة المسرح عند العرب من خلال دلائل وجود هذا الفن وآثاره الباقية المتمثلة في بعض الكتب العربية القديمة، وفي بعض النصوص، وفي بعض المظاهر المسرحية.

وجاء الكتاب دراسة تاريخية اعتمدت على منهج تاريخي في رصد الظواهر دون تحليلها تحليلا علميا صحيحا، إذ اكتفى الباحث باشارات سريعة للنماذج والنصوص والظواهر التي ذكرها، وكان الواجب عليه أن يضعها تحت مجهر التحليل والمقارنة كي يتضح الجانب الدرامي فيها الذي يجعلها في عداد النصوص المسرحية، وان كانت أعمالا قصصية أكثر منها مسرحية. ولئن كان قد اهتم بالمنهج التاريخي لذاته، فان هذا المنهج وحده لم يكن كافيا، اذ كان حريا به أن يعتمد على منهج نقدي في دراسته حتى تأتي أكثر دقة وموضوعية.

وبدت معظم آراء الباحث التي استشهدنا بكثير منها أحكاما عامة لا يجوز اطلاقها هكذا بلا تقصٍّ ودراسة للموضوع الذي تناوله، وهو موضوع كتبت فيه دراسات كثيرة من قبل، وانتهت الى أن العرب لم يعرفوا فن المسرح قديما لأن حاجتهم اليه لم توجد الا في العصر الحديث.

واذا كان العرب قد عرفوا المسرح حديثا بشكل فني متكامل، فان عدم معرفتهم له قديما لا يرجع الى قصور في العقلية العربية المبدعة في كل مجالات الفنون الأدبية بما فيها فن المسرحية، بل ان هذا يرجع الى عدم حاجتهم اليه في العصور القديمة. وعندما وجدت هذه الحاجة الى المسرح، شق طريقه الي حياة العرب في كثير من المجتمعات.

إن أي فن لا ينمو من فراغ، بل لابد من ظروف تساعد على نموه. والمسرح ولد عند العرب حين توفرت الظروف الملائمة لنموه، فهو لم ينم من فراغ في القرن الماضي، بل جاء نموه نابعا من حاجة العرب اليه.

إننا لا نوافق الباحث فيما ذهب اليه حول معرفة العرب قديما للمسرح، لأن هذا الفن لم يعرف عندهم الا حديثا.





ting them to proper scientific analysis. He should have made an analytical and comparative scrutiny of the textual evidences he gave to highlight their theatrical aspects, if there are any. In our view, those texts are of more narrative than dramatic nature. The historical approach itself, if not supported by a critical study, is not sufficient to secure accuracy and objectivity. Moreover, most of the author's views we quoted came as general judgments that should not have been so given without close and thorough study of the subject especially when we know that the same subject has been dealt with in so many studies all of which have come to a conclusion that the Arabs' dramatic experience is quite recent.The reason is simple. The Arab need for the theatre only arose in modern time. It was their need, and not any deficiency in the Arab creativity, that decided the absence and the presence of the theatre.

Any art does not grow from nothing but must be helped to grow. When certain conditions existed in the last century the theatre had the chance to sprout. It grew to satisfy an Arab need.

To sum up, we disagree with the author's conclusion that the Arabs had been acquainted with the theatre in their past history.



final judgment. It is written in an elegant non-rhymed dialogue. With some adaptation the play could be performed on the stage.

With the Sixth chapter (A Pure Arabic Theatre) the author's journey comes to an end. Again he stresses the idea that the Arabs, since long time past, had been acquainted with the dramatic art be it playwriting itself, a stage to play on, actors to perform the play or an audience to attend the performance. No other people could compete with them in the forms of expression they devised for their tales and poems. They were the first, among all peoples, to start telling a tale by saying "Once upon a time......", and "It happened long long ago...." ..etc. It was this pure Arabic drama, as the author noted, that gave the play 'Al-Ta'azi' (The Condolences) which tells the story of 'Al-Husain,: of his life and martyrdom in 'Karbalà'. The play was the theme of a Ph.D. thesis by the Tunisian writer Muhammad Aziza. It tells about the murder of Al-Husain. The telling is accompanied with music and sound effects. It glorifies the heroic values in Al-Husain and his followers, their bravery, patience and sacrifice.

Other texts of this 'Pure Arabic Drama' are 'Sarah Wa Hajar' (Sarah and Hadjar) which tells the story of Sarah and Abraham and 'Sa'ad Al-Yateem' (Sa'ad The Orphan). The Arabs also knew the 'Karagöz' show - an old form of children and adult theatre - and the 'Khayal Al-Zil' theatre (The shadow play) where, in the first, we have dolls moved directly before the audience by using either strings or hands, and, in the latter, the audience beholds only the dolls shadow moving on a transparent curtain.

In his book the author managed to prove that the Arabs' dramatic experience is not restricted to recent age but dates back to olden times, an idea contrary to what some modern studies on the subject have affirmed.

His book has come to be a historical study based upon chronological observation of phenomena without subjec-



the performa nce from beginning to end directly before an audience. Of the most famous 'Maqamat' are those of Al-Jahez, Al-Hamadhani and Al-Hareeri.

In the fifth chapter (Some Arabic Dramatic works) the author reviews some dramatic tales to point out their historical significance in Arabic literature as well as their precedence over similar works in the east and the west alike. An example is the work titled 'Al-Teejan Fi Mùlùk Himyar' by Abu Muhammad Abdul Malik ibn Hisham. Ibn Hisham tells the story of the world, beginning with the creation of the universe, the skies, the angels, the stars, paradise, hell, 'Iblis', the demons, the animals, the seasons, the earth down to the creation of Adam and Eve and their posterity until he comes to the age of the Himyarite kings.

Another example is the book named 'Al-Farag Ba'ad Al-Shedda' (Relief after Suffering) by Al-Qadhi ibn Tameem Al-Tùnùkhi which can be considered as one of the most extensive Arabic books containing seeds of dramatic literature. The main theme of the stories included in the book is quite simple: man's life-lasting struggle in this world, and the difficulties he meets without losing heart or giving in until he emerges victorious in the end.

Other examples of Arabic dramatic writings are 'Resalat Al-Tawabe'a wa Al-Zawabe'a' (The Message of the Demons) by Ibn Shaheed Al-Andalousi, and 'Resalat Al-Ghufran' (The Message of Forgiveness) by Abu Al-'Ala' Al-Ma'arri where we find, in the latter, dramatic action and dialogue accompanied by poetic expressive hymns which we might call incidental music. Al-Ma'arri imagines himself on a sight - seeing ride in paradise after beholding the horrors of the Judgment Day.

The last example given in this chapter is the integrated play 'Yawmu Al-Qiyama' (The Day of Judgment) by Muhammad ibn Mehrez Al-Wahrani. The whole play is but a dream in which the writer imagines himself on the day of



Besides, he continues, the Arabs had never been taken as people of brevity in expression. On the contrary, their writings are generally accused of being too lengthy and detailed. As for classical Arabic it could communicate efficiently enough dramatic and theatrical expression. We can comprehend the dialogue in old Arabic writings, grasp its meaning and memorize it no less than we do with that of modern dramatic and novel writings.

In the third chapter (From the Arab Social and Cultural History) the author gives a bird's eye look on the Arab history throughout the ages. He starts by Arabia, its surface, climate and population in relation to those of other countries that experienced the dramatic art. His object is to make clear that all peoples share many aspects of similarity in the early stages of their human and cultural growth. He then gives an idea of the Arabs cultural life as represented by their seasonal literary contestations during the pilgrimage where poems could pass from mouth to mouth and where they could recite poetry and talk and boast of their high-breeding and noble descent. These seasonal competitions were known as 'Okaz', 'Dhul-Magaz' and 'Meganna'. Other examples of the Arabs cultural legacy are shown by thousands of books and manuscripts. The author also gives an idea of the islamic and popular tales.

In the fourth chapter (Old Dramatic Phenomena) the author talks about novel, poetry, epic and «Maqama» writing. On the novel he says that tale - telling is a quality common in all peoples. The teller would choose for himself his own subject, his situations and the emotions he feels making use of the experience of others. The Arabs knew all this in the past and the present. As for poetry it has been the life record of the Arabs and the manifestation of their pride and genius. In that poetry we find so many dramatic features especially in the «Seven 'Mu'allaqat'» and some other long poems. About 'Al-Maqama', the author continues, it had been originally meant, since pre-islamic time, to be dramatic literature. One single actor would undertake



dramatic art in spite of their contact with the Greek and Indian cultures. The reason did not relate to any historical factor. It is a product of the concept of man in Islam itself, that concept which resists any dramatic conflict within a moslem.

Jacque Burke, the French orientalist, stands in the same camp even though he relates the cause to the classical Arabic language as an inadequate tool of dramatic communication in his view.

In refutation of these arguments the author quotes the opinions of Taha Husain and Abdul Rahman Badawi.

Taha Husain thinks that in Arabic poetry we could find many characteristics of narrative poetry. This is best represented by the Arab poets like Gareer, Al-Farazdaq and Al-Akhtal where we have a reflection of the community life and of their age, the same part played by the Iliad and the Odyssey in Greek poetry.

Abdul Rahman Badawi adds that the Arabs had received in their own land, some dramatic types reminiscent of the Greek theatre after the decline of that art and the civilization that gave it life.

As for the instable kind of life of the Arabs referred to the author says the Arabs had known settled life in the old Yemen civilization and in their Arabian urban centres of Macca, Taif, Yathrib, Yanbu', Mena and Khaibar. They also experienced this kind of life at large in Baghdad, Damascus, Palestine and Syria.

He moves to defend the Arab mind taken by some as merelyabstractive. Examples of the Arabs analytical mind are shown in their long «Mu'allaqat» their minute descriptions of colour differences, the annales of 'Zuhair....etc.



been acquainted with the theatre before the French campaign conquered Egypt in the nineteenth century and brought therein some theatrical groups. Through Egypt the eastern Arabs had their first touch with the dramatic art. Hence it spread out with its western type. On the same lines the pure Arabic theatre was to be founded later.

Their main point, then, is that the Arabs, throughout all their past history, had no pre-concept of the theatre.

In his first chapter the author gives examples of some Arab intellects who stand in support of this attitude: that the ancient Arabs had been alien to the theatre.

He begins with Al-'Aqqad who believes that «acting is an art closely related to the kind of community life the people lives. As the old Arab community had no hierarchy of social responsibilities due to the absence of any diversity in life activities , workcrafts and social classes, the dramatic art was unlikely.»

Zaki Naguib Mahmoud adds that the Arabs had never known the play or novel writing for they never attended to the individual characteristics that distinguish a man from another.

Whereas Tawfiq Al-Hakeem relates this absence of the theatre to the unsettled nomadic life of the Arabs Ahmed Amin attributes it to religious factors. Islam, he says, prohibits impersonation. So it is irreligious to act.

However, Sahair Al-Qalamawi goes further to allege that the Arab mind itself is the cause behind this absence. It is, by nature, an abstractive and not an analytical mind, a situation contrary to the prerequisites of the existence of the theatre.

The German orientalist, Justave von Grunebaum, maintains that Moslem 'Sunni' writers could not create a



The Arabs and The Theatre

by
Abdul Rahman Shalash

Abridged & Translated
by
Said Abdul Aziz Abdullah

The dramatic art is a social phenomenon that left lasting effects in the life of so many peoples in old and present. It occupies a superior place among other arts.

This phenomenon was first known by the ancient Egyptians, the Romans as well as by the Indians, the Chinese, and the Japanese and in many other parts of the world.

Now a question arises: did the ancient Arabs Know the dramatic art as other nations did or is it something newly introduced into the Arab life?.

The answer to the question is dealt with in a book entitled. «The Arabs and The Theatre» by Muhammad Kamal Al-Deen and published by Al-Hilal Publishing House, Cairo.

Now, we provide the reader with the main points the author raised, then discuss the conclusions he came to in his book.

The author introduces his book by saying that some western and Arab Scholars think that the Arabs had never





Notice:

- All Correspondence should be directed to the Editor in-Chief
P. O. Box 2945 — RIYADH
- Articles are arranged technically, regardless of the writers' prestige.
- This English section contains summaries of some of the essays written in Arabic.

- **Saudi Arabia :** Price 2 Riyals, Annual subscription 15 Riyals.
- **Kuwait :** Price 250 Fils.
- **Bahrain :** Price 500 Fils.
- **Arab Emirates :** Price 4 Dirhems.
- **Qatar :** Price 4 Riyals.
- **West Germany :** Price 2 Deutsch Marks.
- **Morocco :** Price 4 Dirhems.
- **Tunisia :** Price 350 Mills.
- **Egypt :** Price 25 Piastres.
- **Other Countries :** Price one U.S. $ Annual subscription 6 U.S. $.

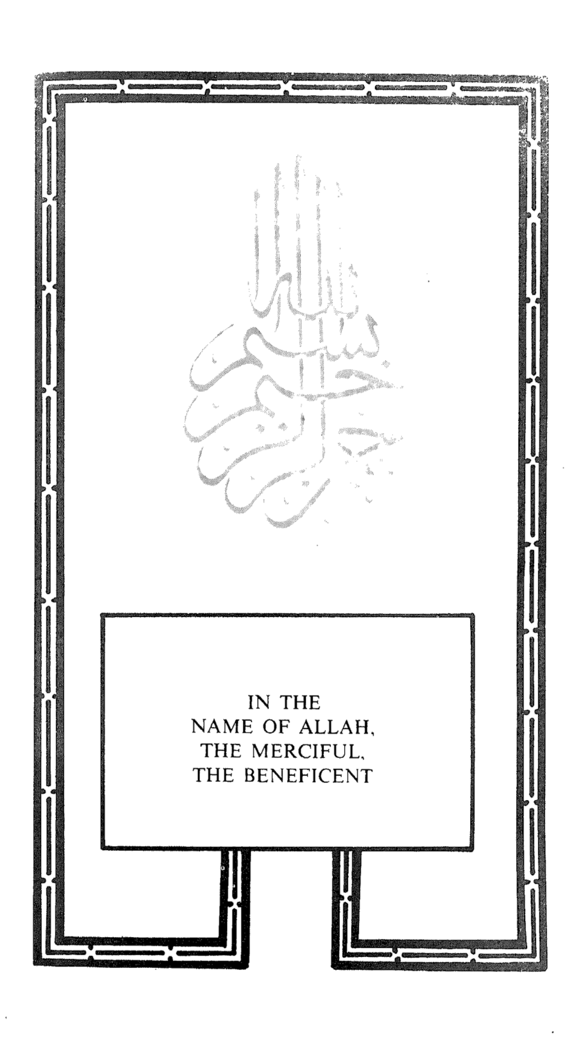
ADDARAH

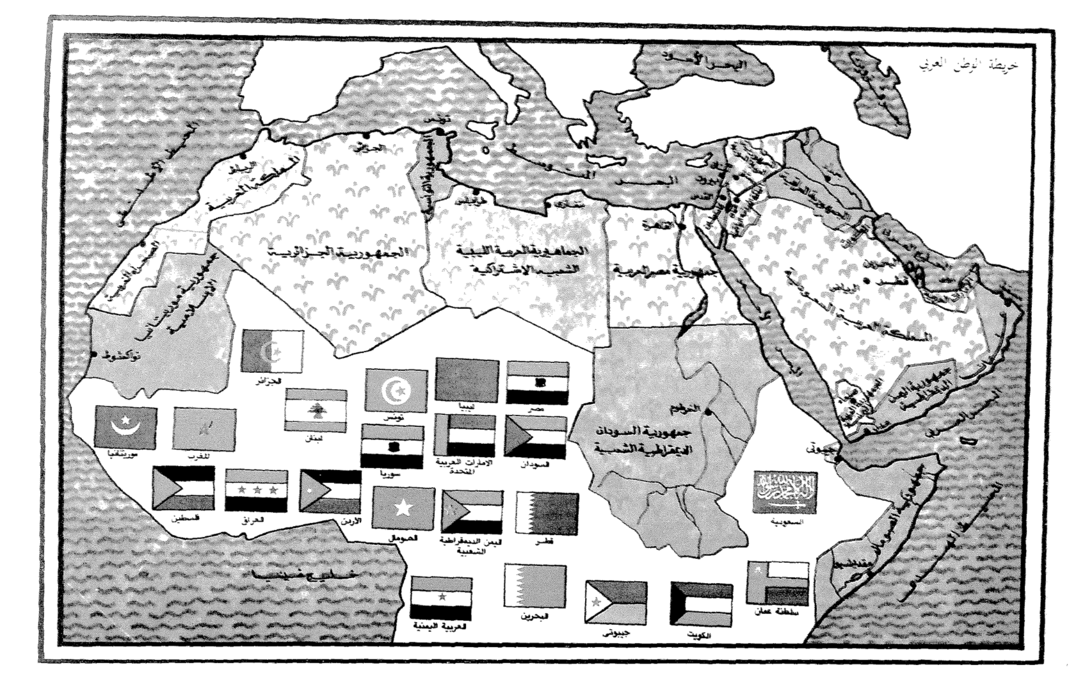
QUARTERLY JOURNAL

by
King Abdul Aziz Research Centre
Concerned with
the Intelletual and Historical Heritage
of the Kingdom and the Islamic World.

SHAWWAL 1402 A.H.
JULY 1982 A.D.
P. O. Box 2945
Tel. : 4412316

EIGHTH YEAR
No. 1
RIYADH
KINGDOM OF SAUDI ARABIA


IN THE
NAME OF ALLAH,
THE MERCIFUL,
THE BENEFICENT



خريطة الوطن العربي





QUARTERLY JOURNAL by
KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTRE

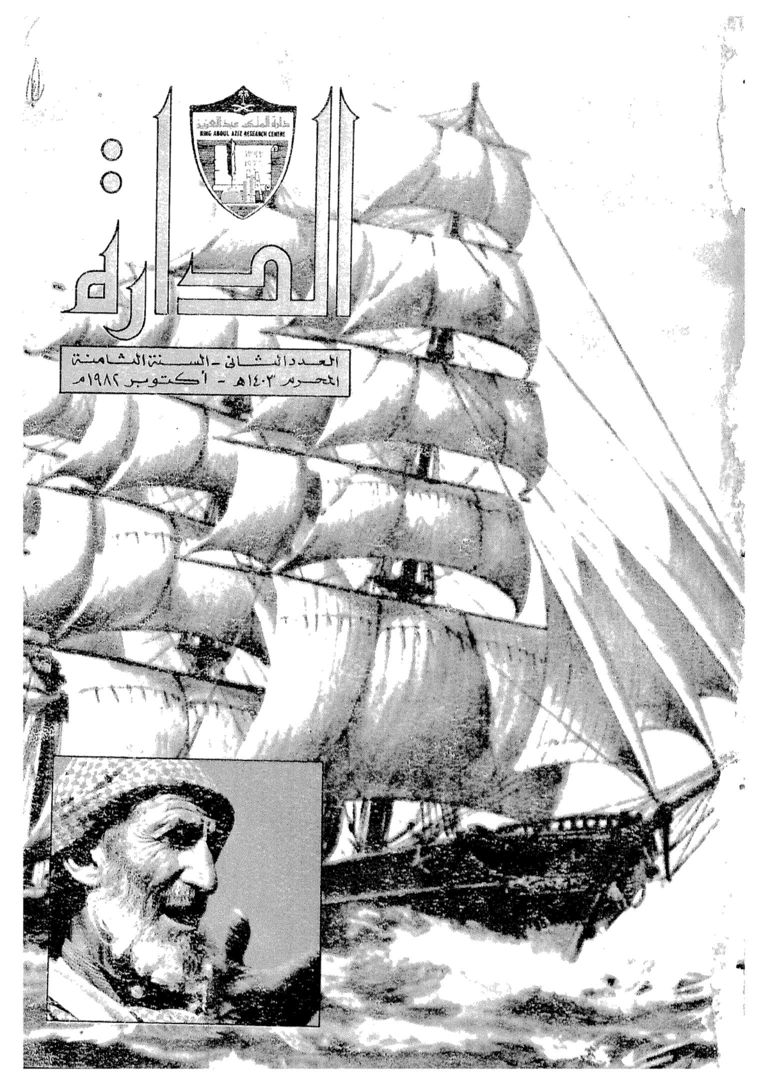
No. «1» Year «8» Shawwal 1402A.H.,July 1982 A.D.

واجهة مبنى الدارة - الناصرية - الر

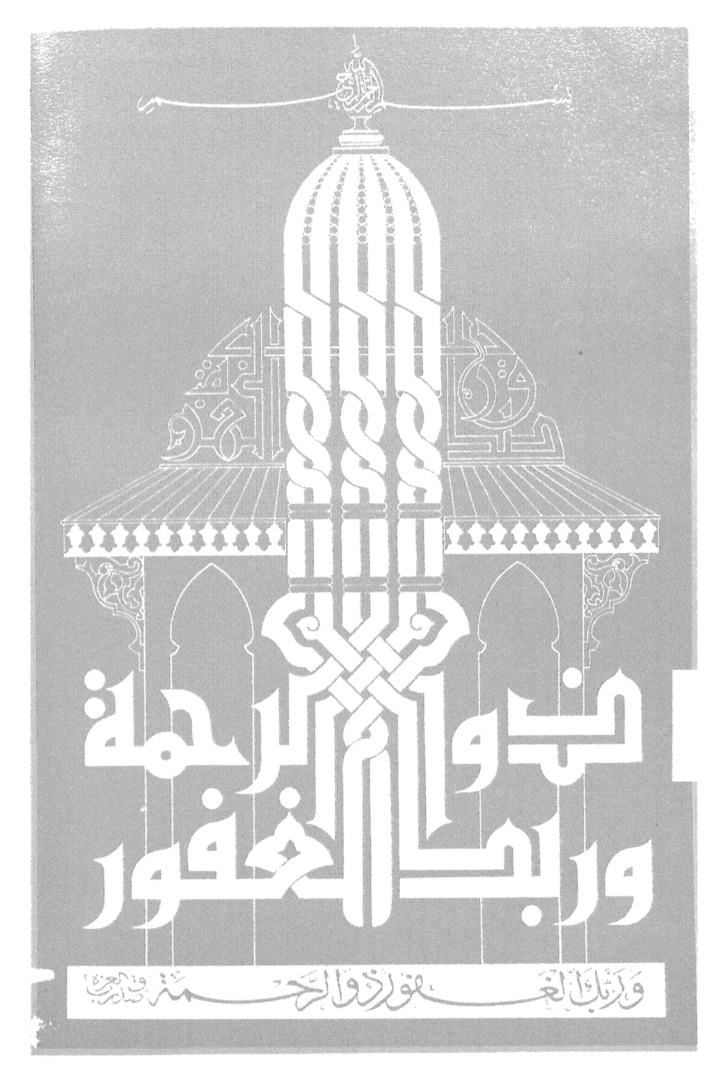
من مباني الدارة الداخلية







دارة الملك عبدالعزيز
KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTRE
الدارة
العدد الثاني - السنة الثامنة
المحرم ١٤٠٣هـ - أكتوبر ١٩٨٢م

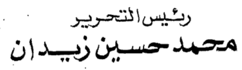

بسم الله الرحمن الرحيم
وربك الغفور ذو الرحمة

الرياض
Riyadh

دارة الملك عبدالعزيز
KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTRE

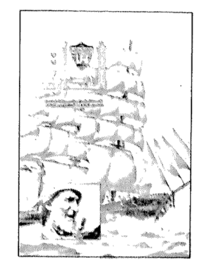
مجلة فصلية تصدر عن دارة
الملك عبد العزيز
تعنى بتراث وفكر المملكة
والجزيرة العربية والعالم العربي
والاسلامي مما له صلة بالجزيرة العربية

العدد الثاني - السنة الثامنة
محرم ١٤٠٣ هـ - أكتوبر ١٩٨٢م



المملكة العربية السعودية - الرياض
٢٩٤٥
٤٤١٢٣١٦

في هذا العدد

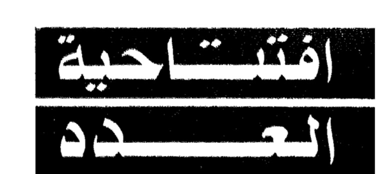


قيمة العدد في الداخل ريالان والاشتراك السنوي خمسة عشر ريالاً. في الكويت ٢٥٠ فلساً. في الإمارات ٤ دراهم. في قطر ٤ ريالات. في ألمانيا ٢ مارك. في المغرب ٤ دراهم. في تونس ٣٥٠ مليماً. في مصر ٢٥ قرشاً.

في خارج البلاد العربية دولار للعدد الواحد وستة دولارات للسنة.



ترسل الاشتراكات باسم (أمين عام الدارة)، أما المقالات فترسل باسم رئيس التحرير — ص.ب. ٢٩٤٥ الرياض. ترتيب المواضيع داخل العدد يخضع لأسباب فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.





بقلم : رئيس التحرير

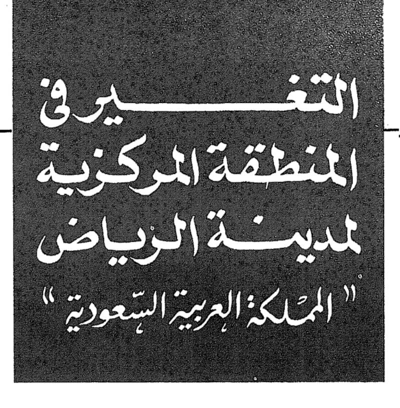
وهذا العدد الثاني من السنة الثامنة من «الدارة» فالحمدلله على توفيقه . وأمام الحسرة مرتين ينبغي لمن كان على ثغرة ألا يحفل من الحسرات وأن يقتحم المعوّقات : فالحسرة الأولى قلة الباحثين إن لم تكن على نطاق أوسع في العالم العربي كله فهي على نطاق متسع لدينا . كأنما نحن قد ابتدأنا ولم نبدأ ! تلك مرحلة أرجو أن يتم فيها الاستعداد للإعداد . والحسرة الثانية هي قلة القارئين في الأمة العربية كلها كأنما القارىء هو المثبط الأول للباحث .

سألني فتى صيني سمعتك تذكر صن يات صن فهل قرأت عنه ؟ قلت : لقد قرأت القليل ، فالعربي يوم كان يصنع الحضارة الوسيطة امتدت علاقاته بكل الحضارات القديمة . لم يجف الصين واقترب من الهند وعانق اليونان لكن العربي اليوم فعله ردّ فعل ؛ لا يصدر إلا عن الانفعال ، والثقافة التي يقرؤها يعرفها يهضمها ، يمثّلها ، جلها ليست من صنع العربي للعربي ، إلا أن تكون تراثاً ، وإنما هي مصنوعة معلبة يتجرعها جرعات من بعض الترجمات أو إذا ما تجلْنز أو تفرنس أو تأمْرك ، فلا تجد باحثاً عربياً يصل علاقة التراث الحضاري بالأصول التي أخذها فهضمها فأرسل الحضارة الوسيطة .

لا صلة مع الصين، ولا مع الهند، ولا مع الإغريق. بل إن المحزن أنه كاد يقطع الصلة بين حاضره الآن وماضيه وقليل عندنا من أخذ الدكتوراه في بحث عن **ابن عباس** أو عن **جابر بن حيان** أو عن **ابن سينا** أو عن المقارنة بين **المعري ودانتي**، بين **نيتشة والمتنبي** إلى آخر ما هو أكثر من ذلك وأعمق وأجدى نفعاً، وأكسب للمجد.

من هنا أطرح على الذين أنعم الله عليهم بالشهادات العليا أن يمدونا ببحث عن **القبلية في الأمة العربية** وهي أشد ما تكون في جزيرتنا : ما عيبها ؟ ما مزاياها ؟ وهل هي أفضل من الطبقية والإقليمية ؟ ولكي أوضح السؤال لم تعد في العالم العربي قبلية وإنما هي الإقليمية والأشد ضرراً من الإقليمية الطبقية ولا أعني الفرق بين الغني والفقير، ولا العربي العرق والعربي الاستعراق ، وإنما أعني بذلك — في بعض الأقاليم شرق السويس — الفرق بين طبقة عليا امتلكت السيادة زمناً طويلاً (بيوتات) وطبقة محتقرة سلَّطوا عليها أن تكون خادمة مسترذلة فأصبحت الطبقة الإرستقراطية تنوب بالاتكال على القيمة والمكانة ، وابتعدت عن القيم فسخّرت الطبقة المحتقرة فإذا الزمن وفطنة الاستعمار أعطت لهذه الطبقة المحتقرة أن يدخل أبناؤها المدرسة ، أن يتقدموا بما تعلموا ، فأمسكوا بالزمام يمارسون الانتقام ، لا يسألون إلا عن مكانتهم التي أمسكت بزمام السيادة ، فاحتقروا السادة انتقاماً فإذا الأمة العربية تلقى أشد الخسارة ، ولا بد من الثناء على سلوك الدولة العثمانية في هذا النحو فإنها حين أرادت أن يكون من أبناء العرب ضباط في جيشها لم تأخذ إلا من أبناء البيوتات وأصحاب القيمة ، أما فرنسا وانجلترا فسلكوا غير هذا الطريق ، **أرجوا من الباحثين أن يتوفروا على المقارنة بين العهد القبلي والعهد الإقليمي والعهد الطبقي .**

محمد حسين زيدان



« دراسة في جغرافية المدن »

إعـداد : د. نوال محمد عبدالله إسماعيل

المنطقة المركزية والمدنية :

تملك جميع المدن على اختلاف حجمها وعمرها منطقة مركزية تختزل فيها وتتركز لديها أهم وظائف المدينة ونشاطها ، ومن ثم فإنها أكثر أجزاء المدينة ،حيوية وفي نفس الوقت أكثرها حساسية وتأثراً بأي تغيرات تطرأ على المدينة،لذا فإنها تتمدد أو تنكمش ، تزدهر أو تتدهور باختلاف الزمن ، والأحوال الاقتصادية ، والأوضاع السياسية ، والتغيرات الاجتماعية ، وبمعنى آخر فإن نموذج المنطقة المركزية CENTRAL AREA يختلف باختلاف نموذج المدينة نفسها كما تقول بوجوجارنييه (١٩٦٧) Beaujeu-Garnier

نموذج مدينة الرياض :

الرياض مدينة حديثة بمقياس الزمن ، فلا يرجع تاريخها إلى أبعد من النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، قامت في موضع بعض الحلّات إلى جوار وادي حنيفة في هضبة نجد ، أما عن وجود مدينة مزدهرة في العصور الوسطى في نفس هذا الموضع ، فالثابت أن الصلة بينها وبين الرياض الحالية قد تقطعت ، أي أنها — الرياض — مدينة من المفروض ألا يثقل ماضيها على وجودها الحاضر ، ومع ذلك فإن الظروف الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية التي صاحبت تكوين المدينة ونموها فرضت عليها نموذجاً يختلف عن العصر الذي نشأت فيه .

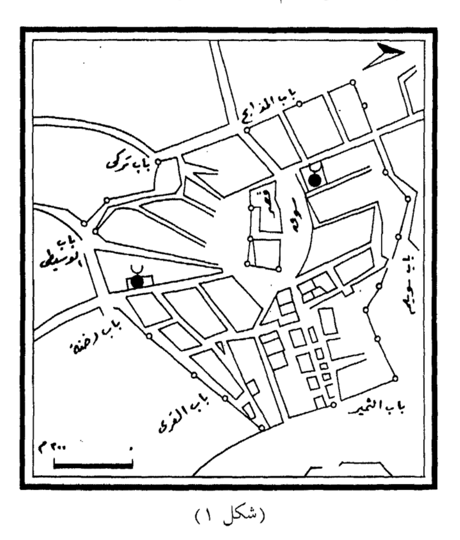
الظروف الطبيعية :

من الناحية النظرية كان موقع مدينة الرياض في هضبة نجد يبدو مكسباً للدولة الناشئة ، فهو موقع يتوسط الدولة هندسياً ، ولكنه في نفس الوقت موقع معزول عن بقية الأجزاء المعمورة في الدولة لنقص الطرق والمواصلات الجيّدة من ناحية ، وصعوبة التضاريس وطول المسافات القاحلة من ناحية أخرى ، وحتى الدروب والمسالك التي كانت تقطعها القوافل الآتية من الجنوب والغرب متجهة نحو الشمال والشمال الشرقي مارة بهذا الموقع، كانت قد فقدت خلال هذه الفترة أهميتها كطرق للتجارة بعد أن حلت المياه المحيطة بشبه الجزيرة والموانىء الواقعة عليها محل هذه الطرق وموانيها الصحراوية سواء في الخليج أو البحر العربي والبحر الأحمر ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن شبه الجزيرة العربية كلها تكاد تكون منطقة منعزلة عن المناطق المحيطة بها سواء في غرب آسيا أو شرق أفريقيا ، استطعنا أن نحكم على مدى العزلة التي كانت تعانيها هذه المدينة في بدء نشأتها .

الظروف الاقتصادية والسياسية :

المدينة نتاج إقليمها ، فإذا نظرنا إلى مدينة الرياض نجد أنها كانت عاصمة لدولة

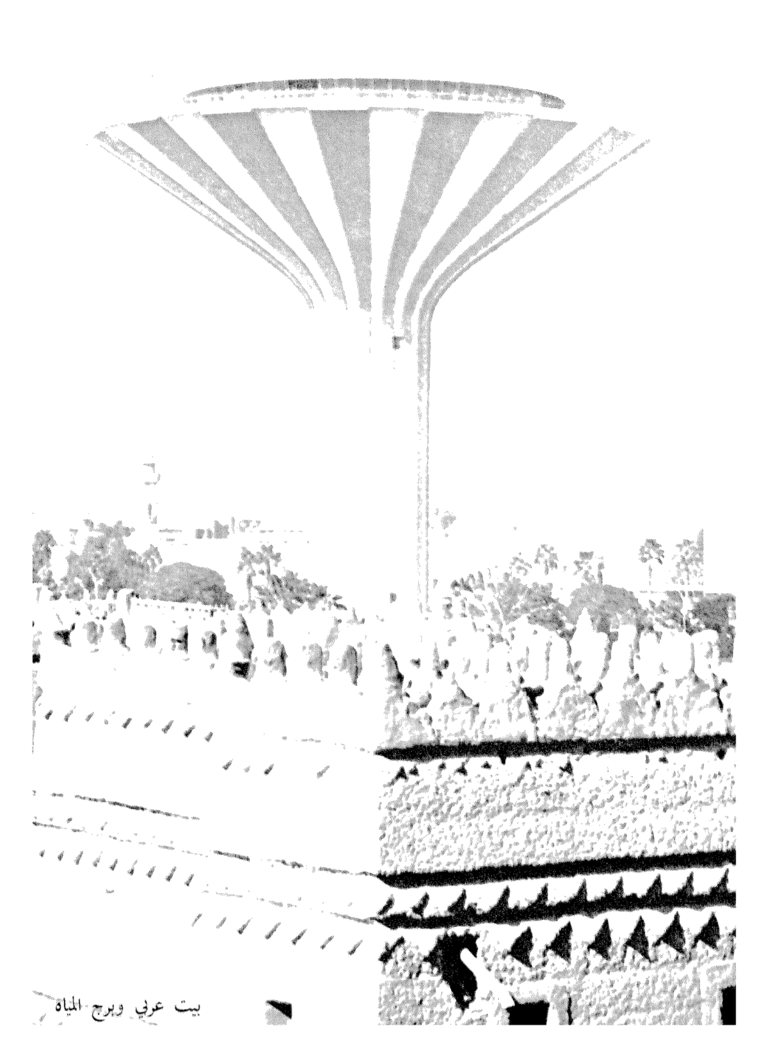
ناشئة مفككة منذ قرون طويلة . لذا فإن مجالها لم يكن يتعدى القرى القريبة منها في إقليم نجد ، وهو إقليم يعيش في ظل اقتصاد الكفاف بمستوياته الدنيا . من زراعة بدائية ورعى متجول وصيد أوّلي ، وهو أقصى ما كانت تتيحه الطبيعة الصحراوية للمنطقة ، وقد انعكس هذا بطبيعة الحال على نشاطات المدينة ، فلم يكن النشاط الاقتصادي يتعدى التعامل البسيط مع قرى وادي حنيفة ، وظلت كل من جدة ومكة تقومان بأجزاء من دور المدينة السياسي لفترة طويلة للقصور التاريخي من ناحية ، وعجز المدينة عن القيام بهذا الدور من ناحية أخرى .



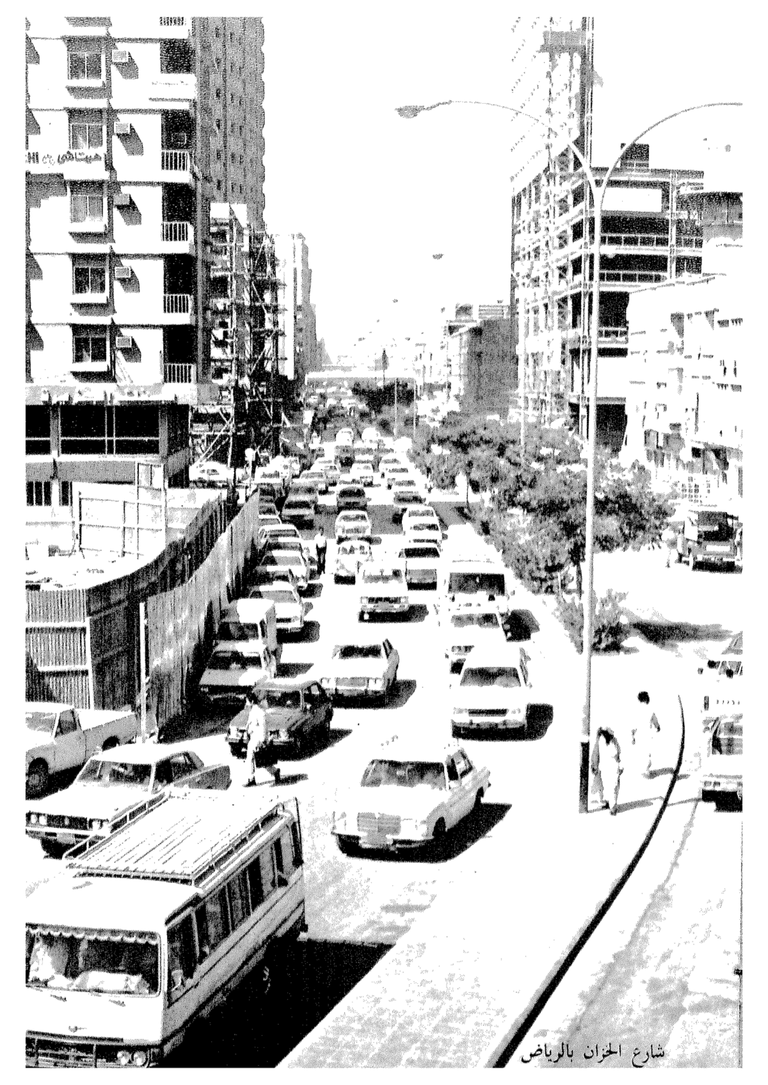
(شكل ١)

ومن البديهيات المسلم بها أن اختيار الرياض كعاصمة كان قرارًا يمثل القوة السياسية التي ترقد فوق الشعور الديني . فالمدينة خليفة للدرعية — القريبة منها — مركز الدعوة السلفية . والحكومة ثيوقراطية تعتنق هذه الدعوة وتنادي بالعودة إلى الأصول الأولى للدين الإسلامي والحياة الإسلامية ، وقد انعكس هذا بقوة على العاصمة الناشئة ، على نشاطاتها وطرق الحياة فيها ، وعلى المدينة نفسها ، بدْءاً من الوحدة الأولية فيها وهي الدار حتى تخطيط المدينة ، لذا فإن الرياض التي قامت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت لا تختلف عن المدن العربية التي اختطت في القرون الأولى للإسلام ، فتظهر في **خريطة عبدالله فيلبى (١٩١٩)** مدينة صغيرة ، لا تتعدى مساحتها — حسب الخريطة ومقياس الرسم — ٣,٥كم^{٢} تحيط بها الأسوار الطينية من جميع الجهات ولها سبعة أبواب ، ومركز المدينة ساحة غير منتظمة الشكل يحتل ما يقرب من **٥٦٦,٢٥٠م**^{٢} من مساحة المدينة ويقوم في جانب منها المسجد الجامع وقريباً منه قصر الحاكم تحيط به الأسوار ، وبينهما السوق الرئيسية للمدينة (**شك ١**) ومن الساحة تتفرع الشوارع التي تؤدي إلى بوابات المدينة السبع ، كما كانت تقوم دور الأمراء والكبراء في هذه الساحة وهي وإن لم تظهر في خريطة عبدالله فيلبي ، إلا أن ممتلكاتهم في هذا الموقع حتى الوقت الحاضر تدل عليها .

هكذا نجد أن المنطقة المركزية لمدينة الرياض كانت حتى العقد الخامس من القرن العشرين نموذجاً نقياً للمواصفات التي ذكرها **جدعون شوبرج (١٩٧٤)** **Gideon Sjoberg** عن مدن ما قبل الصناعة حيث تتمركز القوى الدينية والسياسية والاقتصادية في المنطقة المركزية ، وحيث تتجمع الطبقات الخاصة والمختارة قريباً منها ، لحاجتهم للقرب من هذه المؤسسات التي تمثل القوة مادياً ورمزياً ، وواضح أن دوْر كل من القوتين الدينية والسياسية كان يتفوق على القوة الاقتصادية ، فبينما لا يتعدى دور الأخيرة الإقليم المحلي ، كانت الأوليان تشملان الدولة بأسرها .

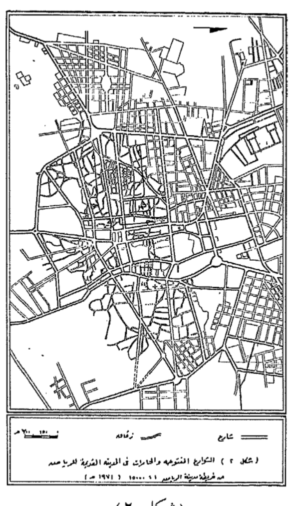


بيت عربي وبرج المياه


شارع الخزان بالرياض

التغير في المنطقة المركزية لمدينة الرياض :

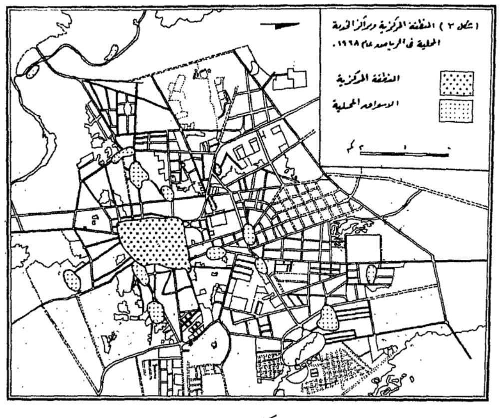
بدأ التغير يدخل على القلب المركزي لمدينة الرياض مع الأربعينات من القرن العشرين ، وهو تغيّر مادي ورمزي معاً يتمثل في فقدان هذا القلب لجزء من قوته التي كان يستمدها من وجود الحاكم والأمراء والكبراء فقد انتقل الملك وحاشيته ، ومن ورائهما الأتباع والإدارة التابعة من القلب المركزي إلى شمال المدينة خارج الأسوار ، (حي المربع فيما بعد) وإلى الشرق (حلة العبيد) وبقي قصر الحكم ودار العدل رمزاً للقوة المهاجرة ، وقد نتج عن عملية الجلاء هذه زيادة مساحات الفراغ من ناحية ، وتقلص في القوة السياسية في المركز من ناحية أخرى، مما أعطى للقوة الاقتصادية الديناميه الناشئة الفرصة لتتصاعد في القلب المركزي، ومما لا شك فيه أن هذا الفراغ ما كانت تملؤه القوة الاقتصادية لو لم تتغير الظروف الاقتصادية للدولة عامة ، وبالتالي العاصمة، فإن استغلال بترول المنطقة الشرقية وما تبعه من زيادة دخل الدولة منذ الخمسينات أدى إلى تنشيط الوضع الاقتصادي، ومن ثم بذلت الحكومة



(شكل ٢) الشوارع المفتوحة والحارات في المدينة القديمة للرياض
عن خريطة مدينة الرياض ١ : ١٥٠٠٠ (١٩٧١ م)

(شكل ٢)

الجهود للقضاء على عزلة العاصمة وتحديثها ، فأنشأت مجموعة من الطرق تربط العاصمة بأجزاء الدولة البعيدة في الشرق والغرب والشمال والجنوب . فزادت دائرة



(شكل ٣)

موقع المدينة اتساعاً ، كذلك قام الحكام بفتح شبكة من الشوارع الواسعة المستقيمة في كتلة المدينة تنتهي كلها إلى القلب المركزي (شكل ٢) مما أثرى موقع القلب وزاد مجاله اتساعاً مع سهولة الوصول إليه ، وأخيراً فإن العثور على مياه الشرب بكميات تشجع على التوسع في البناء ، ونقل الإدارات الحكومية إلى المدينة وما تبعه من إنشاء لأحياء جديدة قد أدى إلى زيادة حجمها بحيث **ارتفع عدد سكانها من ٤٧,٠٠٠ نسمة سنة ١٩٤٠ إلى ١٨١,٠٠٠ نسمة سنة ١٩٦٠ حسب تقديرات السكان التي قام بها مكتب تخطيط المدن على أساس دراسة المباني .**

مظاهر التغـير :

جرى تحديد للمنطقة المركزية داخل إطار دراسة المدينة في أواخر الستينات وكان كل من سعر الأرض واستخدامها أساسين لهذا التحديد ، فظهرت المنطقة المركزية وقد زحفت بعيداً عن القلب المركزي في جميع الاتجاهات فيما عدا الغرب ، وكان محورا الشمال والشرق أكثر المحاور نشاطاً بحيث أن القلب القديم أصبح يقع في جنوب غرب المنطقة المركزية الناشئة ، وقد ظلت المنطقة على وضعها هذا حتى منتصف العقد الثامن ، وبدت كما لوكانت قد وصلت إلى وضع الاستقرار ، في حين نشطت النويات الصغيرة — مراكز الخدمة الثانوية — في الأحياء النامية —

التغير في القلب :

لا شك أن زيادة حجم السكان كان عاملاً مساعداً على تقدم الوظائف الأساسية — وفي مقدمتها التجارة — في المدينة ، وقد كان لتعاظم النشاط الاقتصادي أثره على القلب المركزي ، حيث احتلت العمارات والبنايات ذات الطابقين والطوابق الثلاثة الفراغ الذي نجم عن انتقال الأمراء والكبراء من المنطقة ، وظهرت المتاجر والمؤسسات الاقتصادية في الطوابق الأرضية والأولى من هذه العمارات فاتسع السوق من مكانه القديم (**المقيبرة**) إلى القلب المركزي نفسه ، ولم تلبث المتاجر أن زحفت بسرعة وتلقائية محتلة الطوابق الأرضية من العمارات والمساكن التي ظهرت على جوانب الشوارع الجديدة المفتوحة ، فامتدت أذرع للسوق إلى الشمال والشرق ، أما إلى الشمال فمن الواضح أن جاذبية الأحياء الجديدة والمنطقة الإدارية كان لها تأثيرهما القوي في الجذب إلى هذا الاتجاه ، على حين أن الشوارع الخالية في الشرق والتي أصبحت تمثل محاور الحركة الرئيسية في المدينة والأراضي الفضاء المحيطة بهما كانت لها جاذبيتها هي الأخرى **وقد صاحب هذا الانسياب في التجارة من السوق القديمة تغيرات على النحو التالي :**

١ ــ بدأت نواة ناشئة في الشوارع الممتدة شرق القلب المركزي ذات متاجر جديدة الطراز في الأدوار الأولى من العمارات ، وتتميز هذه المتاجر بأخذها بأساليب العرض والبيع الغربية ، مما جذب النشاط الذي كان متمركزاً في السوق القديمة فانسابت التجارة ، وبخاصة البضائع العالية القيمة كالمجوهرات والأجهزة الكهربية والأقمشة الغالية والأجهزة الدقيقة من القلب المركزي نحو النواة الجديدة ، مكررة في النصف الثاني من القرن العشرين نموذج التغير الذي طرأ على القلب المركزي للمدن الإسلامية الأخرى في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين مع بعض الاختلافات الناتجة عن اختلاف الأوضاع .

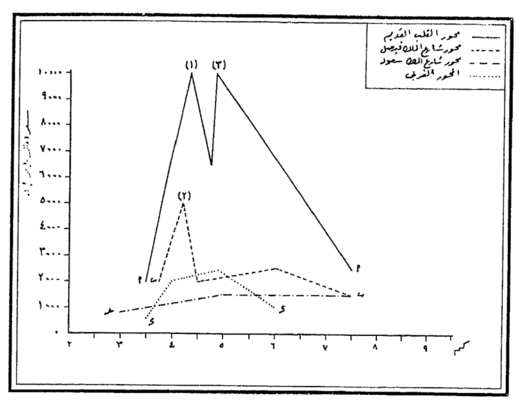
٢ ــ استطاعت النواة الناشئة بإمكاناتها التي تنقص السوق القديمة أن تجذب النشاطات الاقتصادية ذات الأساليب الحديثة كالبنوك وشركات السياحة ومكاتب المحاسبين وعيادات الأطباء ، ومجال الخدمات التجارية والشخصية .

٣ ــ رغم الازدواج الذي ظهر نتيجة تكوّن النواة الجديدة ، فإنه لا يماثل الازدواج المعروف في بعض المدن الإسلامية كالجزائر مثلاً أوكثير من مدن العالم الثالث،حيث يتميز بوجود انفصال سكاني وحضاري بين القوانين القديمة والجديدة،لأن النواة الجديدة قامت على أكتاف الأوروبيين في غالب الأحيان ، بينما نجد أن النواة الجديدة هنا ترتبط بالمركز القديم ولا تنفصل عنه ، ويمكن أن نميز جزءاً عبارة عن منطقة انتقالية بين القوانين القديمة والجديدة ، تتزاوج فيه العناصر القديمة والجديدة معاً .

ومعًا تُكوّن مركزًا جديدًا للمدينة مستغلاً شوارع الحركة الرئيسية ومنافسًا للمركز القديم الذي يقع إلى الغرب منه .

التغير في السبعينات :

منذ بداية العقد الثامن اتضح أن المنطقة لا تزال تحمل الطبيعة الدينامية التي



شكل (٤) أسعار الأرض في المنطقة المركزية لمدينة الرياض عام ١٩٧٨ م

تتميز بها المناطق المركزية التي لم تستقر بعد ، فلم تلبث أن تحركت جبهاتها الساكنة وأطرافها فغيّرت من شكل ومساحة المنطقة، وترجع أسباب هذا التحرك لاستمرار تصاعد تأثير العوامل السابقة وهي عائدات البترول التي زادت وبخاصة بعد سنة ١٩٧٣ ، واهتمام الحكام — الذي لم يفتر — بمدينة الرياض ومحاولات تحديثها باعتبارها رمزاً لمكانة الدولة ، وقد أدى استمرار وتصاعد هذين العاملين إلى تداعي مجموعة من الأحداث ارتبطت بهما وتولّدت منهما على النحو التالي :

أ — **نتج عن زيادة العائدات البترولية إرتفاع الدخول الفردية في الدولة**[١] ، **مع الاهتمام الشديد بالعاصمة أن زاد اندفاع البدو وسكان المدن الصغيرة نحو الرياض فقفز عدد سكانها في سنة ١٩٧٤ إلى ٦٦٦,٨٤٠ نسمة حسب التعداد وقد أدى هذان العاملان إلى زيادة الإقبال على شراء الأراضي فظهرت خمسة أحياء جديدة في**



شكل (٥) نمو المنطقة المركزية في مدينة الرياض

الشمال الغربي والغرب ، وحي جديد في الجنوب ، ومع ميل المواطنين إلى السكنى في دور مستقبلة اتسعت مساحة المدينة وبالتالي تغير محيطها نتيجة لهذا التمدد ، ولما كانت مراكز الخدمة لم تستطع أن تنمو بحيث تكفي أحياءها وتسد بعض حاجة الأحياء الأخرى . فقد استمر الاعتماد على المنطقة المركزية في الوقت الذي كان كانت المتاجر أقل من حاجة السكان فقد بلغ نصيب كل ١٠٠٠ فرد من سكان المدينة ١٥,٤ متجراً ، في حين أن نصيب كل ١٠٠٠ من السكان في البلاد المتقدمة كما حسبه **بارثلميو** **Bartholomew** هو ٢٢,٩ متجراً ، فإذا نظرنا إلى مدى حاجة السكان المتصاعدة للشراء لوجدنا أن هذا الرقم أقل من أن يكفيهم ، في نفس الوقت الذي أصبحت فيه المنطقة المركزية تبعد كثيراً عن مركز المدينة الجديد ، ومن ثم فقد اندفعت النشاطات المختلفة فيها خارج حدودها لتتوافق مع محيط المدينة .

وقد حسب مركز المدينة بعد إضافة أحيائها الجديدة فاتضح أن هذا المركز يقع في الحي الجديد المعروف بشمال المربع خلف القصور الأثرية وقريباً من الحي الإداري وهو يبعد بذلك عن القلب القديم بمقدار كيلو مترين تقريبًا نحو الشمال والغرب ، في حين يبعد ٧٥٠ مترًا تقريبًا نحو الشمال الغربي من مركز المدينة الجديد ، فكان طبيعيًا أن اندفاع النشاطات خارج المنطقة تأخذ اتجاهًا شماليًا وغربيًا ، فكانت حمى البناء والتشييد التي شهدتها شوارع المركز الجديد ، وشارع فيصل بن تركي (**الخزان**) وتحرك المتاجر مرة ثانية خلال عقود ثلاثة فقط . بل إن العوائق من قصور أثرية وأراضي فضاء ومبان إدارية قد انتهت إلى بعثرة عدد من المتاجر والخدمات التجارية في شارع الناصرية وشارع عمرو بن العاص (**التلفزيون**) وشارع الإمام عبد العزيز بن محمد .

ب — مع ارتفاع الدخول الفردية تغير نمط الاستهلاك لمجموعات كبيرةمن السكان ، فانضمت قطاعات جديدة إلى مجموعة المستهلكين عملت على زيادة الطلب على المواد الغذائية والملابس والأقمشة وغيرها أي المواد الاستهلاكية بصفة عامة ، ولكنها مجموعات تعتمد أساساً على الشراء المحلي لا الخارجي ، فضلاً عن العرب من الجنسيات الأخرى وما تمثله أجورهم من قوة شرائية لها حسابها ، مما أدى إلى الحاجة لمزيد من المتاجر لتلبية الطلبات .

جـ — أدى الإقبال على شراء الأراضي وزيادة الطلب عليها إلى أن أصبحت متاعاً نادراً يقبل عليه الناس وترتفع أثمانه وتتزايد يوماً بعد يوم ، وحلقت أسعار الأرض إلى آفاق بعيدة ، وأصبحت المتاجرة والسمسرة في الأراضي أسرع وسائل الثراء ، مما أدى إلى ارتفاع أسعارها في المنطقة المركزية ، فبينما كان متوسط الأسعار التي رصدتها خرائط الأسعار في سنة ١٩٦٨ تتراوح ما بين ١٥٠ : ٤٠٠٠ ريالاً أصبحت تتراوح ما بين ٥٠٠ : ١٠,٠٠٠ ريالاً في النصف الثاني من السبعينات ، ومع دخول كثير من الممولين الصغار ميدان التجارة كان طبيعياً أن يتجه هؤلاء إلى الأراضي القريبة من أطراف المنطقة والأقل سعراً .

د ــ من ناحية أخرى فإن كبار المستثمرين والتجار كانت تعوز بعضهم مساحات الفراغ الملائمة داخل المنطقة المركزية لإنشاء المتاجر الحديثة الضخمة ، على حين توفرت هذه المساحات في الأطراف ، فأقبلوا على تشييد العمارات في هذه الأراضي الفضاء وافتتاح المتاجر الضخمة في الأدوار الأولى منها ، وكان من الطبيعي أن يتجهوا إلى الأطراف القريبة من الأحياء الثرية ، أي إلى الشمال والغرب ، فبدأت نواة ثالثة ناشئة في التكوين في هذا الاتجاه ، وقد وضح ذلك من أسعار الأراضي التي أصبحت تماثل نظيرتها في قلب المنطقة المركزية



مدينة الرياض من الجو

هـ ـــ كان لضغط حركة المرور على الشوارع الرئيسية التي تقوم إلى جانب دورها الطبيعي مقام الطرق الرئيسية للمدينة ، وافتقار المدينة إلى مواصلات عامة منتظمة ، وقلة مواقف السيارات ، أثر في اختناق المنطقة المركزية ومع سهولة الوصول للأطراف أصبح من السهل أن تجتذب هذه متاجر جديدة .

المنطقة المركزية الحالية :

تكشف الدراسة الميدانية عن التغير في نمط استخدام الأرض في الأجزاء المتاخمة للمنطقة المركزية ، ولكن الزحف لهذه الأجزاء قد أدى إلى اقترابها وتداخلها مع مراكز خدمة محلية ، مما يجعل من الصعوبة اعتبار استخدام الأرض مؤشراً فاصلاً لبيان الحدود الجديدة للمنطقة ، وتظل أسعار الأرض هي الفيصل الأخير ، علماً بأنه في كل الأحوال فإن هذه الحدود تقريبية ، وغير ثابتة لاستمرار تفاعل العوامل السابقة وتداخل العشوائية والعناصر الشخصية وعنصر الصدفة في كثير من قرارات تشييد المتاجر .

وقد أمكن الحصول على الأسعار التقريبية التي كانت سائدة في المدينة خلال عامي ١٩٧٧ ، ١٩٧٩ ، واختيرت ثماني عشرة نقطة (**١٨ نقطة**) تقع على أربعة محاور تقطع المدينة من الجنوب للشمال أولها المحور (أ ـــ أ) الذي يمر بالقلب المركزي القديم ، وهو يبدأ من الجنوب في الامتدادات الجديدة للمدينة على طريق الحجاز وينتهي في حي شمال المربع ماراً بالمقيبرة وساحة العدل ، فالظهيرة (قصر الحمراء فشارع الإمام فيصل بن تركي (الخزان) ، أما المحور (ب ـــ ب) ـــ فيقطع شارع الملك سعود (البطحاء) وهو يُكوِّن العمود الفقري للمدينة ، وعلى طوله تتمثل مراحل نمو المنطقة المركزية ، ولذا تختلف الأسعار في نقاط عديدة فيه ، أما المحور (حـ ـــ ب) فيقع إلى الشرق من المحور (ب ـــ ب) في الامتدادات الجنوبية الشرقية والشرقية والشمالية الشرقية وهذا يبيِّن مدى اندفاع المنطقة المركزية شرقاً ، أما المحور (د ـــ د) فيمتد في غرب المدينة وهو على بعد أقل من كيلومتر من المحور (أـــأ)

ويمكن أن نتبين منه مدى امتداد المنطقة المركزية غرباً .

من (شكل ٦) يتضح أن :

١ ـــ تحتفظ ساحة العدل والتي تمثل القلب القديم (١) بأعلى معدل للأسعار ، وهناك قمة أخرى مساوية لها في الأسعار ، وموازية لها (٣) تقع إلى الشمال ،



لقطة حديثة لمدينة الرياض من الجو

في شارع الأمام فيصل بن تركي (الخزان) ويفصلها عن النقطة الأولى الأجزاء السكنية ، وانحدار خط الأسعار المفاجىء شمال هذه النقطة قد لا يمثل حقيقة الوضع، فهو نتيجة بعد النقطة الرابعة على المحور (أ — أ) والتي أمكن الحصول على سعرها ، ولو كانت هناك نقطة أخرى أقرب منها لأمكن الحكم على مدى صحة هذا الانحدار .

٢ — تظهر قمة أخرى للأسعار (٢) تقع على امتداد ساحة العدل شرقاً وإن كانت لا تساوي القمتين السابقتين في متوسط سعر الأرض، وهي تقع على المحور (ب — ب) وبمقارنة أسعار هذه النقطة في السبعينات بأسعارها في الستينات ، نلاحظ أن متوسط أسعار الأرض لم ترتفع فيها بما يوازي ارتفاعه في النقطتين السابقتين (١) ، (٣) في حين أنها كانت مساوية لها في الستينات ، مما يرجح أن الأسعار في القلب المركزي ترتفع إرتفاعاً غير حقيقي أو بالأحرى رمزياً بما لا يساوي حقيقة الانتفاع بالأرض ، بدليل أن الأسعار في النواة الثانية التي قد تسمح بعض المساحات الفضاء والمساكن المتدهورة بمزيد من الإنتفاع بالأرض لم تصل إلى معدلها في القلب المركزي ، وهذا يؤكد أن النواة الثالثة (٣) الناشئة بما تملكه من أراض فضاء ومستقبل منتظر هي الممثل الحقيقي للسعر المرتفع .

٣ — بينما يُبيّن المحور (ب — جـ) استمرارية في معدل الأسعار على طول المحور من الجنوب مع ميل إلى الارتفاع التدريجي كلما اتجهنا شمالاً ، وهو ارتفاع طبيعي للاتجاه نحو الأحياء الأعلى مستوى ، نجد أن المحور (د — د) تظهر به قمتان صغيرتان للأسعار إحداهما على امتداد القلب المركزي ، والثانية تبعد عنها نحو الشمال وهما نتيجة اندفاع بعض المتاجر في هذا الاتجاه .

ويبين (شكل/٧) أقصى إمتداد وصلت له المنطقة المركزية قرب نهاية السبعينات وذلك تبعاً لاستخدام الأرض ومتوسط الأسعار كما يبين الشكل تطور نمو المنطقة ، ومنه نخلص للحقائق الآتية :

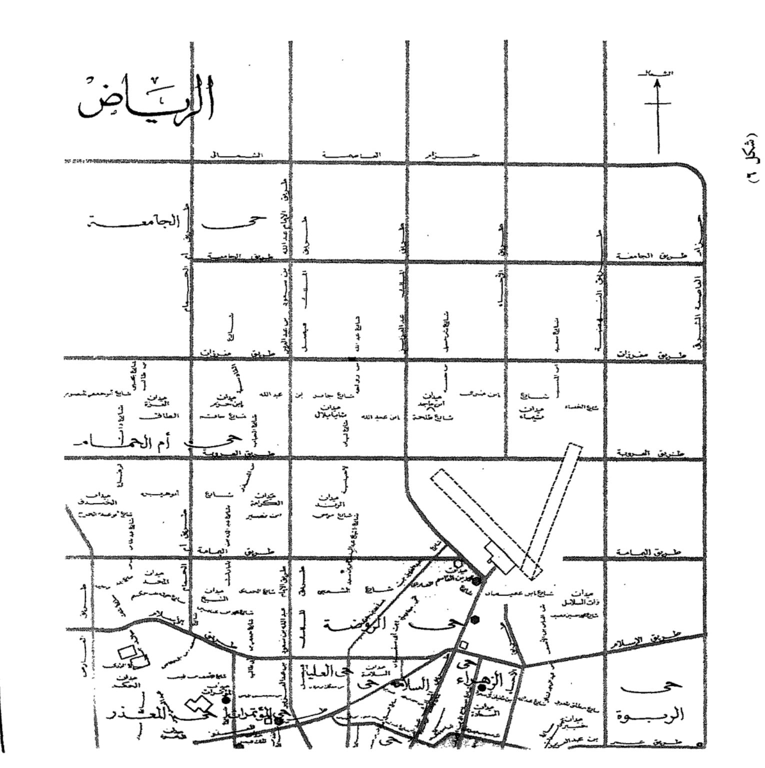
١ ــ زادت مساحة المنطقة المركزية عما كانت عليه في نهاية العقد الثاني من هذا القرن ٣١ مرة ، في حين تضاعفت مساحتها خلال عقد واحد من الزمن على النحو الآتي :ــ

السنــة	مساحة المنطقة بالهكتــار	المصـــدر
١٩١٩	٥,٦٦٢	خريطة عبدالله فيلبي
١٩٦٨	١٥٥,٧٣٨	مؤسسة دوكسيادس
١٩٧٨	٣٤١,٣٨٧	خريطة الباحثة

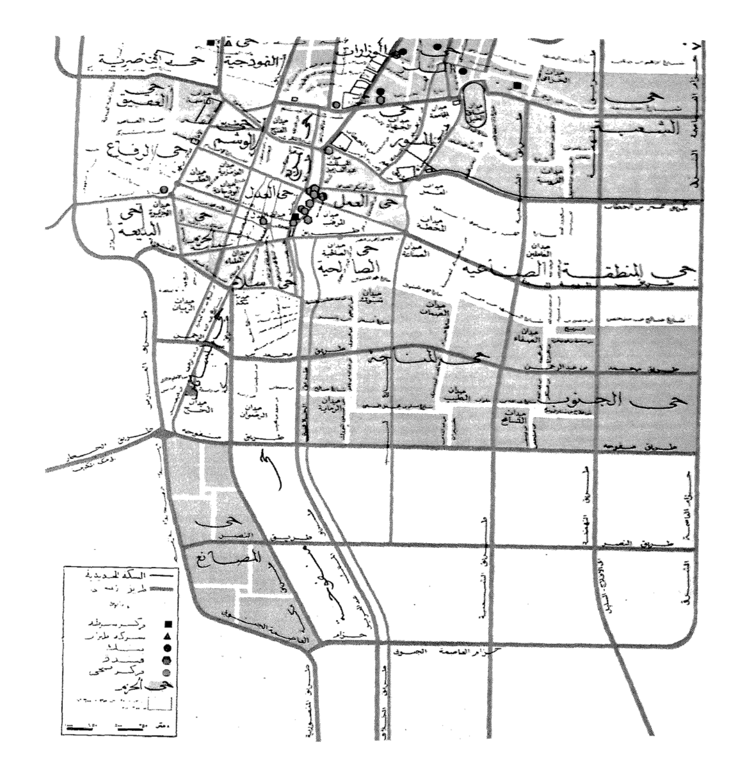
أي أن مساحتها قد زادت بنسبة ١ : ٣١ : ٦٨ تقريباً خلال أربعة عقود من الزمان ــ إذا اعتبرنا أن بداية التغييرات كانت في العقد الخامس .

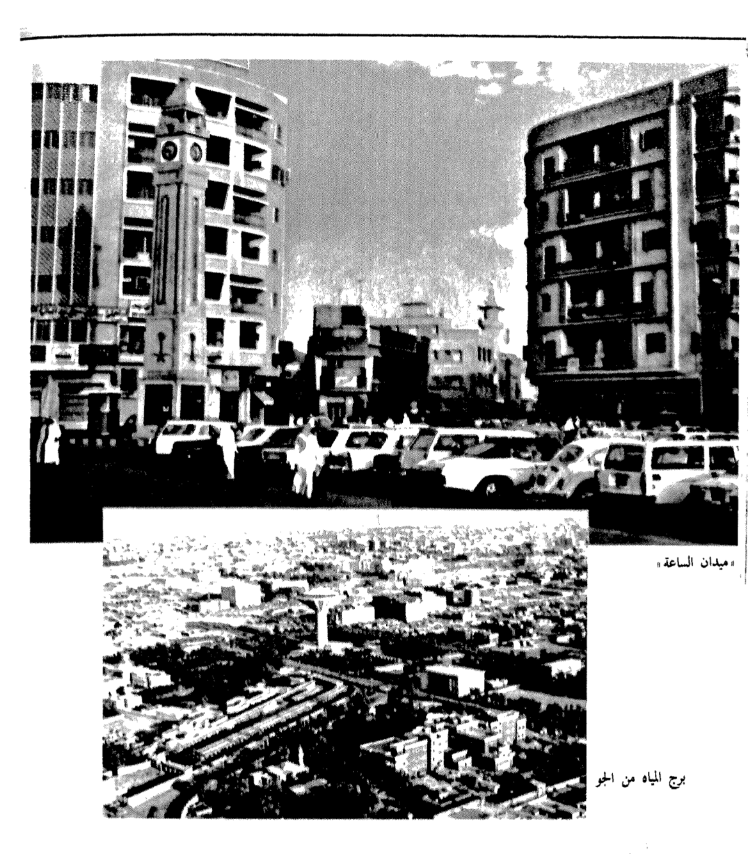
٢ ــ كانت للجبهة الغربية أنشطها بحيث أعادت موضع القلب المركزي قريباً من مركز المنطقة بعد أن كان في وضع متطرف هامشي خلال فترة الستينات ، في حين أن التمدد في الاتجاه الجنوبي ظل محدوداً إستمراراً لتأثير القرب من الأحياء ذات المستوى الأعلى في الشمال والغرب .

٣ ــ بمقارنة توزيع المساحة على الاستخدامات المختلفة سنة ١٩٦٨ بمثيلتها سنة ١٩٧٨ [٢] يتضح أن السكن يحتل أكبر مساحة من المنطقة سنة ١٩٦٨ (٦١٪) ومع امتداد المنطقة تظل هذه النسبة أعلى نسبة شغل الأرض في سنة ١٩٧٨ (٥٩,٢٪) لاستمـرار الكتلة السكنية ، بينما تنخفض نسبة الطرق والميادين من ١٧٪ سنة ١٩٦٨ لتصل إلى ١٦٪ تقريباً في سنة ١٩٧٨ رغم أن الامتدادات الجديدة للمنطقة في الشمال والغرب تتميز بالطرق الواسعة ، ورغم تبعثر المتاجر في المساحات الكبيرة في الأطراف فإن نسبة شغل الأرض بالمتاجر استمرت من ٩,٥٪ إلى ٩,٩٪ في المنطقة كلها ، علماً بأن هذا لا يمثل حقيقةً رقم المتاجر والأعمال لاقتصاره على المساحة الأرضية وحدها دون


الرياض
الشمال
حزام العاصمة الشمالي
حي الجامعة
طريق الجامعة
طريق مفرزات
حي أم الحمام
طريق العروبة
طريق اليمامة
حي الروضة
طريق الإسلام
حي العليا
حي السلام
حي الزهراء
حي الربوة
حي المعذر
ميدان الخندق
ميدان الكرامة
ميدان الرشيد
ميدان ذات السلاسل

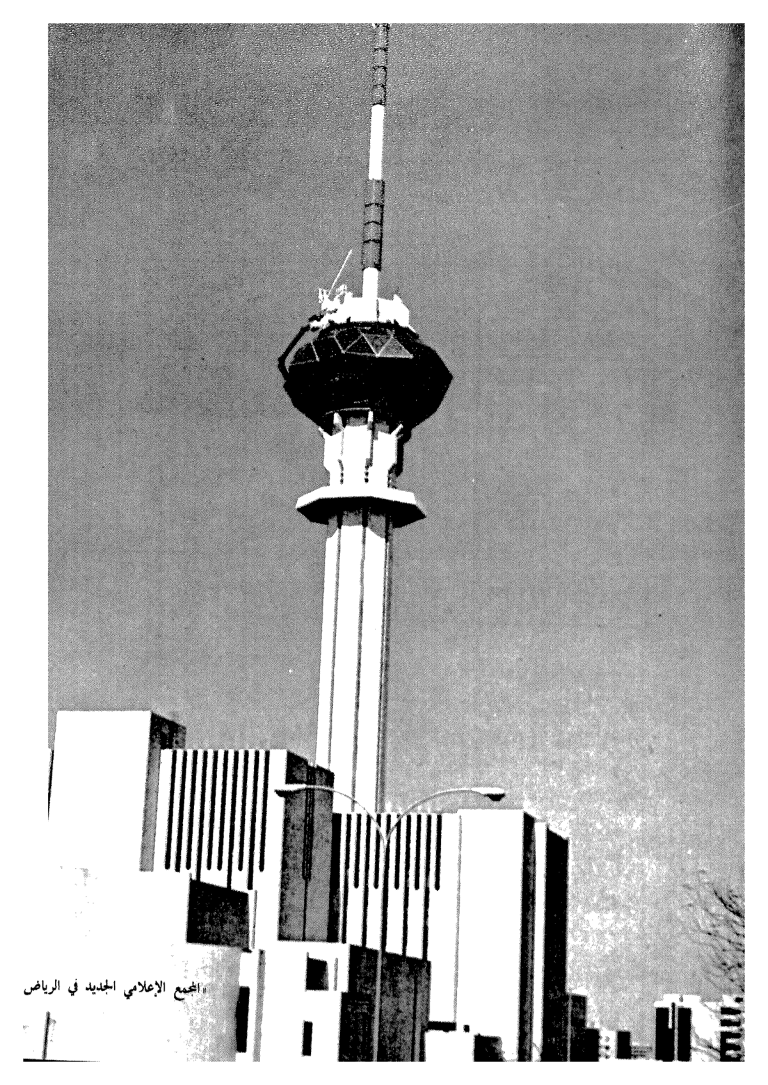
(شكل ٦)


حي الناصرية
النموذجية
الوزارات
حي الوشم
حي العدل
حي العمل
حي البديعة
حي الصالحية
حي المنطقة الصناعية
حي الجنوب
حي المصانع
طريق منفوحة
حزام العاصمة الجنوبي
الافلاج - السليل
السكة الحديدية
مركز شرطة
مركز إطفاء
فندق
مركز صحي
حي الحزم



«ميدان الساعة»

برج المياه من الجو



المجمع الإعلامي الجديد في الرياض

اعتبار للطوابق التي ترتفع عن سطح الأرض ، كذلك ارتفعت نسبة شغل الأرض بالحدائق والمساحات المكشوفة لظهورها في الأطراف الشمالية والشمالية الغربية :

نوع الاستخـدام	١٩٦٨		١٩٧٨	
	المساحة	٪	المساحة	٪
المناطق السكنية	٩٤,٧٩٣	٦١,٠٢	٢٠٣,١٩	٥٩,٥٢
النشاط التجاري والأعمال	١٤,٧٨	٩,٥١	٣٣,٩٠	٩,٩٣
الحدائق والمساحات المكشوفة	١٢,١٧	٧,٨٣	٣٢,٢٥	٩,٤٣
الطرق والميادين	٢٥,٨٥	١٦,٦٤	٥٤,٦٨	١٦,—
المباني الثقافية والدينية	٧,٧٢	٥,—	١٧,٤٧	٥,١٢
الجملـة	١٥٥,٣٣	١٠٠	٣٤١,٣٨	١٠٠

استخدام الأرض :

قدم كولنز (١٩٧٣) M. P. Collins تصنيفاً لاستخدام الأرض في المناطق المبنية يتكون من تسعة أقسام رئيسية . ظهر منها ثمانية أقسام في المنطقة المركزية للرياض على النحو التالي :

(أ) الاستخدام السكني :

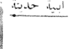
يشغل الاستخدام السكني مساحة ٢٠٣,١٩ هكتاراً تقريباً وهي تمثل نسبة ٥٩,٥٢ من مساحة المنطقة ومعظم الأجزاء السكنية تقع في الكتلة القديمة غرب

شارع الملك فيصل (الوزير) وجنوب شارع الأمام فيصل بن تركي (الخزان) (شكل ٨).

والباقي موزع بين الأطراف الخلفية للمنطقة المركزية في الشرق والشمال، وارتفاع نسبة استخدام الأرض للسكن أمر وارد ما دام نمو المنطقة لم يستغرق أكثر من عقود أربعة من الزمن، ومن ثم فإن تكوينها بحدودها الحالية كان على حساب المناطق السكنية المجاورة التي امتدت إليها وينتشر الاستخدام السكني داخل المنطقة ويتداخل أفقياً ورأسياً مع الاستخدامات الأخرى، ومع ذلك فإنه يحتل مساحات قاصرة عليه، وليس ثمة تعارضٌ بين هذين الاتجاهين فالاستخدام السكني يظهر في شكلين:

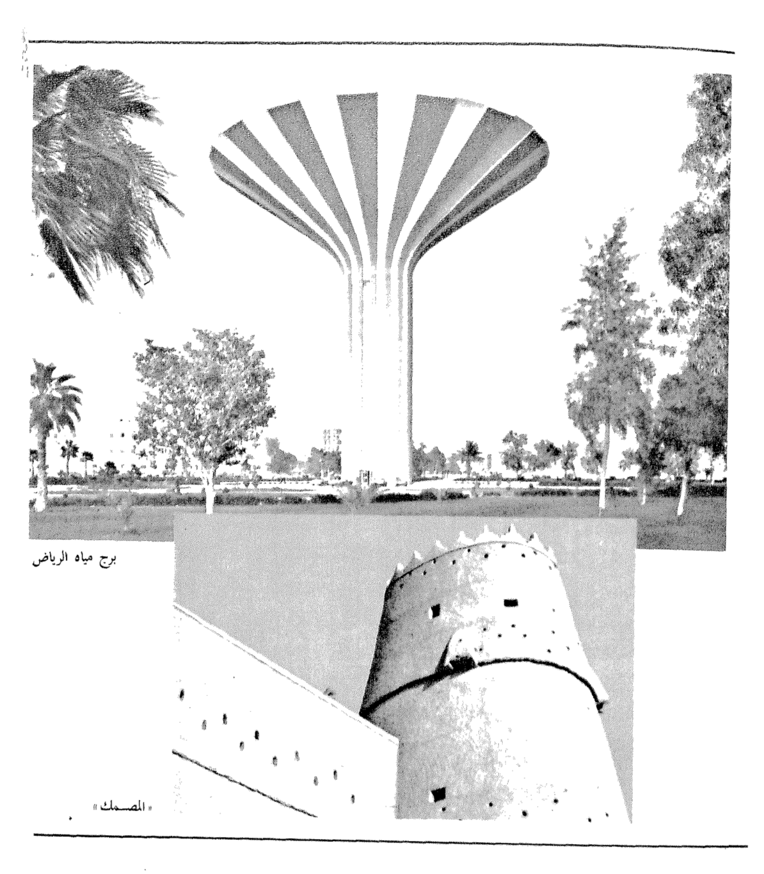
أ ـــ حارات تتكون من مجموعات من الدور تلتف كل مجموعة منها حول مسجد، وتكون على شكل كتل متراصة من الدور المتلاصقة، تنتشر بينها الطرق المؤدية إليها وينتظم الفضاء فيها في تسلسل يبدأ من الساحة المحيطة بالجامع إلى الطرق الموصلة من الخارج إلى الساحة ثم الأزقة الموصلة للدور، وقد أحصى دوكسيادس أربعاً وعشرين حارة في الرياض، منها ثلاث حارات كلها داخل المنطقة المركزية ثم أجزاء من سبع حارات أخرى (شكل ٢) وأقل حارات الرياض مساحة هي ـــ الموجودة في المنطقة المركزية،مما ينبىء من تكدس الدور فيها،وقد بلغت مساحة أكبرها ٥٣,٨٨ هكتاراً، والحارات في المنطقة المركزية تقع داخل محيط من الشوارع الرئيسية،وهي قاصرة في غالب الأحيان على الدور السكنية، إلا في بعض أجزاء استطاعت الوظائف الأخرى، وبخاصة التجارية أن تخترق نطاقها كما هو الحال في الجزء السكني المحيط بالقلعة (**المصمك**).

ب ـــ المباني والعمارات المطلة على الشوارع المفتوحة وتظهر في شكل أحزمة تحيط بالأجزاء التي تشغلها الدور وتخفيها عن أعين المارة بواسطة طوابقها المتعددة، ومعظم عمارات المنطقة المركزية التي بُنيت خلال الخمسينات كانت ذات نمط مغايرٍ



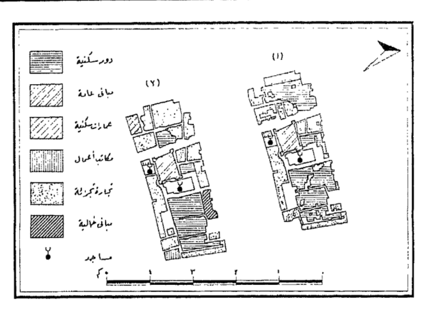
أبنية حديثة

مجمع سكني قديم



برج مياه الرياض

«المصـمك»



شكل (٧) التغير في القطاع الشبيه بالمنطقة الانتقالية «٨» بين سنتي ١٩٦٨/١٩٧٨م

تماماً للدور ، فلها بواكي كي تحمي المارة من حرارة الشمس ، أو تصميمها لا ينفتح على الداخل وإنما على الخارج وتعتمد على الوسائل الآلية في تهويتها وهي وإن كانت ذات شرفات ، إلا أن نمط الحياة الاجتماعية السائد يجعلها غير ذات فائدة ، وتمثل هذه العمارات بطوابقها المتعددة البعد الثاني للمنطقة المركزية حيث أمكن الانتفاع بالطوابق المتعددة في الاستخدامات المختلفة للمنطقة ، ولذا فإن الاستخدام السكني هو أحد أوجه إستغلالها ، وبينما تستغل الطوابق الأرضية في المتاجر والدكاكين نجد أن الطوابق الأولى تشتمل على عيادات الأطباء ، ومكاتب شركات الاستيراد والتصدير ، ومكاتب السمسرة ، والمهندسين ، والمحاسبين ، وكمستودعات فضلاً عن السكن ، ومرونتها هذه هي التي تجعلها ذات فائدة كبيرة دفعت الأهالي على الإقبال علي إقامتها ، وإن عزفوا عن سكناها .

وقد قدر تقرير دوكسادس سكان المنطقة المركزية سنة ١٩٦٨م بـ ٢٤,١٨٠ نسمة ، فإذا كانت مساحتها في ذلك الحين ١٥٨,٠٣٥ هكتاراً كما ذكر فهذا يعني أن الكثافة تصل في المتوسط إلى ١٥١,٩ نسمة/ هكتار في حين أنها بلغت في مدينة

الرياض ٢٣,٢ نسمة/ هكتار[٣] ، وهذا يعني أن المنطقة المركزية من أعلى مناطق المدينة كثافة سكانية ، وفي نفس الوقت فإن هذا يعني أن ٨٪ من سكان المدينة يعيشون في المنطقة المركزية ، ويمكن مقارنة ذلك بالقاهرة التي تعتبر مماثلة لمدن البحر المتوسط العربية ويعيش في منطقتها المركزية ٥,٧٪ من سكان المدينة[٤] .

ومن الطريف أن الأجزاء التي ينعدم فيها الاستخدام السكني أو يقل كثيراً داخل المنطقة هي الأجزاء التي تشغلها الأسواق التقليدية ، فأسواق المقيبرة ينعدم فيها السكن لأن المباني عبارة عن طابق أرضي تشغله المتاجر والدكاكين ، ويسكن أصحابها في الأجزاء الخلفية للمنطقة المركزية ، كذلك يقل السكن في القلب الذي تشغله مؤسسات للدولة والمدينة ، ما بين قصر الحكم والمحكمة الكبرى ورئاسة القضاء ، والمسجد الجامع الكبير وإدارة الشرطة،ولا يزيد عدد العمارات فيه عن أصابع اليد الواحدة ، ويتراوح ارتفاعها ما بين ٢ : ٤ طوابق ، كذلك ينعدم السكن في الطرف الجنوبي من السوق التقليدية في الشرق لوجود المتاجر وحدها بينما يظهر أحد الطوابق فوقها مع الاتجاه شمالاً ، ويسكن غالبية العاملين في هذه المتاجر في الحلات الخلفية .

ويتوزع الاستخدام السكني بين الاستخدام السكني الخاص والفنادق .

الاستخدام السكني الخاص :

وهو في خطين منفصلين مكانياً كما رأينا ، كما ينفصلان حضارياً ، وهذان النمطان يرتبطان بشكلي الاستخدام السكني ، فالدور ترتبط بنظام الحارات ، والشقق ترتبط بالعمارات المتعددة الطوابق والأغراض .

الدور المستقلة :

وهي المساكن الوطنية التقليدية ، وتقوم في تكتلات ذات جدران مشتركة ، والأصل فيها البناء بالطين والطوب اللبن والأحجار ، ويكون الطابق الأرضي في

العادة سميك الجدران ، وأهم ما في هذه الدور هو الفناء الداخلي المفتوح للسماء والذي تفتح عليه نوافذ المسكن ، ثم جدران الدار العالية التي ترتفع ما بين ٨ : ١٠ متراً ولا توجد بها فتحات إلا على مسافات مرتفعة ، مما يجعل الأزقة تبدو كخندق غاطس ، وقد أعيد بناء عدد كبير منها بالخرسانة والإسمنت ، مع الاحتفاظ بالتصميم الداخلي إلى حد كبير ، وغالبية هذه الدور ملكية خاصة ، وإن كانت هناك بعض الدور المؤجرة في أطراف المنطقة ، وهي دور قوية متماسكة ولا يمكن تصنيفها ضمن المساكن المتدهورة القديمة التي ترتبط عادة بالمنطقة المركزية إلا في أجزاء معينة محدودة ، حيث الزحف متواصل عليها من الوظائف الأخرى فيتركها المواطنون دون رعاية لحين سنوح فرصة مناسبة لبيعها بسعر مجز ، وبخاصة تلك التي تقع على الشوارع المفتوحة أو القريبة منها ، ولا شك أن التقدير الكبير لهذا الجزء القديم من المدينة ، والارتباط بالتقاليد ، وأخيراً القرب من العمل كلها أسباب وراء تمسك الطبقة المتوسطة بالسكنى في هذه المنطقة .

المسكن في العمارات المتعددة الطوابق :

وقد سبق الحديث عن هذه العمارات المتعددة الطوابق والأغراض ، وهذه العمارات تجذب الأجانب من العرب والأسيويين ، ولا يقبل أهل الرياض القدامى أو الوافدين إلى المدينة عليها إلا في ظروف قليلة لعزوفهم عن هذا النمط المختلط من العيش ، ورغم تشييدهم لها إلا أنهم لا يقيمون فيها بل يبنون لأنفسهم دُوراً خاصة حتى يمكن القول أنه يكاد يكون هناك عزل مستتر بين الجماعات في هذه المنطقة خاصة ، **وهو عزل وان كان يحمل ملامح من العزل الذي يقول به جدعون شوبرج والذي يرى أنه يُميز مدنَ ما قبل الصناعة إلا أنه ناشيء من اختلاف أسلوبي الحياة .**

الفنـادق :

الاستخدام السكني الذي يعتبر أحد خدمات الأطراف في المنطقة المركزية ، ويبلغ عدد الفنادق عشراً ، يقع واحد منها في الوقت الحاضر — وهو أقدمها — في

وسط المنطقة المركزية ، والباقي في طرفها الشمالي الشرقي في موقع حيوي قريب من شبكة متنوعة من المواصلات فهو في محيط نهاية كل من الخط الحديدي الذي يربط الرياض بالدمام وقريباً من مواقف السيارات العامة المتجهة إلى الشمال والجنوب والغرب وفي نهاية الطريق الذي يربط المدينة بالمطار ، وتمثل هذه الفنادق حوالي ثلثي فنادق مدينة الرياض ، وكلها من فنادق الدرجة الثانية أما فنادق الدرجة الأولى فتقع على إمتداد المنطقة في طريق المطار ، كما شيد أحد فنادق الدرجة الأولى على الطرف الشمالي الغربي للمنطقة المركزية (**شكل ١٠**) .

(٢) الأماكن المفتوحة :

وهي تنقسم إلى قسمين :

أ ــ **الأماكن المفتوحة العامة** كالمتنزهات ويوجد منها حديقة عامة تشرف على الطرف الشمالي للمنطقة مساحتها[٥] حوالي ٤,٠٢٥ هكتاراً فضلاً عن بعض مساحات أخرى متناثرة ، مثل حديقة البلدية (٧١٥, هكتاراً) .

ب ــ **الأماكن المفتوحة الخاصة :**

ويوجد منها مساحة خضراء عبارة عن غابة نخيل تشمل حديقة أحد القصور الأثرية وتبلغ مساحتها ٦,٥٢٦ هكتاراً ، كذلك توجد المدافن وهي أحد استخدامات الأرض الشاذة في المنطقة والتي تكاد تنفرد بها منطقة الرياض المركزية ، وقد دخلت ضمن حدود المنطقة نتيجة لعمليات التوسع والزحف السريع تجاه حدود المدينة القديمة Inner City ، ولا توجد المدافن في مساحة واحدة في المنطقة بل تتوزع على ثلاث او أربع مساحات منفصلة ، ثلاث منها داخل حدود المدينة القديمة والرابعة تتبع الحلات التي تمت خارج المدينة القديمة منذ الأربعينات ، أما التي في داخل المدينة القديمة ، فأصغرها وأشهرها هي التي تقع مجاورة للسوق القديمة وأعطت لهذا الجزء أحد أسمائه الشهيرة (المقيبرة) ، في حين تشرف المدافن الأخرى على النواة الحديثة **وتشغل جزءاً حيوياً في داخل المنطقة المركزية فإحداها تقع**

على الجانب الغربي من شارع الملك فيصل (الوزير) وتصل مساحتها إلى ٧.٠٣٤ هكتاراً تقريباً والأخرى على الجانب الشرقي منه ، وتصل مساحتها إلى ٢,٥٨٦ أي أن جزءاً حيوياً مقداره ٩,٦٢٠ هكتاراً تشغله المقابر ، ويعوق التوسع في المنطقة . ولا شك أنها من أسباب تشتت المتاجر بعيداً عن المنطقة المركزية ، واتساع مساحة الأطراف ، فضلاً عن أنها أحد عوائق المرور التي تعمل على طول المسافة التي يقطعها السائرون على أقدامهم داخل المنطقة المركزية ، أما المدافن الأخيرة فتبلغ مساحتها ٢,١٩٤ هكتاراً وقد لاصقت الأسواق التقليدية الشرقية التي تتقدم باستمرار نحو الشرق ، وتعتبر عائقاً لامتدادها في هذا الاتجاه .

وبذلك تبلغ مساحة الأماكن المفتوحة ٣٣,٠٨١ هكتاراً في المنطقة .

(٣) الأماكن العامة :

أ ــ أماكن التجمع :

هذه الأماكن تعتبر من السمات المميزة للمناطق المركزية في مدن العالم وبخاصة الغربية منها ، وهي تتنوع ما بين متاحف وقاعات عرض الفنون ، وصالات عرض ، ودور للسينما ، ومسارح وقاعات للموسيقى ، وصالات للرياضة ، ونوادي ، وملاهي وقاعات رقص ، وقاعات تزلج ومقاهي ، ودور للعبادة ، وإذا كانت المدن الإسلامية عامة تقل فيها بعض هذه الأماكن ويختفي البعض الآخر ، إلا أنها تملك بعضاً منها كدور السينما والمسارح وصالات العرض لأخذها بقدر من الحياة الغربية منذ فترة مبكرة ، وتنفرد المنطقة المركزية للرياض باختفاء هذه الأماكن فيما عدا المساجد والمقاهي ويرجع ذلك للإنعكاس القوي للتأثير الديني على الدولة والحياة الإجتماعية ، ويمكن أن نعتبر بعض صالات المكتبة قاعة عرض حيث تستخدم ما بين وقت وآخر لإقامة بعض معارض الفنون ، ولكن كثيراً ما تلجأ المعارض إلى قاعات الفنادق الكبيرة خارج المنطقة لاستغلالها كقاعات للعرض .

أما **المساجد** فيوجد منها المسجد الجامع . **ومسجدان آخران** في الشوارع المفتوحة . أما بقية المساجد فإنها مساجد صغيرة ترتبط بنظام الحارات . وعددها يقرب من الخمسين مسجداً وزاوية مساحتها ٣٢٦٠٠م٢ (٣.٢٥٠٠ هكتار) بنسبة ٢,٠٦٪ من مساحة المنطقة .

وتعتبر **المقاهي** شكل التجمع الذي له نظير في المناطق المركزية في بعض الدول الأخرى ، وإن كان وجودها نابع من تقاليد اجتماعية شعبية ، لذا فإنها تتركز في الجزء الشرقي من المنطقة ، ويبلغ عددها من ٧ : ٩ مقهى ، نصفها على نمط مقاهي منطقة البحر المتوسط ويؤمها — في الغالب — العرب من الجنسيات الأخرى ، أما بقية المقاهي فتقع داخل الأسواق التقليدية ، وهي مقاهي شعبية يؤمها المواطنون من الحلات المجاورة وكذلك اليمنيون ، ويستعيض سكان المدينة بقاعات الفنادق وصالاتها عن قلة المقاهي حيث تستخدم كأماكن للقاء في قلب المدينة .

ب — مباني عامة أخرى :

ويوجد منها المكتبة الوطنية في الطرف الشمالي الشرقي للمنطقة والمحكمة الكبرى وإدارة الشرطة في القلب المركزي ، والغرفة التجارية في القسم الشمالي .

جـ — المؤسسات :

ويوجد من المؤسسات التعليمية كليتا اللغة العربية والشريعة في الثلث الجنوبي لشارع الملك فيصل (الوزير) أي في الطرف الجنوبي للمنطقة المركزية إلى جانب معهد الإمام محمد الديني في الجنوب من القلب المركزي[٦] ، ثم عدد من المدارس الابتدائية والإعدادية اللازمة لسكان المنطقة وتقع كلها في داخل الأجزاء السكنية ، كما يوجد مستشفى في الطرف الشمالي الغربي للمنطقة .

(٤) الصناعــة :

الصناعة في المنطقة المركزية محدودة لأسباب كثيرة . منها أنها وجدت لتلبي احتياجات الناس . وما دامت هذه الاحتياجات تستطيع أن تلبيها التجارة باستيرادها ، فضلاً عن قلة الأيدي العاملة فلن تظهر في ظروف النمو الفجائي السريع إلا الصناعات التي تعجز التجارة عن تلبيتها ، ومن الطبيعي أن تكون مرتبطة بالطبقات الشعبية والمتوسطة في أفضل الأحوال ، مثل صناعة تجهيز الملابس الوطنية للرجال ، وتجهيز المفروشات . وصناعة الأثاث البسيط . وتتركز صناعة الملابس الوطنية في موضعين من المنطقة، الأول منهما إلى الشمال من القلب المركزي القديم بحوالي ١٥٠ متراً على أطراف المنطقة السكنية الواقعة بين القلب المركزي وشارع الإمام محمد بن تركي (الخزان) حيث يتجمع اثنا عشر دكاناً لصناعة الملابس الوطنية للرجال وتسويقها ، وتقوم هذه الدكاكين مقام الورش حيث تحتوي على ما بين ١ : ٣ آلة للحياكة ويعمل فيها ما بين ١ : ٥ عمال على أقصى الأحوال ، وهي تنتج للتسويق فضلاً عن تقديم الخدمات الخاصة ، كذلك يوجد تجمع ثان لهذه الصناعة في داخل السوق التقليدية الشرقية حيث يقوم ما بين ١٥ : ٢٥ دكاناً صغيراً على نفس النمط السابق ، تنتج للتسويق بالدرجة الأولى ، أما تجهيز المفروشات فتقوم ورشة في المنطقة الواقعة ما بين شارع الملك فيصل (الوزير) وشارع الملك سعود (البطحاء) مجاورة لمتاجر المفروشات ويصل عدد ورشها ما بين ٨ : ١٢ ورشة يعمل في كل منها ما بين ٢ : ٥ عمال ، وتجاورها صناعة الأثاث في عدد الورش القليلة ما بين ٢ : ٣ ورشة .

أما صناعة الطباعة فتوجد منها ورشتان في الأطراف الشمالية الشرقية للمنطقة .

(٥) الاستخدام التجــاري :

المقصود هنا هو تجارة الجملة والمنشآت المرتبطة بها ، ولا يمكن حساب مساحة خاصة بها لتداخلها مع تـجارة نصف الجملة والتجزئة ، ونتيجة للزيادة المستمرة في

سكان المدينة وحاجاتهم المتزايدة فإن تجارة الجملة يرتفع نسبة ما تشغله من المنطقة باستمرار وهذا التوسع في تجارة الجملة يجيء على حساب الاستخدام السكني في أطراف المنطقة المركزية في نفس الوقت الذي تتعرض فيه أطرافها الشرقية لغزو من تجارتي نصف الجملة والقطاعي .

وتوجد أهم أسواق الجملة ومخازنها في المقيبرة أي في جزء من السوق التقليدية . ويملك كبار تجار الجزء الحديث من المدينة مخازن في المقيبرة ، وبعضها كان متاجر للتجزئة تحول عنها أصحابها إلى الأجزاء الجديدة ، واستخدموها كمستودعات ، كما يوجد جزء ثان لتجارة الجملة مجاور للأسواق الشعبية الشرقية ، وإلى جانب المخازن الأرضية يستخدم الدور الواقعة في الأجزاء الخلفية للشوارع الرئيسية كمخازن للسلع ، وكذلك الأدوار الأولى من العمارات وبالنسبة لسوق المقيبرة فإن **أهم أنواع تجارة الجملة التي يجري التعامل فيها هي :**

١ ــ المواد الغذائية والمواد الاستهلاكية الأخرى ، كالحبوب والتوابل والبن والشاي والبذور ، واللحوم ، والأسماك ، والدواجن ، والخضروات الطازجة والمجمدة ، والمعلبات .

٢ ــ القطن .

٣ ــ المواد الاستهلاكية المختلفة .

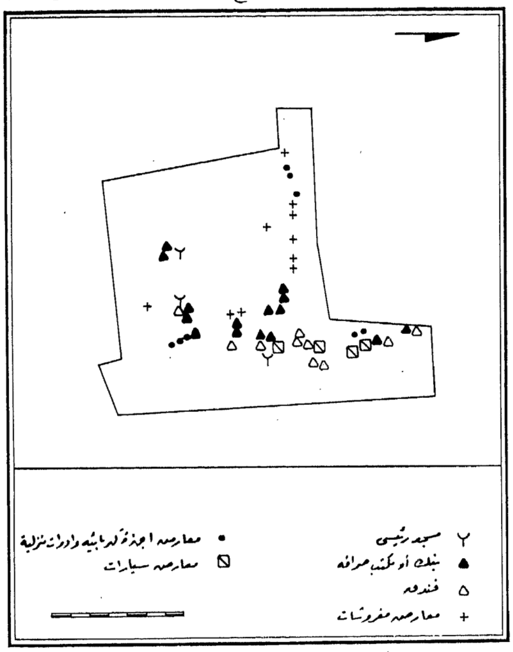
٤ ــ الأقمشة بأنواعها .

٥ ــ الملابس الجاهزة والمفروشات .

٦ ــ الأدوات الكهربية والأجهزة الدقيقة .

وهناك نوع من التخصص في توزيع مخازن ومتاجر بيع الجملة فتجارة المواد الغذائية بأشكالها المختلفة تقوم على طرف المنطقة من الجنوب الغربي ، حيث تقوم ثلاث

ثلاجات لتخزين المواد الغذائية المجمدة مشرفة تقوم على سوق الخضر الطازجة .
ويجاورها إلى الغرب تجارة القطن ، بينما تشرف متاجر ومخازن الأدوات الدقيقة والعطور على الجانب الغربي من المسجد الجامع ، في حين توجد الحلوى على الجانب



شكل (٨) توزيع بعض الوظائف في المنطقة المركزية

الشرقي منه ، وتقع مخازن الأقمشة والملابس والمفروشات في الجزء الخلفي شمالي مخازن المواد الغذائية ، والمخازن والمتاجر تتفاوت مساحتها ما بين ١٠ : ٣٠٠م[٢] وذلك لاختلاط تجارة الجملة بنصف الجملة والقطاعي ، ويبلغ عدد المتاجر والمخازن في هذه السوق ما يتراوح بين ١٠٠٠ : ١٢٠٠ متجراً .

أما تجارة الجملة الواقعة شمالي السوق التقليدية الشرقية فهي تتخصص في الملابس الجاهزة النسائية الرخيصة ، وما يكملها من أدوات للزينة ، وفي العطور ، وتجارة المعلبات (التي لا يتعامل معها التجار وحدهم وإنما الأفراد العاديون كما تظهر مخازن مواد البناء ومستودعات السيارات في شمال شرق المنطقة المركزية .

(٦) مكاتب الإدارة والأعمال :

من الإدارات الحكومية توجد : إمارة الرياض في القلب المركزي Kernel (٧) ووزارة العدل ، أما الغرفة التجارية ومكتب البريد ومكتب الكهرباء فإنها تقع في الشمال قريباً من المنطقة الإدارية ، أما الأعمال والخدمات فتشمل مكاتب السياحة والطيران والبنوك ومكاتب الصرافة ثم مكاتب المحامين والمحاسبين والمهندسين والسماسرة والمؤسسات التجارية والمالية ، وهذه الأعمال كلها تقع في النواة الثانية للمنطقة المركزية ، أي خارج حدود **المدينة القديمة** **Inner City** وتحتل مكاتب المحاسبين والمهندسين وإدارات الشركات والمؤسسات أدواراً من العمارات الحديثة (شكل ٩)، وقد بلغت المساحة التي تشغلها ٥,٧٤ هكتارا في سنة ١٩٧٠ على أساس أن المساحة الأرضية Ground Floor التي تشغلها العمارات هي ٥,٧٤ هكتارا وأن مكاتب الأعمال تشغل ٤٠ ٪ من مساحة الأدوار (٢ : ٣ أدوار كما ذكرها تقرير دوكسيادس ، وإذا كان لنا أن نأخذ بنفس النسبة في سنة ١٩٧٨ بعد إضافة المساحات الجديدة في المنطقة ، فإن مساحة مكاتب الإدارة والأعمال تصل إلى حوالي ٩,٩٩ هكتاراً من المساحة الكلية للمنطقة .

وتتوزع البنوك ومكاتب الصرافة في المركز الجديد (شكل ١٠) ولكن الملاحظ أن بنوك ما قبل السبعينات كانت تقع في امتداد القلب القديم على حين جنحت البنوك التي ظهرت بعد ذلك إلى ناحية الشمال (شكل ٥).

(٧) متاجـر التجزئـة :

إن تجارة التجزئة هي التي تعطي للمنطقة ما تتسم به من حيوية وهي التي تجذب سكان المدينة والزوار إليها ، وتنتشر متاجر التجزئة في كل المنطقة ، بدءاً من السوق القديمة حتى أبعد أطراف المنطقة الشمالية والشرقية والغربية . وتختلط بتجارة الجملة وبكل أشكال استخدام الأرض في المنطقة المركزية ، ولكنها تختفي من الحارات السكنية بشكل عام ، وتتميز تجارة التجزئة بأنها أكثر أشكال الاستغلال حساسية لأي تغييرات تطرأ على المنطقة المركزية أو على المدينة عامة ، لذا فإنها الرائد والمؤشر لاتجاهات تحرك أو سكون المنطقة ، وقد بلغت المساحة التي تشغلها المتاجر في أوائل السبعينات ١٤,٧٨ هكتاراً .

بينما بلغت في المنطقة المركزية سنة ١٩٧٨ . ٣٣,٩٠ هكتارا ، وقد بلغ عدد المتاجر في أوائل السبعينات ٤٦٠٥ متجراً ، وهذا يعني أن نصيب كل ألف فرد في المدينة هو ١٥,٤ متجراً في المتوسط .

وتتوزع هذه المتاجر بين الأسواق التقليدية والأجزاء الحديثة على النحو التالي :

الأسواق التقليدية	٢٤٤٠ متجراً
الأجزاء الحديثة	٢١٥٦ متجراً

أي أن القسمين الحديث والتقليدي يكادان يقتسمان متاجر المدينة ونسبة توزيع المتاجر حسب الأسواق الفرعية على النحو التالي :

المكـــان		عدد المتاجر	النسبة المئوية
السوق التقليديــة القديمـــة	الجزء الحديث	٢١٥٦	٤٧٪
	جنوب الديرة	٢٦٦	٥,٧٧ ٪
	غرب الديرة	٥٨٦	١٢,٧٤٪
	جنوب شرق الديرة	٣٣٠	٧,١٧ ٪
سوق الشرق التقليديـــة	سوق الحلة	٣٢٩	٧,١٥ ٪
	الكويتيــة	٩٢٩	٢٠,١٧٪

وبالنسبة للأسواق التقليدية فالواضح أن أسواق الجزء الشرقي قد أصبحت تساوي الأسواق القديمة التي تقع في القلب المركزي من حيث العدد كما أنها تتفوق عليها من حيث متوسط مساحة المتجر على النحو التالي :

اسم المكـــان	المساحة م^{2}	عدد المتاجر	متوسط مساحة المتجـر
الأسواق التقليدية القديمة	١٥٨٥٥	١١٨٢	١٣,٤
الأسواق التقليدية في الشرق	١٧٦٨٩	١١٥٨	١٥,٣
الجزء الحديث	٥٧٤١٩	٢١٥٦	٢٦,٦

وتنقسم المتاجر من حيث وظيفتها إلى :

١ ـــ متاجر لبيع سلع استهلاكية مختلفة كالملابس والأقمشة والمواد الغذائية والأدوات الكهربية والكتب والأجهزة الدقيقة وغيرها .

٢ ـــ متاجر متخصصة في قضاء حاجات لصناعات ومهن معينة كمتاجر أدوات الحدادة والسباكة والنجارة وأدوات الحياكة وغيرها .

٣ ـــ متاجر خدمات تقدم خدماتها للذين يزورون المنطقة كالمطاعم الصغيرة والمغاسل ومحال التنظيف ومحال تصفيف الشعر وصناعة المفاتيح ومطاحن البن ومتاجر التبغ والسجائر والعطارة ومحال التصوير ومحال العصير والمشروبات والمخابز .

وسوف نتناول متاجر النوع الأول فيما بعد ، أما متاجر النوعين الثاني والثالث فتتركز خارج المدينة القديمة في المركز الجديد ، في الشوارع الواقعة بين شارع الملك فيصل وشارع الملك سعود ، ففي هذه الشوارع الجانبية يقع **٢٣٥** متجراً تبلغ مساحتها بما فيها الطرق الداخلية **٣,٨٣** هكتاراً ، وفضلاً عن المتاجر السابقة ، فإننا نجد متاجر المفروشات مجاورة لورش تجهيزها ، ومتاجر الأثاث وورش تجهيز الأثاث فضلاً عن المكتبات ، وأحد البنوك ، وقد بدأت متاجر الأحذية والملابس تتجه نحو هذه الشوارع في السنوات الأخيرة ، وهذا لا يمنع من وجود متاجر الخدمات ومتاجر بيع أدوات الحدادة والسباكة والمخابز في الشوارع الرئيسية مما يساعد على وضوح مظاهر الاختلاط في هذه الشوارع .

أما متاجر المواد والسلع الاستهلاكية فتنقسم إلى :

أ ـــ **المعارض** .
ب ـــ **المتاجر المتنوعة** .
جـ ـــ **المتاجر المتخصصة في سلعة واحدة** .

المعـــارض :

أكبر المتاجر مساحة فتبلغ متوسط مساحة المعرض ما بين ١٥٠ ـــ ٢٥٠ م٢ وهي تستخدم لسلع كبيرة الحجم عادة كالسيارات ، والأجهزة الكهربية الضخمة ، والآلات والسجاد ، وأدوات الحمامات والمطابخ ، والمفروشات ومن البديهي أن

عددها محدود ، كما تتوزع حيث المساحات الخالية الكبيرة ومن شكل (١٠) نجد أنها كلها في خارج المدينة القديمة أو على أطرافها،وتتركز معارض السيارات في شارع الملك سعود (البطحاء) وكذلك معارض الأجهزة الكهربية والأدوات المنزلية الكبيرة الحجم . وهي تلك المعارض التي أقيمت في الخمسينات والستينات ، ولكن منذ نهاية الستينات وخلال السبعينات اتجهت المعارض إلى النصف الغربي من شارع فيصل بن تركي (الخزان) حيث المساحات الفضاء المتاحة ، وفي الفترة الأخيرة قفز البعض منها إلى خارج حدود المنطقة مقتربة من الأحياء الثرية في الشمال والغرب (شكل ١٠) .

المتاجر المتنوعة :

هي الأخرى محدودة العدد . بل إنها أقل عدداً من المعارض وهي أقل مساحة كذلك فلا يزيد مساحة أكبرها عن ١٥٠ م٢ وبعضها يتكون من عدد من المتاجر المتجاورة ولا تزيد على كل حال عن اثني عشر متجراً ، ولكنها تختلف عن المعارض في وقوع بعضها داخل المدينة القديمة في أقدم الشوارع المفتوحة ، ومعظمها يتعامل في الأقمشة والملابس الجاهزة وما يرتبط بهما كالمنتجات الجلدية وغيرها .

المتاجر المتخصصة :

هي السائدة في المنطقة ، فالمعارض والمتاجر المتنوعة يبلغ عددها ١٢٠ متجراً والباقي من مجموع المتاجر وهو ٤٣٩٦ متجراً كلها من المتاجر المتخصصة ، وهذه المتاجر تختلف درجة كثافتها من منطقة لأخرى،فهي في سوق المقيبرة تتراوح ما بين ٨١٨ وحدة في الهكتار ، وفي غرب الديرة ٥٠٣ وحدة ، وفي جنوب الديرة وجنوبها الشرقي ٤٢٥ وحدة،وتصل إلى ٣٣٦ وحدة في الشوارع التجارية في المركز الجديد .

وفي دراسة أجريت على الشوارع التجارية الرئيسية في الجزء الحديث اتضح أن المتاجر تتوزع حسب المساحة الأرضية على النحو التالي :

الحجم	المساحة الأرضية	عدد المتاجر	متوسط مساحة المتجر م[٢]
متاجر صغيرة جداً	٢١٠	٣٥	٦
متاجر صغيرة	١٧١٨٤	١٤٣٢	١٢
متاجر متوسطة	١٧١٥٠	٣٤٣	٥٠
متاجر كبيرة	٨٢٥٠	٥٥	١٥٠
متاجر كبيرة جداً	١٤٦٢٥	٦٥	٢٢٠

ولا يختص نوع معين من السلع بالمساحة الصغيرة أو المساحة المتوسطة فجميع السلع تباع في جميع المتاجر على اختلاف مساحتها .

أما من حيث توزيعها في المنطقة المركزية ، فإن متاجر المواد الغذائية تختلط مع متاجر الجملة ونصف الجملة لهذه السلعة في أقصى الغرب والجنوب الغربي . كذلك تظهر في أطراف المنطقة الشمالية ، وأطرافها الشرقية . أي أنها تتركز في وضوح في أطراف المنطقة ، حيث تختلط بمتاجر مراكز الخدمة الثانوية وتجاور المناطق السكنية . هذا فضلاً عن وجودها في الشوارع الخلفية لكل من شارعي الملك فيصل والملك سعود والتي سبقت الإشارة إليها . وهذا لا يمنع من وجودها في الشارع الرئيسي للأعمال والتجزئة فيظهر مخبزان وستة محلات للبقالة والمواد الغذائية . منها اثنان من متاجر الأغذية المتنوعة ، كما أن هناك تركز لهذه المتاجر - ولكن من المتاجر الصغيرة - في شمال شارع الملك سعود قريباً من موقف سيارات الأقاليم حيث تظهر عدد من محال البقالة والمخابز والمطاعم الصغيرة .

كما توجد لتجارة الخضر الطازجة سوقان مجاورتان لمنطقتي الجملة في الغرب والشرق ، كذلك من سمات هذه السلعة بيعها في الثلاجات المتنقلة على أطراف هذه المنطقة .

أما بالنسبة لمتاجر الأقمشة والملابس الجاهزة والأحذية . فرغم انتشارها في المنطقة . إلا أنها تختفي من الشمال والغرب . وهي تتركز في شكل تجمعات يطلق عليها الأسواق تشبيهاً بالسوق القديمة . مثل السويقة،وأسواق الجزيرة . وأسواق الكويتية . أو تتوزع بين المتاجر الأخرى في الجزء الحديث . ويلاحظ أنه رغم توزع ملابس الرجال بين الأسواق المختلفة ، وكذلك في المركز الجديد . فإن هناك تركزاً لملابس الرجال واحتياجاتهم المختلفة من ملابس وطنية كأغطية الرأس والعباءات والشيلان والملابس الأخرى من قمصان وملابس داخلية وملابس جاهزة وأحذية شعبية وعادية في الجزء الشمالي الشرقي من المركز الجديد مجاوراً ومواجهاً للفنادق .

كذلك فإن تجارة المفروشات تختص بأحد الشوارع المتجهة من القلب القديم نحو الشمال ثم تختلط بالمتاجر الأخرى بعد خروجها من هذا الشارع إلى شارع فيصل بن تركي .

ومهما يكن الأمر فإن توزيع تجارة التجزئة داخل المنطقة المركزية هو في النهاية ملخص لناتج العلاقة بين نمطين من توزيع المتاجر ، النمط التقليدي ، والنمط الوافد مع الغرب ، فالأسواق التقليدية في المدن الإسلامية تتميز بتجمع متاجر كل نوع في شارع أو جزء أي تتخصص في نوع معين من التجارة .

وحيث يظهر نمط هذه الأسواق في الجنوب الغربي أو الشرق من المنطقة تتضح فيه هذه الظاهرة ، فسوق الديرة ينقسم إلى جزء لتجارة الأقمشة وآخر للسجاد وثالث للملابس الجاهزة ورابع للمصوغات الذهبية ، وفي كل جزء تتجاور متاجر كل نوع . ومع انسياب التجارة من السوق يظل هناك تأثير كبير لهذا الشكل من التوزيع . فتجارة التجزئة في ميدان الصفاة (ساحة العدل) تكاد تكون خالصة للأجهزة الكهربية . مع ظهور بعض متاجر الأقمشة والملابس الجاهزة في السنوات الأخيرة . فمن ٢٠ متجراً في هذا القلب القديم يوجد (١٤) منها للأجهزة الكهربية . (٥) خمس متاجر للملبوسات والأقمشة،ومتجر واحد يعمل كصيدلية ، هذا غير متاجر الأجهزة الكهربية التي اندفعت من الساحة إلى الشوارع الجانبية المتفرعة منها .

كذلك يظهر الجانب المقابل للسوق القديمة أي في الشمال الشرقي تجمعات تحمل كثيراً من مظاهر السوق التقليدية ، مثل التسقيف وصغر المتاجر وتركز النوع الواحد معاً رغم حداثة ظهورها في نهاية الستينات وخلال السبعينات ، وفي نفس الوقت فإنها تأخذ ببعض طريقة العرض الغربية مع الاحتفاظ بطريقة العرض التقليدية،ويكاد كل جزء منها تتخصص فيه شوارع معينة في تجارة تجزئة خاصة ، أما الشوارع المتسعة نفسها فالمتاجر يغلب على طريقة العرض فيها الطابع الغربي وفي نفس الوقت تتجاور متاجر كل نوع ويزداد النوع قليلاً ، **فنجد في شارع الملك عبد العزيز (الثميري) تتوزع المتاجر على النحو التالي :**

٨ متاجر للأجهزة الكهربية كامتداد لسوق القلب المركزي .
٨ متاجر للملابس الجاهزة .
١٠ متاجر للأجهزة الدقيقة .
٤ متاجر للمصنوعات الجلدية .
٣ متاجر للعب الأطفال .

وكلها تحمل الطابع الغربي ثم تختلط المتاجر في شارع الملك فيصل ولا يتوقف تأثير العلاقة بين هذين النمطين عند التوزيع فحسب ، بل هناك طريقة العرض ومستوى السلعة .

مستوى السلعة :

إن انسياب التجارة من السوق المركزية القديمة إلى الشوارع المفتوحة والنواتان الجديدتان تركز في الحقيقة في خروج السلع العالية الجودة والقيمة من الأسواق القديمة إلى خارجها ، واقتصار التعامل في السوق التقليدية على الأنواع المتوسطة والرخيصة ، ولما كانت السلعة المستوردة هي المسيطرة على سوق المنطقة المركزية فالمثال الواضح هو في تعامل الأسواق التقليدية في السلع الأسيوية الرخيصة ، بينما يقتصر وجود السلع الأوروبية والسلع الأسيوية الغالية على متاجر الشوارع الرئيسية ، ورغم

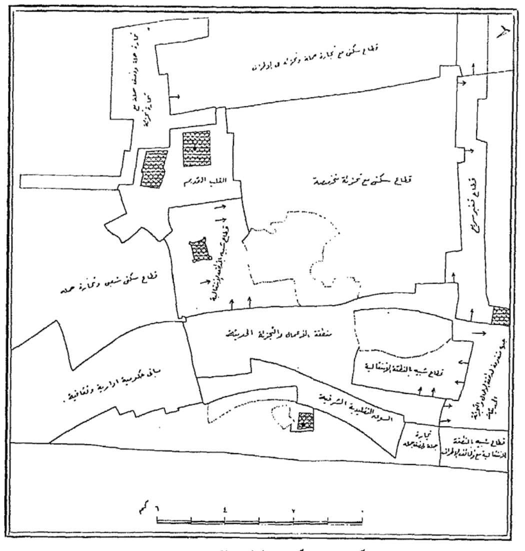
وجود جزء للمصوغات في السوق القديمة فإن المجوهرات والأحجار الكريمة والساعات الراقية تظهر كلها في المتاجر ذات الطابع الغربي ، وحتى العطور التي ترتبط بالجامع، فإننا نجد لها وجوداً في السوق القديمة ، ولكن في الأنواع الرخيصة بينما الأنواع الراقية منها في النواة الثابتة وقد ترتب على ذلك أن أصبحت الأسواق القديمة ملتقى الطبقات الشعبية ، بينما تحظى الشوارع الجديدة بالطبقات الغنية .

(٨) المباني المتداعية والخالية والأراضي الفضاء :

أدت عملية تحديث المدينة القديمة إلى تغييرات ، فشق الشوارع المتسعة في كتلة مباني الطوب اللبن والطين أدت إلى بقاء أجزاء من هذه المباني متداعية وخالية على جانبي الشوارع ، كذلك أخليت مساكن مطلة على الشوارع المفتوحة لعدم ملاءمتها للسكنى بعد أن أصبحت مكشوفة ، والكثير متروك دون سكنى لحين سنوح فرصة بيع أراضيها مما يسبب ترك مساحات خالية من المباني بين العمارات ، كما أن هناك بعض المباني التي اعتبرت نماذج جيدة للعمارة القديمة في الرياض واحتفظ بها كأثر وتركت خالية من السكان ، كما تظهر بعض المباني السريعة الإزالة ، أي المقامة مؤقتاً في مساحات واسعة من شارع الأمام فيصل بن تركي (الخزان) ، وتستخدم بعض الأراضي الفضاء كمواقف للسيارات ، كما يظهر من خريطة استخدام الأرض (شكل٨) ، وليس من اليسير حساب هذه المساحات التي لا تمتد عادة في منطقة كبيرة .

تكوين المنطقة المركزية :

يكشف استخدام الأرض في المنطقة المركزية عن تغيرات في داخلها لا تقل أهمية عن الاختلافات التي بين مناطق المدينة ، ولا شك أن قصر الزمن له دوره في وضوح عدم التجانس الداخلي ، مما يؤدي إلى ظهور مستويات مختلفة **من الوحدات المكانية أو القطاعات Regions** ، والحدود بين هذه القطاعات هي بالضرورة تقريبية لأن من الصعب وجود انقطاعات واضحة عند الحدود وقد ميزت دراسة دوكسيادس قطاعين فقط داخل المنطقة دون تحديدها وهما :



شكل (٩) تكوين المنطقة المركزية في الرياض

أ ــ قطاع الأعمال الرئيسي .

ب ــ قطاع يقع بين المراكز الإدارية القديمة في القلب المركزي والمراكز الجديدة في الحي الإداري شمال المنطقة المركزية .

ولكن التباين داخل المنطقة أبعدوأعمق، وقد أمكن من خلال الدراسة الميدانية واستخدام الأرض تمييز القطاعات الآتية ، **كما في شكل (١١)** :

١ — القلب المركزي القديم Historic Core or (Kernel) .
٢ — منطقة الأعمال والتجزئة الحديثة المتنوعة .
٣ — جبهة متقدمة لمنطقة الأعمال والتجزئة الحديثة CBD .
٤ — قطاع شبيه بالمنطقة الانتقالية مع وظائف الأطراف .
٥ — قطاع مباني حكومية إدارية وثقافية .
٦ — قطاع تغير سريع .
٧ — قطاع سكني مع تجزئة متخصصة Mono-Use .
٨، ٩ — قطاعان يشبهان المنطقة الانتقالية .
١٠، ١١ — قطاعا الجملة ونصف الجملة مع عناصر قوية لتجارة التجزئة .
١٢ — قطاع سكني شعبي وتجاري جملة .
١٣ — السوق التقليدية الشرقية .
١٤ — قطاع سكني وتجزئة للخدمة المحلية مع عناصر لتجارة الجملة والتجزئة .

(١) القلب القديم : HISTORIC CORE

إن هجرة الطبقة الحاكمة والأمراء من القلب المركزي في الأربعينات، ثم تصاعد الدور الاقتصادي نشيطاً منذ ذلك الحين قد أدّيا إلى تقلص في مساحة هذا القلب فبينما كانت مساحته ٥,٦٦ — هكتارا تقريباً في سنة ١٩١٩ م بلغت مساحته ٣,٣٤ هكتاراً في السبعينات ، وكل المساحة الناقصة قد استولت عليها العمارات والمتاجر بحيث أصبحت تفصل بين القلعة والقلب المركزي ، وتتمتع التجارة فيه بدرجة كبيرة من التخصص ، وهي تمثل الخطوة الأولى لخروج البضائع العالية القيمة من السوق القديمة كما سبق ذلك ، وهو يمثل بؤرة تتقابل عندها عدة طرق ولا يزال يحتفظ بأعلى الأسعار،وتنساب التجارة منه خلال هذه الطرق نحو الشرق والجنوب والشمال والغرب ، وقد استطاع النشاط الاقتصادي أن يجذب غير المتاجر بنكين وبعض عيادات الأطباء ، ولكن زيادة الدور الاقتصادي في القلب لم يؤد إلى تقلص

الدورين الاجتماعي والسياسي اللذين تلعبهما هذه البؤرة تماماً ، ومن ثم فإن عملية التحديث التي جرت في هذا القلب اهتمت بإعادة بناء القصر ، وتوسيع الجامع ، كما قامت إلى جوارهما المحكمة ، واستمرت الساحة مركزاً لتنفيذ بعض الأحكام ، وهكذا أصبح القلب توأماً للنواة الجديدة كما لاحظ **مابوجونجي** **Mabogunje** في إيبادان ولاجوس ، وإلى جانب إستخدام الأرض في السكن والتجارة فإن المساحات الخالية تستغل كمواقف للسيارات .

(٢) منطقة الأعمال والتجزئة الحديثة CBD

وليس المقصود بها حيّ الأعمال المركزي بمواصفاته المعروفة في أجزاء من العالم الغربي ، وإنما الجزء الذي يقوم بمعظم هذه الوظائف وهو بالضرورة لا يحمل كل **صفات** **CBD** المعروفة ، ولكي يمكن بيان حدود منطقة الأعمال والتجزئة هذه ، حاولت الباحثة إستخدام طريقة **فانس ومورفي (١٩٦٩)** **Vance & Murphy** ، وقد أمكن تحديد الاستخدامات المقبولة كمميز للمنطقة عن طريق عزل الاستخدامات التي لا تنتمي لمنطقة الأعمال المركزية وهي السكن الدائم ، والمباني الحكومية والعامة ، والمؤسسات الثقافية كالمعاهد العلمية ودور العبادة ، والمؤسسات الصناعية (ما عدا الصحف) وبيع الجملة ، والمخازن التجارية والمساحات والمباني الخالية ، وقد أمكن استبعاد جميع الوظائف السابقة من جزء معين من المنطقة المركزية فيما عدا السكن الدائم والمخازن التي في العمارات ، وعلى كل حال فيمكن أن نعتبرهما من وظائف منطقة الأعمال في مدينة الرياض ، إذا أخذنا برأي **جون أولياس** **(JOHN ALLPASS)** **وزملائه** في معهد التخطيط المركزي **في كوبنهاجن** الذين يعرفون وظيفة منطقة الأعمال على النحو التالي « وظيفة منطقة الأعمال **(CBD)** هي الوظيفة التي لم تترك بعد حي الأعمال .

"A (CBD) Function : A function which has not yet left the central business district."

وقد ظهرت منطقة الأعمال كما في شكل (١٢) ، ولا شك أنه لو وجدت خرائط لتوزيع استخدام الأرض على أساس المساحة المستخدمة **الفعلية** **Floor Space** **لا المساحة الأرضية** **Ground Space** لكانت أكثر دقة .

وقد حسبت مساحة حي الأعمال والتجزئة الحديثة كما ظهر في الخريطة شكل (١١) فكانت ١١,٧٥٨ هكتار[٨] بينما مساحة ما تشغله الأعمال في المنطقة المركزية هي ٩,٩٩ هكتاراً ، يوجد منها ٨٥٪ على الأقل في منطقة الأعمال هذه .

ومساحة تجارة التجزئة توازي تقريباً مساحة المنطقة فيما عدا الطرق كما أن بها $\frac{٨}{١٢}$ من البنوك ومكاتب الصرافة ، $\frac{٨}{٩}$ من الفنادق ، $\frac{٣}{٣}$ من مكاتب السياحة .

منظر المنطقـــة :

هذه المنطقة هي المركز الحقيقي للمدينة ويبدو النظر مختلفاً لاحتوائها على أعلى عمارات المنطقة المركزية ، فيها عمارات يتجاوز بعضها الخمسة عشر طابقاً ، وبعضها يتراوح ما بين ٥ : ١٠ طوابق،وهي إن كانت قليلة إلا أنها تعطي المنطقة مظهراً مختلفاً ، أما بقية المباني فبعضها يتكون من طابق واحد ، ولكن يغلب على العمارات أن تكون ما بين ٢ : ٣ أدوار . والجزء الشمالي من المنطقة أكثر حداثة من الجزء الأوسط،وتتميز متاجره بالاتساع واتباعها النمط الغربي في العرض ، بينما النصف الثاني تنتمي غالبية عماراته للخمسينات ، وتحمل متاجره تأثيرات من السوق التقليدية بدرجات مختلفة ، وتختلط المتاجر في هذا الجزء ما بين متاجر خدمات كالمغاسل والمخابز ومحال تصفيف الشعر بمحال المجموهرات والأزياء بالبقالة والجزارة وتتجه لتزاحم المنطقة ، فإن المتاجر أصبحت تستغل في السنوات الأخيرة الأدوار السفلى والتحتية من العمارات ، كما بدأت تتوغل في الشوارع والحارات التي تمثل مخارج المنطقة السكنية الواقعة إلى الغرب منها ، ولكن هذا الإختلاط يقل في الشوارع الجانبية حيث تظهر المتاجر التي تبتعد عن الأسعار المرتفعة عادة .

(٣ . ٤) الجبهة المتقدمة لمنطقة الأعمال والقطاع الشبيه بالمنطقة الانتقالية مع وظائف الأطراف :

ويمتد حي الأعمال وتجارة التجزئة نحو الشمال في جزءين الجزء الاول منهما قد زحفت عليه العمارات التي ترتفع ما بين ٥ : ٧ طوابق واحتلت المعارض الأدوار الأولى .

ولكنها لم تستطع أن تتقدم فترة طويلة لوجود مساحات من الأراضي الفضاء المملوكة مما دفع معارض السيارات والأجهزة الكهربية إلى القفز شمالاً خارج المنطقة المركزية متجاوزة هذه العقبات ومحتلة مواقع متقدمة في حي المربع على امتداد هذه الجهة متغلغلة في المنطقة الإدارية الشمالية .

أما الجزء الآخر فهو عبارة عن مساحات من الأراضي الفضاء وبعض المساكن المتواضعة والمحال التجارية الصغيرة ، إلى جانب بعض البنايات الحديثة التي تشغلها المعارض والبنوك والمتاجر .

وتظهر بعض وظائف الأطراف كالفنادق ، وقد بدئ في تخطيط المساحات الفضاء التي تقع بين هذه المنطقة وسابقتها مما سيؤدي إلى مزيد من التعمير لهذين الجزءين ،وتختلط الأطراف الجنوبية بقطاع الجملة (١١) حيث تستخدم بعض المباني القديمة كمخازن لهذا القطاع .

(٥) قطاع المباني الحكومية الإدارية والثقافية :

تقع في جنوب شارعي الملك فيصل والملك سعود بين منطقة الأعمال والتجزئة والأحياء الشعبية الجنوبية وبه تركز واضح للمباني الحكومية والإدارية، ففيه كلية الشريعة وكلية اللغة العربية ومصلى العيد وموقف سيارات الأقاليم وثلاث مدارس فضلاً عن مبنى أمانة الرياض ، والعمارات التي يتراوح إرتفاعها ما بين ٣ : ٤ طوابق خالصة للسكنى وهي أكثر ارتفاعاً لحداثتها بالنسبة للجزء الملاصق لها من حي

الأعمال . وامتداد حي الأعمال في شكل متاجر لمسافة ٥٠ متراً من منطقة الأعمال ثم يظهر طابع الخدمة المحلية عليها فتصبح خالصة للبقالة والمخابز والمغاسل .

(٦) **قطاع التغير السريع :**

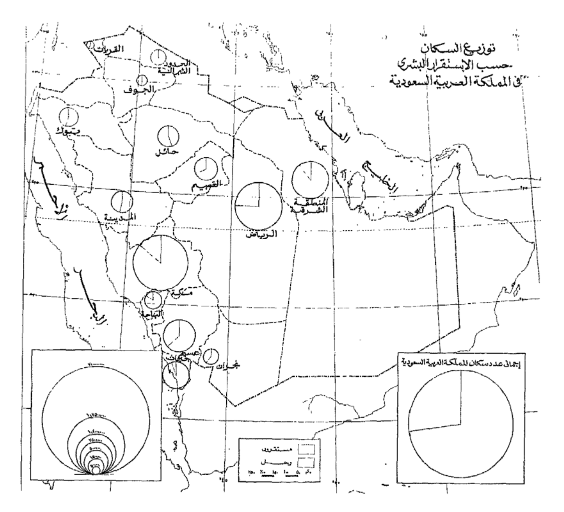
شارع فيصل بن تركي فبينما يتعرض لتأثير حي الأعمال والتجزئة الحديثة الزاحف إليه من الشرق ، ظهر به بنكان ومتاجر التجزئة ، يقع الجزء الأوسط منه تحت نفوذ تجارة المفروشات الزاحفة من خلال شارعي قصر الحمراء وآل سويلم من الجنوب مختلطة بمتاجر مركز الخدمة المحلية من صيدليات وبقالة وجزارة ومغاسل وخضروات وغيرها ، أما الجزء الغربي فإن وجود المساحات الفضاء أتاحت الفرصة لظهور عمارات أكثر ارتفاعًا من الجزءين الأوسط والشرقي حيث يتراوح ارتفاعها ما بين ٥ : ٨ أدوار . كما أتاحت الفرصة للمعاض الكبيرة الهاربة من ازدحام حي الأعمال والتجزئة لكي تجد متنفسًا لها في هذا الجزء المشرف على الأحياء الثرية .

(٧) **القطاع السكني مع التجزئة المتخصصة :**

وهو أكبر القطاعات السكنية وتبلغ مساحته ٥٣,٨٨ هكتاراً تحتل المقابر التي تقع في طرفه الجنوبي الغربي مساحة ٧,٠٣ هكتاراً منها،ويخترق هذا القطاع مجموعة من الأزقّة والطرق الضيقة ، ويحتوي على سبعة مساجد ، تلتف حول كل واحد منها مجموعة سكنية لا يزيد ارتفاع أي منها عن دورين ، كما يحتوي على أربع مدارس ، ويتصل هذا القطاع بالطرق المحيطة به من الشمال والجنوب بواسطة شارعين،يصل اتساعهما ما بين ٥ — ٨ أمتار ويتخصصان في تجارة المفروشات والأثاث إلى جانب تجهيز الملابس الوطنية ، ولم تستطع وظائف المنطقة المركزية غزو هذا القطاع إلا في هذين الشارعين،ثم الأطراف الشرقية المتاخمة لحي الأعمال وتجارة التجزئة .

(٨) ، (٩) **المناطق الشبيهة بالإنتقالية :**

وهما جزءان سكنيان محاصران بالشوارع الجديدة ، وتتدفق عبرهما وظائف المنطقة



وتتجاوزها مع تأثيرات لا بد منها . وكلا الجزءين يقع على جانبي حي الأعمال والتجزئة ، والأول يقع بين القلب المركزي وحي الأعمال والثاني يتداخل فيه بحيث لا يجد الحي متنفسًا للتمدد إلا عبر فتحات صغيرة ليصل إلى جبهاته المتقدمة ، ويتعرض كلا الجزءين إلى عمليات غزو وتوغل من الوظائف المتمركزة في الشوارع المحيطة بهما ، مما يؤدي إلى إختلاط أفواه الحارات بالمتاجر الصغيرة ، وتحول كثير من المساكن إلى مخازن ،وترك القريب من الشوارع دون عناية أو ترميم لحين العثور على مشتر بسعر مغر ، ويبين الشكل (١٢) التغير الذي طرأ على القطاع (٨) خلال بضع سنوات قليلة ، مما جعل هذين القطاعين يحملان ملامح للمنطقة الانتقالية المتدهورة المعروفة عند

بورجس BURGESS ويلاحظ أن القطاع (٨) يحمل تأثيرات قوية للأسواق الشعبية لقربه منها ، في حين أن القطاع الآخر (٩) تحتل المقابر أكثر من نصفه ، تحيط بها مساكن شعبية يتدهور الكثير منها .

[illegible] قطاعا الجملة ونصف الجملة :

يتفوق القطاع الأول في المساحة والمخازن والأهمية ، ورغم أن كثيراً من تجار التجزئة يحصلون على حاجاتهم مباشرة من المصانع الخارجية ، فإن لهم مخازن في هذا القطاع ، لذلك فإن تجارة الجملة ونصف الجملة تتوسع في المساحة التي تشغلها سنة بعد أخرى ، وإن كانت في نفس الوقت تتعرض لغزو تجارة التجزئة المستترة ، فمعظم تعامل تجار الجملة هو مع التجار الصغار الذين يتعاملون في شكل نصف الجملة حتى مع الأفراد ، وخلاف المواد الغذائية والقطن والحبوب ، والتوابل ، فإن تجارة الجملة هنا تكاد تنحصر في الأنواع الرخيصة الشعبية، ويتضح ذلك في العطور والملابس النسائية الجاهزة . والمفروشات ويوجد جزء من هذه السوق شُيِّد خصيصاً كمخازن وهذه تتسع مخازنها لمساحة تصل إلى ٢٠٠/٥٠٠م٢ ولكن الغالبية عبارة عن متاجر صغيرة قد تصل بعضها إلى ١٠م٢ ، والأجزاء المطلة على الشوارع تتميز بالطرق المرصوفة المتسعة ومثلها تلك الأجزاء التي شيدتها الحكومة في بداية التحديث للمدينة ، ولكن التوسعات السريعة حدث أغلبها في المنطقة القديمة الخلفية ، ولذا فإنها عبارة عن أزقة وحارات مسدودة كثيرة الالتواء ، وبعض المتاجر لنصف الجملة مفتوحة في أجزاء من المساكن الطينية وهي تتوسع في هذه الأجزاء السكنية نحو الغرب باستمرار بعد توقف توسعها نحو الشمال بوصولها إلى شارع الإمام تركي بن عبدالله (الشميسي الجديد) والتقائها مع تجارة المفروشات ، والحركة في هذه المنطقة شديدة طول النهار ولفترة طويلة من الليل ما بين مشاة وعربات ولوريات تفرغ البضائع الواردة ، ولذا فإنها تنافس السوق التقليدية لتجارة التجزئة في شدة التزاحم وضغط الحركة ، والقطاعان يسود فيهما المباني ذات الدور الواحد وإن كانت الأجزاء الغربية وكذلك الجنوبية ترتفع إلى الطابقين .

(١٢) قطاع سكني شعبي وتجارة جملة :

وهو امتداد لقطاع الجملة نحو الجنوب في المساكن المطلة على شارع طارق بن زياد وتختلط بمتاجر التجزئة التي تخدم هذا القطاع الذي يسكنه خليط من الطبقتين الشعبية والمتوسطة . ويتميز بأن حواريه وأزقته أكثر اتساعاً وامتداداً واستقامة من مساكن الجزء السابق في القطاع (١٠) المجاور له ، لأنها وإن غلبت عليها المساكن ذات الطابقين ونظام الدور إلا أنها امتدادات جديدة خارج المدينة القديمة .

(١٣) السوق التقليدية في الشرق :

وهي سوق حديثة النشأة ولكنها مشيدة على النمط التقليدي . كما أن تنظيمها يسير وفق النظام التقليدي في تخصص أجزاء معينة في تجارة من تجارات التجزئة وهي تلاصق سوق الجملة القديمة من ناحية الغرب وتعتبر إمتداداً لها . وواجهتها المطلة على شارع الملك سعود تشغلها المكتبات الصغيرة وتجارة الجلود والمطاعم الصغيرة ، ومن الطبيعي أن متاجرها تضيق كلما اتجهنا شرقاً وشمالاً حيث تصل إلى الأجزاء القديمة التي تشتمل على تجارة الجملة ونصف الجملة .

(١٤) قطاع سكني ومتاجر للخدمة المحلية مع عناصر لتجارة الجملة والتجزئة :

وهذا القطاع أحدث القطاعات انضماماً للمنطقة المركزية . ويأتي غزو المنطقة له من الشرق ومن الشمال ومن الجنوب ، وتتقدم تجارة الجملة ونصف الجملة في الجنوب أسرع من تقدمها في الشرق ، أما في الشمال فلا تزال الغلبة لمتاجر الخدمة المحلية وتشبه الأجزاء السكنية فيه القطاع الواقع للشرق منه . من حيث سيادة نظام الدور والتفافها حول المساجد ، **ولا شك أن قلة الشوارع الواسعة العرضية سوف يقصر تقدم المنطقة المركزية على الأطراف حيث الشوارع المتسعة ، ولعل هذا ما دعا بعض المتاجر إلى القفز فوق هذا القطاع والظهور في أقصى الغرب قريباً من الأحياء الميسورة .**

والسؤال الآن هل يستمر تقدم المنطقة المركزية في السنوات القادمة ؟

من البديهي أن يثار مثل هذا السؤال . خاصة وأن العوامل التي أثارت تحرك حدود المنطقة لا زالت تعمل عملها . كما أن المنطقة لا زالت بعيدة عن مركز المدينة وإن كان هذا ليس شرطًا لازمًا . ولكن هناك عدة ضوابط ترجح توقف تمدد المنطقة المركزية . مثل وجود المنطقة الصناعية والأحياء الشعبية في الشرق . ووجود المنطقة الإدارية في الشمال . والأحياء الميسورة التي لا تقبل أو ترحب بوجود متاجر وسطها في الغرب . كما أن مساحات الفراغ الكبيرة في داخل المنطقة سوف تجذب لاستخدامها للانتفاع الجيد بالأرض . ومن المرجح أن القطاعين (٣) . (٤) سوف يكونان أنشط القطاعات في البناء والتشييد خلال الفترة القادمة . كذلك النواة الغربية وقطاع التغير السريع . كما أن من المتوقع أن تشهد المنطقتان الانتقاليتان مزيداً من التحرك من المتاجر لغزوهما .

●●●

أولاً : المراجع العربية :

١ ــ حمد الجاسر : (١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م) مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ . الرياض .

٢ ــ صالح عبدالله المالك : (١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٤ م) التطور الايكولوجي «البيئي» لمدينة الرياض . محاضرات الموسم الثقافي ، جامعة الرياض .

٣ ــ مصلي ــ شاكر ــ منديلي : (بدون سنة طبع) التعرف على النمط العمراني في المملكة العربية السعودية . الإقليم الأوسط .

٤ ــ مؤسسه دوكسيادس : (١٩٧٠) الرياض . جـ١ . جـ٢ .

ثانياً : الدراسة الميدانية التي أجريت سنة ١٩٧٧ وأستعين فيها بخريطة ١ : ٥.٠٠٠ للمنطقة المركزية ، وخريطة الرياض ١ : ١٥.٠٠٠ .

ثالثا : الهوامش :

(١) قدرت مؤسسة دوكسيادس دخل الفرد الشخصي في المملكة العربية السعودية في سنة ١٩٧٥ بمبلغ ٣٣٥٢ دولارا في السنة .

(٢) حسبت المساحة الكلية والمساحة المكشوفة والطرق والنشاط التجاري من خريطة ١ : ١٥.٠٠٠ .

(٣) على أساس أن مساحة المدينة ٥٠ ميل وعدد السكان ٣٠٠,٠٠٠ نسمة على ما جاء في مقال صالح المالك (١٩٧٤) عن دوكسيادس .

(٤) إعتبرت أقسام عابدين والموسكي والأزبكية وقصر النيل ممثلة للمنطقة المركزية في القاهرة (مخطط القاهرة الكبرى ١٩٦٦ .

(٥) حسبت المساحات من خريطة ١ : ٥٠٠٠ .

(٦) تحولت إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٧) يحمل القلب المركزي رغم حداثة عمره مواصفات هذا القلب في العصور الوسطى .

(٨) على أساس إخراج مساحة الأسواق القديمة من النشاط التجاري وحساب مسطح العمارات (٢.٥ طابق كما في الخريطة) واعتبار ٤٠٪ منها للأعمال .

رابعاً : المراجع الأجنبية :

1. Beaujeu - Garnier, J., Chabot, G., (1971). urban Geography, London.
2. Carter, H.,, (1974). The Study of Urban Geography, Bristol.
3. Collins, M.P., (1973). Field Work in Urban Areas, In Frontiers, in Geographical Teaching, edited by Chorley, R. 8, Haggett, p., London.
4. Dickinson, r., e., (1966). City & Region, London.
5. Herbert, d., (1972). Urban Geography, A Social Perspective, Devon.
6. Johnson, J., H., (1972). Urban Geography, Oxford.
7. Mabogunje, A., (1974). The Pre-Colonial Development of Yoruba Towns, in the City in the Third World, edited by Dwyer D., London.
8. Murphy, R., Vance, J., (1969). Delimiting the CBD, in Readings in Urban Geography, edited by Mayer, H., & Khon, C., Chicago.
9. Ratcliff, R., (1969). Demand for non Residential Space, in Readings in Urban Geography, edited by Mayer, H., & Kohn, C., Chicago.
10. Ratcliff, R., (1969). Internal Arrangement of Land Uses, in Readings in Urban Geography, edited by Mayer & Kohn, Chicago.
11. Proudfoot, M., (1969). City Retail Structure, in Readings in Urban Geography, edited by Mayer & Kohn, Chicago.
12. Santos, Milton, (1971). Les Villes du Tiers Monde, Paris.

لكتاب المجلة الكرام ..

ترجو مجلة الدارة من كتابها الكرام أن يبعثوا إليها بحوثهم وموضوعاتهم ومقالاتهم وقصائدهم **باسم رئيس التحرير ص. ب./٢٩٤٥ الرياض — المملكة العربية السعودية** .

١ — أن تكون مكتوبة بخط واضح أو مطبوعة على الآلة الكاتبة حتى تخرج سليمة من الأخطاء .

٢ — أن يزودوا المجلة بالصور والخرائط الأصلية أو الشرائح الملونة ، — إذا احتاج البحث ذلك — حتى تخرج البحوث والموضوعات بصورة جيدة ترضي القراء .

٣ — ألا تزيد صفحات البحث الواحد عن عشرين صفحة لتنويع ونشر أكبر عدد ممكن من البحوث والموضوعات ، وكذا **تلخيصا للبحث في عشرة أسطر** ، وترجمتهم إلى **اللغة الانجليزية** — ان أمكن — .

٤ — أن تزود المجلة بصورتين شمسيتين وبيانات عن حياة الكاتب العلمية . وذلك لمرة واحدة إذا كان الكاتب دائم الكتابة بالمجلة .

٥ — أن يكون عنوان وهاتف الكاتب واضحًا ومفصلاً للإتصال به عند اللزوم ، ولارسال مطبوعات الدارة .

٦ — ألا يبعثوا بنسخة أخرى من البحث إلى مجلة أو جريدة أخرى .

٧ — البحث أو الموضوع أو المقال الذي يتم اجازته ، يخطر كاتبه بذلك ، أما البحث الذي لم يتم اجتيازته لا يرد له ، ولكن يخطر أيضًا بذلك .

٨ — في حالة «عرض كتاب ما ...» نأمل تزويد المجلة بنسخة منه ، أو بصورة واضحة للغلاف .

الجزيرة العربية

وماضيها التاريخي العـ

شعر الأستاذ عبدالسلام هاشم حافظ

أيّاميَ الغرّ في حبي وفي نغمي ... أفدي بها عمراً يشتاق في أَلمِ

قلبي الغريبُ وحيدٌ في تمزُّقه ... علَى هواه يُناجي الليْل بالضَّرَم

خفّاقُ يَشغله حبٌّ يصول به ... عبْرَ الجَمَال طبيعيا وفي عِصم

في كبرياءٍ يغنِّي الحسنَ .. مأمله ... يُضفي علَى الكون أفناناً من النَّغم

يستذكرُ الأمسَ حُبًّا عارماً عصفتْ ... به مواجعُه في الوجد والسَّقَم

يستعذبُ الأمسَ حُبًّا حالماً غَرِداً ... بالحسن والفنِّ.. لا يشدو بغيرهِم

يرى حبيبتَه .. دنياه راغبةً ... عن زلَّة الأرض .. عن غيِّها الأَثم

فالحبُّ أكبر من أن يَستظلَّ بها ... أو يستذلَّ لمحبوبٍ ومقتحم

الحبُّ أبقَى لأوطاني ومملكتي ... يذكو بها المشعلُ الدَّاني بلا نِقَم

لكنَّ لي في الهوى السَّامي منابعُه ... يُسقَى بها الحسُّ والوجدانُ في نَهم

حبُّ الخلود له أنقَى .. ومشرقُه ... من موطن السؤْدد الباقي مع الدِّيَم

ـروبى والاسلامى والانسانى

يصحو له القلبُ .. يحنو في تلفُّته — يدقُّ في ولَهٍ بالدَّار والأَجَم

يا موطنَ الحلم .. أَسرارُ أمَّتنا — الشرقُ شرقٌ عريقُ المجدِ في شَمَم

دنيا العروبة حلمي وانتفاضتُه — مهد الرِّسالات والإجلال والعِظَم

أمُّ الحضارات .. سارتْ في مواكبها — كلُّ المعارف والأبطالِ والكرم

فهيَ التَّعالي ووحيُ الروح شامخةً — يوم ابتدَى العمرُ تأكيداً لفضلهم

هيَ البدايةُ كانتْ في تلاحمها — بآدم : أول البانين للنِّعم

من ذلك العهد وهْيَ الفجرُ بازغةً — على الوجود .. على الأيام والظُّلم

هيَ الحقيقة .. نورُ الدهر طالعها — على العوالم والأحقاب .. لم تُضَم

بها تفجَّر نبعُ العِلم مزدهياً — في موكب الشَّمس يعلو هامةَ السَّلم[1]

من قلبها ضاءَ للإنسان مسلكُه — وسار يفتتح الأكوانَ كلُّ كمى

حتى تطوَّرتِ الأجيالُ وانتقلتْ — في الأرض تعمرُها .. تُغري بفخرهِم

والرُّسْلُ تبعثُ بالتوحيد هاديةً — سُبُلَ السَّلام — وتعظيماً لربِّهم

فسلْ عهوداً مضتْ : موسى وشيعتَه — وصالحاً، وثموداً عبر مجدهم

وسلْ عن القصّة الأُولى لكعبتنا — رمز العقيدة للإنسان والغُنُم

أعْلَى الخليلُ بتمجيدٍ قواعدَها والمسلمين دعاهمْ قادةُ النُّجم

حتى المسيح أتَى يدعو لخالقِه يبشِّر الناسَ بالهادي إلى القيم

محمدٌ سيدُ الكونيْن جاء بها شريعةَ الله بالإسلام والرَّحِم

محمد كامل الأخلاق أبلَغها جَهْراً لأُمَّته بالحرب للسُّدم

يُوحِّد الجهدَ والغايات مثمرة من الإله .. ليحيا القومُ من صمم

وامتدّ بالنُّور للإسلام ألويةٌ شرقاً وغرباً على اسم الله والكَلِم

لهذه قدْ دعا القرآنُ وانتظمتْ آياته معجزاتِ الوحي والقَلَم

أُمُّ اللّغات وأنوارُ البيان بها فالضَّاد أجمل حرفٍ عابِق النَّسَم

فجاء للكلِّ تشريعاً وفاتحةً نحو المعالي وإنسانيَّة العَمَم

دينٌ يضمُّ معاني الخير أجمَعها ويرتقي عن خَطايا النَّفس والتُّخم

هو الحياةُ مع الأخرَى منضَّرةً دينٌ ودنيا .. مرادُ الله للفَهِم

* * *

وراحَ جيشُ أباة الضَّيم منتقلاً عبر الصّحارَى يُداوي النَّفس من وصم

لا الرُّوم والفرسُ والأوثانُ باقية قد زُلزلوا .. وانتهَى الطاعوتُ للعدَم

حتى انتفتْ دولُ الكفَّار وانهزمتْ أحلامُهُمْ وانطَوَوْا في التِّيه بالوَهَم

واشتدَّ حبلُ جنودِ الحقِّ وانتصروا حزماً وعزماً .. برأيٍ غير منقسم

من ها هنا أمرعَ الوجدانُ وانبعثتْ للدين آياتُه العظمَى لكلِّ ظَم

أبطالُنا من (عليٍّ) القدر أو (عمرٍ) حتى (بعثمان) و(الصّدِّيق) في القدم

و(ابنُ الوليدِ) و(حسان) ورُفقته من الصَّحابة قد فازوا بدينِهم

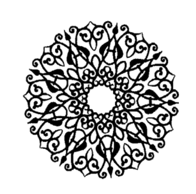
قامُوا حياةً له بالصِّدق يحفِزهمْ لبذل روحٍ وأموالٍ وبذلِ دمِ

(١) السلم : هو السلام

أجدادُنا الصِّيد من أقصى القرون لهمْ ... دُنْيا بَنَوْها بإصرارٍ لقدرهم
السَّابقون بإبداعٍ .. مآثرهُمْ ... تزهو .. وفي كلِّ ميدانٍ بسعيهم
همْ أنشأوا من فنونِ العلم أكملَها ... وخلَّدوا الآثَر الأسمَى بجدِّهم
وأَنتجوا أروعَ الآدابِ وابْتدَعوا ... شادوا مفاخرَنا الكبرَى بعلمهم
في الطبِّ والمُثل العليا .. بخبرتهمْ ... سادوا الوجودَ وما ذلُّوا لمغتَنِم
في كلِّ فنٍّ أجادوا .. وارتقوا قُدماً ... في كلِّ علمٍ .. كرُوَّادٍ لفنِّهم
عِلْم الحياة وتشريعاتُه انْبثقتْ ... للعالمينَ كدستورٍ لحكمهم
عدالةٌ تشملُ الأجناسَ ما اختلفتْ ... تضمُّهم رايةُ الإيمان بالذِّمم
فمَنْ تجافَى عن الإسلام مادَ به ... هولُ المصير إلى ليلاتِه الدُّهم
تلك الحقيقةُ تبدو اليومَ واضحةً ... في عالَمٍ مَرَقُوا عن نور ربِّهم
فملحدونَ ودسَّاسون منهجهمْ ... الكيدُ للدِّين .. والإسرافُ في النِّقم
وعصرُنا اليوم تيَّارٌ يُزعزعُه ... من فتنةِ اللَّهو والأحقاد والتُّهم
أَحرَى بنا أن نعيدَ الأمسَ تذكرةً ... بالوعي يومَ انْطلقنا سادَةَ الأمم
هنا العروبة عاشتْ في جزيرتنا ... على الثقافات والأمجاد والشِّيَم
علَى ثَرَاها جرتْ أدهى معارِكنا ... للفتح والعزِّ .. للإسعاد والحكم
صدَّتْ غزاةَ التَّتار الحمْقِ تسحقهم ... أفنتْ جموعَ الصليبيين بالحِمَم
كانتْ وما برحتْ مهدَ النُّهَى ولها ... في كلِّ معتركٍ جيلٌ من الهمم
في أرضها نَبض الإيمان واشتعلتْ ... آمالُ أمَّتِنا في نهضةِ العلم
نسمو بموطننا الغالي ونرفَعهُ ... إلى مكانتِه العليا .. إلى القمم
أحلَى المواطن إحساساً ومنتجعاً ... هذي الجزيرةُ فخرُ الناس كلِّهم
حقٌّ علينا نُعيد الماضياتِ لها ... من الحضاراتِ والتجديدِ للنِّعم

تعودُ فيها تواريخ الوَرى زُهراً ويصدحُ المجدُ بالتِّذكار في الحَرم
نؤيِّد الدّينَ في أرجائها فبِه تسودُ في العالَم الموبوء بالرِّمم
جزيرةُ العرب جاءتْنا بيقظتِها ودورِها في جهاد الشرِّ والسّقم
وسوف تقضي على (صهيون) عزمتُها وتُرجعُ القدسَ في أحضانها الحُرم
ويرتقي الناسُ آفاقاً مطهَّرةً روحُ الفضيلة يحذوهم لزحفهم
سرُّ الجزيرة يبقَى في تضامننا وتستعيد ذُراها .. قمة الهرم
أفدى بها عُمراً يشتاقُ في ألمٍ أياميَ الغرُّ في حبي وفي نَغَمي

(١) السلم : هو السلام .



صفحات مشرقة

من تراث الحضارة العربية والإسلامية

الأسطول الإسلامي

بقلم : الأستاذ محمد محمد التهامي المليجي

عندما ندقق النظر في تراث الحضارة العربية الإسلامية وآثارها المادية والروحية ، تستوقفنا نواح مجيدة من العلم والمعرفة ،تشهد للعرب بالتفوق والرقي على معاصريهم من أمم كانت لها حضارات على درجة كبيرة من الازدهار . ومن الأمور التي تثير الإعجاب وتستحوذ على التقدير ؛ أن العرب قبل الإسلام بالرغم من نشأتهم فوق أديم الصحراء، وبرغم حياة البداوة التي عاشوها، حيث ألفوا خشونة العيش وقسوة الحياة ، إلا أنهم بعد الإسلام ما لبثوا أن اندفعوا خلف دول سبقتهم في مضمار الحضارة والمدنية بآلاف السنين ، فتبوأوا عروشها واقتعدوا مقعدها ، ولم يكتفوا

بذلك بل فاقوهم في بعض المجالات . وحملوا مشعل الحضارة الإنسانية عبر العصور الوسطى وعلى مدى مئات السنين .

وقد نبع اهتمام المسلمين بالعلوم المختلفة في صدر الإسلام بتأثير من الدين الإسلامي كعقيدة بنّاءة تدعو إلى العلم والمعرفة ، مما أثمر في النهاية نهضة علمية اشتملت على كل العلوم بما يتفق وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف . وأحاطت بجوانب الحياة بهدف خدمة البشرية ، وكان السلف الصالح من علماء الإسلام يبتغي بالعلم والإنتاج الفكري رضا الله سبحانه وتعالى في المقام الأول ، ومن هنا نبع الإتقان المخلص والجاد برغبة صادقة ، مما يظهر بوضوح أثر الدين الإسلامي كأساس للحضارة العربية الإسلامية .

ومن المجالات التي خاضها العرب في صدر الإسلام وتركوا بصماتهم واضحة عليها ، إنشاء الأساطيل البحرية للغزو والجهاد ونشر العقيدة الإسلامية والذود عنها . ولم يثنهم هول ركوب البحر عن تأدية رسالتهم فيه ، فاتخذوا من الأمم التي خضعت لهم وانضوت تحت سلطانهم نواتي وملاّحين وربابنة ومعلمين، وأكثروا من بناء الجواري المنشئات ووسقوها بالعتاد والمقاتلة ، وسيّروها لجهاد أعداء الإسلام ، وصوروا ملوك البر وحماة البحر أحقاباً طويلة . ولم يكتفوا بأن حذقوا ثقافة البحار وفنون الغزو والقتال فيها ، والاتجار على شواطئها وموانيها ، بل ظهر منهم المعلمون المهرة والملاحون الحاذقون من أهل سيراف والبحرين وعمان ، أمثال : **أبي الحسن محمد بن أحمد بن عمر السيرافي ، وأبي الزهر البرختي الناخذاه ، والحسن بن عمر ، ومحمد بن بايشاد ، والربان الشهير عمران الأعرج ، وكذلك أحمد بن ماجد الذي قاد فاسكو دي جاما إلى المحيط الهندي ، ومنه إلى شبه جزيرة الهند** . وصنفوا العديد من المؤلفات في علم الملاحة وفنون البحر ، مثل كتاب (**المترجم بالمدخل الكبير إلى علوم البحر**) الذي ألفه أبو معشر المنجم ونقل عنه المسعودي ، وكتاب (الرهماني في علوم البحر) تأليف محمد بن شادان وغيرهم .

وهناك أيضاً من رجال القرن الرابع الهجري (**العاشر الميلادي**) من ألّف في علم البحار مثل ، أحمد بن بترويه . ولم تكن بحوثهم مقصورة على فنون البحر فقط ، بل صنّفوا في الحروب عامة والبحرية بخاصة . وأفردوا للآلات المستعملة في الحروب البحرية والأدوات الضرورية لركوب البحر العديد من المجلدات ، ولا يزال هناك ما يربو على الألف مخطوط في فنون البحر والقتال البحري حبيسة المكتبات العامة في اسطنبول وباريس ولندن وبرلين وليننجراد وأكسفورد والأسكوريال والقاهرة والرباط ومعهد المخطوطات بالجامعة العربية وغيرها من المكتبات الخاصة[1] .

[illegible] قبل الإسلام

عرف العرب الملاحة والنشاط البحري قبل الإسلام بقصد التجارة ، خاصة وأن طبيعة شبه الجزيرة العربية وموقعها الجغرافي تعد من المؤثرات التي دفعت العرب إلى خوض البحار ومزاولة النشاط البحري ، حيث يحد شبه الجزيرة العربية ساحل طويل من ثلاث جهات يلتف من خليج السويس إلى رأس الخليج العربي ، وتقع على هذه السواحل اليمن وحضرموت وعمان . كما أن الملاحة هيّأت للعرب سبل الاتصال عبر المياه المغلقة في البحر الأحمر والخليج العربي بمركزين من أقدم مراكز الثروة والحضارة في العالم ، وهما مصر وإيران فضلاً عن بلاد ما وراء النهرين التي وصلوا إليها براً وبحراً ، كما اتجهوا إلى شرق أفريقية من الجنوب العربي بحثاً عن سلع المناطق الاستوائية . وهكذا نجد أن الملاحة البحرية في الخليج العربي والبحر الأحمر جعلت العرب يطلّون من كلا جانبي جزيرتهم على طريقين من الطرق التجارية الكبيرة في العالم[2] .

ويستدل من النقوش التي تركتها الشعوب المجاورة على أن سواحل شبه الجزيرة العربية كانت في جميع العصور التاريخية على اتصال بالبلاد الأخرى بحراً ، حيث تذكر النقوش السومرية والأكادية التي ترجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد الصلات البحرية بين بلاد ما بين النهرين وبلاد **دلمون** **(Dilmun)** ولعلها جزر البحرين ،

وماجن **(Magan)** وهي عمان . وفي القرن الثالث قبل الميلاد كان أهل **جرها** **(Grrha)** على ساحل الإحساء ومعظمهم من العرب يقومون بالاتجار مع أرض البخور في جنوب شبه الجزيرة العربية عن طريق القوافل ، كما كانوا يتجرون براً وبحراً مع **مدينة سلوقية** **(Seleucia)** على نهر دجلة . ومن هنا يتضح أنه قد قامت في تلك الفترة التاريخية تجارة بحرية منتظمة من الخليج العربي إلى الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية ، وقام عرب الخليج بدور أساسي في هذه التجارة ، كما أن التجارة البحرية والبرية بين الهند وشبه الجزيرة العربية ومصر كانت في أيدي العرب . وبالإضافة إلى ما جاء في كتب الجغرافيين والمؤرخين القدامى عن ذلك ، فقد عثر في الجيزة على تابوت عليه نقوش بالخط العربي الجنوبي واللهجة المعينية ، مؤرخة بالسنة الثانية والعشرين من (**بطليموس بن بطليموس**) — أي سنة **٢٦٣** ق.م — تذكر أن رجلاً من (معينيا) يسمى زيد (آل زيد) كان يعمل هنا في أحد المعابد المصرية ، وكان يستورد المر والذريرة (قصب الطيب) من بلاده للمعبد ، ويصدر إليها على السفينة التجارية التي يملكها أثواباً جميلة من البز المصري . ولم تقف تجارة العرب البحرية عند نهاية البحر الأحمر ، بل تعدتها إلى البحر الأبيض المتوسط ، فقد عثر في **جزيرة ديلوس** **(Delos)** ببحر إيجه ، والتي تعد من أهم مراكز شرق البحر الأبيض المتوسط التجارية في القرن الثاني قبل الميلاد ، على كثير من النقوش المعينية والسبئية وكلها ابتهالات وتقديس لآلهة عرب الجنوب[٣] .

واضمحلت الصلات التجارية بين العرب والرومان منذ القرن الثالث الميلادي وحتى القرن السادس الميلادي ، ويفهم من كتابات المؤرخين أن الملاحة عند العرب أصابها نوع من الخمول ، كما أن سفنهم التجارية لم يكن لها شأن يذكر في أعالي البحار ، وهذا بطبيعة الحال نتج عن التدهور والإضمحلال السياسي والإقتصادي اللذين أصابا بلاد العرب الجنوبية في القرن السادس الميلادي ، وبخاصة عندما سيطر الأحباش على بلاد اليمن سنة **٥٢٥** م . ونتيجة لعدم الاستقرار والاضطرابات تحول طريق التجارة الشرقية من البحر الأحمر إلى الخليج العربي ، ومنه إلى شط العرب

لتتوقف في (**ثيريدون**) عند مصب نهر الفرات . ومن هناك تحمل على ظهور الأبل حتى سوريا التي كان يسميها الصينيون (تا — تسن) .

وهكذا نرى أن العرب كان لهم نشاط بحري ، وكانت لهم السفن التجارية والحربية قبيل الإسلام على امتداد سواحل شبه الجزيرة . ولكن منذ القرن السادس الميلادي ، وعلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، اضمحل نفوذ عرب الجنوب وانتقلت القوة والحيوية إلى عرب الشمال ، المناذرة المجاورين للدولة الساسانية والغساسنة المتاخمين للدولة البيزنطية . ونتيجة لظروفهم الجغرافية ارتبطت حياتهم بتجارة القوافل القادمة من الجنوب والشرق والمتجهة إلى الشمال والغرب حاملة ثروات أفريقية وآسيا . أما عرب وسط شبه الجزيرة — أي عرب الحجاز — فكانت لهم صلات بحرية وثيقة بالحبشة عبر البحر الأحمر ، بدليل هجرة نفر من أوائل المسلمين إليها ، وإن كان عجز قريش عن مطاردة المهاجرين يدل على أنه لم يكن لديهم سفن خاصة بهم[٤] .

التعريف بالأسطول :

تطلق كلمة أسطول (**والجمع أساطيل**) في اللغة العربية على المراكب الحربية مجتمعة ، وهي كلمة يونانية الأصل كما يفهم من قول المسعودي : « والأسطول كلمة رومية ، سمة للمراكب الحربية المجتمعة »[٥] ، ومن قول ابن خلدون : « وانتهى أسطول الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر إلى مائتي مركب أو نحوها ، وأسطول أفريقية كذلك »[٦] . وقد أورد ابن خلدون أيضاً ما يفيد أن استعمال لفظ « **أسطول** » يطلق للدلالة على السفينة الحربية الواحدة حيث يقول عن دولة المرابطين : « وانتهى عدد أساطيلهم إلى المائة من بلاد العدوتين » — ويقصد ببلاد العدوتين المغرب والأندلس — ويذكر أيضاً عن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في دولة الموحدين « وانتهت أساطيل المسلمين على عهده في الكثرة والاستجادة إلى ما لم تبلغه من قبل »[٧] . كما يذكر نفس المعنى عند حديثه عن صلاح الدين يوسف بن أيوب

عندما قام باسترجاع ثغور الشام من يد أمم النصرانية وتطهير بيت المقدس من رجس الكفر حيث يقول : «تتابعت أساطيلهم الكفرية بالمدد لتلك الثغور من كل ناحية قريبة لبيت المقدس الذي كانوا قد استولوا عليه بالعدد والأقوات . ولم تقاومهم أساطيل الإسكندرية لاستمرار الغلب لهم في الجانب الشرقي من البحر وتعدد أساطيلهم فيه ...»[٨] .

وهناك من المؤرخين المحدثين من يرى رأياً آخر فيما ذهب إليه ابن خلدون من إطلاق لفظ أسطول على السفينة الحربية الواحدة . ويرجح أن المقصود من كلام ابن خلدون هو إطلاق اسم الأسطول على مجموعات السفن الحربية . وليس على سفينة واحدة كما هو ظاهر القول[٩] .

ولأهمية السفن وتجهيزها . يطلق على المكان الذي تعد فيه «الصناعة» يقول المقريزي : «لفظ الصناعة بكسر الصاد مأخوذ من قولك صنعه يصنعه فهو مصنوع ، وصنيع عمله ، واصطنعه اتخذه ، والصناعة ما يستصنع من أمر ، هذا أصل الكلمة من حيث اللغة ، وأما في العرف فالصناعة اسم لمكان قد أعد لإنشاء المراكب البحرية التي يقال لها السفن ، واحدتها سفينة ، وهي بمصر على قسمين نيلية ، وحربية ، فالحربية هي التي تنشأ لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة .... وهذه المراكب الحربية يقال لها الأسطول ، ولا أحسب هذا اللفظ عربياً»[١٠] .

ويذكر «ابن خلدون» أن صناعة إنشاء السفن وإن كانت تعتمد على صنعة النجارة . إلا أنها تعد من الصنائع الهامة التي تحتاج إلى فكر هندسي ومعرفة جيدة بأصول علم الهندسة . ويقول في ذلك : «صناعة إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والدسر . وهي أجرام هندسية صنعت على قالب الحوت ، واعتبار سبحه في الماء بقوادمه وكلكله ليكون ذلك الشكل أهون لها في مصادمة الماء ، وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسمك تحريك الرياح ، وربما أعينت بحركة المقاذيف كما في الأساطيل ، وهذه الصناعة من أصلها محتاجة إلى أصل كبير من الهندسة في جميع

أصنافها . لأن إخراج الصور من القوة إلى الفعل على وجه الإحكام محتاج إلى معرفة التناسب في المقادير إما عموماً أو خصوصاً . وتناسب المقادير لا بد فيه من الرجوع إلى المهندس . ولهذا كان أئمة الهندسة اليونانية كلهم أئمة في هذه الصناعة . فكان « أوقليدس » صاحب كتاب (الأصول الهندسية) نجارا . وبها كان يعرف . وكذلك «أبلونيوس» صاحب كتاب (**المخروطات**) ، و«ميلاوش» وغيرهم . وفيما يقال إن معلم هذه الصناعة في الخليقة هو «نوح» عليه السلام ، وبها أنشأ سفينة النجاة التي كانت بها معجزته عند الطوفان .... وكأنه أول من تعلمها فتفهم أسرار الصنائع في الخليقة »[11] .

لم يكن البحر يركب للغزو في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم . وكذا في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولم يكن للدولة الإسلامية حتى هذا الوقت أسطول حربي ليغزو في البحار ، إذ أنها كانت لا تزال في طور الظهور والتكوين . وتركزت جهودها لنشر الدين الإسلامي . وإن كانت الدولة الإسلامية امتدت وشملت بعض الولايات التي تمتلك أسطولاً ولها نشاط بحري من قبل مثل عمان والبحرين . وقد دفعهم ميلهم إلى ركوب البحر إلى القيام ببعض الغارات البحرية .

وأول من قام بغارة بحرية من شواطئ شبه الجزيرة العربية . هو عثمان بن العاص الثقفي والي البحرين على عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد أبحر من عمان في غارة بحرية جريئة على ساحل الهند حتى وصل إلى (**تانة**) بالقرب من بمباي ، كما اتجه أخوه إلى خور (**الديبل**) عند مصب نهر السند ، وعندما عاد كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلمه بذلك ، فكان رده عليه : «يا أخا ثقيف حملت دوداً على عود ، وأني أحلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم[12] » .

وكان أول من ركب البحر في الإسلام بقصد الغزو والجهاد هو «العلاء بن الحضرمي» رضي الله عنه ، وكان والياً على البحرين في عهدي أبي بكر وعمر رضي

الله عنهما . حيث رغب أن يترك في الأعاجم أثراً يعز الله به الإسلام على يديه فندب أهل البحرين إلى فارس . فبادروا إلى ذلك وفرّقهم أجنادا . جعل على أحدها الجارود بن المعلى . وعلى الثاني سوار بن همام . وعلى الثالث خليد بن المنذر بن ساوى رضي الله عنهم جميعا . وقلد الأخير على عامة الناس — أي بمثابة القائد العام — فحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن الخليفة عمربن الخطاب رضى الله عنه . الذي كان لا يأذن لأحد من المسلمين في ركوب البحر غازياً خشية التغرير بجنوده ، واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته أبي بكر رضي الله عنه . وعبرت تلك الجنود من البحرين متجهة إلى فارس ، فخرجوا في (اصطخر) حيث وجدوا هناك الفرس بقيادة (الهربذ) ، وتمكن الفرس من الحيلولة دون وصول المسلمين إلى سفنهم ، فقام خليد بن المنذر الذي كان يتولى أمر القيادة . وخطب في الناس وقال : «أما بعد — فإن الله تعالى إذا قضى أمراً جرت به المقادير على مطيته . وأن هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم إلى حربهم . وإنما جئتم لمحاربتهم والسفن والأرض بعد الآن لمن غلب . فاستعينوا بالصبر والصلاة . وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين» . فأجابوه للقتال واستعدوا لهم ، وبعد صلاة الظهر ناهزوهم واقتتل الطرفان قتالاً شديداً في (طاوس) فقتل من أهل فارس مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها من قبل ، وخرج المسلمون متجهين إلى البصرة براً حيث أن سفنهم التي قدموا بها كانت قد غرقت ، ولم يجدوا في الرجوع إلى البحر سبيلاً . وتمكن الفرس من أن يسدوا عليهم الطرق . فعسكر المسلمون وتحصنوا . وبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فاشتد غضبه على العلاء بن الحضرمي ، وكتب إليه بعزلة،وتوعده وأمره بأثقل الأشياء عليه ، وأبغض الوجوه إليه بتأمير سعد بن أبي وقاص والي الكوفة عليه . وطلب إليه الانضمام بمن معه من أهل البحرين إلى سعد بن أبي وقاص . كما ندب أيضاً عتبة بن غزوان والي البصرة لمناصرة المسلمين الذين تكالب عليهم أهل فارس ، حيث قام بتجهيز جيش من المسلمين يتكون من اثني عشر ألفاً عاصم بن عمرو ، وعرفجة بن هرثمة ، وحذيفة بن محصن ، ومجراة بن ثور ، ونهار بن الحارث . والترجمان بن فلان . والحصين بن أبي الحرّ . والأحنف بن قيس . وسعد

ابن أبي العرجاء . وعبد الرحمن بن سهل . وصعصعة بن معاوية . وأسند أمر القيادة العامة إلى أبي سبرة بن أبي رهم رضي الله عنهم جميعا . وسار الجيش بحذاء الساحل حتى وصلوا إلى المكان الذي يعسكر فيه جنود المسلمين بقيادة «خليد بن المنذر» وقد فرضت عليهم جنود الفرس الحصار بأعداد كبيرة . وتمكنت جيوش المسلمين من الانتصار عليهم بعد أن اتحدت وقتلت عدداً كبيراً منهم . وعاد المسلمون بالغنائم إلى البصرة . ورجع أهل البحرين إلى منازلهم[١٣] .

وكانت البدايات الأولى للتفكير في إنشاء الأسطول الإسلامي عندما طلب معاوية بن أبي سفيان — وهو يومئذ على جند دمشق — من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يسمح له بالقيام بغزو الروم بحراً وذلك لقربهم من شواطىء الشام . حتى أن أهل قرية من قرى حمص يسمعون نباح كلابهم وصياح دجاجهم . وكاد الخليفة أن يوافق على ذلك ، ولكن جرياً على السياسة الحميدة التي انتهجها المسلمون في التشاور في أمور المسلمين، وبخاصة فيما يتعلق بشئون الدولة العليا، ولم يكن لدى المسلمين في هذا الوقت أسطولٌ يواجهون به الأسطول البيزنطي . لذا وقع اختيار الخليفة على عمرو بن العاص والي مصر ، والتي لها شواطىء على البحر الأبيض المتوسط نفسه مثل الشام ، وطلب إليه أن يصف له البحر وركوب مياهه . وقد جاء رد عمرو بن العاص وصفاً دقيقاً لطبيعة البحر وما يلاقيه فيه المرء من صعاب وشدائد حيث يقول : «**يا أمير المؤمنين ، إني رأيت البحر خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ، ليس إلا السماء والماء ، إن ركد حزّن القلوب ، وإن زل أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة ، هم فيه كدود على عود ، إن مال غرق وإن نجا برق**»[١٤] . ومن هنا ظهر رأيان متعارضان إزاء ركوب البحر ، أحدهما ينادي به معاوية بن أبي سفيان وهو ضرورة بناء أسطول عربي إسلامي لخوض الحرب في البحار ، والثاني ينادي به عمرو بن العاص وهو تجنب المخاطرات البحرية[١٥] . وقد اختار الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرأي الثاني ، وكتب إلى معاوية معنفاً ومتوعداً : «**تا الله لمسلم واحد أحب إلي مما حوته الروم**[١٦] » ، **وكان رائده في ذلك حرصه الشديد على سلامة المسلمين** .

ومثل هذه القصص والروايات التاريخية تظهر مدى تخوف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكراهيته ركوب البحر . ونتج عنها الاعتقاد السائد عند جمهرة المؤرخين المسلمين ومنهم «ابن خلدون» بأن العرب لم يكونوا محبين لركوب البحر . ويستشهد على ذلك بقوله «إن العرب لبداوتهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافته وركوبه»[١٧] ، وفي حقيقة الأمر أن هذا القول خاطئ إذا ما أخذنا به على إطلاقه ، ولا يتفق مع الشواهد التي تتضح من تاريخ الملاحة عند العرب قبل الإسلام . والدور الذي قاموا به في النشاط البحري سواء في البحر الأحمر أو الخليج العربي ، والذي عرضنا له منذ قليل على الصفحات — السابقة .

ويتضح من الروايات التاريخية أن كراهية عمر بن الخطاب رضي الله عنه لركوب البحر . ومنعه المسلمين من ركوبه ومعاقبة كل من يزج بالمسلمين في ركوب البحر للغزو . كما فعل بعجرفة بن هرثمة الازدي سيد بجيلة عندما أغزاه عمان . فبلغه عزوه في البحر فأنكر عليه ذلك وعنّفه لركوبه البحر للغزو[١٨] . وعزله للعلاء بن الحضرمي بسبب عزوه للفرس دون إذنه . هذه التصرفات مرجعها تخوّفه على المسلمين وشدة حرصه على جنود الإسلام ، وألا يصابوا بأي أذى أو مكروه أو يغرر بهم . كما يرجع أيضاً إلى ما اتصف به عمر رضي الله عنه من رويّة ورزانة يستهدي المنطق السليم في كبح جماح قواده عن الغزوات التي قد يبدو له فيها ولو نزر يسير من المخاطرة بأرواح المسلمين . ولم يكن سلوكه هذا مقصورا على الحروب البحرية فحسب . بل كان كذلك بالنسبة للحروب البرية . حيث اعترض على عمرو بن العاص عندما طلب أن يقوم بفتح مصر ، رغم أن طريق الغزو كان براً ، وذلك لشدة حرصه على سلامة المسلمين وخشيته من أن يتسع نطاق الغزو إلى حدود لا يمكنه الدفاع عنها . على حين أنه لم يتوان عن تسيير حملة (**بحرية**) في البحر الأحمر ضد الأحباش ردًّا على هجماتهم على السواحل الغربية . وهذه الشواهد تدل على أنه يسير على سياسة متزنة هدفها تجنّب المخاطرات البحرية لحرصه على أرواح المسلمين[٢٠] .

ومن الأحداث التي تؤيد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم ينه عن ركوب البحر إلا في الأحوال التي يخشى فيها تعرض المسلمين للخطر . في وقت كانت الدولة الإسلامية تضنّ فيه بكل مسلم وتحرص على سلامته . وتدخره لنشر الدعوة الإسلامية وفتح الأمصار ليذكر فيها اسم الله وتقام شعائر الإسلام . من تلك الأحداث موافقته لعمرو بن العاص على إعادة فتح (**قناة تراجان**) من جديد لتصل بين النيل والبحر الأحمر ، لنقل قمح مصر إلى المدينة المنورة بدلاً من سير القوافل عبر الصحراء إلى سيناء وغربي الجزيرة العربية . بالرغم من أن مصر في هذا الوقت (٦٤١ — ٦٤٢ م) لم تكن قد خضعت كلها للعرب . وقد استخدمت القناة فعلاً قبل عام ٦٤٤ م وسارت فيها السفن حاملة القمح إلى ميناء (**الجار**) ميناء المدينة المنورة . ومن جهة أخرى نجد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرفض اقتراح عمرو بن العاص بشق قنات تصل بين بحيرة التمساح والبحر الأبيض المتوسط شمالاً (مثل قناة السويس الحالية) وذلك خوفاً من عبور أساطيل الروم إلى البحر الأحمر واعتراض طريق الحجيج [٢١] .

ولم يكن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أقل حذراً من سلفه الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه . فعندما كتب إليه معاوية بن أبي سفيان يستأذنه في غزو قبرص لقربها وسهولة الأمر فيها . رفض أن يأذن له وكتب إليه : «**شهدت ما ورد عليك من عمر رحمه الله حين استأمرته في غزو البحر**» . ولما ألحّ معاوية في الإذن له بغزو قبرص وكتب إليه ، لم يزل يكرر الطلب على عثمان بن عفان رضي الله عنه ويهوّن عليه ركوب البحر . حتى أجابه إلى طلبه ولكنْ بتحفظ شديد حيث اشترط عليه ألا يجبر أحداً من المسلمين على ركوب البحر . وكتب إليه : «إذا ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذوناً لك وإلا فلا . ولا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم . خيّرهم فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعِنْه [٢٢] » . وقد نفّذ معاوية أمر الخليفة واستعمل على قيادة الأسطول الإسلامي عبدالله بن قيس الحاسي من بني فزارة ، وحمل معه امرأته . وجماعة من الصحابة فيهم : عبادة بن الصامت ومعه زوجته أم حرام ، وأبو

الدرداء ، وشداد بن أوس بن ثابت ، وأبو أيوب خالد الأنصاري ، وأبو ذر الغفاري ، وفضالة بن عبيد الأنصاري ووائلة بن الأسقع الكناني ، وعبدالله بن بشر المازني ، وكعب الحبر بن مانع ، وجبير بن نفير الحضرمي ، وكان ذلك سنة ٢٨ هـ . وأقلع الأسطول الإسلامي من ميناء عكا بمراكب كثيرة متجهاً إلى قبرص وسار إليها أيضاً أسطول إسلامي آخر من مصر بقيادة عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، وتجمّع الأسطولان معاً وتمكنا من السيطرة على قبرص ومصالحة أهلها[٢٣].

ولذلك يعتبر معاوية بن أبي سفيان أول من غزا في البحر الأبيض المتوسط من المسلمين ، وعلى يديه كانت البدايات الأولى لتكوين الأسطول الإسلامي الذي قام بدور بارز في حماية شواطىء الدولة الإسلامية والذود عنها . وزادت أهمية الأسطول الإسلامي نتيجة للهجمات التي يشنها أسطول الروم (**الأسطول البيزنطي**) على الشواطىء الإسلامية على البحر المتوسط ، ولعل من أهمها غزوة ذات الصواري سنة ٣٤ هـ (٦٥٤ م) عندما قدم قسطنطين بن هرقل لمهاجمة الإسكندرية ومعه قرابة الأف مركب ، وقابله والي مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح في مائتي مركب فقط ، وانتصر على أسطول الروم ، وهزم وقتل جنده ، وتعرف هذه الموقعة في المراجع العربية باسم (ذات الصواري) ، لكثرة عدد ساريات السفن التي التحمت في القتال[٢٤] .

وتعددت بعد ذلك المواقع التي غزا فيها الأسطول الإسلامي وأصبح له شأن كبير في الحروب البحرية ، من ذلك أن معاوية بن أبي سفيان أرسل حملة بحرية بقيادة عقبة بن عامر الجهني إلى رودس ، وفي سنة ٥٣ هـ نزل الروم على شواطىء البرلس في إمارة مسلمة بن مخلد الأنصاري ، وخرج إليهم المسمون في البرّ والبحر وتصدُّوا لهم[٢٥] .

زاد اهتمام المسلمين بالأسطول الإسلامي وذلك للقيام بعمليات الغزو البحري لتأمين الحدود الإسلامية ، وبخاصة بعد أن أصبحوا على درجة كبيرة من المهارة

وإتقان فنون الغزو والقتال البحري بعد أن استعانوا بأهالي البلدان الساحلية التي فتحوها في الشام وأفريقية والمغرب والأندلس[٢٦] . وأصبحت الحاجة ماسة لوجود أسطول إسلامي للدفاع عن الأملاك الجديدة التي كسبها المسلمون . حقيقة أنهم ملكوا البر ، ولكن البحر كان لا يزال في قبضة البيزنطيين . وقد أدرك العرب عظم الخَطر الذي قد يتعرضون له من البحر بعد فتح الإسكندرية سنة ٦٤١ م ، فقد استطاعت حملة بحرية بيزنطية سنة ٦٤٥ م أن تُنزل جيشاً إلى أرض مصر وتستعيد الإسكندرية ، واستلزم الأمر قتالاً عنيفاً من جانب المسلمين لإجلائهم وبعدها أمر عمرو بن العاص والي مصر بهدم حصون الإسكندرية ، ولم يكن هذا سوى حلٍّ مؤقت . وقد أدرك معاوية بن أبي سفيان ضعف سلطانه على سواحل سورية أمام قوة الأسطول البيزنطي ، ولذا عمل جاهداً على إنشاء وتنظيم الأسطول البحري ، وأرسل أول حملة بحرية عربية لغزو جزيرة قبرص في البحر الأبيض المتوسط سنة ٦٤٨ م وأمدها بالسفن من الشام ومصر[٢٧] .

وعندما استقرت أمور الدولة الإسلامية وشمخ سلطانها واتسعت رقعتها ، استخدموا النواتية في أغراضهم البحرية من البلدان التي فتحوها ، وبعد أن تكررت ممارسة المسلمين للأعمال الحربية البحرية واتسعت ثقافتهم بأمور البحر ، استعدوا للجهاد والغزو البحري بإنشاء السفن والشواني ، وشحنوا الأساطيل بالرجال والعتاد ، وخصصوا لهذا الغرض مناطق الثغور على ساحل البحر الأبيض المتوسط في الشام وأفريقية والمغرب والأندلس[٢٨] .

حقيقة إن الغزاة العرب الأول كانوا يملكون زمام السيادة في الحروب البرية ، ولذا اتخذوا من المدن الداخلية في الفسطاط ودمشق قواعد للحكم ، ولكنهم أدركوا أن البحر لا يمكن إغفاله . وكان أول من فطن لذلك معاوية بن أبي سفيان . على أن أكثر القواد الآخرين لم يفطنوا لأهمية الجمع بين العمليات الحربية في البر والبحر ، وكان هذا سر نكبة عقبة بن نافع في تقدمه نحو الغرب دون أن تسانده حماية بحرية .

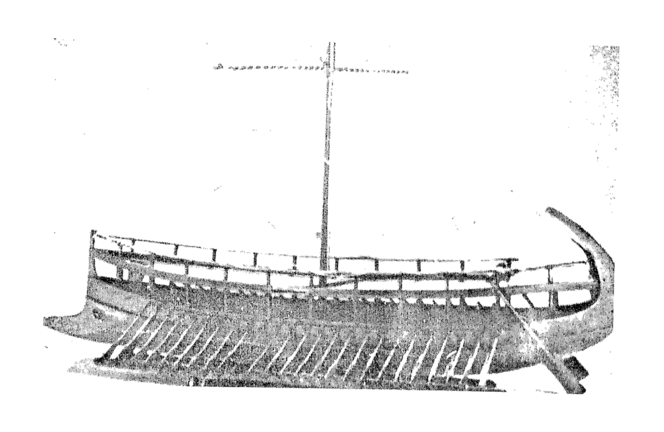
وعلى الرغم من أن موقعة (**ذات الصواري**) ٣٤ هـ — ٦٥٤ م تعد جزءاً من

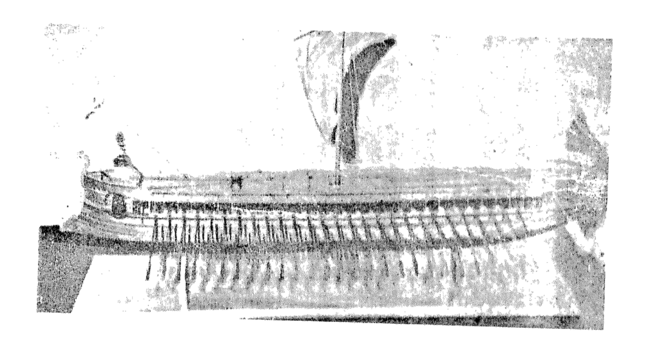
سياسة العرب الدفاعية لتأمين سلامة شواطئهم على البحر الأبيض المتوسط ، إلا أنها جعلت العرب يدركون أنهم قد أصبحوا قوة بحرية لها خطرها ، وأن الموقف الجديد يحتم عليهم الفصل في السيادة على ذلك البحر وانتزاعه نهائياً من قبضة الروم .

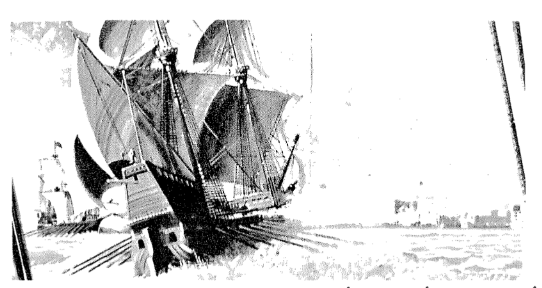
وعندما استتب الأمر لمعاوية وتولى الخلافة ، أدرك بثاقب نظره أن القسطنطينية هي التي تمد جزر شرق البحر الأبيض المتوسط بالقوات والعتاد ، وتشجع أهلها على شن الغارات على ساحل مصر والشام ، ولذا بدأ معاوية سياسته بتقوية الثغور البحرية وشحنها بالجند المدربين على ركوب البحر . كما وجّه اهتماماً خاصاً إلى دور الصناعة لعمل السفن الحربية والأسلحة وغيرها من المراكب الخاصة بنقل المؤن والعتاد (٢٩) .

وسار خلفاء معاوية من بني أمية على نهج البيزنطيين في إنشاء الأساطيل والاهتمام بها ، فقد قام عبد الملك بن مروان بالإيعاز إلى حسان بن النعمان — والي أفريقية — بإنشاء قاعدة للأسطول البحري الإسلامي في قرطاجنة ، وإعداد الآلات والمعدات الحربية اللازمة للأسطول ، وأرسل لتنفيذ ذلك ألف صانع مصري من بناة السفن بأسرهم . على أن موسى بن نصير اختار لبناء القاعدة موقعاً على بحيرة بعيدا عن الشاطىء بعض الشيء ، ثم وصلها عن طريق إنشاء قناة . وهكذا أقيمت في تونس قاعدة أمينة للأسطول العربي الإسلامي ، أضيفت للقواعد القديمة في مصر وسورية . وفهم موسى بن نصير أهمية حماية خطوط مواصلاته البرية بعمليات بحرية فقدّر له النجاح حيث أخفق عقبة بن نافع من قبل . وتمكن المسلمون من العبور إلى الأندلس ومنه إلى جنوبي فرنسا ، ودخل بذلك ما يقرب من ثلثي سواحل البحر الأبيض المتوسط تحت سيطرة الأسطول الإسلامي (٣٠) .

بعد أن اتسعت حدود الدولة الإسلامية وامتدت رقعتها ، وانضوى تحت سيطرتها ما يزيد عن ثلثي سواحل البحر الأبيض المتوسط ، تكوّنت المراكز الرئيسية للأسطول الإسلامي في الثغور الممتدة من أقصى الشرق في سوريا والشام ، مروراً





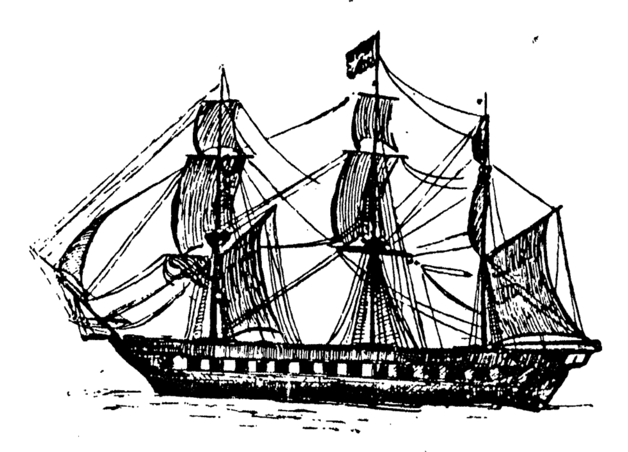


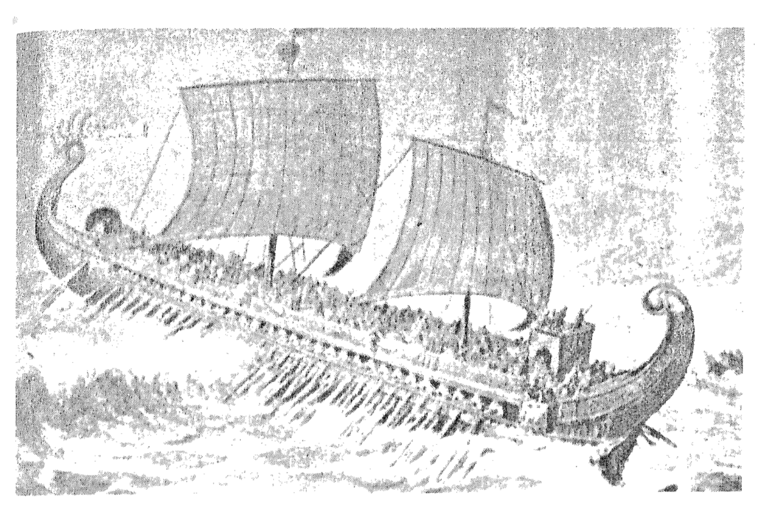
بأفريقيا وحتى الأندلس في أقصى الشمال الغربي ، وخضعت لسيطرة الدولة الإسلامية . وتمكن الأسطول الإسلامي من فرض سيطرته على البحر الأبيض المتوسط من معظم جوانبه ، وعظمت صولته وسلطانه ، وقام المسلمون بفتح سائر الجزر والتي من أهمها : ميورقة ، ومنورقة ، ويابسة ، وسردانية ، وصقلية ، وقوصرة ، ومالطة وأقريطش (كريت) وقبرص ، وغيرها ، وملأت سفن الأسطول الإسلامي بسيط هذا البحر عدداً وعُدّة ، واختلفت في طرقه سلماً وحرباً[٣١] .

وكان أول انتصار بحري إسلامي يعتد به ، وقوع صقلية في قبضة المسلمين على الرغم من كفاح البيزنطيين المرير للحيلولة دون ذلك . وللقوى البحرية الإسلامية في القرن الرابع الهجري (١٠م) ثلاثة مراكز رئيسية :

القاعدة الأولى في الشرق في كريت وسورية ومصر ، **والقاعدة الثانية** في الوسط وتشمل المغرب وصقلية ، أما **القاعدة الثالثة** فكانت في الأندلس[٣٢] . ولعل المركزين الأخيرين سواء في المغرب أو الأندلس ، حافَظَا على تفوقهما البحري نتيجة للاهتمام بالأسطول الإسلامي مما جعل الجانب الغربي من البحر الأبيض المتوسط موفور الأساطيل ، ثابت القوة ، يخشاه الأعداء حتى القرن السادس الهجري (١٢م)[٣٣] .

وحظي الأسطول الإسلامي بالأندلس باهتمام كبير في عهد الدولة الأموية (١٣٨ ـــ ٤٢٢ هـ/ ٧٥٦ ـــ ١٠٣١ م) وذلك رغبة منهم في حماية شواطئهم الطويلة من غارات الأعداء ؛ فقد قام عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦) ٢٣٨ هـ) بإنشاء دار لصناعة السفن وإعداد الأسطول البحري الحربي في أشبيلية سنة ٢٣٠ هـ وأمدها بالآلات والنفط(٣٤) . وانتشرت دور صناعة السفن في عدة أماكن على سواحل الأندلس ، حيث أقيمت في طرطوشة سنة ٢٣٣ هـ(٣٥) ، كما اشتهرت دانية بشرق الأندلس بصنع السفن الكبيرة والشواني(٣٦) ، والتي تعتبر من أهم القطع الحربية الكبيرة التي يتكون منها الأسطول الإسلامي ، وتستعمل لحمل المقاتلة ، وكانوا يقيمون عليها الأبراج والقلاع للدفاع والهجوم(٣٧) . أما مدينة المرية فكانت قاعدة للأسطول الحربي والتجاري الأندلسي ، وكذلك مدينة مالقة(٣٨) .





ويعتبر الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ — ٣٥٠هـ) المؤسس الحقيقي للأسطول الإسلامي في الأندلس ، حيث عمل على تقويته وتجهيزه بإقامة العديد من دور صناعة السفن في الجزيرة الخضراء ، **ومدينة شلطيش (Saltes)** غربي إشبيلية . ومدينة بلنسية[٣٩] . وزادت قطع الأسطول الحربي الأندلسي في عهد ولده الخليفة الحكم المستنصر بالله (٣٥٠ — ٣٦٦هـ)[٤٠] .

أما أفريقية والمغرب فقد عملت على زيادة قوة أساطيلها الحربية لحماية شواطئها وبخاصة عندما ضعف شأن الأسطول في الشام ومصر . وعندما قويت دولة الموحدين في القرن السادس الهجري ، عملت على تنظيم وتقوية الأسطول الإسلامي في

المغرب ، وبلغ درجة من القوة لم يصلها الأسطول الإسلامي من قبل . وهذا مما حدَا بصلاح الدين الأيوبي أن يستعين بهم في حروبه ضد الصليبيين(٤١) .

وتكون الأسطول الإسلامي من أشكال وأنواع متعددة من السفن الحربية مثل : الشواني . والبوارج . والمسطحات ، والحراقات ، والطرائد ، والقراقير والفلائك والقوارب والشلندريات ، والأغربة والجفون . وأهم هذه القطع « الشيني » التي تعتبر من أكبر السفن وأكثرها استعمالاً(٤٢) .

بعد أن تعددت الاعتداءات على سواحل وثغور الدولة الإسلامية من جانب أسطول الروم (**البيزنطي**) ، دعت الحاجة إلى الاهتمام بأمر الأسطول للوقوف في وجه الروم وردعهم . وحَظي الأسطول الإسلامي بعناية الدولة الإسلامية حيث أنشأت الشواني وغيرها من السفن الحربية برسم الأسطول ، كما بذلت المزيد من الاهتمام بالمقاتلين فخصصت الأرزاق لغزاة البحر ، كما هي لغزاة البر ، وانتدبت للقتال خيرة الرماة ، واختير القواد المهرة في فنون الحرب والقتال ، وكان لا ينزل في رجال الأسطول غشيم ولا جاهل بأمور الحرب ، وزادت حرمة ومكانة المقاتلين في الأسطول الحربي . مما قوّى الرغبة لدى الكثيرين في الانضمام إلى صفوفهم ويسعون إلى ذلك بشتى الوسائل لجهاد أعداء الله وإقامة دينه(٤٣) .

ونتيجة لاهتمام المسلمين بالأسطول وتزويده بالعتاد والمعدات الحربية ، والتمرس بفنون القتال البحري ، ومعرفة أساليب المعارك البحرية ، تمكّن الأسطول الإسلامي من فرض سيطرته على البحر الأبيض المتوسط من جميع جوانبه ، وعظمت مقدرة وسلطان المسلمين فيه . ولم يكن للدولة البيزنطية المناوئة لهم قِبل بأساطيلهم . واستطاع المسلمون فتح سائر الجزر المنقطعة في البحر الأبيض المتوسط ، كما تمكن الأسطول الإسلامي من التغلب على لجّة هذا البحر وملأت بسيطه عدة وعدداً . واختلفت في طرقه سلماً وحرباً ، وأجبرت الأسطول البيزنطي على أن يقبع في الجانب

الشمالي الشرقي من سواحل البحر الأبيض المتوسط لا حول له ولا قوة[٤٤]

ومنذ أن أغار الأسطول الإسلامي على صقلية سنة ٨٢٧م، ثم استولى على كريت ، انتهى بذلك عهد العجز عن تحدي الأمبراطورية البيزنطية وأسطولها الحربي العتيد . وانتقلت السيطرة على البحر الأبيض المتوسط إلى المسلمين الذين انتشروا على طول امتداد الشواطىء الجنوبية لذلك البحر من جبال طوروس شرقاً ، حتى جبال البرانس غرباً .

وقصارى القول أنه لم يأت القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) إلا وقد انتقلت السيادة الكاملة على البحر الأبيض المتوسط للأسطول الإسلامي ، الذي بلغ أوج قوته في تلك الفترة ، وانتقلت إليه السيادة والسيطرة على المعارك الحربية البحرية ، وأجبر الأسطول البيزنطي على الانكماش في الجانب الشمالي الشرقي من حوض البحر الأبيض المتوسط ، وظلت بيزنطة في موقع المُدَافِع[٤٥] .

هذه بعض الصفحات المشرقة من تراث حضارتنا الإسلامية التي تلقى الضوء على جوانب من نشأة الأسطول الإسلامي ، الذي قام بدور بارز في صد أعداء الإسلام والذود عن حرمة دين الله الحنيف ، والوقوف في وجه المعتدين على الثغور الإسلامية .

وبفضل اهتمام المسلمين بأمر الأسطول وتطويره وتزويده بالأسلحة والعتاد ، والمقاتلين المدربين ، والقواد المهرة ، تحقق له النجاح والتفوّق والانتصار ، وفرض سيادته على البحر الأبيض المتوسط ، كما فرض سيطرته على شواطئه الجنوبية ، وأجبر الأسطول البيزنطي العتيد على أن يقبع مخذولاً ، وانتقلت الغلبة والتفوق والسيادة إلى الأسطول الإسلامي قرابة ستة قرون من الزمان قدّم خلالها للعالم العديد من المخترعات البحرية مثل الأسطرلاب ، وغيره من فنون البحر المختلفة .

١ ــماهر (دكتورة/سعاد) : البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، القاهرة ١٩٦٧ م .
٢ ــالنخيلي (دكتور/درويش) : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، ط٢ مصر ١٩٧٩ م .
٣ ــابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : المقدمة ، نشر دار العودة ، بيروت (بدون تاريخ) .
٤ ــالعبادى (دكتور/ أحمد مختار) : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ط١ ، الإسكندرية ١٩٦٨ م .
٥ ــالمقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ــ المعروف بالخطط المقريزية ، جزءان ، بيروت (بدون تاريخ) .
٦ ــلويس (أرشيبالد . ى) : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، القاهرة ، (بدون تاريخ) .
٧ ــمؤنس (دكتور/ حسين) : غارات النورمانديين على الأندلس ، مقالة بالمجلة التاريخية المصرية ، العدد الأول ، المجلد الثاني ، مايو ١٩٤٩ م .
٨ ــالحميري (أبو عبدالله محمد بن عبد المنعم) : صفة جزيرة الأندلس (منتخب من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق أ. ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ م .
٩ ــ الحموي (ياسين): تاريخ الأسطول العربي ، دمشق ١٣٦٤ هـ ــ ١٩٤٥ م .
١٠ــ القلقشندي (أبو العباس أحمد) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ٥ ، المطبعة الأميرية ١٣٣١ هـ/ ١٩١٣ م .

١١ ـ الحجي (عبد الرحمن علي) : الحضارة الإسلامية في الأندلس . ط١ . بيروت ١٣٨٩ هـ .

١٢ ـ ابن الخطيب (لسان الدين) : أعمال الإعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، (المنشور تحت اسم تاريخ أسبانيا الإسلامية) . تحقيق أ. ليفي بروفنسال . ط٢ ، بيروت ١٩٥٦م .

١٣ ـ البرقوقي (السيد عبد الرحمن) : حضارة العرب في الأندلس . مصر ١٣٤١ هـ — ١٩٢٣م .

١٤ — Provencal (Levi) : Inscription Arabes D'Espagne, Paris, 1931.

(١) ماهر (الدكتور/ سعاد) : البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، نشر وزارة الثقافة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥ .
(٣) نفس المرجع السابق ، ص ٥٦ — ٥٩ .
(٤) نفس المرجع ، ص ٦١ ، ٦٢ .
(٥) أنظر : النخيلي (د/ درويش) : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، ط٢ ، دار المعارف. بمصر ١٩٧٩م ، ص٢ .
(٦) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : المقدمة ، نشر دار العودة ، بيروت (بدون تاريخ) ، ص ٢٠٠ .
(٧) المصدر السابق . ص ٢٠١ .
(٨) نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .
(٩) أنظر : العبادي (د/ أحمد مختار) : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ط١ ، الإسكندرسة ١٩٦٨م ، ص ٣٣٣ .
(١٠) المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار — المعروف بالخطط المقرزية ، جزءان ، نشر دار صادر بيروت (بدون تاريخ) ، ص ١٨٩ .
(١١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٢٦ .
(١٢) ماهر (دكتورة/ سعاد) : البحرية في مصر الإسلامية ، ص ٦٢ .
(١٣) المقريزي : الخطط ، ج٢ ص ١٨٩) ١٩٠ .
(١٤) المصدر السابق ، ص ١٩٠ .
(١٥) ماهر (دكتورة /سعاد) : البحرية في مصر الإسلامية ، ٦٤ — ٦٥ .
(١٦) المقريزي : نفس المصدر ، ص ١٩٠ .
(١٧) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠٠ .

(١٨) نفس المصدر السابق والصفحة.
(١٩) المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ١٨٩ .
(٢٠) ماهر (دكتورة/ سعاد) : البحرية في مصر الإسلامية، ص ٦٤ — ٦٥ .
(٢١) نفس المرجع السابق : ص ٦٦ — ٦٧ .
(٢٢) المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ١٩٠ .
(٢٣) ماهر (دكتورة/ سعاد) : البحرية في مصر الإسلامية ، ص ٦٧ .
(٢٤) المقريزي : الخطط — ج٢ ، ص ١٩٠ .
(٢٥) نفس المصدر والصفحة .
(٢٦) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠٠ .
(٢٧) لويس (أرشيبالد.ى) : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية (بدون تاريخ) ، ص ٨٩ — ٩٠ .
(٢٨) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠٠ .
(٢٩) ماهر (دكتورة/ سعاد) : البحرية في مصر الإسلامية ، ص ٨٤ — ٨٥ .
(٣٠) لويس أرشيبالد.ى) : القوى البحرية، ص ٢٠ — ٢١ .
(٣١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠١ .
(٣٢) لويس (أرشيبالد.ى) : نفس المرجع ، ص ٢٧ — ٢٨ .
(٣٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠١ .
(٣٤) مؤنس (د/ حسين) : غارات النورمانديين على الأندلس ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الأول ، المجلد الثاني ، مايو ١٩٤٩ ، ص ٤١ — ٤٢ .
(٣٥) Provencal (Levi) : Inscription Arabes D'Espagne, Paris, 1931.
(٣٦) الحميري (أبو عبدالله محمد بن عبد المنعم) : صفة جزيرة الأندلس ، تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٧٦ .
(٣٧) الحموي (ياسين) : تاريخ الأسطول العربي ، دمشق ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥م ، ص ٢٩ — ٣٠ .
(٣٨) القلقشندي (أبو العباس أحمد) : صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ج٥ ، ص ٢١٨ .
(٣٩) الحجي (د/عبد الرحمن علي) : الحضارة الإسلامية في الأندلس ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩م ، ص ٤٧ .
(٤٠) ابن الخطيب (لسان الدين) : أعمال الإعلام — المنشور باسم تاريخ أسبانيا الإسلامية — نشر وتحقيق ليفي بروفنسال ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٥٦ ، ص ٤١ — ٤٢ .
(٤١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠٢ .
(٤٢) البرقوقي (السيد عبد الرحمن) : حضارة العرب في الأندلس ، مصر ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٣م ، ص ١٦٥ ، ١٦٧ .
(٤٣) المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ١٩١ .
(٤٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠٠ — ٢٠١ .
(٤٥) لويس (أرشيبالد.ى): القوى البحرية ، ص ٢١١ .

الطب النفسى ...

فى التراث الإسلامى

بقلم : د. عبدالرحمن محمد العيسوي

لقد ساعدت حركة ترجمة التراث اليوناني إلى العربية إلى بقاء هذا التراث ونقله إلى العالم عن طريق هذه الترجمات ، كما ساعدت على تطويره على أيدي العلماء العرب فلقد استطاعت العقلية العربية أن تنقل هذا التراث ثم تمثله تمثيلاً جيدًا ثم تتفاعل وإياه وتمزجه بالتراث الإسلامي .

ولقد كان الأطباء علماء مهرة ومعلمين ممتازين ، وعلاوة على ذلك ، كانت لهم حاسة إكلينيكية مرهفة ، وقدرة على الملاحظة الدقيقة مما ساعدهم على اكتشاف عدد كبير من الأمراض ، كما ساهموا في مجال التشخيص والعلاج . وكما يقول الدكتور صبري جرجس عن دورهم في الطب النفسي « وهم أيضًا في ميدان الطب النفسي قد حققوا الكثير في وقت كانت الاضطرابات الطبية النفسية قد انفصلت عن الطب تمامًا ودخلت في نطاق السحر والشعوذة » . وهناك كثير من الإسهامات التي لايتسع

المجال لسردها . ويتسم الطب العقلي العربي بالتحرر من مفاهيم السحر والجان التي سادت العالم في ذلك الوقت بل امتياز منهجه بالدقة والموضوعية والاعتماد على الملاحظة . في الوقت الذي كان المرض النفسي يعزي إلى مس من الجن أو الشياطين . ومما يدل على اهتمام العرب بالطب النفسي أنهم أفردوا أقسامًا خاصة للأمراض النفسية والعقلية ضمن المستشفيات العامة التي انشأوها .

فلقد ذكر المقريزي أن أول مستشفى تم تأسيسه في الإسلام هو المستشفى التي أنشأها الوليد ابن عبد الملك الخليفة الأموي عام ٧٠٦ م ، وأن أول مستشفى أنشيء في مصر هو المستشفى العتيق الذي أقامه **أحمد بن طولون عام ٨٧٣ م** وكان يضم اقسامًا للأمراض المختلفة من بينها الاضطرابات الطبية النفسية وكان يطلق على هذه المستشفيات المرستان أي المكان المخصص للمرضى ، ثم اقتصر استخدام المرستان على المستشفى العقلي وحده وكان هناك اقسام للرجال وأخرى للنساء كل على حدة ، وكان العلاج يعطى بالمجان دون مقابل . ولقد بلغ اهتمام أحمد ابن طولون بالمستشفى العتيق الذي انشأه أن كان يزوره يوميًا ، وكانت المستشفيات الكبيرة تستخدم لأغراض تعليمية إلى جانب الأغراض العلاجية .

وفي عام ١٢٤٨ م أنشأ الملك المنصوري قلاوون المستشفى المنصوري الكبير أو المارستان المنصوري الكبير في مصر. وكان به أربع مساحات كبيرة يوجد بوسط كل منها نافورة مياه جميلة ، وكان المستشفى المنصوري يضم أقسامًا خاصة بكل مرض وبها قاعات واسعة للمحاضرات وعيادة خارجية وكان بها قسم لزيارة المرضى في منازلهم وبها مكتبة طبية كبيرة . وتاريخ مستشفى قلاوون يعكس الظروف الاجتماعية والاقتصادية لمصر حيث الازدهار واستقدام أعظم أطباء العالم وتقديم أرقى الخدمات الطبية ، ثم الهبوط والتدهور وهكذا تعكس الخدمة الطبية الظروف الاجتماعية السائدة في المجتمع ، فكلما ارتقى المجتمع ارتقى مستوى مايقدمه من خدمات طبية ، ومن الجدير بالتقدير أن العلاج الترفيهي عرف منذ القرن الثالث عشر كجزء مكمل

للعلاج . وكان يشتمل على الموسيقى وقص الروايات والمشاهد التمثيلية ويشبه هذا مايعرف الآن باسم السيكودراما . وفي العهد العثماني عانى الطب ماعاناه كافة مظاهر الحياة في مصر من الركود والعقم والجمود ، مما جعل المرضى يهجرون مستشفى قلاوون ماعدا مرضى الأمراض العقلية .

وفي أثناء الحملة الفرنسية على مصر وصف بركانب (كبير الأطباء الفرنسيين الذين وفدوا مع الحملة إلى مصر) وصف مستشفى قلاوون وصفًا محزنًا وذلك في عام ١٧٩٨ م .

فبينما كانت سعة المستشفى مائة سرير لم يكن به سوى ٢٧ مريضًا ، و١٤ مريضًا عقليًا منهم سبعة من الذكور وسبعة من الإناث . وكان مرضى العقل في حالة سيئة للغاية من حيث سوء التغذية وضعف الصحة والقذارة والإهمال ، وكانوا مكبلين بالأغلال والسلاسل والمقاعد ،أو إلى الجدران فلا يستطيعون الحراك إلا في أضيق الحدود . وكان من بين حالات المرضى حالات إكتئاب وخبل الشيخوخة . ومن المؤسف أن كان من بين هؤلاء ــ المرضى حالة لفتاة لم تكن مريضة على وجه الإطلاق وإنما تم حجزها في المستشفى بدافع من الحقد والانتقام منها .

وفي عام ١٨٥٦ م أصبحت الحياة متعذرة داخل المستشفى فتم نقل المرضى إلى مستشفى عسكرى تم تحويله بعد ذلك إلى مستشفى مدنى بالقرب من « بركة » الأزبكية أي حديقة الأزبكية الآن.، ثم نقلوا بعد ذلك إلى مكان يشبه الملجأ في المكان المعروف باسم ورشة الجوخ بحي بولاق بالقاهرة .

وفي عام ١٨٨٠ م تم نقل المرضى إلى مقرهم الحالي بمستشفى الأمراض العقلية بالعباسية بالقاهرة[١] . ولم يصل إلينا إلا القليل عن العرب في الجاهلية فيما يتعلق بعرّافيهم وأطبائهم وطرق العلاج بالسحر والشعوذة أو الطب بالعقاقير أو العض أو الكي ومن علومهم في الجاهلية الكهانة وهي عبارة عن التنبؤ بالأحداث قبل وقوعها ، وعلم الفراسة وهو التعرف على الاشياء الخفية من الأشياء الظاهرة . ومن

علومهم أيضًا العزائم وتشبه التنويم المغناطيسي الآن وعلوم السحر والطلاسم والتمائم والتنجيم والفأل والعرافة . ولقد عرفوا أيضا العلاج التجريبي وكان لهم أطباء وطبيبات منهن زينب طبيبة بني أود،وكانت متخصصة في أمراض العيون ومن أطباء الجاهلية الحارث بن كلدة الثقفي وهو من الطائف وتعلم فنون الطب وكان يعزف على العود ، ولقد عاش حتى بعد ظهور الاسلام ، وله كتاب مشهور أورد أحاديثه الطبية مع كسرى أنوشروان ملك الفرس عن الصحة والمرض والعلاج وكذلك دميان وكرسم . وهناك رشيد الدين أبو خليفة الطبيب الصيدلي الذي عاش معظم حياته في مصر. ومن مؤلفاته «المختار في الألف عقار» .

لقد كان خالد بن يزيد بن معاوية يشجع على التأليف والترجمة ولقد زهد في الخلافة واهتم بدراسة الكيمياء والصيدلة والطب والفلك وأنشأ أول خزانة للكتب .
واشتهر كثير من التراجمة منهم من اهتم بنقل التراث الطبي قبل يحيي بن البطريق ، وجورجيس بن بختيشوع ، ويوحنا بن ماسويه ، ومنهم أيضا **قسطا بن لوقا البعلبكي وحنين بن اسحاق واسحاق بن حنين ، وعيسى بن يحيي وثابت بن قرة الحراني ، وابن يونس وسنان .**

ولقد أنشئت المستشفيات منذ عهد الوليد بن عبدالملك . وفي العصر العباسي تم إنشاء الكثير من المستشفيات ، وكان يخصص جزء من كل مستشفى لتدريس العلوم الطبية والصيدلية . ولعلماء الإسلام فضل السبق في كثير من مجالات الطب النفسي والعقلي سبقوا فيها المفكرين الغربيين ، واهتدوا إلى استخدام المنهج العلمى القائم على أساس المشاهدة أو المعاينة والملاحظة والتجربة والقياس والاستدلال المنطقي .

الـرازي :

ومن اشهر الأمثلة **أبو بكر محمد بن زكريا الرازي «ولد سنة ٨٤١ — ٩٢٥ م»** وهو في نظر كثير من مؤرخي الطب العربي أكثر الأطباء العرب أصالة وابتكارًا وكان

الرازي يصف الأمراض وصفًا لايقل دقة عن وصف أبقراط . ونتيجة لمهارته أصبح كبير أطباء المستشفى العضدي الكبير ببغداد . ويروي ابن أبي أصيبعة المؤرخ الطبي المشهور في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» أن الخليفة العباسي استشار الرازي في اختيار المكان الذي تقام عليه المستشفى ، كذلك يؤكد ابن جلجل في كتابه «طبقات الأطباء الحكماء» أن — مؤلفات الرازي الطبية تصل إلى ٢٥٠ كتابًا ومن أشهرها كتابه «الحاوي» في الطب ويتألف من ١٢ جزءًا وهو عبارة عن موسوعة طبية اشتملت على كافة فروع الطب المعروفة في عهده .

ويبدو إيمانه بالدور الذي يستطيع أن يلعبه العلاج النفسي في حصول شفاء المريض أنه كان يشجع الأطباء على بث روح الأمل في الشفاء وفي نفوس مرضاهم حتى وان كانوا هم انفسهم أي الاطباء قليلي الأمل في ذلك الشفاء ، لما كان يعتقده من تأثير للنفس على البدن . وتكشف هذه الحقيقة عن مدى إيمان الرازي بفكرة الإيحاء في تحقيق الشفاء وهي من الحقائق الهامة في العلاج الطبي النفسي الحديث . إذ يعتمد العلاج النفسي الحديث على عامل الإيحاء في تخليص المريض من كثير من آلامه أو مشاعره كالشعور بالنقص وخاصة مرضى الهستيريا الذين يلعب الإيحاء دورًا أساسيًا في شفائهم . ويمكن اعتبار الرازي طبيبًا نفسيًا معالجًا ماهرًا ، وتبدو هذه المهارة في علاجه لحالة أحد ملوك السامانيين من مرض في مفاصله طال بقاؤه حتى أدى إلى قعود المريض . فأرسل في طلب الرازي لعلاج هذه الحالة فرفض الرازي لمشقة السفر والوصول إلى هذا الملك فأرسل إليه الملك من استدعاه عنوة وقسرا . فحاول الرازي علاجه فلم يفلح . فابتكر طريقة فريدة مؤداها أنه ذهب معه إلى الحمام ، وصب عليه ماء فاترًا ، وأسقاه شرابًا بعد أن ذاقه هو ، وأبقاه فترة من الوقت لإعطاء الأخلاط الفرصة لكي تعمل في أجزاء جسمه ومنها مفاصله ، ثم أخذ يوجه إلى الملك كثيرًا من عبارات السب والقذف أثارت غضبه وهياجه ، واستمر الرازي يوجه هذه الإهانات حتى دفع الغضب الملك إلى النهوض على ركبتيه وهو في مكانه . ولكن الرازي استمر في السب بل أخرج له سكيناً وهو ماض في سبابه واضطر الملك

إلى النهوض وقد احتواه الخوف والغضب فلما رأى الرازي ذلك فر هاربًا من الحمام . ولكن الملك كان قد شفي واستطاع أن يخرج من الحمام سائرًا على قدميه . ثم أدرك بعد هذه الواقعة الحكمة من وراء سلوك الرازي هذا .... وتشبه هذه الطريقة في علاج المرضى العلاج بالصدمات الكهربائية في الوقت الحاضر ومن الحالات الطريفة التي نجح الرازي في علاجها حالة جارية من جواري ملك السامانيين وكانت قد تقوست قامتها ، فلم تستطع انتصابها اطلاقًا ولقد طلب هذا الملك من الرازي علاجها . فلم يشأ أن يستعمل معها الأدوية والعقاقير ، وإنما لجأ إلى أسلوب نفسي صرف بأن أمر أن تخلع عنها ثيابها حتى تنكشف عورتها ، ولقد احتواها الخجل عندما بدأ الجواري في خلع ثيابها عنها ، وفي أثناء مقاومتها لهن انتصبت قامتها وهبت سليمة ، ومعنى ذلك أن الرازي قد أدرك مانسميه اليوم بالأمراض الوظيفية .

وأبو بكر محمد زكريا الرازي ولد بالريِّ بالقرب من طهران ، وقضى جزءًا من حياته في بلاد فارس ثم رحل إلى بغداد طلبًا للعلم فقرأ كتب أبقراط وجالينوس ، وحكماء الهنود والفلسفة . وهؤلاء لاشك من أعظم أطباء القرون الوسطى ، وهو في نظر الكثيرين أبو الطب العربي ، وهو حجة الطب في أوربا حتى القرن السابع عشر الميلادي . وكتابه الشهير في الطب المسمى «المنصوري» أهداه للمنصور أمير خراسان ، ولقد ترجمه إلى اللاتينية جيرار الكريموني . وظل هذا المرجع يدرس في جامعات أوربا حتى القرن السادس عشر . وفي رسالته «الجدري والحصبة» استطاع أن يفرق بين تشخيص هذين المرضين المتشابهين. ولقد طبعت هذه الرسالة باللغة الانجليزية اربعين مرة ، مما يؤكد أهميتها وينسب إليه اختراع خيوط الجراحة المصنوعة من الجلود الحيوانية . ومن مؤلفاته كذلك «من لايحضره الطبيب» ومن آراء الرازي التي تدخل ضمن الإرشاد الطبي في الوقت الحاضر أنه إذا كان في استطاعتك أن نعالج نفسك بالغذاء فابتعد عن الدواء ، وإذا استطعت العلاج بدواء مفرد فتجنب الدواء المركب ، وهي فكرة لايزال يؤخذ بها حتى الآن من حيث الاعتماد على المصادر الطبيعية في استجلاب العناصر اللازمة لغذاء الإنسان وفي عدم الإكثار

من تعاطي الادوية . ولقد أدرك الرازي أثر الموسيقى على نفوس مرضاه في حصول الشفاء وهذا اتجاه حديث في العلاج النفسي يعرف حاليًا باسم العلاج عن طريق الموسيقى ، حيث يعزف أمام المرضى قطع موسيقية يطلب منهم تفسيرها .

من أشهر علماء الطب الإسلامي ابن سينا وهو **أبو علي حسين بن عبدالله بن سينا (٣٧١ — ٤٢٩ هـ) (٩٨٠— ١٠٣٧ م) ويعد من أعلام الطب العربي ويلقب باسم المعلم الثالث للإنسانية بعد أرسطو والفارابي ، ويلقب أيضًا بالشيخ الرئيس ولد في مدينة صغيرة بالقرب من بخارى ببلاد فارس وكان طبيبًا وشاعرًا وفيلسوفًا ووزيرًا وكان يعالج المرضى بلا مقابل** . ويقال إن مؤلفاته بلغت المائة في الطب والفلسفة وشتى ضروب المعرفة المعروفة في عهده . ومن أشهر مؤلفاته وكتبه الطبية « القانون » وهو موسوعة طبية كبيرة ولقد ظل القانون مرجعًا أساسيًا في الجامعات الأوربية حتى القرن السادس عشر ويتحدث فيه عما يمكن تسميته الآن بعلم وظائف الأعضاء ، وعلم الأمراض وعلم الصحة ومعالجة الأمراض وعلم الأدوية والتشريح . ولقد طبع القانون ١٥ طبعة ولقد أفرد فصلاً في القانون تحدث فيه عن العشق . ولقد صنف ابن سيناء العشق في باب الأمراض العصبية والعقلية مع الهوس والإكتئاب والأرق والخمول ... إلخ ، وكان ابن سينا يعتبر العشق نوعًا من الوسواس أي مايعرف الآن بوجود فكرة أو افكار سخيفة تهبط على ذهن الفرد تؤرقه وتقلق مضاجعه وتستبد به ولا يستطيع منها فكاكا أو التخلص منها أو طردها عن ذهنه . كذلك يصاحب الوسواس حالة من الشك الشديد في كل الحقائق المحيطة بالفرد مع شعور بتوقع الخطر والشر في كل مايذهب إليه . ولقد اعتمد ابن سينا في تشخيص العشق على ملاحظة الاضطراب الذي يحدث للبعض . وكان ابن سينا ينصح للشفاء من علة العشق بالنوم والاهتمام بالتغذية وإلهاء المريض عن معشوقته وصرفه عنها وتوجيهه إلى أنشطة أخرى وأمور وأهتمامات أخرى ويشبه هذا المنهج مايعرف الآن باسم منهج الإعلاء أو التسامي

بدوافع الفرد وغرائزه ورغباته العدوانية والحيوانية الفجة ، التسامي بها إلى القنوات الشرعية والإيجابية والنافعة التي تمتص فائض طاقته ووقته والتي تبنى عقله وتصقل شخيته وتنمي قدراته واستعداداته ، والتي تفيد أيضًا المجتمع . ومن ذلك الأنشطة الرياضية والكشفية والعلمية والثقافية والاشتراك في مشروعات الخدمة العامة كأسبوع المرور أو النظافة أو محو الأمية ، ويقترب منهجه في إلهاء المريض ، وخلق مجالات أخرى من الاهتمامات مما يعرف اليوم باسم العلاج السلوكي وتغيير العادات السلوكية الغير مرغوب فيها عن طريق تكوين عادات أخرى بديلة ونافعة لتحل محل العادات السلبية .ومعنى ذلك أن الشيخ الرئيس قد اتبع منهجًا متعدد الجوانب في شفاء مرضاه نفسيًا ولم يقتصر على منهج واحد محدود . وفكرة الجمع بين أكثر من منهج علاجي من الأفكار الحديثة .

ومما يروى عن براعة الشيخ الرئيس في العلاج وابتكاره مايناسب كل حالة مايروى عنه في علاج حالة مريض كان يعاني من الاكتئاب وكان هذا المريض يعتقد أنه « بقرة » وكان يطلب بكل الحاح أن يذبح لتوفير وجبة دسمة من لحمه . فأقدم عليه الشيخ الرئيس ممسكا بسكين في يده وأعلن استعداده للقيام بعملية الذبح . وهب لذبح المريض ، ولكنه أظهر نوعاً من التردد ، وقال للمريض إنه يراه وقد وصل إلى حالة من الضعف والهزال ولايصلح لحمه بهذه الصورة لإعداد الوجبة المطلوبة وأنه لابد له لتحقيق ذلك من ان يسمن بعض الشيء . فوافق المريض على هذا الرأي وأقبل على تناول الطعام . فلما تحسنت صحته وامتلأ جسمه زال عنه هذا الاعتقاد بأنه بقرة وتمّ شفاؤه . وتعكس هذه الفكرة ترابط الصحة الجسمية بالصحة العقلية . ولقد بلغت مهارة ابن سينا في العلاج أنه كان يعتمد على التشخيص وجمع الأعراض التي يشكو منها المريض ومعرفة العلامات وهي التي يلاحظها الطبيب على المريض . وتلك العلامات التي تدل على الحالة الباطنة . والأمراض يستدل عليها استدلالاً من أعراضها وعلاماتها ومن سؤال المريض نفسه . والعرض في نظره يتبع المرض . وفي نظره أن العرض قد يصبح سببًا في مرض آخر . وكان يهتم بعلاج المرض

لأن العرض يتبعها المرض . فإن كان شديدًا تناوله بالعلاج . وكانت نظرة ابن سينا نظرة شاملة إذ ينظر إلى المرض وظروفه الاجتماعية ومقدار شدة المرض أو كثافته وسن المريض وجنسه وقوة المريض والمرحلة التي يجتازها المرض هل هو في الابتداء ام الوسط ام في النهاية . وكان يوصي باستخدام أبسط المعالجات أولاً فإن لم تصلح استخدم الأكثر تعقيدًا . ولم يكن يعتمد على دواء واحد فتألفه الطبيعة ويضيع أثره ومعظم أفكار ابن سينا لاتزال تعيش معنا في القرن العشرين . ولم يكن ابن سينا يستخدم دواء ماقبل أن يجرب أثره قبل دخوله الأبدان ، ويستدل على أثره عن طريق معرفة طعم الدواء ولونه ورائحته وسرعة تأثيره . وكان يستدل بالبول والبراز والبصق وكان يعتبر النبض رسولاً لايكذب يكشف عن اشياء خفية كحركة القلب .

ولابن سينا أيضًا «الأرجوزة في الطب» وتحتوي على ١٣٣٤ بيتًا من الشعر في الطب . وله في النفس القصيدة الشهيرة التي مطلعها :

هبطت إليك من المحل الأرفع — ورقاء ذات تعزز وتمنع

الكندي :

ومن ألمع أطباء العرب الكندي ، **وهو أبو يوسف يعقوب الكندي ٧٩٦ — ٨٧٣ م . ولقد ولد الكندي بالكوفة في سنة ١٨٥ هـ .** وكان أبوه أمير على الكوفة . وهو من قبيلة كنده وسمي فيلسوف العرب . ودرس في البصرة واشتهر في علوم الطب والفلسفة والمنطق والرياضيات من حساب وهندسة . ومارس نشاطه العلمي والفلسفي في بغداد بالعراق في عهد المأمون . ولقد عهد إليه المأمون ترجمة كتب أرسطوطاليس. وكان الكندي مهندسًا بارعًا ، وله ٢٢ مؤلفا في الطب و٧ في الموسيقى و٥ في علم النفس و٩ في المنطق . ولقد استفاد العرب من الموسيقى في تأثيرها على المرضى ومن ذلك كتابات الكندي وخاصة كتابه في «تأليف النغم الدالة على طبائع الأشخاص العالية وتشابه التأليف» وللكندي كثير من الكتب الطبية من ذلك مايلي :

١ — في الطب البقراطي .
٢ — في الغذاء والدواء والمهلك .
٣ — في الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء .
٤ — في الأدوية المشفية من الروائح المؤذية .
٥ — في كيفية استعمال الادوية وانجذاب الاخلاط .
٦ — في علة نفث الدم .
٧ — في أشفية السموم .
٨ — في تدبير الأصحاء .
٩ — في نفس العضو الرئيسى من الإنسان والإبانه عن الألباب .
١٠ — في كيفية الدفاع .
١١ — في علة الجذام واشفيته .
١٢ — في عضة الكلبى والكلب .
١٣ — في الأعراض الحادثة بين البلغم وعلة الموت الفجأة .
١٤ — في وجع المعدة والنقرس .
١٥ — إلى رجل في علة شكاهاإليه .
١٦ — في أقسام الحميات .
١٧ — في علاج الطحال الجاس من الأعراض السوداوية .
١٨ — في أجساد الحيوان إذا فسدت .
١٩ — في قدر منفعة صناعة الطب .
٢٠ — في صنعة أطعمة من غير عناصرها .
٢١ — في تغير الأطعمة .

وواضح أن هذه الرسائل تشتمل على مجموعة كبيرة من الموضوعات الطبية الهامة .

أما عن اهتمام الكندي بالأمور النفسية فمن ذلك رسائله الآتية :

١ ـــ في أن النفس جوهر بسيط غير مرئي مؤثر في الأجسام .
٢ ـــ في مائية الإنسان والعضو والرئيسي منه .
٣ ـــ في حيز اجتماع الفلاسفة على الرموزالعشقية .
٤ ـــ فيما للنفس ذكره وهي في عالم العقل قبل كونها في عالم الحس .
٥ ـــ في علة النوم والرؤيا وما ترمز به النفس .

ومن آراء الكندي في النفس . أن النفس بسيطة ، ذات شرف وكمال ، عظيمة الشأن ، جوهرها من جوهر الباري عز وجل كقياس ضياء الشمس من الشمس .. وفي هذا تجريد للنفس كجوهر مستقل عن البدن ، فالإنسان في نظره مركب من نفس وبدن . ويرى الكندي أن النفس لاتنام بدليل أنها ترى في النوم عجائب الأحلام ، وللكندي رسالة عن النوم والرؤيا . وكان يرى أن النوم عبارة عن ترك استعمال النفس للحواس فلانشم أو نسمع من غير مرض عارض . وسبب النوم عند القدامى ببرد الدماغ وابتلاله وأن الإكثار من الطعام الرطب والبارد يدعو إلى استرخاء الحواس . ومن الممكن اجتذاب النوم بالإرادة بتوفير الجو الملائم له من سكون الحركة والبعد عن الجلبة وإطباق الإبصار والإظلام وإبعاد الأصوات . ومما يجلب النوم الاستغراق في التفكير والانكباب على النظر في كتاب ، كذلك فإن التعب الشديد يجلب النوم .

ويرجع الكندي الرؤيا إلى قوة متوسطة من قوى النفس بين العقل والحس هي « المصورة » وهي التى تدرك الأشياء المحسوسة بلامادة وفي غيبة المحسوسات والمصورة لاتتقيد بالمحسوس ففي استطاعتها أن تركب صورة خيالية مما نراه في الرؤيا .

وله في موضوع الرؤيا موضوعات أربعة هي :

١ ـــ التنبؤ بالمستقبل أو الرؤيا العديمة .
٢ ـــ الرؤيا الرمزية التي تحتاج إلى تأويل .

٣ ـــ رؤية الأشياء من أضرارها .
٤ ـــ رؤية أشياء في النوم فلا تقع ولا نجد لها تأويلاً وهي أضغاث أحلام .[٢]

البيروني :

من علماء الطب الإسلامي كذلك البيروني وهو أبو الريحان محمد بن أحمد الفلكي ، ولد بضاحية من ضواحي خوارزم . زار الأقطار العربية وعاش لفترة طويلة في بلاد الهند . ومن مؤلفاته في الطب والصيدلة وكتابه «**الصيدلة في الطب**» وكانت بينه وبين ابن سينا علاقات وثيقة . ومن مؤلفاته «الآثار الباقية من القرون الخالية» ٩٧٣ ـــ ١٠٤٨ .

حنين ابن اسحاق :

وهو من أشهر اطباء العرب ، وهو حنين بن اسحاق القباري (١٩٤ ـــ٢٦٥ هـ) الذي ولد بالجزيرة وله كتب في العين والمسائل في الطب وله ٤٧ كتابًا آخر في الطب أيضًا .

الطـــبري :

ومن علماء الطب العربي أيضًا علي بن سهل بن رين الطبري . (٧٧٠ م ـــ ٨٥٠) ومن كتبه الطبية «**فردوس الحكمة**» الذي يتحدث فيه عن كيفية استخدام الادوية والفصد والحجامة ـــ (**الحجامة أي المداواة والمعالجة بالحجم وهي عبارة عن آلة تشبه الكأس يفرغ من الهواء ويوضع على الجلد فيحدث بينهما ويجذب الدم أو المادة بقوة**) ـــ والغذاء الصحي وقواعد اكتساب الصحة . ومن مؤلفاته كذلك «تحفة الملوك» وكتاب «منافع الأدوية والأطعمة والعقاقير» والطبري طبيب نسطوري عاش في طبرستان حيث عمل كاتبًا للسلطان مازيارين قارن . واعتنق الطبري الإسلام نحو عام ٨٥٥ م .

هو **أبو القاسم خلف بن عباس ١٠٣٠ — ١١٠٦ ، الزهراوي الأندلسي** وهو من كبار الجراحين العرب ، ويطلق عليه كذلك الأنصاري « وولد بالزهراء بالقرب من قرطبة بالأندلس وعاش وتوفي هناك . وهو من أشهر المؤلفين في علم الجراحة من المسلمين . وقد مارس الطب في قرطبة في عهد عبد الرحمن الثالث وله الفضل في اختراع آلات جراحية كثيرة ، ومن مؤلفاته « **المقالة في عمل اليد على فن الجراحة** » و« **التصريف لمن عجز عن التأليف** » .

السمرقندي

ومن أعلام الطب عند العرب أيضًا وهو نجيب الدين أبو حامد محمد بن علي بن عمر السمرقندي . وهو من معاصري الرازي ومن أشهر علماء الطب النفسي عند العرب . وإليه يرجع وصف كثير من الحالات النفسية وصفًا دقيقًا من ذلك وصف حالات القلق الاجتراري والشك والوسواس القهري ، وكذلك نوع من الاضطراب العقلي الذي يصاحب سن اليأس والاضطهاد وغير ذلك من اضطرابات الحكم والتي تتضمن بعض مظاهر السلوك السيكوباتي وحالات من الاكتئاب . وإن لم يكن قد اهتدى إلى وضع هذه المسميات عليها . ويقصد بالسلوك السيكوباتي الانحراف عن القيم والمعايير الاجتماعية والبعد عن القيم الخلقية وفقدان الشعور بالذنب أو اللوم أو تأنيب الضمير. ومن مؤلفاته « الأسباب والعلاقات في الطب » جمع فيه العلل واساليب معالجتها .

المجوسي :

ومن علماء الطب العربي المجوس وهو علي بن العباس المجوس المولود في القرن العاشر الميلادي ، وله كتاب في الطب اسمه «كامل الصناعة في الطب» يتحدث فيه

عن جميع المعارف الطبية عند العرب في ذلك الوقت . كما يتحدث عن الأخرجة والطبائع والأخلاط والتشريح والهواء والرياضة والحمام والاغذية وأسباب الامراض وأعراضها وعلاماتها كما يتحدث عن العلاج والمداواة والصيدلة .

٥٢٩ — ٦٠١ هـ/١١٣٤ — ١٢٠٤ م .

هو أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي ولد في قرطبة عام ١١٣٤ م ورحل إلى مصر ودرس الطب ، ودخل في خدمة صلاح الدين الأيوبي . وجعله الملك الأفضل طبيبًا خاصًا له . ومن مؤلفاته في الطب النفسي «الرسالة الافضلية» ويتناول فيها الحالات النفسية وتقويتها . ودفن ابن ميمون في طبرية حسب رغبته في فلسطين ، وهو فيلسوف يهودي هاجر من الأندلس وأقام في القاهرة ومارس الطب وأصبح طبيب صلاح الدين الأيوبي . ومن مؤلفاته «دلالة الحائرين» .

ابن البيطار :

هو عبدالله بن أحمد ضياء الدين الاندلسي المالقي العشاب . ولد في أسبانيا — ٥٧٥ — ٦٤٦ هـ/١١٩٧ — ١٢٤٨ م . توفى ١٢٤٨ م ويعتبر إمام النباتيين وشيخ علماء الاعشاب ، ولد في مالقة ولقد تجول في شمال أفريقيا لدراسة النبات وأصبح رئيس العشابين في مصر . ولقد توفي في دمشق . ومن مؤلفاته «الجامع لمفردات الأدوية والاغذية» و«المغني في الأدوية المفردة» ووصل ابن البيطار إلى مصر والتحق بخدمة الملك الكامل الأيوبي ، وظل في خدمة ابنه الملك الصالح نجم الدين حيث انتقل إلى الاقامة في سوريا ودرس الأعشاب بها . ويوصف بأنه الطبيب الحاذق .

كوهين العطار :

هو أبو المنى ابن ابى النصر العطار الاسرائيلي الهاروني ، عاش في مصر في غضون

القرن الثالث عشر الميلادي ، وله كتاب اسمه «منهاج الدكان ودستور الأعيان» .

داود الأنطاكي

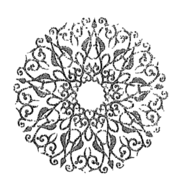
وهو الشيخ داود الأنطاكي الذي ولد بأنطاكية في القرن العاشر الهجري . وكان يلقب بالطبيب الحاذق الوحيد ، ولقد درس الطب العلاجي والوصفات ومن مؤلفاته الشهيرة «تذكرة أولي الألباب» و«الجامع للعجب العجاب» ويعرف باسم «تذكرة داود الأنطاكي» توفي عام ١٥٩٩ م وكان عالما بالطب والأدب وكان ضريرًا وأقام في القاهرة وتوفي في مكة .

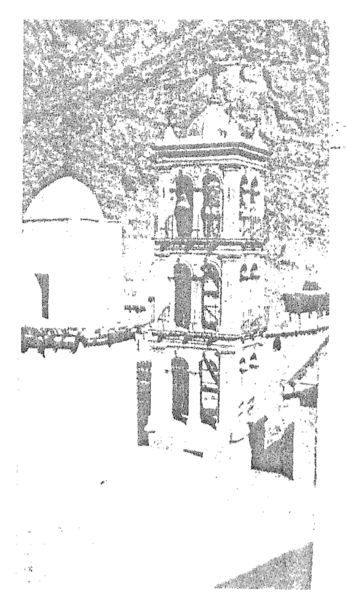
. . . .

* الهوامش :

(١) د. صبري جرجس ، من الفراعنة إلى عصر الذرة : سطور في قصة الصحة النفسية في مصر ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ م .

(٢) د. أحمد فؤاد الأهواني ، الكندي فيلسوف العرب ، أعلام العرب ، وزارة الثقافة .





صورة تجمع بين مئذنة المسجد وبرج أجراس الكنيسة

الوثائق العثمانية بدير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء

دراسة تاريخية

د. محمد محمود السروجي

في أواخر عام ١٩٦٣ قامت جامعة الإسكندرية بالاشتراك مع جامعتي متشجان وبرنستون بالولايات المتحدة الأمريكية بدراسات أثرية وفنية وتاريخية لمحتويات دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء في نطاق التعاون العلمي .

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي تعاونت فيها جامعة الإسكندرية مع الجامعات والهيئات العلمية الأمريكية بهذا الخصوص ، بل إن هذا التعاون تمتد جذورة إلى عام ١٩٥٠ ، حيث وفدت بعثة أمريكية — في الفترة من يناير إلى يونية ١٩٥٠ — مؤلفة من ممثلين عن مكتبة الكونجرس الأمريكي وبعض الهيئات الأمريكية المهتمة بالدراسات والأبحاث الشرقية ، واستطاعت أن تصور جميع الوثائق المحفوظة بمكتبة

الدير ، وكذلك مايقرب من نصف عدد المخطوطات . وسلمت مكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية نسخة مصورة (ميكروفيلم) منها .

بني هذا الدير في عهد **الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ـــ٥٦٥م) على الطراز البيزنطي** ، وعلى شكل قلعة من قلاع العصور الوسطى ، ليتفرغ فيه الرهبان لعبادتهم في مأمن من العربان الذين كانوا يتعرضون لهم قبل بناء الدير .

ويتجلى في بنائه الفن البيزنطي بجماله وروعته ، وأهم مايحتويه الدير مجموعة الأيقونات التي لا يوجد لها مثيل في العالم ، بالإضافة إلى آلاف المخطوطات والوثائق والأواني والكئوس والتيجان والصلبان المصنوعة من الذهب المطعمة بالأحجار الكريمة .

قمت بزيارتي للدير في خلال شهر أكتوبر من نفس السنة ، لأقوم بدوري في تلك الدراسات .

وإذا كان رهبان دير سانت كاترين قد لَقُوا عناية وحماية من **الإمبراطور البيزنطي جستنيان** أثناء خضوع مصر لحكم بيزنطة ، فان العرب بعد فتحهم مصر عاملوا أهل الذِّمة وفق تعاليم الاسلام السمحة ، فسمحوا لهم بأن يؤدوا شعائرهم الدينية في حرية تامة دون ماتدخل من قبل الحاكمين أو الأهالي .

بل لقد ذهبوا في حرصهم على رعاية مصالح هؤلاء ـــ وبخاصة رجال الدين منهم ـــ إلى حد الإبقاء على ماكانوا يتمتعون به من امتيازات في ظل الحكم البيزنطي ، وزادوا عليها .

كانت هذه هي سياسة العرب المسلمين في كل الأمصار التي فتحوها ، ولم تكن قاصرة على مصر دون سواها . وفي ظل الحكم العربي ، وفي رحاب الاسلام ، تمتع رجال الدين من أهل الذمة بكل احترام وتقدير ، فقدمت لهم التسهيلات اللازمة لمباشرة نشاطهم دون ماضغط أو إكراه ، وبسطت عليهم كل الرعاية والحماية .

ويستند رهبان الدير على «**العهدة النبوية الشريفة**»[1] . أي العهد الذي وجهه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . إلى كافة النصارى وإلى الأمة الاسلامية . ومنها مصر ، بحماية أرواح وممتلكات النصارى ، وتحريرهم من كل خوف في مباشرة شعائرهم الدينية وفق تعاليمهم .

وبانتشار المسيحية في مصر انتشرت معها ظاهرة بناء الأديرة المختلفة في الفيافي والقفار ، على امتداد الصحاري المصرية في الشرق والغرب وفي شبه جزيرة سيناء . ووجدت السلطات الحاكمة في مصر نفسها مسئولة عن توفير الأمن والطمأنينة لهؤلاء الرهبان في تلك البقاع الموحشة ، وأن تعمل على تنظيم العلاقة بينهم وبين جيرانهم من العُربان ، بما يكفل لهم الراحة وهدوء البال ، والتفرغ للعبادة .

أشرنا من قبل إلى اختيار **الإمبراطور جستنيان** لهذه المنطقة النائية من شبه جزيرة سيناء ، والبعيدة كل البعد عن مظاهر العمران ، لبناء الدير ، ونظراً لهذه الاعتبارات كان حفظ أمن وسلام الدير وساكنيه من أهم ماشغل بال السلطات المصرية الحاكمة . بل **والإمبراطور جستنيان** نفسه . فعندما تعددت شكوى الرهبان من اعتداءات العربان عليهم ، ومضايقتهم لزوّار الدير ، أرسل الإمبراطور مائة أسرة برجالها ونسائها وأطفالها من بيزنطة ، وأمر حاكم مصر أن يُعدّ مائة أسرة مماثلة من مصر ، لتقيم هذه الأسر على بعد ثمانية أميال من الدير . على أن تكون مهمتها الأساسية حراسة الدير ورهبانه ، وكذلك القيام على خدمتهم . وقد أطلق على هؤلاء اسم «**عبيد الدير**» أو «**صبيان الدير**»[2] .

وبفتح العرب لمصر . وبانتشار الاسلام في ربوعها . دخل هؤلاء العبيد في الدين الجديد . وظلوا مع ذلك يمارسون مهمتهم في حراسة ورعاية وخدمة الدير .

ولكن بمرور الوقت . تذكر المصادر أن هؤلاء العبيد قد نشبت بينهم العديد من المشاحنات . ترك معظمهم على أثرها شبه جزيرة سيناء . واتجهوا صوب الشام ، ومن بقي منهم أصبح عاجزاً حتى عن حماية نفسه[3] من العربان .

وأخذت الشكوى من تعديات العربان على الدير تعود إلى الظهور من جديد في عهود الفاطميين والأيوبيين والمماليك ، ولهذا فقد توالت المراسيم من حكام مصر . بضرورة مراعاة حقوق الرهبان التي تمتعوا بها من أقدم العصور وإنذار المخالفين[٤] .

وعندما استولى العثمانيون على مصر في عام ١٥١٧ ، ساروا على سياسة التسامح الديني التي اتبعها أسلافهم ، ويقال إن رهبان دير سانت كاترين عندما عرضوا على السلطان سليم الأول (**العهدة النبوية الشريفة**) ، «فرح بها أكثر من تملكه لمدينه القاهرة[٥] » وأبقى على ماكانوا يتمتعون به من امتيازات منذ الفتح العربي لمصر .

بل إن الدارس لتاريخ الحكم العثماني للولايات التي خضعت لسيطرتهم ، يتبين بوضوح مدى ماكانت تتمتع به الولايات المسيحية من امتيازات يحسدها عليها الولايات العربية .

ويجب أن أقرر حقيقة — قبل أن أدخل في تفاصيل هذا الموضوع — لمستها خلال دراستي لهذه الوثائق[٦] ، وبعض المخطوطات ، وهى أن معظمها — ان لم يكن كلها في مختلف عصور التاريخ — تدور حول موضوع واحد ، هو علاقة رهبان الدير بالعربان أو بالحكومة .

ومن ثمة فان مهمة الباحث — سواء رضى بذلك أم لم يرض — محصورة في هذا المحيط الضيق ، ومقصورة على هذا الموضوع دون سواه . فمهما حاول الخروج من هذه الحلقة المضروبة حوله ، فان جهوده لن تكلل بالنجاح ، ويجد نفسه في النهاية يعود من حيث بدأ . وبناء عليه فان موضوع البحث يكاد يفرض نفسه عليّ فرضاً ، دون أن يكون لي حق الاختيار .

ومن العقبات التي تواجه الباحث في هذا الموضوع أن معظم الوثائق مكتوبة بلغة هي مزيج من العربية ولغة البدو ؛ ومليئة بالأخطاء الهجائية والنحوية . كما أن أغلب الوثائق تكاد تكون صورة مكررة لبعضها البعض ، بألفاظها ، وعباراتها ،

وموضوعاتها . ويترتب على ذلك ضياع جهد الباحث فيما لاطائل تحته ، ولا فائدة منه ، فان أي عدد من هذه الوثائق كاف وحده لإلقاء الضوء على هذا الموضوع .

وإذا تناولنا الموضوعات التي كانت مثار شكوى الرهبان ، يمكن إجمالها في النقاط التالية :

أولاً : نظراً للهدوء الشامل الذي يخيم على منطقة الدير ، ونظراً لطبيعة الرهبان الهادئة الساكنة ، فان أي إقلاق لراحتهم — وهي التي عبّروا عنها في وثائقهم بلفظ « **التشويش** » — تسبب لهم إزعاجا شديداً . ومن ثمة كثرت شكاواهم من تشويش البَدْو عليهم . وقلما تخلو وثيقة من الوثائق التي أشرنا إليها من وجود هذه الكلمة .

وفي أحد هذه الفرمانات يشدد السلطان العثماني على المسئولين في مصر وشبه جزيرة سيناء « بمنع العربان من الدخول إلي ديارهم والتشويش عليهم »[٧] .

وقد حددت الاتفاقيات التي أبرمت بين ممثلي الرهبان ومشايخ القبائل لتنظيم العلاقة بين الطرفين ، نوع العقوبات التي توقع على كل بدوي يرتكب عملاً من شأنه إلحاق ضرر بالدير وبساكنيه . فعقوبة التشويش هي أن يقدم مرتكبها جمَلاً إلى شيخ القبيلة كغرامة جزاء فعلته ، « وأنه متى مدّ أحد[٨] يده من العربان إلى راهب وأخذ منه شيئًا أو شوَّش عليه ان كان في طريق أم في موضع غيره كان عليه إلى شيخ العرب جمل[٩] » .

بل لقد ذهبت الوثيقة في معاقبة مقترفي التشويش إلى حد أن « من يحصل منه الجريمة أو « اذًا » (أذى) أو تشويش على الدير المذكور أو على رهبانه المقيمين به والمترددين إليه من زوار المسلمين والنصارى وحُبس بسبب ذلك ومات في الحبس ليس لهم على الرهبان طلب[١٠] »، أي ليس لذويه على الرهبان دية .

ثانياً : أحلّت الاتفاقيات التي أبرمت بين الجانبين دم كل من تعرض من البدو للدير بقصد تدميره أو تخريبه ، دون أن يكون على الرهبان أي لوم أو تثريب[١١] .

ولحماية أرواح هؤلاء الرهبان فقد أبيح لهم استخدام أفراد مسلحين للدفاع عن أنفسهم ضد المعتدين ، وأعطي لهم الحق في إطلاق النار عليهم وقتلهم اذا مادعت الضرورة لذلك ، نظراً لأن تعاليم الدين المسيحي تأبى على هؤلاء الرهبان حمل السلاح[١٢] .

ثالثًا : أُجري خصر لكل أنواع المخالفات مثار الشكوى ، والتي اعتبرها الرهبان اعتداءً على حقوقهم ، ووضعت لها عقوبات مختلفة تتراوح بين الغرامة العينية والنقدية والحبس . واتفق الطرفان على احترامها .

والغرامة العينية غالبا ما تكون من الإبل ، وتتفق مع مقدار الجُرْم ، وتتراوح عادة بين جمل واحد وخمسة جمال .

أما في حالة قتل أحد الرهبان عمدًا ، فعلى القاتل أن يقدم لشيخ العرب فدية ألف دينار من الذهب[١٣] .

كذلك شددت العقوبة على كل من تُسوِّل له نفسه من العربان أن يقتل أحد زوار الدير من المسلمين أو النصارى . وإذا ماحدث ذلك ، كان على شيخ العرب إحضار الجاني وتقديم ألف دينار من الذهب إلى ديوان الذخيرة[١٤] .

وعندما كان يضيق الرهبان ذرعا بتلك المضايقات ، يلجأون إلى التهديد بهجر الدير وإغلاقه . وكان هذا التهديد يُزعج — بطبيعة الحال — رجال القبائل الذين كانوا يرتزقون من وجود الدير بين ظهرانيهم . ومن ثمة كان يُهرع مشايخ القبائل إلى استرضاء الرهبان[١٥] قائلين : «لا يارهبان نحن مانرضاه ولا نريد في خراب الدير والبلاد وكرومنا» .

ويمكننا أن نقسم الضمانات التي منحتها السلطات العثمانية والمصرية لرهبان الدير إلى قسمين :

القسم الأول: ضمانات تختص بإقرار العلاقة بين هؤلاء الرهبان والقبائل البدوية

الضاربة في شبه جزيرة سيناء ، وخصوصًا تلك التي تحيط بالدير أو القريبة من البساتين التابعة له .

القسم الثاني : ويتعلق بتنظيم علاقة رهبان الدير بالسلطات الحاكمة .

فإذا تناولنا القسم الأول من الضمانات ، نجد أن المسئولين الحكوميين في شبه الجزيرة كانوا يتدخلون كطرف ثالث في كل اتفاق يبرم بين الجانبين لتنظيم المعاملات فيما بينهما ، وليكونوا ضامنين ورقباء على تنفيذه وتطبيقه .

ومما تجدر الاشارة إليه أن هذه الاتفاقيات والمعاهدات ، أو ماتسميه بعض المخطوطات باسم «شورة» أو «شورى» أو «شورة عظيمة» إذا حضرها كبار مشايخ القبائل[١٦] ، تعد بالعشرات ، وجميعها تكاد تكون صورة مكررة لسابقتها .

ويرجع السبب الأساسي — من وجهة نظري — في كثرة[١٧] عددها أنه كلما جدّ حادث معين يمس مصالح الرهبان من بعيد أو قريب ، رفعوا عقيرتهم بالشكوى إلى حاكم الطور وإلى السلطان العثماني طالبين رفع الضيم عنهم .

وفي هذه الظروف يقوم الحاكم بعقد اجتماع يضم مندوبي الرهبان ومشايخ القبائل الضاربة بشبه الجزيرة ، وعرض موضع الشكوى على بساط البحث . وكثيرًا ماكان مندوبو الرهبان يتقدمون إلى الحاكم بما تحت أيديهم من فرمانات متعددة تؤيد وجهة نظرهم ، وتثبت حقوقهم المتوارثة ، وتبين الامتيازات التي يتمتعون بها . ولا ينفض المجلس قبل أن يوقِّع مندوبو الطرفين على اتفاقية جديدة تؤكد الاتفاقيات القديمة وتدعمها .

ويبدو لي أن هذه المنازعات ، أو المضايقات بمعنى أصح مثار الشكوى ، كانت أتفه من أن يعقد لها مجلس وتبرم بشأنها اتفاقيات . فيكفي أن ينزل العقاب بمرتكبيها دونما ضجة أو جلبة . ولكن حاكم الطور كان يرمي من وراء عقد تلك المجالس تحقيق أكثر من هدف في وقت واحد . إذ كان يخشى من اتهامه بالتقصير إذا لم

يتحرك على الفور ويبدي اهتمامًا بتلك الشكوى . وفي نفس الوقت يريد نيل ثقة الرهبان فيه ، عن طريق توفير أسباب الراحة والطمأنينة لهم .

زد على ذلك أن جَمْع مشايخ القبائل بين الحين والآخر لبحث أسباب الشكوى فيه إشعار لسلطة الحكومة ، ومدى يقظة الحاكم ، ومدى سطوته . ولايخفى على القارئ ما لهذا العمل من أثر في توطيد دعائم الأمن والنظام في أرجاء شبه الجزيرة.

وأخيرًا لبيان مدى اهتمام الدولة العثمانية الإسلامية بتوفير أسباب الحماية والرعاية لهؤلاء الرهبان .

ويمكن أن نجمل الخدمات التي كانت تؤديها قبائل العربان للدير وقاطنيه في النقاط التالية :

أولاً : المحافظة على سلامة الدير وحماية أرواح رهبانه ، وزوّاره ، والمترددين عليه من أي اعتداء ، وذلك بمقتضى الاتفاقيات التي نصت على « أن جماعة العربان يحفظون دير طور سينا جبل سيدنا موسى ورهبانه القاطنين فيه والمترددين عليه من زوار المسلمين والنصارى »[١٨] .

ثانيًا : مرافقة الزائرين والمترددين على الدير ، ونقل[١٩] مايحتاج إليه الدير من مؤن وحطب وثمار بالأجر الذي يحدده الرهبان[٢٠] . إذ ينص الفرمان على « أن شيل الغلال المتوجه إلى الطور بالأجرة من مصر إلى الدير الكينة (**الكائنة**) بالطور فان شيلهم على العربان المشهورين بهم ووقع مابينهم عقود قديمة وشروط من قديم الزمان مابين الفريقين . وإذا حصل عجز أو نقصان في الغلة أو خلافه في المشيل يسجن العربان في سجن الجوانيه حكم القوانين السابقة »[٢١] .

ثالثًا : لرهبان الدير الحق في استخدام خفراء من العربان لحراسة بساتين العنب (**الكرم**) في مقابل مايمنحوهم إياه من دقيق وثمار وزيوت ، بعضها يومي ، والآخر سنوي .

وتعطينا المقادير الواردة بالوثائق مدى ماكان يتقاضاه هؤلاء العربان في مقابل مايؤدونه من خدمات . فكان لخفراء الكرم الثلاثة «في كل يوم ثلاثة رغفان خبز صبحة ولهم من عيش الراهب باطية طبيخ وقت الغداء ، ولهم أيضًا في العصر قدح ونصف دقيق ، ونصف قدح عدس ، وإذا لم يوجد عدس يأخذوا عوضه قمح أو دقيق أو فول وفنجان زيت . واذا لم يوجد زيت فيأخذوا عوضه سمن . وأيضًا معلومهم في سنة ثلاث ويبات تمر واحدة جامعي ، واحدة مروى ، واحدة أصفر ، وثلاث تين بلح ، واحد مروى ، واحد أصغر»[٢٢] .

رابعًا : أن يقوم العربان بالمحافظة على مايتعلق بالدير «من الكنايس والبساتين والنخيل بالجبل وبوادى فاران وبساحل الطور بأنفسهم وبمن يستعينون به ليلاً ونهارًا . صباحًا ومساء [٢٣] » .

هذا فضلاً عن استخدام الرهبان لعدد آخر من العربان للقيام بتنظيف الدير ، وعمل الخبز ، وبعض الأعمال الأخرى التي يُكلفون بها .

أما القسم الثاني من الضمانات وهي الخاصة بتنظيم العلاقة بين رهبان الدير والسلطات الحاكمة ، نجدها تتمثل في العديد من الفرمانات التي صدرت بشكل متتابع من السلاطين العثمانيين بدءًا بالسلطان سليم الأول ٩١٨ — ٩٢٦هـ/١٥١٢ — ١٥٢٠ م وانتهاء بالسلطان عبد الحميد الثاني ١٢٩٣ — ١٣٢٧ هـ/١٨٧٦ —١٩٠٩م. [٢٤] .

ومن أقدم الفرمانات المحفوظة بالدير والتي تُلْقي المزيد من الضوء على كنه تلك العلاقات ، الفرمان الذي أصدره **السلطان سليمان القانوني ١٥٢٠ — ١٥٦٦**م مشيرًا فيه إلى الفرمان السلطاني الأول الصادر من والده السلطان سليم الأول ، وغيره من الفرمانات والأوامر الشريفة الموجهة إلى الرهبان منذ أيام الخلفاء الراشدين والملوك والسلاطين .

ومن دراستي لهذا الفرمان أمكنني تحديد العلاقة بين رهبان الدير والحكومة العثمانية على النحو التالي :

أولاً : أن هذا الفرمان لايَجُبُّ ما قبله من الفرمانات ، وإنما يؤكدها ويدعمها ، وينص صراحة على وجوب رعايتها وتطبيق ماورد بها . هذا فضلاً عن تعهد السلاطين العثمانيين بحماية هؤلاء الرهبان والذود عنهم ، عملا بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف . فاعتمد **السلطان سليمان** «ما بيدهم من المرسوم الشريف الصادر لهم» من لدن والده السلطان سليم الأول ، «واستمراره على الحكم المشروع فيه ، والعمل به ، وعدم العدول عنه ، وبأن يكونوا محميين مرعيين على الدوام ، وذمتهم محفوظة بذمة الإسلام على الحكم المرعى والقانون المرعى لا يمسهم سوء ولاضرر» .

ثانيًا : نظرًا لامتلاك الدير لأراض زراعية داخل حدود مصر وخارجها ، فقد أعفاهم الفرمان من دفع الضرائب المفروضة عليها بمختلف صورها ، فنص على «**أن يحملوا في المسامحات بالحقوق والرسوم والأحكام والمقاسمات والأعشار والمقاطعات على بساتينهم وكرومهم وثمارهم ونخيلهم وزيتونهم وحقوقهم بالبلاد المصرية والشامية والطرابلسية والطورية ، وبأنهم لايعارضوا في أوقافهم وبيوتهم وكرومهم ومزارعهم في جزيرة اقريطش**[٢٥] **وجزيرة قبريس**[٢٦] » .

ومن هذا يتبين لنا أن الدولة العثمانية قد أعفت ممتلكات الدير من البساتين المنتجة لمختلف أنواع الثمار من جميع الضرائب المفروضة عليها . ولم يقتصر هذا الاعفاء على الأراضي المصرية فحسب ، بل امتد ليشمل كل الآراضي الأخرى الخارجة عن حدودها ، والخاضعة لحكم الدولة العثمانية ، مثل الشام وطرابلس وجزيرتي كريت وقبرص[٢٧] .

ثالثًا : لم يشمل الإعفاء من الضرائب أراضي البساتين فحسب ، وإنما شمل أيضًا الرسوم الجمركية على مايرد إلى الدير من أموال الصدقات ومن نذور عينية ، فنص الفرمان على «**أن يسامحوا بالحقوق والرسوم الديوانية على الأصناف الواصلة إليهم من النذور والصدقات من البر ومن طريق البحر الملح والعذب بالثغور الاسلامية سكندرية**[٢٨] **ورشيد ، ودمياط ، والبرلس ، وبولاق ، وقطيا ، وغزة ، ويافا .**

وبيروت ، وصيدا ، واللاذقية ، وساير الثغور الاسلامية المعمورة بالديار المصرية والشامية صادرًا وواردًا ، وبخلاص ماهم من الحقوق الشرعية ممن عليه حكم القانون الشرعي » .

رابعًا : يدخل في نطاق الدير المسجد المشيد بداخله ، وتذكر[29] الوثائق أنه يرجع إلى عهد عمر بن الخطاب . وأول وثيقة عثر عليها ، فيها ذكر لهذا المسجد كانت بتاريخ شعبان ١٠٩٣ هـ (١٦٨٢ م) . وتشير الوثيقة إلى حدوث خلاف بين رهبان الدير «وسيدي محمد بن الشيخ عمر الزكور مستحفظان قلعة الطور والناظر على المسجد الكائن بالقلعة» حول وجود بعض النخيل الموقوف على المسجد داخل بساتين الدير . وأن على الرهبان أن يتعهدوا ثمار تلك النخيل بالنظافة والحراسة ، فأنكر رهبان الدير هذا الأمر ، وطالبوا المدعى إثبات ذلك فلم يستطع ، ومن ثمة صدر الحكم في صالح الرهبان بموجب حجة شرعية[30] . وهذا الحكم يدل على العدالة والبعد عن التعصب .

والوثيقة الثانية التي تشير إلى هذا المسجد كانت تتعرض لسدنته وخدامه الذين يقومون على أداء شعائر الصلاة فيه . فهؤلاء السدنة كانوا يلقون من رعاية الدولة العثمانية مثلما يلقى رهبان الدير سواء بسواء .

وتحكي الوثيقة أن هؤلاء السدنة تعرضوا لبعض المضايقات ممن لا يمتون إلى الدير بصلة . فلما علم المسئولون بهذا الأمر أصدروا أمرهم إلى أغات قلعة الطور **(قائد الحامية العسكرية بالطور)** بأن يعمل بكل شدة وحزم على وضع حد لتلك المضايقات ، وشددوا عليه بضرورة مراعاة هذا الأمر وتنفيذه بكل دقة .

ومما جاء بهذا الفرمان «**أن رهبان دير طور سينا أعرضوا لحضرتنا مضمونه من قديم الزمان ومن زمن حضرت سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورضى عنا من داخل الدير المذكور جامع شريف وأئمته ومؤذنيه وساير أرباب شعايره جاريين وموجودين بموجب البرأة الشريفة السلطانية وحجة شرعية متصرفين له . ولكن في**

هذا الآن بعض جماعة ليس لهم تعلق به بطريق الضرر فضولاً قد تعرضوا لخدام الجامع المذكور وللرهبان المذكورين ظلمًا وعدوانًا ، وحين أعرضوا أحوالهم لحضرتنا قد فوضنا أمرهم إلى مولانا قاضي عسكر أفندي بمصر المحروسة ... فلأجل ذلك قد حرر هذا البيورلدى (أمر أو مرسوم) من طرفنا وأرسل اليكم ، فحال وصوله أمرناكم بإجراء هذا الأمر الشريف ، ولم أحد يتعرض لخدام الجامع المذكور ولا للرهبان المذكورين . وفيما بعد لاتدعوا أحداً يتعرض لهم بخلاف الشرع ، ولا تحوجوا لاصدار بيورلدي ثانيًا في شأن ذلك ويسجل هذا البيورلدي في دفاتر القلعة ، وفي سجلات ويعطي لهم حجة شرعية ويبقى بأيديهم تمسكا ، والحذر ثم الحذر من المخالفة والعناد »[٣١] .

وكان لهذه الرعاية التي أحيط بها رهبان الدير ، أثرها في نفوسهم ، فسجلوا شكرهم وامتنانهم في الكتابات التي بعثوا بها للسلطان العثماني[٣٢] .

خامسًا : اقتضت طبيعة التحركات العسكرية التي قامت بها قوات محمد علي والي مصر ، خلال حروبه في شبه الجزيرة العربية ، تمركز قوات كبيرة العدد في شبه جزيرة سيناء ، سببت شيئًا من الخوف والفزع لرهبان الدير . فلما أحس والي مصر بذلك أصدر مرسومًا [٣٣] يهدئ من روعهم ويؤمنهم على مصالحهم وديارهم جاء فيه :

«صدر المرسوم الشريف الواجب القبول والتشريف والاتباع عن ديوان مصر المحروسة إلى قدوة الملة المسيحية وعمدة الطائفة العيسوية الرهبان سكان الدير بجبل سيناء ختمت عواقبهم بالخير والرشاد تحيطون علمًا أنه قد طرق مسامعنا حاصل عندكم خوف وزعل بخصوص قدوم العساكر المرسلة إلى الحجاز ، والحال أننا لا نرضى إلا كامل راحتكم واستراحتكم في محل مواطنكم بالدير بجبل سيناء وتكونوا مطمئنين ومستريحين من هذا القبيل وعليكم أمان الله تعالى وأمان رسوله ثم أماننا السعيد . ولم تخشوا من شيء جملة كافية ولم أحد يتعرض لكم بوجه من الوجوه

ويكون لكم الحماية والصيانة في ديركم محل وطنكم بجبل سيناء ولم تهتموا من شيء مطلقًا . فبناء على ذلك أصدرنا هذا المرسوم الشريف فعند وصوله إليكم يكون العمل بمضمونه وبمقتضاه واعتمدوه غايت الاعتماد» .

ومن النتائج الهامة التي خرجت بها من خلال دراستي لتلك الوثائق ثلاث نتائج :

النتيجة الأولى : ان السلاطين العثمانين كانوا يُعيِّنون لشبه جزيرة سيناء حاكمًا عسكريًا — من الضباط الأتراك — خاضعًا مباشرة لهم . وتطلق عليه الوثائق في بعض الأحيان «الحاكم الشرعي بالطور المبارك» ، وفي أحيان أخرى «أغات قلعة الطور» وأن تعيين حاكم عسكري يخضع للسلطان العثماني مباشرة يدل دلالة قاطعة على إدراك السلاطين العثمانيين الأوائل لأهمية موقع شبه جزيرة سيناء من الناحيتين العسكرية والجغرافية بالنسبة لممتلكات الدولة العثمانية في القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوربا .

هذا فضلاً عن أهمية هذا الموقع بصفة خاصة بالنسبة للبحر الأحمر والأراضى المقدسة بالحجاز وبالشام .

وكان هذا الحاكم العسكري بحكم منصبه مسئولاً عن حفظ أمن وسلام رهبان الدير، ولكن هذه المهمة — في حقيقة الأمر — لا تقع على كاهل القوات العسكرية التي تحت إمرته بقدر ما هي ملقاة على عاتق قبائل العربان ومشايخها المسئولين أمام الحاكم العسكري مباشرة.

أما **النتيجة الثانية** : فقد بدت لي من خلال الشكاوي العديدة التي أرسلها رهبان الدير إلى السلطان العثماني من كثرة توافد اليهود على شبه جزيرة سيناء في موسم الحج وفي غيره ، وأن هؤلاء اليهود لا يغادرونها بعد قضاء حوائجهم ، وإنما يقيمون بها هم وأسرهم .

ولما كان هذا الأمر يثير مخاوف الرهبان من ناحية ويخالف الأوامر السلطانية التي

تحرم على اليهود سكنى شبه جزيرة سيناء بأي حال من الأحوال من ناحية أخرى ، فقد أرسلوا تلك الشكاوي إلى السلطان كي يتدارك الأمر قبل أن يستفحل خطره .

وسرعان مايستجيب السلطان العثماني لهذا الأمر ، ويصدر الأوامر المشددة إلى حاكم الطور بأن يمنع « اليهود من ذلك كل المنع ... ومنع اليهود من التعدي بما يخالف الشرع والقانون ، وألايعودوا للطور ولايخالفوا العادة(٣٤) » .

واذا ما أمعنا النظر في مضمون تلك الوثيقة والوثائق المماثلة لها ، نجد أن السلاطين العثمانيين الأوائل قد أدركوا في هذا الوقت المبكر (القرن العاشر الهجري ، أواخر القرن السادس عشر الميلادي) ، بعد استيلائهم على مصر بنحو خمسة وستين عامًا ، خطر استيطان اليهود في قلب شبه جزيرة سيناء — مع أن اليهود لم يكونوا قد أفصحوا عن نواياهم السياسية بعد — رغم أن الدولة العثمانية في ذلك الوقت كانت في أوج قوتها وعظمتها .

وقد ظهرت تلك النوايا اليهودية في انتزاع شبه جزيرة سيناء من مصر بعد ذلك بنحو ثلاثة قرون ، في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري — أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين الميلاديين — حينما طلبوا من الحكومة البريطانية أثناء احتلالها لمصر أن تمنحهم إياها ، لاتخاذها وطنًا لهم ، قبل أن تتركز مطالبهم حول فلسطين .

ولكن هذا المسعى لم يكلل بالنجاح ، ويبدي حاييم وايزمن (أحد أقطاب الصهيونية) أسفه لفشل تلك المحاولة ، لأن شبه جزيرة سيناء — في نظره — مكان مناسب لاستيطانهم وذلك لاتصالها جغرافيًا بفلسطين ، ولإمكانية اتخاذها نقطة ارتكاز للتوسع الصهيوني في المناطق المجاورة(٣٥) .

هذا بالإضافة إلى أن شعار الصهيونية « من النيل إلى الفرات » ، إنما يدخل شبه جزيرة سيناء ضمن حدود الدولة التي يحلمون بتحقيقها في يوم من الأيام .

النتيجة الثالثة : لم يكن الدير مجرد مكان للعبادة فحسب . بل كان مركز حياة وسط تلك الصحراء المجدبة . فنظرًا لوقوعه في قلب شبه جزيرة سيناء بعيدًا عن كل مناطق العمران ، أصبح مكانًا يلجأ إليه الخائف والملهوف ، ومن أعيته وعثاء الطريق . كما أنه يقدم الطعام للفقراء والكساء للمحتاجين ، «إن هذا الدير في طريق منقطعة وحيات (حياة) ناس كثير من المسلمين عليه ويطعم الفقراء والمساكين ويكسى العراة والملهوفين من درب الحجاز [٣٦] » أي أن الذين كانوا يسلكون شبه جزيرة سيناء في طريقهم إلى الحجاز أو العكس كانوا يجدون الراحة والأمن في رحاب هذا الدير .

وفي يوم الجمعة من كل أسبوع كان يؤم المسجد الكائن بالدير العربان المسلمون الضاربون حول الدير لأداء صلاة الجمعة[٣٧] . فكان المسجد يمثل مركز تجمع إسلامي لهؤلاء العربان المشتتين في هضاب ووديان وصحراء سيناء ، وما كان أحوجهم إلى هذا التجمع للاستزادة من معرفة أمور دينهم ودنياهم .

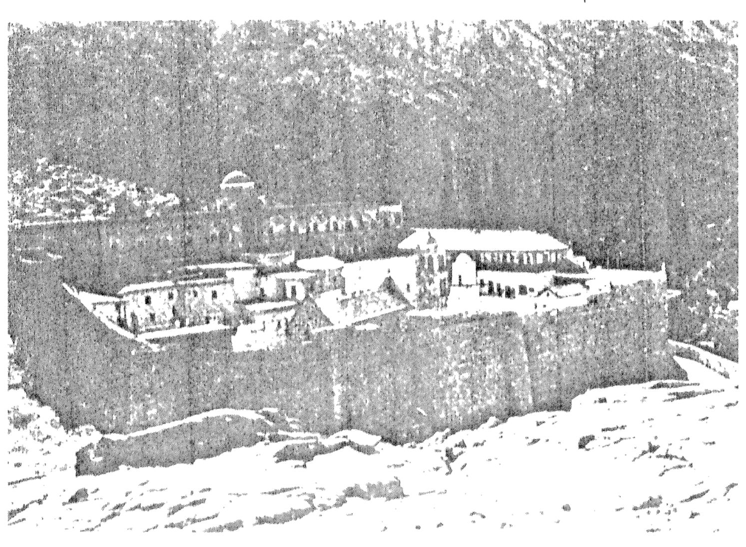
زد على ذلك أن الدير بمن يضمه من رهبان وعربان كان بمثابة مجتمع صغير له كل مقوماته المحدودة . وكان الدير هو محور الحياة في هذا المجتمع ، إذ بدونه ما قامت حياة في هذه البقاع المقفرة .

وخلاصة القول فان العلاقة — في جوهرها — بين الدير والهيئات الرسمية ، كما يبدو من دراسة الوثائق ، علاقة طيبة تقوم على الود والاحترام المتبادل بين الجانبين ، رغم مابدا من انحراف بعض البدْو . هذا الانحراف الذي يعتبر من قبيل الأعمال الفردية . وظل هذا التعاون بينهما وثيقًا إلى يومنا هذا ، نظرًا لحاجة كل منهما للآخر . فالدير مصدر رزق لاينكر لهؤلاء البدو في قلب شبه الجزيرة المجدبِ . والبدو هم القوة العاملة التي لاغنى عنها ، والتي لا يمكن الاستعاضة بغيرها في هذه المنطقة الوعرة القاسية .

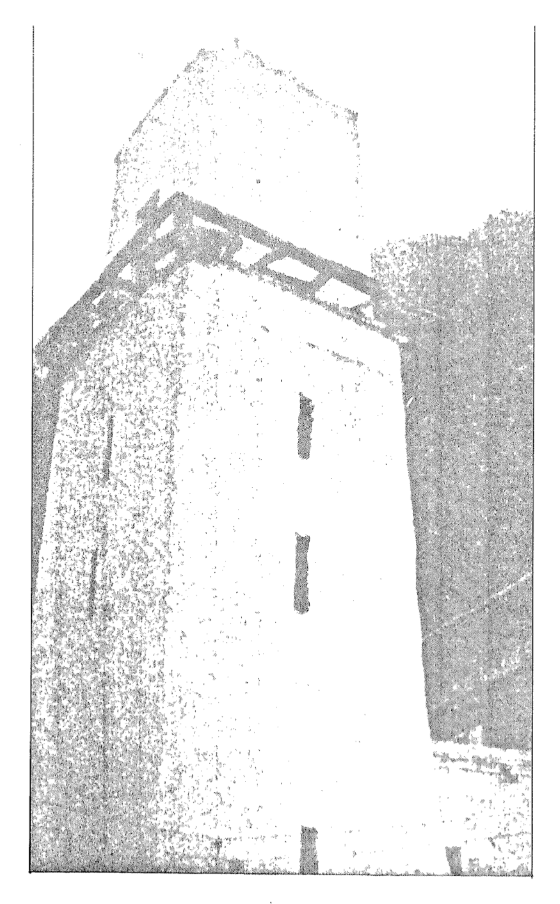
ووقفت السلطات الحاكمة — كطرف ثالث — تبارك الاتفاقيات التي يتوصل

إليها الطرفان بمحض إرادتها ، تؤيدها ، وتشرف على تنفيذها بما يكفل الطمأنينة والأمن لسكان الدير ولزائريه على السواء .

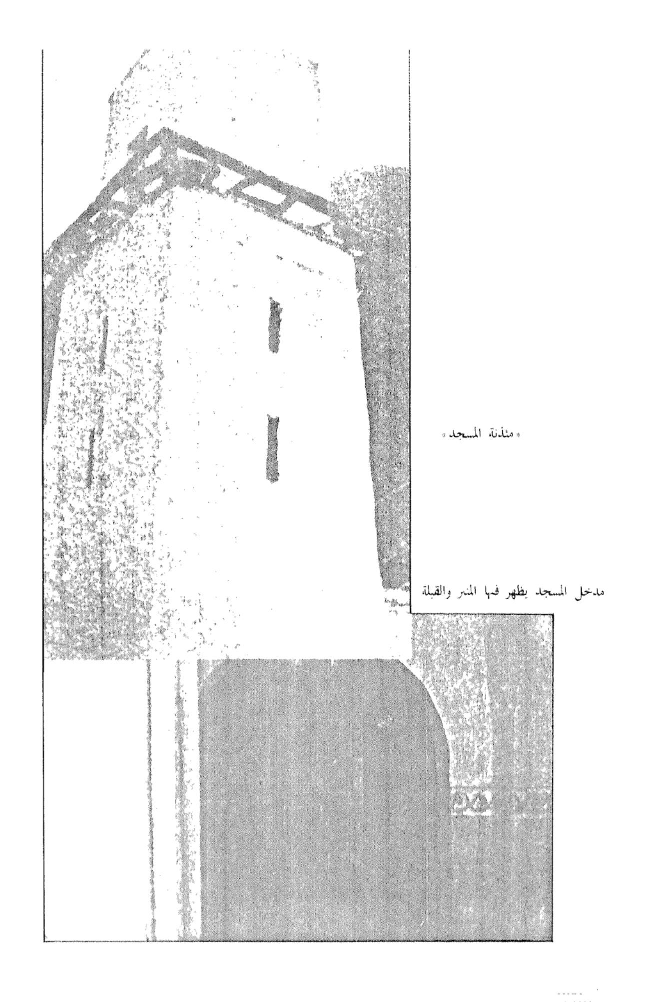
وان بقاء الدير إلى يومنا هذا — يواصل رسالته — لخير دليل على مدى الرعاية والحماية التي أسبغتها الحكومات المصرية المتعاقبة عليه ، والمستمدة من روح الإسلام السمحة .



منظر عام للدير ويبدو على شكل قلعة من قلاع العصور الوسطى



«مئذنة المسجد»



«مئذنة المسجد»

مدخل المسجد يظهر فيها المنبر والقبلة

ميكروفيلم الوثائق العربية المحفوظ بمكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية :

رقم مسلسل		عدد الوثائق	السنة
٣١١	(وثائق ١ — ٤٨) عهد نبوي ومراسيم	٤٨ ورقة	١٧٣٧ م
٣١٢	(وثائق ٤٩ — ١٦٢) مراسيم وعهود	١١٤ ورقة	١٤١٣ م
٣١٣	(وثائق ١٦٣ — ٣٠٠) فرمانات ومعاهدات	١٣٨ ورقة	١٥٨٦ م
٣١٧	(وثائق ٦٨٢ — ٨٨٤) حجج ومحاضر وأوامر	٢٠٣ ورقة	١٧٥٤ م
٣١٨	(وثائق ٨٨٥ — ١٠٤٢) حجج ومحاضر وأوامر إدارية	١٥٨ ورقة	١٦٩١ م
٣١٩	(وثائق ١٠٤٣ — ١٠٦٧) حجج وأوامر إدارية	٢٥ ورقة	١٨٧١ م

ميكروفيلم الوثائق التركية

٢	(١٦٠ — ٣٤٥) فرمانات	١٨٦ ورقة
٣	(٣٤٦ — ٥٧٧) فرمانات	٢٣٢ ورقة
٤	(٥٧٨ — ٦٧٠) أحكام قانونية	٩٣ ورقة

ميكروفيلم المخطوطات العربية

٢٩٩	(رقم المخطوطة ٦٨٧) حوليات ومعاهدات	١٩١ ورقة	حوالي القرن السابع عشر
٣٠٠	(رقم المخطوط ٦٨٨) حوليات ومعاهدات	٧٨ ورقة	١٥٧٤ — ١٦٨٢ م
٣٠١	(رقم المخطوط ٦٩٠) سجل معاهدات	١٠ ورقة	١٦٧٧ — ١٧٠٠ م
٣٠٢	(رقم المخطوط ٦٩١) دفتر ايصالات	٤٤ ورقة	١٦٥٣ — ١٨٢٧ م

مخطوط أصلية بمكتبة الدير

مخطوط رقم ٦٩٢ كتاب تاريخ دير سانت كاترين .
مخطوط رقم ٢٢٥٣ (باللغتين اليوناني والعربي) ويتضمن معاهدات مع مشايخ العربان في القرن السابع عشر .
مخطوط رقم ٢٣١٨ (باللغتين اليوناني والعربي) ويتضمن معاهدات مع مشايخ العربان في القرن السابع عشر .

الهوامش :

(١) جاء في بعض المخطوطات المحفوظة بالدير بأن هذا العهد النبوي ، انما كتب بخط علي بن أبي طالب كرم الله وجه في الثالث من المحرم من السنة الثانية للهجرة ، ووقع عليه صحابة رسول الله ، منهم : أبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب . وهناك ثماني نسخ خطية من هذا العهد ، كتبت في عهود مختلفة .

(٢) كتاب بناء الدير — مخطوط بمكتبة الدير رقم ٦٩٢ ورقة ١ — ٢ ب

(٣) المصدر السابق ص ٤

(٤) أنظر الوثائق التالية :

وثيقة رقم ٦ في ٣٠ جمادي الثاني ٥٠٢ هـ (٤ فبراير ١١٠٩ م) ، وثيقة رقم ٨ في ٣ رجب ٥٢٩ هـ (١٩ أبريل ١١٣٥ م) ، ووثيقة رقم ٩ في ذي الحجة ٥٤٨ هـ (فبراير — مارس ١١٥٤ م) ، ووثيقة رقم ١٠ في ربيع الثاني ٥٥١ هـ (مايو — يونية ١١٥٦ م) ، وثيقة رقم ١١ في ١٦ محرم ٥٩٢ هـ (٢١ ديسمبر ١١٩٥ م) ، وثيقة رقم ١٢ ، وثيقة رقم ١٤ ، وثيقة رقم ١٥ ، وثيقة رقم ١٧ في ٥ صفر ٦٩٠ هـ (٧ فبراير ١٢٩١ م) .

(٥) كتاب تاريخ الدير — مخطوط رقم ٦٩٢ ص ٣ .

(٦) تضم مكتبة الدير عددا ضخما من المخطوطات يبلغ ٣٣٣١ مخطوطا ، دونت فيما بين القرنين السادس والتاسع عشر ، وكتبت بإحدى عشرة لغة هي : العربية ، والسريانية ، والحبشية ، واليونانية ، والفارسية ، والسلافونية ، والأرمينية ، والجورجيانية ، واللاتينية ، والبولونية . والجانب الأعظم منها في اللاهوت ، والباقي في الفلسفة ، والفلك ، والرياضة ، والموسيقى ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والطب ، والقانون .

أما الوثائق فيبلغ عددها ١٧٤٢ وثيقة ، منها ١٠٧٢ وثيقة باللغة العربية ، و ٧٧٠ وثيقة باللغة التركية . وتتضمن مراسيم ، وعهود ، وفرمانات ، ومنشورات ، ومعاهدات ، وفتاوى ، ومحاضر ، وحجج ، وأوامر إدارية إلخ .

وتشمل الوثائق مختلف مراحل التاريخ ، بعضها يرجع للعصور القديمة ، والبعض الآخر للعصور الوسطى ، والجزء الأخير يتعلق بالعصور الحديثة . ويبدأ هذا الجزء الأخير بالغزو العثماني لمصر في أوائل القرن السادس عشر ، وينتهي بالقرن التاسع عشر .

والمجموعة الحديثة مقسمة إلى مجموعتين :

المجموعة الأولى وتشتمل على فرمانات من العهد العثماني ، وتحمل الارقام المسلسلة من ١٢٥ إلى ١٩٩ .

المجموعة الثانية يطلق عليها اسم «معاهدات» ، وتحمل الارقام من ٢٠٠ إلى ٢٦٦ .

وهذه الوثائق هي التي كانت موضع دراستي ، خلال الزيارة التي قمت بها للدير في خريف عام ١٩٦٣ موفدا من قبل جامعة الإسكندرية . وقد اعتمدتُ عليها في هذا البحث ، — بالإضافة إلى بعض المخطوطات — اعتمادا يكاد يكون كليا .

(٧) وثيقة ١٢٤ فرمان بتاريخ ٦ ذي القعدة ٩٣٠ هـ (٥ سبتمبر ١٥٢٤) .

(٨) صحتها أحدٌ .

(٩) وثيقة رقم ٢٠٠ بتاريخ ١٠ جمادي الأولى ١٠٨٣ هـ (٣ سبتمبر ١٦٧٢) .

(١٠) المصدر السابق .

(١١) وثيقة رقم ١٩٧ بتاريخ ٢٧ شعبان ١٠٥٣ هـ (١٠ نوفمبر ١٦٤٣) .

(١٢) المصدر السابق .

(١٣) وثيقة رقم ٢٠٠ بتاريخ ١٠ جمادي الاولى ١٠٨٣ هـ (٣ سبتمبر ١٦٧٢) .
(١٤) وثيقة رقم ١٩٧ بتاريخ ٢٧ شعبان ١٠٥٣ هـ (١٠ نوفبر ١٦٤٣) .
(١٥) مخطوط رقم ٢٣١٨ يوناني ص ٦٥ .
(١٦) مخطوط عربي رقم ٦٨٨ ص ٤٠ .
(١٧) تحمل هذه المعاهدات أرقامًا مسلسلة من رقم ٢٠٠ إلى ٢٦٦ ، وكذلك بعض الوثائق الاخرى التي تحمل أرقامًا من ١٢٥ — ١٩٩ .
(١٨) وثيقة رقم ١٢٦ أمر سلطاني بتاريخ ٢٣ جمادي الأولى ٩٢٤ هـ (١٤ فبراير ١٥٢٨)
ووثيقة رقم ١٢٧ فرمان بتاريخ ٢٠ صفر ٩٤٠ هـ (١٠ سبتمبر ١٥٣٣) .
ووثيقة رقم ٢٠٠ فرمان بتاريخ ١٠ جمادي الأولى ١٠٨٣ هـ (٣ سبتمبر ١٦٧٣) .
(١٩) وثيقة رقم ٢١٧ بتاريخ أول ربيع أول ١١٦٤ هـ (٢٨ يناير ١٧٥٩) .
(٢٠) وثيقة رقم ١٧٧ من ديوان مصر إلى مشايخ العربان بتاريخ جمادي ١٢٢٨ هـ (مايو — يونية ١٨١٣) .
(٢١) وثيقة رقم ١٧١ من ديوان مصر إلى مشايخ العربان سنة ١١٨٦ هـ (١٧٧٣/٢) .
(٢٢) وثيقة رقم ٢٠٢ بتاريخ ٥ جمادي الأولى ١٠٨٩ هـ (٢٥ يونيه ١٦٧٨) .
(٢٣) وثيقة رقم ١٢٦ أمر سلطاني بتاريخ ٢٣ جمادى الأولى ٩٣٤هـ (١٤ فبراير ١٥٢٨) .
وثيقة رقم ١٢٧ فرمان بتاريخ ٢٠ صفر ٩٤٠ هـ (١٠ سبتمبر ١٥٣٣) ،.
وثيقة رقم ٢٠٠ فرمان بتاريخ ١٠ جمادى الأولى ١٠٨٣ هـ (٣ سبتمبر ١٦٧٢) .
(٢٤) Ribano, M.H.L., Le Monastere De Sainte-Cathrine Du Monte Sinai, p. 40.
(٢٥) جزيرة كريت .
(٢٦) جزيرة قبرص.
(٢٧) وثيقة رقم ٢٢٢ بدون تاريخ ، ووثيقة رقم ١٤١ بتاريخ ١٠ ربيع أول ٩٧٠ هـ (٧ نوفبر ١٥٦٢) .
(٢٨) هكذا في الوثيقة اسكندرية بدون ألف .
(٢٩) بيورلدى صادر من ديوان مصر المحروسة إلى قدوة المحافظين والحارسين وأغات قلعة الطور وكتخداية وسائر أعيانه وأنفاره في ٢٠ رجب ١١٢٠ هـ (١٥ أكتوبر ١٧٠٨) .
(٣٠) مخطوط رقم ٢٢٥٣ (يوناني) ص ٢٦ .
(٣١) بيورلدى صادر من ديوان مصر المحروسة إلى قدوة المحافظين والحارسين وأغات قلعة الطور وكتخداية وسائر أعيانه وأنفاره في ٢٠ رجب ١١٢٠ هـ (١٥ أكتوبر ١٧٠٨) .
(٣٢) فرمان مؤرخ في ٢٠ صفر ٩٤٠ هـ (١٠ سبتمبر ١٥٣٣) .
(٣٣) مرسوم شريف من ديوان مصر المحروسة إلى قدوة الملة المسيحية وعمدة الطائفة العيسوية سكان الدير بجبل سيناء في جمادي ١٢٢٨ هـ (مايو — يونية ١٨١٣) .
(٣٤) وثيقة رقم١٤٩ فرمان بتاريخ ٢٥ جمادي الأولى ٩٨٩ هـ (٢٧ يونية ١٥٨١) ،
ووثيقة رقم ١٥١ فرمان بتاريخ ٢٠ صفر ٩٠٩ هـ (١٦ مارس ١٥٨٢) ،
ووثيقة رقم ١٦٠ فرمان بتاريخ ٢٠ ذو الحجة ٩٩٣ هـ (١٣ فبراير ١٥٨٥) .
(٣٥) Weisman, Dr., Trial and Error, p. 228.
(٣٦) وثيقة رقم ٢٢٢ بدون تاريخ توضح الخدمات التي يقدمها الدير .
(٣٧) وثيقة رقم ٢٠٠ بتاريخ ١٠ جمادي الأولى ١٠٨٣ هـ (٣ سبتمبر ١٦٧٢) .

الشاهد العدل في الشرع الإسلامي

● دراسة تاريخية مع نشر وتحقيق أسجال عدالة من عصر سلاطين المماليك

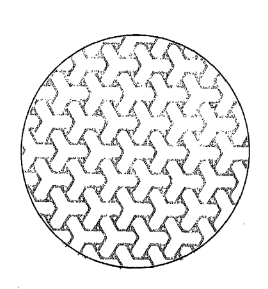
بقلم : د. محمد محمد أمين

أولاً : الدراسة التاريخية :

من أهم الأسس التي يقوم عليها الفصل في الخصومات في القضاء الاسلامي الحكم بالبينة المزكاة ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر» [١] .

وتعتبر « الشهادة » من أهم وسائل إظهار البينة في الشرع الاسلامي ، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز :

« واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان



ـــدل

مِمَّن ترضَوْن من الشهداء»[٢] ، وقال تعالى (وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله)[٣] ، وقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم المُوت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم»[٤] .

ومما يدل على أهمية الشهادة في الفصل والحكم في الشرع الاسلامي ما جاء بالقرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام « وشهد شاهدٌ من أهلها »[٥] ، ومن هنا كان إسهاب الفقهاء في الحديث عن الشهادة ، وإفرادهم لها فصولا كاملة بعنوان «كتاب الشهادات» أو «القضاء والشهادات»[٦] .

والشهادة هي إخبارٌ بحق الغير على آخر، سواء أكان حق الله أو حق البشر والاخبار هذا عن علم ويقين ، لا عن حسبان وتخمين[٧] ، لقوله تعالى : «إلا من شهد بالحق وهم يعلمون»[٨] ، ولقوله تعالى : «وماشهدنا إلا بما علمنا»[٩] ، ولقول الرسول عليه الصلاة والسلام : «اذا رأيت مثل هذا (الشمس) فاشهد والا فدع»[١٠] .

ولهذا قالوا إن الشهادة مشتقة من المشاهدة بمعنى المعاينة ، فلا يصح لشاهد الشهادة لشيء حتى يحصل له به علم ، إذ لاتصح الشهادة إلا بما علم وقطع بمعرفته ، لا بما شك فيه ، ولا بما يغلب عليه الظن[١١] .

ووضع الفقهاء شروطا لتحمّل الشهادة وآدائها تتلخص في العقل ، والضبط ، والعدالة، وذلك لتحمل الشهادة، والحرية، والبلوغ، والإسلام، وذلك لآداء الشهادة مع اختلاف بين الفقهاء في تفاصيل هذه الشروط وتطبيقها[١٢] .

وتأتي معرفة القاضي لصفات الشاهد من معرفة القاضي لأحوال الناس في بلده ، ومن طَعْن المتهم في شهود خصمه ، ولذا كان القضاة يقبلون شهادة الشهود إذا لم يطعن فيهم

الخصم ، ويبدو أن هذه هي المرحلة الأولى التي مر بها نظام الشهادة ، فقد كان القاضي يُجيز شهادة المسلمين بعضهم على بعض عملا بما جاء في عهد عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري «والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا في حد أو مُجرَّبًا عليه شهادة زور أو ظنّينا في ولاء أو نسب»[١٣].

وفي هذه المرحلة كان القضاة يقبلون شهادة الشهود إذا لم يطعن فيهم الخَصم ويجرحهم ، فكان الخصم هو الذي يجرح شهادة الشاهد[١٤]، واذا أراد الخصم أن يسأل عن الشهود فله ذلك ، واذا ثبت للقاضي صحة ماجرح به الشاهد توقف عن قبول شهادته[١٥].

ولايفترض أن يكون الخصم على علم بعدالة من يشهد عليه ، وربما عجز عن إثبات فقدان الشاهد لشروط الشهادة، ولهذا كان القضاة يطلبون من الشاهد أن يُحضر من يزكيه، وهو ما عرف باسم «التزكية العلنية»، والمقصود بها التحقق من أمانة الشاهد وصدقه، وبناء على هذه التزكية يقبل القاضي الشاهد أو يرفضه[١٦].

ولم يقتصر القضاة على هذه التزكية العلنية ، فلجأوا أيضًا إلى ماعرف باسم «التزكية السرية» ، وكان شُريح[١٧] أول من أدخل نظام التزكية السرية ، فهو أول من سأل عن الشهود في السر ، «فقيل له : يا أبا أمية أَحْدَثْت فقال : ان الناس أحدثوا فأحدثت»[١٨] ، ويقصد بذلك انتشار شهادة الزور بين الناس .

وكان عبدالله بن شبرمة[١٩] يسمى الذين يسألون له في السر عن الشهود «الهداهد»[٢٠] ، فأتاه رجل سئل عنه فأسقط فكلمه في ذلك ، فأنشأ عبدالله بن شبرمة يقول :

سألنا فلم يألوا وعم سؤالنا
فكم من كريم طحطحته الهداهد[٢١]

وفي مصر لاحظ غوث بن سليمان ، في ولاياته الثانية للقضاء[٢٢] كثرة شهادة الزور ، فبدأ غوث في السؤال عن الشهود في السر ، فمن عدل عنده قبله ،وبعد انتهاء القضية التي قبل فيها الشاهد يعود واحدا من الناس ، فلم يكن يوصف أحد

بالشهادة، ولايشار إليه بها [٢٣] .

واتبع القاضي مفضل بن فضالة[٢٤] في بادىء الأمر نفس الأسلوب الذي اتبعه غوث بن سليمان من أجل التحقق من أمانة الشهود وصدقهم ، ولكن تم على يديه تطوّر نظام التحقق من صدق الشاهد ، وأفاد هذا التطور فيما بعد ليس فقط في تحقّق القاضي من صدق شاهد معين في قضية محددة ، ولكن أيضًا في تولية أو تعيين شاهد ذى صفة رسمية يحظى في المستقبل بثقة أصحاب المصلحة أو المنتفعين .

وبدأ التطور في التحقق من صدق الشهود عندما عهد القاضي مفضل بن فضاله — في ولايته الثانية للقضاء — إلى كاتبه فليح بن سليمان الرعيني المعروف بابن القيمري ، عهد إليه بالوظيفة التي عرفت فيما بعد باسم « صاحب مسائل » ، فقد كان المفضل أول من جعل في مصر « صاحب مسائل » ، ويتولى القائم بهذه الوظيفة بحث بعض الأمور التي تتطلبها القضايا (تَحَرِّيات) ، ومن بينها السؤال عن الشهود ، وهو ما عرف باسم « التعديل » [٢٥] .

وبعد عدة سنوات أصبحت وظيفة « صاحب المسائل » وظيفة متميزة ، فقد اتخذ القاضي إبراهيم بن الجراح [٢٦] من معاوية الأسواني صاحبا للمسائل إلى جانب كاتبه أمين بن خالد [٢٧] . وفي تطور آخر كان للقاضي اثنان أو أكثر من أصحاب المسائل ، فكان لدى القاضي عيسى بن المنكدر [٢٨] اثنان من أصحال المسائل [٢٩] .

ويبدو أن وظيفة « صاحب المسائل » كانت تدر على صاحبها دخولاً غير مشروعة فهو لايقدم للقاضي سوى المرشحين الذين يستميلونه بدفع مكافأة ، ولعل هذا ما يفسر ما ذكره الكندي من أن معاوية الأسواني دفع ألف دينار إلى اسحاق بن إبراهيم الجراح ، ليوليه أبوه صاحبا للمسائل [٣٠] ، ذلك أن صفة الشاهد العَدْل أصبحت هي الأخرى مصدرا للحصول على الدخل ، والمرشحون للشهادة لا يبخلون بدورهم على « صاحب المسائل » في دفع الحلوان أو المكافأة ، حتى أن محمد بن بدر [٣١] دفع إلى القاضي عبدالله بن أحمد بن

زَبْر[٣٢] ألف دينار لتعينه شاهدا . [٣٣]

ولهذا كان من الطبيعي أن يتم تحقيق التزكية مبدئيا تحت مراقبة القاضي الذي كان هو الوحيد الذي يعلن قبول المرشح شاهدًا أو رفضه ، أما صاحب المسائل ، فكان عليه فقط أن يزود القاضي بأسس القرار أو عناصره ، وغالبًا ماكان القاضي يبحث بنفسه ويتأكد من عدالة الشهود[٣٤] ، فكان لعيسى بن المنكدر «صاحب المسائل» يسأل له عن الشهود» ثم كان عيسى يتنكر بالليل ويغطي رأسه ، ويمشي في الطرقات يسأل عن الشهود ، «وقد رآه غير واحد من الثقات وتحدثوا بذلك عنه» . [٣٥]

ولم تقتصر وظيفة «صاحب المسائل» بالنسبة للشهود على تزكيتهم لدى القاضي ، ولكن امتدت إلى متابعة سلوك الشهود المعينين ، وأخلاقهم بطريقة مستمرة ، ففي ولاية لهيعة بن عيسى الحضرمى الثانية للقضاء[٣٦] ، أمر صاحب مسائله أن يسأل عن شهوده في كل ستة أشهر ، وقد «أوقف غير واحد حين بلغته جرحته» . [٣٧]

ويبدو أن رغبة القاضي في أن يكون محاطًا بشهود ثقة ، مخلصين لشخصه ولمصالحه ، هى التي جعلت تولية القاضي جديد فرصة للتغير في الشهود» ، فقد عزل القاضي العمري[٣٨] عددا من الشهود من دائرة اختصاصه ، وأحَلّ محلهم ثلاثين آخرين من أتباعه المقربين .[٣٩] كذلك كانت أول أحكام القاضي عبدالعزيز ابن محمد بن النعمان[٤٠] أنه أوقف جميع الشهود الذين قبلهم عمه الحسين بن علي[٤١] ما عدا شرف بن محمد المقرىء فإنه استكتبه في التوقيع والقصص[٤٢] . وفي بعض الحالات كان العزل بالجملة ، ففي بداية القرن الخامس الهجري عزل القاضي ابن أبي العوام[٤٣] أربعمائة من الشهود في يوم واحد[٤٤] .

وإذا كانت «العدالة» صفة مُجْمعٌ عليها لقبول شهادة الشاهد ، فإننا ندرسها هنا ، ليس باعتبارها من صفات الشاهد ، بل باعتبارها «وظيفة قضائية» تولاها طائفة من الشهود خُصُّوا بالعدالة دون سواهم ، وعرفوا

في المصادر باسم « **الشهود المعدلين** » ، أو « **العدول** » ، أو « **العدل** » ، أو « **المعدل** » .

ويشير **ابن خلدون** إلى هذه الوظيفة بقوله : « **العدالة : وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ، ومن مواد تصريفه ، وحقيقة هذه الوظيفة القيام عن اذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم ، تحمُّلاً عند الإشهاد ، وأداء عند التنازع ، وكتبا في السجلات تحفظ به حقوق الناس وأملاكهم وديونهم وسائر معاملاتهم** (٤٥) .

وكان أول من طبق نظام تعيين الشهود العدول في مصر هو القاضي مفضل ابن فضالة ، في سنة ١٧٤ هـ ٧٩٠ م « رسم أقواما بالشهادة ، فكانوا عشرة رجال » . (٤٦)

ومن هنا عرف الاجراء الذي يعين به القاضي الشاهد العدل باسم « الرسم بالشهادة » ، وبالطبع فان تعيين الشهود العدول لايحرم أصحاب المصالح من استدعاء أشخاص آخرين للشهادة ، ولكن ستظل شهادة هؤلاء الأشخاص خاضعة للتجريح وفقا لنظام القانون العام .

ورغم أن المفضل بن فضالة تعرض للنقد والتجريح بسبب تعيينه للشهود (٤٧) ، فان القاضي محمد بن مسروق (٤٨) حذا حذوه ، فعندما قدم إلى مصر « اتخذ قوما من أهلها للشهادة رسمهم بها » . (٤٩)

وفي بادىء الأمر كان عدد الشهود محدودًا ، فهو لم يتجاوز العشرة ، ولكن بعد سنوات قليلة نجد أنه كان للقاضي عبدالرحمن بن عبدالله العمري (٥٠) حوالي مائة من الشهود (٥١) ، وكان العمري أول من جعل أسماء الشهود في كتاب . (٥٢)

ووصل عدد الشهود في القاهرة في أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي نحو ١٥٠٠ شاهد . (٥٣)

وجرت العادة بأن القاضي يختار عدوله من الوسط الذي يتمنى إليه ، وهو الوسط الديني من الفقهاء ، ورجال الحديث ، وخطباء المساجد ، وأهل الفتيا والقراء ، وإن كان لبعضهم أعمال أخرى مثل التجارة . (٥٤)

ونظرًا لأهمية الشهود في النظام القضائي ، اهتم الخلفاء والولاة والقضاة ببحث أحوالهم والتثبت من عدالتهم ، وزخرت كتب المصطلح بالتأكيد على متابعة أحوالهم والتثبت من عدالتهم ، وزخرت كتب المصطلح بالتأكيد على متابعة أحوال الشهود ، وذلك في العهود (٥٥) ، وسجلات القضاة (٥٦) ، وتقاليد القضاة (٥٧) ، والتقاليد الحكيمة (٥٨) ، والتواقيع (٥٩) ، والوصايا . (٦٠)

ومن أمثلة ذلك ماورد في سجل بولاية قاضي بثغر الإسكندرية من إنشاء القاضي الفاضل (٦١) :

«وأنت تعلم أن الشهود بهم يعطي الحكام ويمنعون ، وبأقوالهم يفصلون ويقطعون ، وبشهادتهم تثبت الظلامات وتبطل ، وعليها يعتمد في انتزاع الحقوق ممن يدافع ويمثل ، فواجب أن يكونوا من أتقياء الورى ، وممن لايتبع الهوى ، فاستشف أحوالهم ، واستوضح أمورهم ، وأفعالهم ، فمن كان بهذه الصفة الأخيرة فأجره على عادته في استماع مقالته ، ومن كان بخلافه فقف الأمر على عدالته ، واحسم مادة الضرر في قبول شهادته ، وقد جعل لك ذلك من غير استئذان عليه ، ولا اعتراض لك فيه ، ولاتقرب أحدا من رتبة العدالة ، وارفعها بإزالة الأطماع فيها عن الاهانة والأذالة ، وأغضض من أبصار التطلعين إليها ، والمتوثبين عليها ، بالتطارح على الجهات ، والتماسها بالعنايات التي هي من أقوى الشبهات ، وان ورد إليك توقيع وتزكية من الباب فاصدره في مطالعتك ليحيط العلم به ، ويخرج إليك من الأمر ما تفعل على حسبه» (٦٢) .

ومن أمثلة حرص القضاة على أن يتابع نواب الحكم أمر الشهود ماجاء في تقليد حكمي : «وينظر في أمر الشهود فمن كان منهم نزها ، وإلى الحق متوجها فليراعه ، ومن كان منهم غير ذلك طالعنا بحاله» . (٦٣)

ومما زاد في أهمية الشهود العدول أنه لم يقتصر عملهم على الشهادة في القضايا والخصومات ، بل امتد عملهم إلى الشهادة على أحكام القاضي نفسه ، فكان القاضي يصدر أحكامه في حضرة الشهود ، ويشهدون

عليه بذلك ، وكان أول قاض أشهد على أحكامه هو سليم بن عتر[٦٤] ، فقد اختصم إليه في ميراث فقضى بين الورثة، ثم تناكروا فعادوا إليه فقضى بينهم ، وكتب كتاباً بقضائه واشهد فيه شيوخ الجند.[٦٥]

وكان محمد بن مسروق[٦٦] أول قضاة مصر الذين اتخذوا لمجالسهم الشهود[٦٧]. ويبدوا أنه منذ حوالي هذا العهد أصبح من اختصاص الشهود العدول حضور مجلس الحكم ، حتى أن أحد القضاة وهو محمد بن عبده بن حرب[٦٨] أمر بسجن شاهد لم يحضر إحدى جلساته في المسجد الجامع[٦٩] ، كما اختص القاضي عبدالله بن أبو ثوبان[٧٠] بشهود يشهدون عليه في أحكامه.[٧١]

وفي هذا المجال أصبح من المتعارف عليه والمتواتر في وثائق العصور الوسطى أن نجد بالاسجال[*] الحكمي الصيغة التالية : «هذا ما أشهد على نفسه الكريمة (فلان) خليفة الحكم العزيز بالديار المصرية أيّد الله تعالى أحكامه وأحسن إليه من حضر مجلس حكمه وقضائه ... إلخ» ، وفي نهاية الاسجال نجد عبارة «أشهدني (فلان) أيد الله تعالى أحكامه وأحسن إليه على نفسه الكريمة بجميع مانسب إليه في اسجاله المسطر أعلاه فشهدت عليه في تاريخه وكتبه (توقيع الشاهد)» ، ثم عبارات متتالية بعدد الشهود تنص على : «وبذلك أشهدني أيد الله تعالى أحكامه وأحسن إليه فشهدت عليه به في تاريخه وكتبه» ، ثم توقيع الشاهد ... وهكذا.[٧٢]

وامتدت اختصاصات الشهود العدول إلى مجالات قضائية متعددة منها تولى شئون أموال الأيتام والغائبين التي تكون تحت نظر القاضي[٧٣] ، ففي أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي قرر القاضي الحسين بن على ابن النعمان بن حيون[٧٤] أفراد موضع في زقاق القناديل للودائع الحكمية، وأقام فيه خمسة من الشهود يضبطون ما يحضر وما يصرف، فكان أول من أفرد للمودع الحكمى[٧٥] مكاناً معيناً، وعهد به إلى الشهود العدول[٧٦].

وفي تطور آخر لاختصاصات الشهود نجد أن بعضهم ناب في القضاء بين الناس عن القاضي في احدى

الجلسات ، فقد عهد القاضي عبدالله بن زَبْرِ إلى أحد شهوده وهو محمد بن بدر[٧٧] بالحكم بين الناس ، عندما أخبره بعض الحجاب بكثرة الخصوم على الباب ، فقال القاضي لمحمد بن بدر «قم يا أبابكر فاحمل عني وانظر بين الناس»[٧٨] . كما ناب بعض الشهود في الحكم عن القاضي[٧٩] ، وكذلك قسم أحد القضاة اختصاصاته بين اثنين من الشهود .[٨٠]

ويمكن أن نَخْلُصَ من هذا إلى أن واجبات الشهود العدول تعددت وأصبحت تتضمن عدة واجبات أساسية من أهمها :

١ـ الشهادة في مجلس القضاء ، فلهم وحدهم حق الشهادة في مجلس القضاء في الدعاوى التي تنظر فيه ، وعلى المدعي أن يحضر بهذا المجلس عدولا قد عرفهم القاضي[٨١] ، لأن القاضي إنما يحكم بالبنية المزكاة .[٨٢]

٢ ـ الشهادة على أحكام القاضي، فكان القاضي لا يمكن أن يسجل حكمًا إلا بحضور شاهدين عدلين على أقل تقدير ليشهدوا على اسجاله هذا ويكتبوا خطوطهم بالشهادة بذلك ، ولذلك كان على الشهود مرافقة القاضي دائمًا والمواظبة على حضور مجلسه .[٨٣]

٣ ـ الشهادة على الشهادة لكي تقبل عند القاضي .

٤ ـ الكتابة والشهادة على الصكوك ، وكتب البيع والشراء ، والوقف ... إلخ[٨٤] ، فلا ينعقد العقد إلا بشهادة الشهود[٨٥] ، فتوقيع القاضي على الحكم أو الكتابة على الوثيقة بخطه لايكسب الحكم قيمة مؤكدة إلا إذا شهد عليه اثنان على الأقل من الشهود العدول ، وذلك عملا بما جاء بآية الدين .[٨٦]

وقد بالغ أصحاب المصالح في الاكثار من الشهود على كتب الوقف بالذات لضمان حمايتها ، حتى أن الأمير بدر الدين الشمسي الصالحي النجمي أشهد على كتاب وقفه للدار البيسرية اثنين وتسعين عدلاً .[٨٧]

٥ ـ الشهادة على كتب العهود السياسية .

٦ ـ منهم من يختص بتقييم الأشياء من البضائع والعقارات ، وهم

الذين عرفوا في الوثائق والمصادر باسم «شهود القيمة»[٨٨]، وقد ورد بوثائق العصور الوسطى عن شهادة شهداء القيمة النص الآتي: «يشهد من يضع خطه آخره فيه ومن يوضع عنه باذنه آخره فيه من شهداء القيمة أرباب الخبرة بقيمة الأراضي وأجرها، والعقارات وقيمتها والأبنية وعيوبها[٨٩].

٧ — ومن شهود القضاء أيضًا «شهود السبيل»، وكانوا يسمون أيضًا «شهود المحمل»، وكانوا يكلفون بمصاحبة المحمل مع أمير الركب، وقاضي الركب، وكانت تكتب لهم في عصر المماليك مربعات شريفة من ديوان الوزارة.[٩٠]

وهكذا نرى أن تطور وظيفة «**الشاهد العدل**» أدت إلى أن يصبح الشاهد شخصية هامة لعبت دورًا أساسيًا في النظام القضائي، حتى أن كثيرًا من القضاة بدأوا حياتهم كشهود عدول، أو عادوا إلى الشهادة بعد اعتزالهم القضاء.[٩١]

وكثيرًا ما كان للشهود أثر في تولية القضاة، وذلك بتشجيع بعض الطامعين على السعي لهذا المنصب، أو بالشهادة بكفايتهم أمام الأمير.[٩٢]

وكذلك قام الشهود بدور سياسي، وبخاصة في المؤامرات والدسائس بين أمراء المماليك[٩٣]، ونظرًا لأهمية الشهود وعملهم أصبحوا من «أعيان الناس» أو «أعيان البلاد» وقال عنهم الشاعر:

هم السلاطين إلا أن حكمهم
على السجلات والأملاك والدور[٩٤]

وكان من الطبيعي أن يكون للشهود رئيس يتولى الدفاع عن مصالحهم، وكانت له سلطة عليا، ونوع من سلطة الإدارة والتمثيل، وهو ماعرف باسم «رئيس الشهود» أو مقدم الشهود، أو وجه الشهود[٩٥]، أو كبير الشهود ومقدمهم.[٩٦]

وكان الشهود يمارسون اختصاصهم في دائرة اختصاص قضائية محددة، ويرتبطون بقاضي هذه الدائرة ويتبعونه.[٩٧]

ونظرًا لارتباط الشهود بمصالح الناس فقد اختصوا بأماكن محددة يجلسون بها مثل نواب الحكم، وعرفت هذه الاماكن باسم:

المسـاطب ، أو الحوانـيت ، أو الدكاكين ، أو المراكز[٩٨] ، وهذه الاماكن معروفة لدى الناس لإجراء المعاملات الشرعية ، واشهر هذه الاماكن بالقاهرة في عصر سلاطين المماليك عند رأس باب زويلة[٩٩] ، وتحت الربع ، وعند حبس الرحبة ، وبـاب الـقـنـطـرة[١٠٠]، وجـامـع الصالح[١٠١] ومجلس الشافعية بالجوهرة ظاهر باب الفتوح[١٠٢]... إلخ فيبدو أن هذه الاماكن كانت تنتشر انتشارًا جاهيرياً لخدمة افراد الشعب من المتقاضين أو المتصرفين لقضاء حوائجهم من تحرير وكتابة وشهادة على عرائض الدعوى والعقود الناقلة للملكية وغيرها من أنواع التصرفات القانونية الشرعية .

وكان أصحاب الحاجات يتكفلون بأجور العدول من الكتاب والشهود ، مقابل كتابة الوثائق ومراجعتها والشهادة عليها ، وغير ذلك من الشئون القضائية ، وكان الأجر في الغالب حوالي ربع عشر قيمة العقد أي ٢,٥ ٪ ، وقد عاب السبكي على الشهود ذلك .[١٠٣]

أما جلوس الشهود في مجالس الحكم ، فكانوا يجلسون حول القاضي يمنة ويسرة «على مراتبهم في تقدم تعديلهم .. حتى يجلس الشاب المتقدم التعديل أعلى من الشيخ المتأخر التعديل» . وكذلك كان ترتيب الشهود في المواكب التي يسير فيها القاضي حسب أقـدميـتهـم في الـتـعـديـل أيضًا .[١٠٤]

ونظرًا لهذه الأهمية الكبيرة لوظيفة «**الشاهد العدل**» لم يكتف القضاة بتدوين أسماء الشهود المعدلين في سجلات ، بل أصبح الأمر يقتضي أن يصـدر الـقـاضي اسجالا بثبوت العدالة ، يأذن فيه لمن تثبت عدالته بتحمل الشهادة وأدائها .

وفي القرن ٨ هـ/١٤ م يذكر لنا النويري أن القاعدة التي استقرت بين الناس في اسجالات العدالة في عصره ، أن القاضي كان ينص في اسجال العدالة على أنه :

«وحكم بعدالته ، وقبول قوله في شهادته ، وأجاز له ذلك وأمضاه ، وأختاره وارتضاه ، وألزم ما اقتضاه مقتضاه ، وأذن سيدنا قاضي القضاه فلان لفلان المحكوم بعدالته في تحمل

الشهادات وأدائها ، لتحفظ الحقوق على اربابها وأوليائها وسمع شهادته فقبلها ، وأجازها ، وامره أن يرقم على حلل الطروس طرازها وبسط قلمه بسطًا كليًا ، ونصبه بين الناس عدلاً مبررا مرضيًا ، وأجراه مجرى أمثاله من العدول المبررين وسلك به مسلك الشهداء المتميزين » .(١٠٥)

ويذكر القلقشندي أنه في أوائل القرن ٩ هـ/١٥ م ، جرت العادة أن أبناء العلماء والرؤساء ، وبناء على « قصة » يتقدم من يشاء منهم بها(١٠٦) ، تثبت عدالتهم على الحكام ، ويسجل لهم بذلك ، ويحكم الحاكم بعدالة من تثبت عدالته لديه ، ويشهد على نفسه بذلك ، ويكتب له بذلك « أسجال عدالته » في درج عريض ، أما في قطع فرخة(١٠٧) الشامي الكاملة ، واما في نحو ذلك من الورق البلدي(١٠٨) ، وتكون كتابته بقلم الرقاع(١٠٩) ، وأسطره متوالية ، بين كل سطرين تقدير عرض أصبع أو نحو ذلك(١١٠) .

وأورد لنا القلقشندي نص اسجال عدالة أنشأه وكتب به لابنه محمد(١١١) عند ثبوت عدالته على الشيخ أحمد بن عبد الرحيم العراقي(١١٢) وذلك في ٢٨ رجب ٨١٣ هـ/١٤١٠ م .(١١٣)

ونص فيه على أن القاضي « حكم بعدالته ، حكمًا تامًا وجزم ، وقضى فيه قضاء أبرمه ، وأذن له — أيد الله تعالى أحكامه — في تحمل الشهادة وأدائها ، وبسط قلمه في سائر أنديتها وأرجائها ، وأجراه — أجرى الله تعالى الخيرات على يديه — مجرى أمثاله من العدول ، ونظمه في سلك الشهداء أهل القبول ، ونصبه بين الناس شاهدًا عدلاً ، اذ كان صالحًا لذلك وأهلاً » .(١١٤)

ولما كان أسجال العدالة الذي أورده القلقشندي في كتابه أنشأه لابنه ، فقد أفاض فيه على ابنه من الصفات والتعبيرات الكثير ، ومن هذه الوجهة تأتي أهمية نشر أسجال العدالة موضوع الدراسة فهو يعطينا صورة صادقة تمامًا لاسجالات العدالة التي ترجع إلى النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي .

واسجال العدالة الذي نقدمه للنشر اليوم ، هو اسجال العدالة الوحيد — فيما أعلم — الذي حفظه لنا التاريخ في دور الأرشيف بالقاهرة حتى اليوم ، وقد عثرت عليه في صيف ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٨ م بدفترخانة وزارة الأوقاف بالقاهرة أثناء إعدادي لفهرست وثائق القاهرة .(١١٥)

والوثيقة موضوع الدراسة فريدة من نوعها اذ أنها تختلف في موضوعها عن غيرها من الوثائق الموجودة بدفتر خانة وزارة الأوقاف ، ولذا فاني أرجح أنها وصلت إلى هذه الدفترخانة ضمن وثائق أخرى كانت محفوظة باحدى خزائن الكتب في مسجد أو في مدرسة أو في خانقاة ، وتداولتها الأيدي إلى أن وصلت إلى هذه الدفترخانة .

ونظرًا لعدم أهمية موضوعها — بالنسبة لوزارة الأوقاف — فقد كانت مهملة دون ترقيم أو فهرسة حتى عثرت عليها ، فقمت لأول مرة بترقيمها وفهرستها ، واجتذبني موضوعها لدراستها وتقديمها للباحثين والدارسين .

والجدير بالذكر أن هذه الوثيقة تمثل مرحلة من مراحل إعداد الوثائق في العصور الوسطى ، فقد جرت العادة أن يقوم القاضي الموثق بكتابة صيغة معينة من الحمدلة بعد البسملة ، وأن يترك كاتب الوثيقة مقدار سطر في وسط الوثيقة يتفق وسياق الكلام ليكتب فيه القاضي بخطه التاريخ باليوم والشهر ، كما يترك مقدار سطر في نهاية الاسجال ليكتب فيه القاضي أيضًا وبخطه عبارة الحسبلة .(١١٦)

والوثيقة التي بين أيدينا فاقدٌ أولُها ، فلم تظهر بها علامة القاضي الموثق ، كما ينقصها التاريخ باليوم والشهر ، وينقصها أيضًا الدعاء الختامي وهو الحسبلة ، والتي كان من المفروض — حسب العادة — أن يكتبها القاضي الموثِّقُ بخطه ، والتي كان من المفروض — حسب العادة — أن يكتبها القاضي الموثِّقُ بخطه ، والوثيقة بهذه الحالة إما أن تكون مسودة لوثيقة أخرى نهائية كتب عليها القاضي بخطه ، وإما هناك سبب مجهول لدينا — أدى إلى عدم استكمال إجراءات توثيق اسجال العدالة هذا .

فهرسة اسجال العدالة :

١ ـــ الفهرسة الشكلية :

رقم الوثيقة : ٧٩١ جديد
مكان الوثيقة : محفوظات (دفترخانة) وزارة الأوقاف بالقاهرة .
مادة الكتابة : ورق
شكل الوثيقة : ملف
عدد الدروج : ٧
أبعاد الوثيقة : ٢٣٦×٢٧,٥سم
حالة الوثيقة : فاقد جزء من أولها ، وهامشها الأيسر ممزق وبها آثار رطوبة واضحة .

٢ ـــ الفهرسة الموضوعية :

موضوع الوثيقة : اسجال بثبوت عدالة .
التاريخ : ٨٦٠ هـ (١٤٥٦ م) .
ملخص الوثيقة :
(أ)قصة مرفوعة إلى أبو السعد سعد العبسي الديري الحنفي الناظر في الأحكام الشرعية .
(ب)مرفوعة من : محمد بن أحمد بن علي الحسام الحنفي .
(جـ)تحويل الموضوع إلى القاضي محمد بن عبدالرحيم الطرابلسي الحنفي للنظر فيه .
(د)الحكم بثبوت عدالة المتقدم .

منهج النشر :

راعيت في نشر هذا الاسجال المحافظة على أصل النص محافظة تامة ، كما هو بحروفه ، وألفاظه وأخطائه دون تصحيح أو تعديل ، ليدل على أسلوب ولغة ومصطلحات وثائق العصر. ولم أضف إلى النص سوي وضع نقط لبعض الحروف ، أو الهمزات حتى يسهل على القارئ متابعة النص .

وجعلت كل سطر في الوثيقة سطرًا مستقلاً ، وأعطيت له رقمًا حسب ترتيبه في متن الوثيقة .

ثالثًا : نص اسجال العدالة :

١ ـــ ....[١١٧]
٢ ـــ وأكنافه واستقام على الحق ظاهرة وصلحت .....[١١٨]

٣ — سالك العفاف والديانة تلبسا بملابس الأمانة والصيانة ....

٤ — مسلك المتقين واقتبس أنوار المتفقهين في الدين ولاحت عليه ....

٥ — العدالة وظهرت وذاعت محامده واشتهرت وقامت البينة بأهـ ...

٦ — بتقليدها وأنه كفء لتناول تقليدها ووضح ذلك من أمره ...

٧ — وشوهدت شرائط العدالة فيه وما الخبر كالعيان رفع قصة[119] لسـ [سيدنا][120]

٨ — ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ الامام العالم العامل العلامة الحبر البحـ [ـر]

٩ — الفـهامة الحافظ الرحلة المحقق الحجة المجتهد الأمة سعد الدين شيخ الإسلام.

١٠ — أوحد المجتهدين الأعلام ملك العلماء كنز النحاه والأدباء امام الفصحاء والبلغاء .

١١ — لسان المتكلمين حجة المناظرين رحلة الطالبين محيي سنة سيد المرسلين القائم

١٢ — بأعباء أمور الدين مالك أزمة الفتيا قاضي المسلمين خالصة أمير المؤمنين أبو السعد

١٣ — سعد العبسي الديري الحنفي[121] الناظر في الأحكام الشرعية بالديار المصرية

١٤ — وسائر الممالك الشريفة الاسلامية أدام الله أيامه الزاهرة وأفاض عليه.

١٥ — سوابغ نعمه الوافرة وجمع له بين خيري الدنيا والآخرة وأحسن إليه وأجر [ي]

١٦ — الخيرات على يـديه مضـمونها بعد البسملة الشريفة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٧ — المملوك[122] محمد بن أحمد بن على الحسام الحنفي[123] يقبل الأرض[124] بين يدي سيدنا ومولانا قاضي القضاة

١٨ — شيخ الاسلام الحنفي أمتع الله بوجوده الأنام نهى أن المملوك من حملة كتاب الله العزيز

١٩ — وطـلـبة العلم الشريف وسؤاله من الصدقات القيمة اذن كريم

لأحد النواب بسماع بينة المملوك.
٢٠ ــ وثبوت عدالته والاذن بتحمل الشهادة وأدائها على الوجه الشرعي أسوة أمثاله.

صدقه عليه واحسانا إليه واغتنام أجره ودعائه أنهى [١٢٥] ذلك ان شاء الله تعالى الحمد لله وحده .
٢٢ ــ وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه وحسبنا الله ونعم الوكيل[١٢٦] فشملها الخط [١٢٧] الكريم
٢٣ ــ ما مثاله القاضي معين الدين أعزه الله تعالى ينظر في ذلك على الوجه الشرعي[١٢٨] فتلقى سيدنا
٢٤ ــ العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ معين الدين شرف العلماء أوحد الفضلاء مفتي المسلمين أبو الخير محمد
٢٥ ــ ابن سيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ الامام تاج الدين شرف العلماء أوحد
٢٦ ــ الفضلاء مفتي المسلمين أبو اليسر عبد الرحيم الطرابلسي الحنفي[١٢٩] خليفة الحكم العزيز بالديار المصرية
٢٧ ــ أيد الله تعالى أحكامه وأحسن إليه ذلك بالسمع والطاعة

وأشهد على نفسه الكريمة من حضر
٢٨ ــ مجلس حكمه وقضائه وهو نافذ القضاء والحكم ماضيها وذلك في اليوم المبارك
٢٩ ــ .... [١٣٠]
٣٠ ــ سنة ستين وثمانمائة أنه ثبت عنده[١٣١] وصح لديه أيد الله تعالى أحكامه وأحسن إليه علي .
٣١ ــ الأوضاع الشرعية والقوانين المرعية [١٣٢] بالبينة المرعية التي قامت لديه أحسن الله
٣٢ ــ تعالى إليه وقبلها القبول الشرعي السائغ في مثله عدالة الفقير إلى الله تعالى
٣٣ ــ المراضي العدل الرضى شمس الدين زين المخلصين تاج المشتغلين صدر المدرسين قدوة
٣٤ ــ الطالبين أبي عبدالله محمد ابن الفقير إلى الله تعالى المراضي شهاب الدين أحمد بن المجلس المرحوم علاء الدين
٣٥ ــ على المشهور نسبه الكريم بابن الحسام الحنفي حفظه الله تعالى ثبوتًا صحيحًا شرعيًا
٣٦ ــ تاما معتبرا مرضيا

وحكم (١٣٣) أيد الله تعالى أحكامه وأحسن إليه بموجب ذلك (١٣٤) .

٣٧ — حكما شرعيًا أجازه وأمضاه وقضي ى به والتزم بمقتضاه وأذن لي في

٣٨ — تحمل الشهادة وآدائها وبسط قلمه في أنديتها وأرجائها وأجراه مجرى العدول

٣٩ — المبرزين والشهداء المتميزين لما اشتهر من عفته وصيانته ووثوقا لما ظ [ـهر]

٤٠ — من ديانته وسكونا إلى ما أبدته سيرته التي لهجت بشكرها الألسنة وما

٤١ — حازه من حسن الصفة وركونا لما اجتمع فيه من علم ومعرفة وفيه أوصاف

٤٢ — أخر يقصر عنها لسان الوصف ولو عددناها وعطفنا بها عطف النسق لنفذت

٤٣ — واو العطف لكن نختصر أوصافه ونصفه(١٣٥) مجملا فنقول أنه حنفي حسامي

٤٤ — علما وعملا فيلتقي ماقلده من هذا المنصب الشريف وتولاه بجزيل شكر مولاه

٤٥ — على ما أولاه وليعلم أنه منصب لايؤهل له إلاَّ كلُّ ذي جد كريم ومرتبة سنية

٤٦ — لايلقاه الا ذو حظ عظيم وليؤد حق هذه النعمة في الابتداء والانتهاء

٤٧ — ويستعمل الحق في التحمل والآداء والوصايا كثيرة وملاكها التقوى والتمسك

٤٨ — بها هو الحِصْنُ الأوفى والبب الأَقوى فيجعل عليها اعتماده وإليها

٤٩ — استناده والله تعالى موزعه شكر هذه الرتبة العلية والمنزلة السنية

٥٠ — ويوفقه وايانا لصالح العمل ويعصمنا واياه من الزيغ والزلل واشهد

٥١ — سيدنا الحاكم المنيب المشار إليه فيه ايد الله تعالى احكامه على نفسه الكريمة بما نسب إليه

٥٢ — في هذا السجال في التاريخ المقدم ذكره أعلاه المكتوب بخطه الكريم أعلاه شرفه

٥٣ — [الله تعا] لى وأعلاه ...... وسلم .

[illegible] واستفادت الكبير الجماهير [illegible]

[illegible] الفوائد الدينية متلبسا بالابس الالطاف [illegible]

[illegible] المشكل واقتبس انوار المتفهمات الغيب [illegible]

[illegible] الفخهم ودلعت [illegible] واستشرف ونماه البيت [illegible]

[illegible] وانه لقول لمتناول [illegible] ودفع ذلك ما امور

وشرف [illegible] شرايط العبد الفقير وما الخبر كالعيان رفع قصده [illegible]

[illegible] العلما [illegible] تعالى الشيخ الامام العالم العامل العلامة [illegible]

[illegible] الحافظ الرحلة المحقق الحجة المجتهد الامة سعد الدين شيخ الاسلام

الفهامة الحافظ الرحلة المحقق الحجة المجتهد الامة سعد الدين شيخ الاسلام

اوحد المجتهدين الاعلام ملك العلما كنز الفقها والادبا امام الفصحاء والبلغاء

لسان المتكلمين حجة المناظرين املح الطالبين محيي سنة سيد المرسلين [illegible]

بهاء امور الدين [illegible] الفقيه [illegible] المسلمين خالصا امير المؤمنين [illegible]

سعد الملة والدين الحنفي الناطق [illegible] الزعيم الديار المصرية

وسلطان الممالك الشريفة الاسلامية ادام الله ايامه الزاهرة واقبالها

[illegible] احمد الوافرة وجمع له بين خيري الدنيا والاخرة [illegible]

[illegible] عليه [illegible] الزاهد والطلاب [illegible]

[illegible] والاعلام [illegible] الاصل [illegible]

[illegible] الموقت الاجزء [illegible]

[illegible] الاسم [illegible] ان [illegible]

[illegible] الاحكام [illegible] العلم [illegible]

وطلب العلم [illegible] العبه اذ [illegible] الدواب [illegible]

[illegible] الادن [illegible] واذا [illegible]

[illegible] واعتنا اهر ودعاء [illegible]

[illegible] الكلب فيما ها [illegible]

[illegible] اذ الاعمال [illegible]

[illegible] الاعمال [illegible]

[illegible] فى الاعمال [illegible]

[illegible] سالم العالم [illegible] والعلماء [illegible]

[illegible] المعنى [illegible] الامور [illegible]

[illegible] والطلعه [illegible]

[illegible] وهو انه العقا [illegible]

[illegible] تعالى الا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الامين ... الدين ... زين الدين ابن تاج ... في ...

العالم ... ابن ... شهاب الدين ... المجلس ... علاء الدين

... اصحابنا عنه

... مرضيا وحكم ايده الله تعالى ... والده

تاما معتبرا مرضيا وحكم ايده الله تعالى باثبات ما حكم به والده

حكما شرعيا اجازه وامضاه وقضى به والزم بمقتضاه واذن له

... واداها ... قبلها في اندية ... واجراه مجرى ...

المبرزين والشهود المتميزين لما اشتهر من عفته وصيانته ووثوقا

روايته وسكونا الى ما ابدته سيرته الى ... الا ...

... من حسن الصفة وذكونا لما اجتمع فيه من علم ومعرفة وفضل واوصاف

[illegible] يقصر عنها لسان الوصف ولو عددناها وعطفناها عطف النسق

لنفد

أن يقصر عنها لسان الوصف ولو عددناها وعطفناها عطف النسق

حسامي

واو العطف لكن نختصر أوصافه ونقول ونصفه مجملا فنقول إنه حنفي

مولاه

علماً وعملاً فليتلق ما قلده من هذا المنصب الشريف وتولاه بجزيل شكر

ومرتبة سنية

على ما أولاه وليعلم أنه منصب لا يؤهل له إلا كامل ذي جد كبير

والانتهاء

لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم وليؤدِ حق هذه النعمة في الابتداء

الذي

ويستعمل الخوف في التحمل والأداء والوصايا كثيرة وملاكها التقوى

اعتمادا

لما هو الحصن الأوفى والسبب الأقوى فليجعلها عليه اعتماده

لما هو الحصن الأوفى والسبب الأقوى فليجعل عليها اعتماده

والمنزلة [illegible]

[illegible] يشاه [illegible] يوزعه شكر هذه الرتبة العلية

ويوفقه وإيانا لصالح العمل ويعصمنا وإياه من الخطأ والزلل

[illegible] الحاكم المشار إليه فليعتمد [illegible]

[illegible] الإجمال في التاريخ [illegible] إلا المتوقف [illegible]

المصـــادر والمراجـــع

١ ــ القرآن الكــريم

ابن اياس (أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي ت ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٤ م) :

٢ ــ بدائع الزهور في وقائع الدهور

٣ ــ ٥ نشر محمد مصطفى ــ القاهرة : ٦٠ ــ ١٩٦٣

ابن حجر(شهاب الدين العسقلاني ت ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨ م) :

٣ ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري

١٣ جزء ــ مصر ١٣١٩ هـ

٤ ــ رفع الاصر عن قضاة مصر

تحقيق د. حامد عبدالمجيد ، محمد ابو سنة

جزءان ــ القاهرة ١٩٥٧ ــ ١٩٦١

ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م) :

٥ ــ المقدمة

المكتبة التجارية ــ القاهرة ب.ت.

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحـمـد بـن محـمـد ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م) :

٦ ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

تحقيق إحسان عباس ــ ٧ أجزاء ــ بيروت.

ابن سعد (محمد بن سعد كاتب الرافدي ت ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤ م) :

٧ ــ الطبقات الكبرى ــ بيروت ١٩٦٨

ابـن الصيرفي(علي بـن داود الجوهري ت ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٤ م) :

٨ ــ نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان

٣ أجــزاء ــ الــقــاهــرة ١٩٧٠ ــ ١٩٧٣

ابن عبدالحكم (عبدالرحمن بن عبدالله ت ٢٥٧ هـ/ ٨٧١ م) :

٩ ــ فتوح مصر واخبارها ــ ليدن ١٩٢٠ م

ابن منظور (جمال الدين محمد مكرم الانصاري ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م)

١٠ ــ لسان العرب
٣٠ جزء ــ بولاق ١٣٠٠ ــ ١٣٠٨ هـ

القباعي (إبراهيم بن عمر بن حسن، برهان الدين ت ٨٨٥ هـ/ ١٤٨٠ م):
١١ ــ عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران
(مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٠٠١ تاريخ ٤ مجلدات)

حسن الباشا (الدكتور):
١٢ ــ الفنون الاسلامية والوظائف
٣ اجزاء ــ القاهرة ١٩٦٥ ــ ١٩٦٦

١٣ ــ الألقاب الاسلامية
القاهرة ١٩٥٧

الخصاف (أبو بكر أحمد بن عمر الشيباني ت ٢٦١ هـ/ ٨٧٥ م):
١٤ ــ كتاب أدب القاضي
قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٧٨.

السبكي (عبدالوهاب السبكي، تاج الدين ت ٧٧١ هـ/ ١٣٧٠ م):
١٥ ــ معيد النعم ومبيد النقم
تحقيق محمد علي النجار، أبوزيد شلبي، محمد أبو العيون ــ القاهرة ١٩٤٨ م.

السخاوي (شمس الدين محمد بن عبدالرحيم ت ٩٠٢ هـ/ ١٤٩٧ م)
١٦ ــ الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع
١٢ جزء مصر ١٣٥٣ ــ ١٣٥٥ ه

١٧ ــ الذيل على رفع الاصر
تحقيق جودة هلال، محمد محمد صبح ــ القاهرة ب.ت

السرخسي (أبوبكر محمد بن أبى سهل ت حوالي ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦ م).
١٨ ــ المبسوط
٣٠ جزء مصر ١٣٣١ هـ

سعيد عبدالفتاح عاشور (الدكتور):
١٩ ــ المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك القاهرة ١٩٦٢

سيدة اسماعيل الكاشف (الدكتور):
٢٠ ــ مصر في عصر الاخشيديين
ط. ثانية القاهرة ١٩٧٠.

السيوطي (عبدالرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م) :
٢١ ــ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة
جزءان ــ القاهرة ١٩٦٨ .

الشافعي (الامام أبو عبدالله محمد بن ادريس ت ٢٠٤/ ٨٢٠ م)
٢٢ ــ الأم
٧ أجزاء ــ بولاق ١٣٢١ هـ .

الطرابلسي (علي بن خليل ت ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠ م) :
٢٣ ــ كتاب معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام
القاهرة ١٣٠٦ هـ .

عطية مصطفى مشرفة
٢٤ ــ القضاء في الإسلام
ط . ثانية القاهرة ١٩٦٦

العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيي ابن فضل الله ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٩ م) :
٢٥ ــ التعريف بالمصطلح الشريف
القاهرة ١٣١٢ هـ

القلقشندي : (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م) :
٢٦ ــ صبح الأعشى في صناعة الانشا
١٤ جزء القاهرة ١٩١٩ ــ ١٩٢٢ م

الكاساني (علاء الدين أبوبكر بن مسعود الحنفي ت ٥٨٧ هـ/ ١١٩١ م)
٢٧ ــ بدائع الصانع في ترتيب الشرائع
٧ أجزاء مصر ١٣٢٨ هـ/ ١٩١٠ م

الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف ت. ٣٥٠ هـ/ ١٩٦١ م)
٢٨ ــ كتاب الولاه وكتاب القضاه
نشر وفن جست بيروت ١٩٠٨

مالك (الامام مالك بن أنس الاصبحي ت ١٧٩ هـ/ ٧٩٦ م) :
٢٩ ــ المدونة الكبرى (رواية الامام سحنون)
٤ أجزاء مصر ١٣٢٢ ــ ١٣٢٥ هـ

الماوردي (علي بن محمد حبيب

المصري) (ت ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٧ م)
٣٠ ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية
ط . ثانية ــ القاهرة ١٩٦٦

المزني (أبو إبراهيم اسماعيل بن يحيي ت ٢٦٤ هـ/ ٨٧٧ م)
٣١ ــ مختصر المزني (على هامش كتاب الأم للشافعي)
بولاق ١٣٢١ هـ

المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤٢ م)
٣٢ ــ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
ط . بولاق ٠٢٧٠ هـ .

٣٣ــ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك
٤ أجزاء (١٢ قسم)
تحقيق د. محمد مصطفى زيادة ، و د. سعيد عاشور ــ القاهرة ١٩٣٦ــ١٩٧٣.

محمد محمد أمين (الدكتور) :
٣٤ ــ الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر
القاهرة ١٩٨٠ .

٣٥ ــ فهرست وثائق القاهرة
المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية بالقاهرة)
القاهرة ١٩٨١ .

محمد محمد عونوس :
٣٦ ــ كتاب تاريخ القضاء في الاسلام
القاهرة ١٩٣٤

النويري (أحمد بن عبدالوهاب ت ٧٣٢ ه/ ١٣٣٢ م)
٣٧ ــ نهاية الأرب في فنون الأدب
من ج ١ ــ ٢٢ طبع القاهرة ١٩٢٣ــ١٩٧٦

وكيع : محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦ هـ/ ٩١٨ م) :
٣٨ ــ أخبار القضاه ــ تحقيق عبدالعزيز مصطفى المراغي
٣ أجزاء القاهرة ١٩٤٧ ــ ١٩٥٠

المراجع الأوربية :

39. Cahen, C. : "A Propos des Shuhud", Studia Islamica, XXXI (1970), 71-79.

40. Lapidus, I. : Muslim Cities in the Later Middle Ages. Cambridge, 1967.
41. Tyan, E. : Histoire de l'Organisation Judiciaire en Pays d'Islam - Paris, 1938.

الهوامش

(١) السرخس : المبسوط جـ ١٦ ص ١١٢ .
(٢) سورة رقم ٢ البقرة آية ٢٨٢ .
(٣) سورة رقم ٦٥ الطلاق آية ٢ .
(٤) سورة رقم ٥ المائدة آية ١٠٦ .
(٥) سورة رقم ١٢ يوسف آية ٢٦ .
(٦) الخصاف : كتاب أدب القاضي ، نشر فرحات زيادة — ص ٦٩٤ .
(٧) السرخس : مصدر سابق جـ ١٦ ص ١١٢ ، ابن منظور : لسان العرب مادة شهد .
(٨) سورة رقم ٤٣ الزخرف آية ٨٦ .
(٩) سورة رقم ١٢ يوسف آية ٨١ .
(١٠) السرخسي : مصدر سابق جـ ١٦ ص ١١٢ .
(١١) الطرابلسي : معين الحكام ص ٧٨ .
(١٢) انظر : السرخسي : مصدر سابق جـ ١٦ ص ١١٣ ، الطرابلسي : مصدر سابق ص ٨١ ، ابن حجر : فتح الباري جـ ٦ ص ١٨٠ ، الكاساني : بدائع الصانع جـ ٧ ص ١٠ ، ١١ ، الشافعي : الأم جـ ٦ باب الشهادة ، ومدونه الامام المالك برواية الامام سحنون جـ ٤ ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
(١٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٧١ ، ٧٢ ، الكاساني : مصدر سابق جـ ٧ ، ص ٩ ، الخصاف : مصدر سابق ص ٥١ .
(١٤) وكيع : أخبار القضاة جـ ٢ ص ٨ ، ١٣ .
(١٥) وكيع : أخبار القضاه جـ ٢ ص ٢٨٤ .
(١٦) Tyan, E.,: Histoire de l'Organisation Judiciaire en Pays d'Islam, p. 355.

(١٧) شريح بن الحارث الكندي ، أبو أمية ، من كبار التابعين ، استقضاه عمر على الكوفه ، ثم على من بعده ، وظل قاضيا ٧٥ سنة حتى استعفى الحجاج فأعفاه توفى عن مائة عام ، سنة ٨٧ هـ/٧٠٧ م — ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٦ ص ١٣١ ومابعدها ، ابن خلكان : وفيات الأعيان (تحقيق احسان عباس) جـ ٢ ص ٤٦٠ — ٤٦٣ ترجمة رقم ٢٩٠ .

(١٨) ابن سعد : مصدر سابق جـ ٦ ص ١٣٣ .

(١٩) ولى قضاء الكوفة في ولاية يوسف بن عمر عليها (١٢٠ — ١٢٦ هـ/ ٧٣٨ — ٧٤٣ م) وتوفى سنة ١٤٤ هـ/ ٧٦١ م — نفس المصدر جـ ٦ ص ٣٥١ .

(٢٠) الهدادهد : هدهد الشيء من علو إلى سفل حدره ، أي أسقطه لسان العرب مادة هدد .

(٢١) ابن سعد : مصدر سابق جـ ٦ ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

(٢٢) ولى غوث بن سليمان الحضرمي القضاء بمصر ثلاث مرات ، الألى من ١٣٥ — ١٤٠ هـ/ ٧٥٢ م ، والثانية من ١٤٠ — ١٤٤ هـ / ٧٥٧ — ٧٦١ م ، والثالثة من ١٦٧ — ١٦٨ هـ/٧٨٣ — ٧٨٤ م ، ابن الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٤١ ، الكندي : الولاه والقضاة صفحات ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٧٣ .

(٢٣) الكندي : مصدر سابق ص ٣٦١ .

(٢٤) ولى المفضل بن فضالة قضاء مصر مرتين الأولى من ١٦٨ — ١٦٩ هـ/ ٧٨٤ — ٧٨٥ م والثانية من ١٧٤ — ١٧٧ هـ/ ٧٩٠ — ٧٩٣ م ، ابن الحكم : مصدر سابق ص ٢٤٤ ، الكندي : مصدر سابق ص ٣٧٧ ، ص ٣٨٥ .

(٢٥) الكندي : مصدر سابق ص ٣٨٥ .

(٢٦) ولي قضاء مصر من قبل السري بن الحكم سنة ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م ، وحتى سنة ٢١١ هـ/ ٨٢٦ م ، ابن الحكم : مصدر سابق ص ٢٤٦ ، الكندي : مصر سابق ص ٤٢٧ ، ٤٣٠ .

(٢٧) الكندي : مصدر سابق ص ٤٢٨ .

(٢٨) ولي قضاء مصر من قبل عبدالله بن طاهر سنة ٢١٢ هـ/ ٨٢٧ م ، وحتى ٢١٤ هـ/٨٢٩ م ، نفس المصدر ص ٤٣٣ ، ٤٤١ .

(٢٩) هما سعيد بن تليد ، وعبدالله بن الحكم — نفس المصدر ص ٤٣٦ .

(٣٠) لعل هذا أول بذك لتولي هذه الوظيفة — نفس المصدر ص ٤٢٨ .

(٣١) عن محمد بن بدر الصيرفي . انظر ملحق كتاب الولاء والقضاء — نشر رفن جيت ، بيروت ١٩٠٨ — ص ص ٥٥٧ — ٥٦٢ .

(٣٢) ولي قضاء مصر من قبل المقتدر سنة ٣١٧ هـ/٩٢٩ م ولنحو ستة أشهر ، الكندي : مصدر سابق ص ٤٨٣ ، ٣٨٤ .

(٣٣) ملحق كتاب الولاه والقضاة ص ٥٥٩ .

(٣٤) Tyan: Op. Cit., pp. 356-357.

(٣٥) الكندي : مصدر سابق ص ٤٣٧ .

(٣٦) ولي القضاء بمصر سنة ١٩٦ هـ/ ٨١١ م وحتى سنة ١٩٨ هـ/ ٨١٣ م.، ثم وليها ثانية سنة ١٩٩ هـ/

٨١٤ م وحتى وفاته سنة ٢٠٤ هـ/ ٨١٩ م — ابن الحكم : مصدر سابق ص ٢٤٦ ، الكندي : مصدر سابق صفحات ٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٦ .

(٣٧) الكندي : نفس المصدر ص ٤٢٢ .

(٣٨) هو عبد الرحمن بن عبدالله العمري ، ولي قضاء مصر من قبل هارون الرشيد سنة ١٨٥ هـ/ ٨٠١ م وحتى سنة ١٩٤ هـ/ ٨٠٩ م ، ابن عبد الحكم : مصدر سابق ص ٢٤٥ ، الكندي : مصر سابق ص ٣٩٤ ، ٤١١ .

(٣٩) الكندي : نفس المصدر ص ٤٠٢ .

(٤٠) ولي قضاء مصر سنة ٣٩٤ هـ/ ١٠٠٣ م ، وقتل سنة ٣٩٨ هـ/ ١٠٠٧ م — نفس المصدر ص ٤٩٥، ٤٩٦ .

(٤١) حسين بن علي النعمان ، ولي قضاء مصر سنة ٣٩٠ هـ/ ٩٩٩ م ، وعزل سنة ٣٩٤ هـ/ ١٠٠٣ م — نفس المصدر ص ٤٩٥ .

(٤٢) ابن حجر : رفع الاصر ق ٢ ص٣٥٩ ، ملحق كتاب الولاة والقضاة ص٥٩٩ .

(٤٣) هو أحمد بن محمد بن أبي العوام ، ولى قضاء مصر سنة ٤٠٥ هـ/ ١٠١٤ م من قبل الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، وظل على قضاء مصر حتى سنة ٤١٨ هـ/ ١٠٢٧ م — ملحق كتاب الولاه والقضاة ص ٦١٠ .

(٤٤) نفس المصر ص ٦١٢ .

(٤٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢٤ ، وانظر أيضًا الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٦٦ .

(٤٦) الكندي : مصدر سابق ص ٣٨٥ .

(٤٧) رأي الناس أن المفضل بتعيينه عشرة شهود قد أتى أمرا عظما ، على أساس أن كل المسلمين عدول إلا من ثبت شيء ضد عدله ، ولذلك قال اسحاق ابن معاذ للمفضل :

سأدعوا الهي حتى الصباح
سننت لنا الجور في حكمنا وصيرت قوما لصوصا عدولا
ولم يسمع الناس فيا مضى بأن العدول عديدا قليلا

(الكندي : مصدر سابق ص ٣٨٦) .

(٤٨) ولى قضاء مصر في الفترة من ١٧٧ — ١٨٤ هـ/ ٧٩٣ — ٨٠٠ م ، ابن الحكم : مصدر سابق ص ٢٤٥ ، الكندي : مصدر سابق ص ٣٨٨ .

(٤٩) الكندي : نفس المصدر ص٣٨٩ .

(٥٠) انظر ماسبق عن عبدالرحمن بن عبدالله العمري .

(٥١) الكندي : مصدر سابق ص ٣٩٦ .

(٥٢) نفسه ص ٣٩٤ ، السيوطي : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٤٣ ، سيدة اسماعيل كاشف : مصر في عصر الاخشيديين ص ٢٣٣ .

(٥٣) ملحق كتاب الولاه والقضاة ص ٦١٢ .

(٥٤) عطية مصطفى مشرفة : القضاء في الاسلام ص ١٧٦ .

(٥٥) القلقشندي : صبح الاعشى جـ ١٠ ص ٢٧٠ ، ٢٨٢ — ٢٨٣ ، ٢٨٩ .

(٥٦) نفسه جـ ١٠ ، ص ٣٥٥ — ٣٥٦ ، ٣٨٤ ، ٤٣٢ .

(٥٧) نفسه جـ ١١ ص ١٨٦ ، وانظر تقليد يرجع إلى العصر الايوبي — السيوطي : مصدر سابق جـ ٢ ص ص ١٥٤ — ١٥٩ .

(٥٨) القلقشندي : مصدر سابق جـ ١٤ ، ص ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ .

(٥٩) نفسه جـ ١١ ، ص ١٩٢ — ١٩٣ ، جـ ١٢ ص ٤٧ ، ٥٢ .

(٦٠) نفسه جـ ١١ ص ١٩٧ ، العمري : التعريف ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٦١) القلقشندي : مصدر سابق جـ ١٠ ص ص ٣٥٢ — ٣٥٧ ، وانظر أيضًا :

Lapidus, I., Muslim Cities in the Later Middle Ages, p. 137.

(٦٢) نفسه جـ ١٠ ص ٣٥٥ — ٣٥٦ .

(٦٣) نفس المصدر جـ ١٤ ص ٣٤٣ .

(٦٤) ولي ضقاء مصر سنة ٤٠ هـ/ ٦٦٠ م من قبل معاوية إلى أن عزل سنة ٦٠ هـ/ ٦٧٩ م — الكندي : مصدر سابق ص ٣٠٣ ، ٣١١ .

(٦٥) نفسه ص ٣١٠ ، ابن حجر : مصدر سابق ق ٢ ص ٢٥٤ .

(٦٦) انظر ماسبق عن محمد بن مسروق

(٦٧) القلقشندي : مصدر سابق جـ ١ ص ٤١٩ .

(٦٨) ولي قضاء مصر من قبل خمارويه بن أحمد بن طولون سنة ٢٧٧ هـ/ ٨٩٠ م وإلى أن صرف عنه سنة ٢٨٣ هـ/ ٨٩٦ م ، ثم ولي القضاء ثانية لحوالي شهرين من سنة ٢٩٢ هـ/ ٩٠٤ م — الكندي : مصدر سابق ص ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، وملحق نفس الكتاب ص ص ٥١٤ — ٥١٨ .

(٦٩) ملحق كتاب الولاه والقضاة ص ٥١٦ .

(٧٠) قدم من بلاد المغرب صحبة المعز لدين الله فولاه النظر في المظالم ، وأمر عبدالله بن أبوثوبان الشهود أن يكتبوا عنه في سجلاته «قاضي مصر والإسكندرية» ابن حجر : مصدر سابق ق ٢ ص ٢٩٦ ، ملحق كتاب الولاه والقضاة ص ٥٨٧ .

(٧١) نفس المراجع والصفحات .

(٧٢) عن الأمثلة الدالة على ذلك انظر د. محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة صفحات ٣٤٧ — ٣٥٢ ، ٣٩٩ — ٤٠٥ ، ٤١٨ — ٤٢١ ، ٤٣٦ — ٤٣٨ ، ٤٥٧ — ٤٦٠ ، ٤٩٧ — ٥٠٢ .

(*) وردت هذه الكلمة «أسجال» في سياق البحث أكثر من مرة ، ومعناها (سجلات) وقد تركناها كما هي .

(٧٣) ملحق كتاب الولاه والقضاة ص ٥٩٥ .

(٧٤) ولي قضاء مصر سنة ٣٨٩ هـ/ ٩٩٨ م وحتى ٣٩٤ هـ/ ١٠٠٣ م — نفسه ص ٥٩٦ ، ٥٩٨ .

(٧٥) المودع الجمع مودعات : صندوق الأموال ، والأصل لحفظ أموال اليتامى والقصر ، وأموال الغائبين أيضًا — السلوك جـ ١ ص ٨٦٤ حاشية (٣) .

(٧٦) ملحق كتاب الولاه والقضاة ص٥٩٥ ، ٥٩٧ .
(٧٧) انظر ماسبق عن محمد بن بدر .
(٧٨) ملحق كتاب الولاه والقضاه ص ٥٤٠ .
(٧٩) نفسه ص ٥٧١ .
(٨٠) نفسه ص ٥٧٢ .
(٨١) عطية مصطفى مشرفه : القضاء في الإسلام ص ١٧٦ .
(٨٢) محمود بن محمد عرنوس : كتاب تاريخ القضاء في الإسلام ص١٣٢ .
(٨٣) ملحق كتاب الولاه والقضاه ص ٥٩٠ ، ابن حجر : رفع الاصر ق ٢ ص ٤٠٩ ، مختصر المزني : على هامش كتاب الأم للشافعي جـ ٥ ص ٢٤٤ .
(٨٤) وللأمثلة الدالة على ذلك انظر محمد محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة وصفحات ٣٤٣ — ٣٤٦ ، ٢٦٢ ، ٣٧٦ — ٣٨٠ ، ٤٠٢ — ٤٠٥ ، ٤١٦ — ٤١٧ ، ٤٣٥ — ٤٥٦ ، ٤٧٦ — ٤٧٩ ، ٤٩٤ — ٤٩٦ .
(٨٥) المقريزي : السلوك جـ٣ ص ٤٠ ، ٤١ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٥ ، ص ٣٥٧ ، مختصر المزني جـ ٢ ص ٢٤٦ .
(٨٦) سورة ٢ البقرة آية ٢٨٢ ، النويري : نهاية الأرب جـ ٩ ص ١٤٧ .
(٨٧) المقريزي : المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ٢٦٩ ، محمد محمد أمين الأوقاف والحياة الاجتماعية ص ٨٥ .
(٨٨) ابن الصيرفي : نزهة النفوس جـ٣ ص٢٥٨ ، ٤٣٢ ، القلقشندي : صبح الأعشى جـ ١١ ص ١٩٧ .
(٨٩) مثال ذلك انظر : محمد محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة ص٤٧٧ ، ٤٩٥ .
(٩٠) القلقشندي : مصدر سابق جـ ١١ ص ٤٤٣ ، حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف جـ ٢ ص ٦٢١ .
(٩١) منهم على سبيل المثال محمد بن يحيي الاسواني ، أبو الذكر ، الذي عاد إلى الشهادة بعد عزله من القضاء سنة ٣١٢ هـ/ ٩٢٤ م — ملحق الولاة والقضاة ص ٥٣٣ .
(٩٢) ملحق الولاة والقضاة صفحات : ٥٤٦١ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٦ ، ٥٨٣ .
(٩٣) المقريزي : السلوك جـ ٢ ص ٢٧٣ .
(٩٤) السبكي : معيد النعم ص ٦٣ ، Lapidus: Op. Cit., p. 264.
(٩٥) الكندي : مصدر سابق جـ٣٩٦ ، ملحق الولاة والقضاة ص ٥٦٨ ، ٥٧٥ ، ٥٨٩ .
(٩٦) ملحق الولاة والقضاة ص ٥٨٨ ، ابن حجر : رفع الاصر ق٢ ص٢٩٧ .
(٩٧) سعيد عاشور : المجتمع المصري ص١٥٨ .
(٩٨) المقريزي : السلوك جـ٣ ص ٤٠١ ، السخاوي : الضوء اللامع جـ٧ ص ٢ ، السبكي : مصدر سابق ص٦٣ ، عرنوس : مرجع سابق ص ١٣٤ .
(٩٩) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٥ ص ص٣٥٧ .
(١٠٠) السخاوي : التبر المسبوك ص٥٦ .

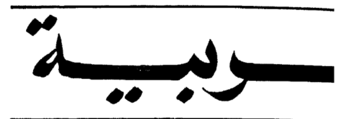
(١٠١) ابن اياس : مصدر سابق جـ٣ ص٤٤٣ .
(١٠٢) البقاعي : عنوان الزمان جـ ٤ (مخطوط) ترجمة محمد بن محمد بن محمد بن أبي الحسن روق السكندري الشافعي المتوفي سنة ٨٤٤ هـ/ ١٤٤٠ م .
(١٠٣) السبكي : مصدر سابق ص٦٤ ، المقريزي : السلوك جـ٣ ص١٧ ، ٤٠١ .
(١٠٤) ابن حجر : رفع الاصر ق٢ ص٤٠٩ ، القلقشندي : مصدر سابق جـ٣ ، ص٤٨٣ ملحق كتاب الولاة والقضاة ص ٥٩٠ .
(١٠٥) النويري : نهاية الأرب جـ٩ ص١٤٦ ، ١٤٧ .
(١٠٦) انظر سطر رقم ٧ من الوثيقة رقم ٧٩١ أوقاف فيما يلي ، القلقشندي : مصدر سابق جـ١٤ ص٣٤٧ .
(١٠٧) المقصود الورقة الكاملة وهي الطومار — القلقشندي : مصدر سابق جـ٦ ، ص١٨٩ .
(١٠٨) عن أنواع الورق المستخدم ومقاساته . انظر نفس المصدر جـ٦ ص١٩٠ ، ومابعدها .
(١٠٩) عن قلم الرقاع انظر نفس المصدر جـ٣ ص ص ١١٥ — ١٢٧ .
(١١٠) نفس المصر جـ١٤ ص٣٤٦ .
(١١١) هو محمد بن أحمد بن عبدالله ، النجم أبو الفضل بن الشهاب بن الجمال أبي اليمن القلقشندي ، المتوفي سنة ٨٧٦ هـ/ ١٤٧١ م — السخاوي : الضوء اللامع جـ٦ ص٣٢٢ ، ٣٢٣ ترجمة ١٠٥٧ .
(١١٢) توفى سنة ٨٢٦ هـ/ ١٤٢٣ م — السخاوي : مصدر سابق جـ١ ص٣٣٦ ، زما بعدها .
(١١٣) القلقشندي : مصدر سابق جـ١٤ ص ص ٣٤٦ — ٣٤٩ ، وذكر السخاوي أن العراقي لم يكن في حال نيابته في القضاء من ٧٩٥ — ٨١٥ هـ «يثبت عدالة غير شافعي بتعديل عشرة أنفس احتياطا وتحريا» — الضوء اللامع جـ١ ، ص٣٣٩ .
(١١٤) القلقشندي : مصدر سابق جـ١٤ ص ٣٤٩ .
(١١٥) انظر محمد محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة (المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة — ١٩٨١) .
(١١٦) القلقشندي : مصر سابق جـ١٤ ص٣٤٢ ، ٣٤٩ .
(١١٧) أول الوثيقة مفقوده ، ولعله لايتجاوز بضعة أسطر ، فما زالت الوثيقة في بدايتها .
(١١٨) ... موضع كلمات ناقصة لتمزق الهامش الأيسر للوثيقة .
(١١٩) القصة : هي الطلب أو الالتماس .
(١٢٠) [ ] استكمال لبعض الحروف تتفق وسياق الكلام ، وذلك نظرًا لتمزق الهامش الأيسر في بداية الوثيقة .
(١٢١) هو محمد سعد بن محمد بن عبدالله بن سعد ، القاضي سعد الدين ، المقدسي الحنفي ، نزيل القاهرة ، ويعرف بابن الديري نسبة لمكان بمردا جبل نابلس أو الدير الذي بحارة المرداويين من بيت المقدس ، ولي قضاء الحنفية بمصر سنة ٨٤٢ هـ/ ١٤٣٨ م — وظل على القضاء حتى قبيل وفاته بستة أشهر ، في سنة ٨٦٧ هـ/ ١٤٦٣ م — المقريزي : السلوك جـ٤ ص١٠٦٩ ، السخاوي : الضوء اللامع جـ٣ ص٢٤٩ ومابعدها ترجمة ٩٣٩ ، الذيل على رفع الاصر ص١٢٧ ، ومابعدها .
(١٢٢) تجاوز لفظ «المملوك» و«المماليك» معناه الحرفي المعروف تاريخًا ، وهو هنا للدلالة على التواضع والطاعة ، وبخاصة في حالة الالتماس ، ومخاطبة قاضي القضاة — حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص٥٠٧ .

(١٢٣) لم يستدل على ترجمة له في المصادر المتداولة .
(١٢٤) يقبل الأرض أو يقبلون الأرض : صيغة اصطبح عليها كتاب الوثائق في العصور الوسطى في كتابه القصص أو الالتماسات ، وقد ترد بالمفرد ، أو المثنى ، أو الجمع حسب الحال — انظر محمد محمد أمين : فهرست وثا؟ق القاهرة ص ٤٨٤ .
(١٢٥) «انهى» و«ينهون» لفظ يستعمل عادة في الالتماسات والطلبات .
(١٢٦) الحسبلة : هي الدعاء الختامي في القصة ، وفي نهاية وثائق العصور الوسطى القلقشندي : مصدر سابق جـ٦ ص٢٦٩ ، ٢٧٠ .
(١٢٧) «الخط» مكررة في الأصل .
(١٢٨) هذا نص تأشيرة قاضي قضاة الحنفية بتحويل القصة أو الطلب لأحد نواب الحكم للنظر فيها على الوجه الشرعي ، وقد جرت العادة أن تعرض القصة على قاضي القضاة الذي يقوم باتأشير عليها باحالتها إلى أحد نوابه أو مساعديه من نفس مذهبه أي خليفة الحكم العزيز ، ويكتب على الهامش الأيمن للقصة مايفيد ذلك انظر سطر ٢٣ ، وسطر ٢٦ .
(١٢٩) هو محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن صديق ، المعين أبو الخير الطرابلسي القاهري الحنفي ، المتوفي سنة ٨٧٣ هـ/١٤٦٨ م — السخاوي : الضوء اللامع جـ٨ ص٥٥٢ ترجمة ٦٠ .
(١٣٠) بياض موضع سطر متروك ليكتب فيه القاضي الموثق التاريخ باليوم والشهر انظر مايلي سطر ٥٢ .
(١٣١) الثبوت بلغة حصول أمر وتحقيقه عن طريق معرفته حق المعرفة ، والثبوع عند الحنفية حكم بتعديل البينة وقبولها وجريان ذلك المشهود به ، أي أنه صار كالحكم الذي حاز حجيه الشيء المقتضى به فلا يمكن التعرض لنقضه ، واذا حكم ثبوت البينة امتنع على قاضي آخر ابطاله — انظر محمد محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة ص٣٤٨ .
(١٣٢) المقصود بذلك الضوابط والشروط التي يجب مراعتها .
(١٣٣) الحكم بمعنى قضاء القاضي ، ويقال لهذا الحكم حكم الالزام لأنه يكون حكما ملزما أو قطعيا ، والحكم في هذه الحالة لايمكن التعرض لنقضه ، ويتمتع على أي قاضي آخر ابطاله مادام موفقا للشرع — انظر محمد محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة ص ٣٥٠ .
(١٣٤) الحكم بالموجب معناه أن الحكم صدر صحيحًا ، وبباقي مقتضياته الشرعية ، وهو عبارة عن قضاء القاضي بالالزام بما يترتب على ذلك الأمر على الوجه المعتبر عنده في ذلك شرعا — نفس المرجع ص ٣٥٠ .
(١٣٥) في الأصل «ونقول ونصفه» ، ولكن يوجد شطب على كلمة «ونقول» .

الأبجدية العربية

لمحة ونظرة

بقلم : د. أحمد شوقي النجار



لمحة تاريخية :

في البدء ... وقبل أن نطلق القول عن اللغة العربية ، علينا أن نفرق بين لغتين مختلفتين تماماً هما : اللغة العربية الجنوبية ، واللغة العربية الشمالية . فاللغة العربية الجنوبية عاشت وازدهرت في بلاد اليمن . وقد اشتهر من لهجاتها ، المعينية ، والسبئية ، والحميرية . وقد يطلق عليها أحياناً إسم اللغات اليمنية أو القحطانية . نسبة إلى قحطان ، الجد الأعلى لليمنيين . وقد بادت هذه اللغة ، وحسبي أن أعرض عليك شيئاً من كلماتها لترى مسافة الخلف الكبير بينها وبين لغتنا العربية الشمالية ، أي لغتنا الفصحى ، لغة القرآن الكريم ، نحو ꩳ ꩲ ꩱ ꩰ X وتعنى أتبأع[1] . وكذلك ◇ ϟ ⦶ X = قناة[2] .

ولسنا بحاجة لأحدثك عن خصائص هذه اللغة العربية الجنوبية وكتابتها[3] . وإنما الذي يعنينا هنا هو الكتابة العربية الشمالية وأصلها . وما فيها من نظريات مختلفة . وإني ذاكر لك أهم ما قيل عن أصل الأبجدية العربية ونشأتها .

نظرية التوقيف :

تكاد تجمع المصادر العربية على أن الخط الذي كتب به العرب ، إنما هو توقيف من عند الله . علمه آدم عليه السلام . فعن كعب الأحبار أنه قال : «**أول من كتب الكتاب العبري والسرياني وسائر الكتب آدم صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثمائة سنة . كتبها في طين ثم طبخه . فلما أغرق الله جل وعز الأرض أيام نوح ، بقي ذلك ، فأصاب كل منهم كتابهم . وبقي الكتاب العربي إلى أن خص الله به إسماعيل ، فأصابها وتعلمها**»[4] .

كما قيل : إن أول من وضع الخطوط هو أخنوخ، أي إدريس عليه السلام . وقد نقل القلقشندي عن كتاب التنبيه على نقط المصاحف وشكلها ، لأبو عمرو الداني ، أن الأبجدية العربية أنزلت على هود عليه السلام[٥] . ويحاول القلقشندي التوفيق بين هذه الآراء ، فيقول : ولا تباين بين هذه الآراء ؛ لجواز أن تنزل على آدم مرة ، وعلى هود مرة أخرى . فربما نزلت الآية على نبي ، ثم نزلت على نبي آخر ، كما أنزلت «**بسم الله الرحمن الرحيم**» على سليمان عليه السلام ، ثم أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم . وربما أنزلت الآية الواحدة على النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ، كالفاتحة ، فإنها نزلت بمكة مرة ، وبالمدينة المنورة مرة أخرى على أحد الأقوال[٦] .

وجملة تلك المقالة أن الكتابة توقيفية . وعندي أن هذا قول مرجوح ، لا سند له من الدين أو التاريخ أو العلم . وكان ابن خلدون ممن ينكر هذه النظرية ، فقد ذكر في مقدمته «أن الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية . فهو على ذلك ضرورة إجتماعية اصطنعها الإنسان»[٧] .

والحق أن فساد دعوى أن الكتابة توقيفية واضح للعيان . فإن كان اعتماد القائلين بها اعتماداً على قوله تعالى «وعلم آدم الأسماء كلها»[٨] . فهذا إدراك سقيم إذ المقصود من الأسماء في هذه الآية ، أسماء الموجودات التي خلقها الله في هذا الكون الذي يعايشه آدم صباح مساء . ولا تعني الآية الكريمة أن الله علم آدم الكتابة البتة . أما إن كان سند القائلين بأن الخط العربي توقيف أنزل من عند الله اعتماداً على الحديث المروي **عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، الذي يقول فيه : «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، كل نبي مرسل ، بم يرسل ؟ قال : بكتاب منزل ، قلت يا رسول الله ، أي كتاب أنزل على آدم ؟ قال : أ ب ت ث ج ح ... إلخ . قلت : يا رسول الله ، كم حرف ؟ قال : تسعة وعشرون . قلت : يا رسول الله ، عددت ثمانية وعشرين ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت**

عيناه . ثم قال : يا أبا ذر ، والذي بعثني بالحق نبياً ، ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسعة وعشرين حرفاً . قلت : يا رسول الله ، فيها ألف ولام . فقال عليه السلام : لام ألف حرف واحد ، أنزله على آدم في صحيفة واحدة ، ومعه سبعون ألف ملك ، من خالف لام ألف ، فقد كفر بما أنزل على آدم . ومن لم يعد لام ألف فهو بريء مني ، وأنا بريء منه . ومن لا يؤمن بالحروف وهي تسعة وعشرون حرفاً ، لا يخرج من النار أبداً(٩) .

فأنت أمام هذا الحديث ، لا تملك إلا أن تؤمن بأن كتابتنا هذه **أ ب ت ث ج ح** أنزلت على آدم ، وعدد حروفها تسعة وعشرون حرفاً ، وإلا برئت من هذا الدين . وكنت من الخالدين في النار كما ورد بهذا الحديث ! بيد أني أجترئ فأبادر بتكذيب هذا الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذ وضعه الواضعون لغاية خبيثة تستهدف الإساءة إلى الرسالة والرسول معاً . وحسبك أن هذا الحديث يصور لك الرسول صلى الله عليه وسلم ، بصورة غير كريمة . حتى أنه أصابه الغضب حتى احمرت عيناه لمجرد موقف يسير ، عندما بادر أبو ذر بقوله للرسول : يا رسول الله ، عددت ثمانية وعشرين حرفاً . ولسنا نعلم من شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم ، إلا الحلم والخلق الكريم ، وأنه ما كان يغضب إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله .

وحسبي أن أدلك على دليل آخر يكشف لك زيف هذا الحديث . فقد ورد به أن ترتيب الحروف هو : أ ب ت ث ج ح ... بيد أن هذا الترتيب المذكور لم يكن معروفاً في عهده صلى الله عليه وسلم . وإنما وضع هذا الترتيب نصر بن عاصم ويحيي ابن يعمر العدواني ، في عهد عبد الملك بن مروان (١٠) . وقد كان الترتيب المعروف في عهده صلى الله عليه وسلم هو : **أبجد هوز** ، كما هو ثابت بجميع اللغات السامية شقيقات العربية .

وقد قصد في هذا الترتيب المتأخر ضم كل حرف إلى ما يشبهه في الشكل . فابتدا بالألف والباء ؛ لأنهما أول الحروف في ترتيب أبجد هوز . وعقبا بالتاء والثاء لمشابهتهما الباء . ثم ذكرا الجيم من حروف أبجد ، وعقباً بالحاء والخاء للمشابهة . ثم ذكرا الدال ، وعقباً بالذال . ولكون الهاء تشبه أحرف العلة في الخفاء ، أخراها معها لآخر الحروف . وقبل أن يذكرا الزاي ذكرا الراء المشابهة لها ، لتكون الزاي مع باقي أحرف الصفير . ولذلك ذكرا السين بعد الزاي ، وعقباً بالشين للمشابهة . ثم ذكرا الصاد وعقباً بالضاد . ثم رجعا للطاء من أبجد وعقباً بالظاء ، وأخرا أحرف كلمن حتى يفرغا من الأحرف المشابهة . وذكرا العين ، وعقبا بالغين . ثم ذكرا الفاء وعقبا بالقاف . ثم ذكرا أحرف كلمن (١١) والهاء فأحرف العلة الثلاث (١٢) .

ولكي يزداد يقينك إلى ما أسوقه إليك من تزييف لهذا الحديث الموضوع ، وأنه مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقرر لك أني لم أقف على هذا الحديث في كتب الحديث الستة ، بالإضافة إلى مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل (١٣) . لهذا اجترأت على تزييفه حتى لا يكون للناس حجة في تكذيبه . وماذا بعد الشك إلا اليقين . وبهذا تنهار الدعوى القائلة بأن الأبجدية العربية توقيف علمه الله آدم عليه السلام .

نظرية الوضع :

في مقابل النظرية السابقة ، هناك نظرية أخرى ، رددها كثير من مؤرخي العرب ، وعلى رأسهم البلاذري . فقد ذكر أن ثلاثة من طيئ اجتمعوا في بقعة ، وهم : **مرامر بن مرة** ، **وأسلم بن سدرة** ، **وعامر بن جدرة** . وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية . فتعلم منهم قوم من أهل الأنبار . ثم تعلم عن هؤلاء نفر من أهل الحيرة (١٤) . فأما مرامر فوضع الصور . وأما أسلم ففصل ووصل . وأما عامر فوضع

الإعجام ، ثم إنتقل هذا العلم إلى المدينة المنورة فمكة . وتعلمه من تعلمه وكثر في الناس وتداولوه[١٥] . وقد دخلت الكتابة المدينة قبل مكة بسبب وجود يهودي كان يعلم الصبيان الكتابة[١٦] .

كما نقل القلقشندي قول الجوهري «إن أول من اخترعه وألف حروفه ستة أشخاص من طسم ، كانوا نزلاء عند عدنان بن أدد . وكانت أسماؤهم : أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت . فوضعوا الكتابة والخط على أسمائهم . فلما وجدوا في الألفاظ حروفاً ليست في أسمائهم ألحقوها بها ، وسموها الروادف . وهي ثخذ ضظغ[١٧] . قيل : وهؤلاء ملوك مدين ، وكان هلكهم يوم الظلة ، بنار نزلت من السماء بدعوة من شعيب النبي عليه السلام[١٨] .

وقال المدائني : حدثني حسان بن عبد الملك الأنصاري قال : حدثني سليمان بن سعيد المري قال : سمعت الفراء يقول : حدثني العمري أنه قيل لابن عباس : من أين تعلمتم الهجاء والكتابة والشكل ؟ قال : علمناه من حرب بن أمية . قيل : ومن أين علمه حرب بن أمية ؟ قال : من طارئ طرأ علينا من اليمن . قيل : ومن أين علمه ذلك الطارئ ؟ قال : من كاتب الوحي لهود عليه السلام[١٩] .

وقد ذكر حفني ناصف أن حرب بن أمية هذا كان قد تعلمها في أسفاره من عدة أشخاص منهم بشر بن عبد الملك أخو أكيدر صاحب دومة الجندل . وقد حضر بشر إلى مكة مع حرب وتزوج الصهباء إبنته ، وعلم جماعة من أهل مكة ثم ارتحل . وبواسطة بشر بن عبد الملك ، وحرب بن أمية تعلم عدد كثير من أهل مكة منهم عمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة وغيرهم[٢٠] .

هذا ... وما أود أن أعرض عليك كثيراً مما قيل في أصل الخط العربي ، ففيه آراء مختلفة متنافرة متناحرة . وتستهدف قضية هذه المقالات أن الكتابة إصطلاحية ،

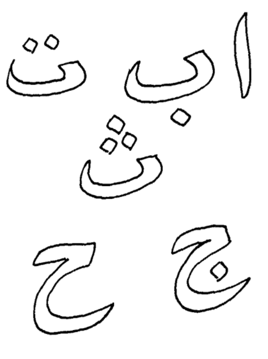
بمعنى أنها من وضع الإنسان . وإن اختلف في أي زمان ، وأي مكان كان هذا الإنسان الذي وضع الخط العربي باعتباره من جملة الصنائع المدنية التي تلزم الناس في معاشهم . فغير خفي أنه من الصناعات المدنية التي تقوى بقوة الحضارة ، وتضعف بضعفها ، بل وينعدم بإنعدامها . وهذا ما يصرح به ابن خلدون وغيره (٢١) .

وأنت مع هذا كله أمام نظريتين مختلفتين عن أصل الأبجدية العربية هما : **نظرية التوقيف** ، ثم **نظرية الوضع** ، وإن اختلفت فيهما الروايات سنداً ومتناً . فأما النظرية الأولى ، وهي مسألة أن الخط العربي توقيف علمه الله آدم أو غيره ، فهذا ما لا تميل النفس إليه . وقد سبق أن أبديت الرأي في هذه المسألة بما تهيأ لي من أسانيد . فلم يبق بعد ذلك إلا أن الأبجدية العربية من وضع الإنسان ، لحاجته إلى ذلك . فهذا هو القول الحق في أمرها . أما من هو ذلك الواضع له ، فالذي يتفق عليه العلماء هو أن الكتابة قد مرت بأطوار متعددة هي : الطور الصوري ، ثم الطور الرمزي ، ثم الطور المقطعي ، ثم الطور الصوتي ، ثم الطور الهجائي (٢٢) .

أما أول حلقة في سلسلة الخط العربي ، فهو الخط المصري القديم . وثاني حلقة هو الخط الفينيقي ، نسبة إلى فينيقيا . وهي أرض كنعان أي منطقة فلسطين وما جاورها . والفينيقيون كانوا أكثر الناس إشتغالاً بالتجارة ومخالطة المصريين ؛ لذا تعلموا من المصريين كتابتهم . ثم وضعوا لأنفسهم حروفاً خالية من التعقيد ، عددها ٢٢ حرفاً (٢٣) وهي أول أبجدية عرفها البشر قبل ١٥٠٠ سنة من ميلاد المسيح (٢٤) . تقول فرانسيس روجرز « والحق أن حروف الهجاء الفينيقية ليست هي الأصل الذي انحدرت منه الأبجديات اللاتينية فحسب (٢٥) بل إنها كذلك أصل الأبجديات العربية واليونانية والعبرية والروسية (٢٦) . وقد أخذ الفينيقيون من حروف المصريين خمسة عشر حرفاً مع تعديل قليل ، حتى كونوا كتابة سهلة ، اشتهرت بواسطتهم في آسيا وأوربا .

ومن هذه الأبجدية الفينيقية اشتق الخط الآرامي في الشمال ، والمسند في اليمن . أما الآرامي فقد تولدت منه ستة خطوط هي : الهندي بأنواعه ، وثانيها الفارسي القديم ، وثالثها العبري المربع ، ورابعها التدمري ، وخامسها السرياني ، وسادسها النبطي . وهذا الأخير هو أصل الأبجدية العربية(٢٧) .

وأقنع بهذه اللمحة عن تاريخ الأبجدية العربية . ولولا خشية الإطالة المعقود على تحاميها ، وتجنب الإكثار بها ، لأوسعت ساحة القول في هذه المسألة . ومع كل فما ندمنا على ما ند منا. وقد يتهيأ لنا وقت آخر لبيان زيف صورة الخطاب الذي أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط بالاسكندرية . والذي عثر عليه « بارشيلمية» الفرنسي في كنيسة إخميم بمصر سنة ١٨٥٠ م .



نماذج من خطوط اللغات السامية وأبجدياتها :

اللاتينية	العبرية	السريانية	العربية	العربية الجنوبية	الحبشية	الأوجاريتية
'	א	ܐ	ء	𐩱	አ	𐎀 ('a) 𐎛 ('i) 𐎜 ('u)
b	ב	ܒ	ب	𐩨	በ	𐎁
g	ג	ܓ		𐩴	ገ	𐎂
ǵ			ج			
d	ד	ܕ	د	𐩵	ደ	𐎄
ḏ			ذ	𐩹		𐎏
h	ה	ܗ	ه	𐩠	ሀ	𐎅
w	ו	ܘ	و	𐩥	ወ	𐎆
z	ז	ܙ	ز	𐩸	ዘ	𐎇
ḥ	ח	ܚ	ح	𐩢	ሐ	𐎈
ḫ		ܚ̇	خ	𐩭	ኀ	𐎃
ṭ	ט	ܛ	ط	𐩷	ጠ	𐎉
ẓ				𐩼		𐎑
ḏ̣			ظ			
y	י	ܝ	ى	𐩺	የ	𐎊
k	כ	ܟ	ك	𐩫	ከ	𐎋
l	ל	ܠ	ل	𐩡	ለ	𐎍
m	מ	ܡ	م	𐩣	መ	𐎎
n	נ	ܢ	ن	𐩬	ነ	𐎐
s	ס	ܣ	س	𐩪	ሰ	𐎒
ع	ע	ܥ	ع	𐩲	ዐ	𐎓
ġ			غ	𐩶		𐎙
p	פ	ܦ				𐎔
f			ف	𐩰	ፈ	
ṣ	צ	ܨ	ص	𐩮	ጸ	𐎕
ḍ			ض	𐩳	ፀ	
q	ק	ܩ	ق	𐩤	ቀ	𐎖
r	ר	ܪ	ر	𐩧	ረ	𐎗
ś	שׂ			𐩯		𐎝
š	שׁ	ܫ	ش	𐩦	ሠ	𐎌
t	ת	ܬ	ت	𐩩	ተ	𐎚
ṯ			ث	𐩻		𐎘

نظـــرة :

أدركت مما سبق أن الأبجدية العربية إبداع سامي الأصل ، وعن الساميين عرفت الدنيا ، كل الدنيا ، حروف الكتابة لأول مرة(٢٨) . ومنها أبجديتنا العربية . وطبيعي أن تكون لتلك الأبجديات خصائص ومميزات تختلف عن غيرها من الأبجديات . ومن الطبيعي أيضاً أن يكون لكل منها ميزاتها ونقائصها . فبالنسبة إلى الأبجدية العربية فقد نعق الناعقون في مجامع اللغة العربية ، بما يعرف بمشكلة الخط العربي ، حتى رصد مجمع اللغة العربية بالقاهرة جائزة قدرها ألف جنيه لأحسن إقتراح في تيسير الكتابة(٢٩) ، وتقدم لهذه المسابقة ما يربى على مائتي مشروع ، كلها تستهدف قضية تيسير الكتابة العربية ، بل عندما عقدت الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، المؤتمر الأول للمجامع اللغوية في دمشق سنة ١٩٥٦ ، كان موضوع الكتابة العربية من أهم الموضوعات التي طرحت على بساط البحث ، وهكذا أخذت المجامع اللغوية في بغداد والقاهرة ودمشق تخصص الجوائز لمن يقدم أفضل إقتراح .

وكان من أشهر المقترحات تلكم الدعوة إلى إستخدام الخط اللاتيني بدلاً من الخط العربي . وقد حمل لواء هذه الدعوة عبد العزيز فهمي باشا ، وسلامة موسى في مصر . وكذلك سعيد عقل في لبنان . فقد استهوتهم جميعاً زخارف الحضارة الإفرنجية . وظنوا أنه يكفي للوصول إلى مثلها تغيير الأزياء أو تغيير الكتابات ، كما فعل جمال أتاتورك باللغة التركية ، حيث استبدل الكتابة اللاتينية بالحروف العربية سنة ١٩٢٨م بعد أن نوقش المشروع في مجلس الأمة . وبعد أن ووفق عليه ، أصدر المجلس في أول نوفمبر سنة ١٩٢٨ قانون تطبيق الأبجدية الجديدة . وقبل هذا بعام واحد كان الإتحاد السوفيتي قد أقدم على هذه الفعلة نفسها ، إذ هجر الأبجدية العربية العثمانية ، واتخذ الكتابة بالحروف اللاتينية لمدة خمس سنوات أي إلى سنة ١٩٣٤ ، ثم إتخذ بعد ذلك الحروف السيريليكية(٣٠) .

وحسب هؤلاء وهؤلاء أن استخدام الحروف اللاتينية من أسباب تقدم تلك الشعوب الإفرنجية ونهضتها علمياً وصناعياً ، كما هو مشاهد . وبهذا الاستدلال الخاطىء ، وتلك النظرة السطحية العجلى كانت حجتهم في هذه الدعوة . والحق أنهم وهموا جميعاً ، واختلط عليهم الأمر في هذه المسألة ، التي إن دلت على شيئ ، فإنما تدل على السطحية وقصر النظر ، أو الغرض .

وأيسر ما يقال رداً على هؤلاء،أن الشعوب الأوربية هذه كانت تستخدم أبجديتهم هذه وكانوا يرسفون في دياجير الجهل والتخلف . في الوقت الذي كان العرب يستخدمون أبجديتهم هذه ، وقد نشروا بها حضارتهم العربية شرقاً وغرباً . **وما تلك العلوم التي أتقنها الغرب إلا بضاعتنا ردت إلينا ، كما قال الصاحب بن عباد يوماً . فأصول تلك العلوم مأخوذ من العرب ومن حضارة العرب في الأندلس . حيث إنتقلت تلك العلوم إلى أوربا في العصور الوسطى . ولا يزال الغرب يستخدم أرقامنا العربية.. 1, 2, 3, 4, 5,... وإن نبذناها نحن وأخذنا الأرقام الهندية .**

وبهذا يتضح لك أنه لا علاقة بين الكتابة والحضارة والتقدم على الإطلاق ، كما وهموا وزعموا . فأمر التقدم والحضارة مرهونان بالعلم والعمل .

والحق أن الحروف اللاتينية لا تتميز عن الحروف العربية ، حتى تصدر تلك النداءات الطائشة المغرضة . وما أحسب القصد منها إلا أن ينفصل أجيالنا عن أسلافنا ،ويعزل حاضرنا عن ماضينا حتى تنقطع أواصر صلتنا بتراثنا وأمجادنا . وبالتالي تضعف وتهتز عرى إتصالنا بمنابع عقيدتنا وثقافتنا ، كما تجتث الشجرة وتبتر عن جذرها . ألها بعد ذلك بقاء ؟ ! !

وهل كان عبد العزيز فهمي باشا الذي تزعم الحملة على الأبجدية العربية ، أقول هل كان يجهل ما في الحروف اللاتينية من عيوب ؟ أجل ... كان عليه أن يعلم أن الأبجدية الإنجليزية — وهي تمثل تلك الأبجدية اللتينية — معيبة هي الأخرى

فحروفها لا تمثل أصوات اللغة أصدق تمثيل . وهي بهذا تفقد أولى مقومات النظام الرمزي الدقيق للغة . وهو ما يسمى بالإتساق المفقود في الرمز اللاتيني . فلكي يتحقق هذا الإتساق في الرمز الكتابي يلزم توفر شرطين في النظام الكتابي هما :

أن يرمز للصوت الواحد بحرف واحد . أضف إلى ذلك عدم استخدام الحرف الواحد لأكثر من صوت واحد . وبتطبيق هذين الشرطين على الأبجدية الإنجليزية نجد بها ما يصمها بعدم الدقة ، وينأى بها عن الكمال المنشود للغة من اللغات . فبالنسبة للحالة الأولى ، وهي وضع رمز واحد لصوت واحد نجد بالإنجليزية الرمز (C) يمثل صوتين مختلفين تماماً هما (س) و(ك) كما في كلمة Circle = دائرة . فالرمز الأول وهو (C) ينطق س ، وهو نفسه الرمز الرابع من الكلمة ولكنه ينطق ك . وهذا الازدواج الصوتي للحرف الواحد يشيع في اللغة الإنجليزية . فالمتأمل فيها يلاحظ أن الحرف (C) ينطق س إذا وليه i أو e أو y بينما ينطق ك في غير هذه المواقع . بل إنه أحياناً أخرى لا ينطق البتة كما في Science . وحرف (S) تراه مرة ينطق س ، ومرة ش ، وأخرى ز ، ورابعة ص ، وخامسة ج معطشة . بل أحياناً لا ينطق كلية ، كما ترى في الكلمات التالية على الترتيب :

Island, Television, Son. is, Sure, Sand

فهذه حالات ست لحرف واحد . ولتجدن أكثر الناس ضيقاً بهذا التعدد أولئك الذين يتعلمون تلك اللغة من غير أبنائها .

أما بالنسبة للشرط الثاني للكمال الرمزي للحرف معيارياً ، فهو عدم إزدواج رمز كتابي لصوت واحد . وأنت تجد أن الإنجليزية قد أخفقت أيضاً في تحقيق هذا . فأنت تجد بها أكثر من حرف للصوت الواحد . فمثلاً C ، و K لا يختلفان صوتاً كما ترى في king و Cold ، بل إن الحرف (K) قد لا ينطق أيضاً كما في Knife ونحو هذا كثير وكثير في الإنجليزية .

وليس الأمر وقفاً على الصوامت وحسب ، بل إن هذا الخلل قد نال الحركات الإنجليزية أيضاً . فما تشابه في النطق واختلف في الرسم الإملائي تلك الحركات e و i ، و e و a كما في الكلمات : Eye و Idea أو See و Sea . ومثل هذا تراه في اللاتينية نفسها ، وما تفرع منها . ولست تجد شيئاً كهذا الخلل في أبجديتنا العربية على الإطلاق **فالصوامت في الأبجدية العربية ٢٨ حرفاً يتألف منها أكثر من إثني عشر ألف ألف كلمة كما يتضح لك ذلك من الاطلاع على كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي . ولذلك اتسع مجال الوضع في اللغة العربية . أما إذا قطعت النظر عن حروف المد في الإنجليزية مثلاً ، فإنك تجد عدد الصوامت بها ١٩ حرفاً . ولذلك كان مجال الوضع فيها ضيقاً . وعدد ألفاظها أقل ، مما حدا بهم إلى إكثار الحركات في الكلمات يمكن بمراعاتها تأليف كلمات كثيرة من هذه الحروف القليلة ؛ لتسد بذلك نقصاً طبيعياً نشأ من قلة حروفها . لذا ترى الكثير من كلماتها تساق بها هذه الحركات دون النطق بها نحو :** Neighbour **= جار** ، Courageous **= شجاع** ، Aeronaut **= المسافر جواً** ، **ونحو ذلك كثير باللغة اللاتينية وما تفرع منها من اللغات الأوربية** . ولو أن هؤلاء القوم تدبروا الأمر ، وتبينوا المقاييس الصحيحة ، لأدركوا أن الأبجدية العربية من أصلح الأبجديات قاطبة ، وأدقها تصويراً وتمثيلاً لأصوات اللغة . حتى أنها إستطاعت أن تغزو كثيراً من اللغات ، فقد إتخذتها الفارسية والأردية والأفغانية ، كما كتبت بها لهجات ملاوية والهوسا في غربي أفريقية[٣١] وغير ذلك من اللغات . وقد استطاعت هذه الحروف العربية أن تعبر عن هذه اللغات جميعها دون تعديل أو تغيير .

وقد أدت ولا تزال تؤدي مهمتها في تمثيل دقيق لأصوات تلك اللغات المتعددة المتباينة دون إعتراض أو تذمر أو نقص . بل دون زعم بصعوبة كتابتها . وما كانت النكسة التي حدثت في تركيا بسبب قصور الكتابة العربية ، أو صراع بين الكتابة

واللغة ، تعاني منه الحروف العربية ، وإنما كان مرد ذلك إلى عوامل واعتبارات سياسية وأهداف صليبية غلفتها تصورات وهمية . ومع هذا لم تنهض تركيا حضارياً . ولم تلحق بركب الدول المتقدمة بعد أن استبدلت الحروف اللاتينية بالأبجدية العربية كما شاءوا . بل إن العكس هو الصحيح . إذ أن تركيا ذلك البلد الذي سقط في هذه الردة لم تتمكن منذ جمال أتاتورك ١٩٢٨ إلى الآن أن تصبح أو تلحق بأي من تلك الدول الأوربية المتقدمة كما كانت تظن . وبذا فقدت صلتها بالعالم العربي ، وأمست غريبة لا تنتسب إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . وهذا هو الضياع بعينه .

ويجدر هنا أن نذكر لك ما قاله المستشرق الفرنسي « **هنري لوسل** » تمجيداً للعربية لغة وكتابة ، فيقول : « إن التلميذ أو الطالب يجد في العربية معاني لغوية تختلف إختلافاً كبيراً عن معاني الفرنسية أو اللاتينية ، أو أي لغة أوربية . وعن طريقها يتعرف المتعلم إلى عقلية العرب . يجد نفسه أولاً أمام الأبجدية العربية ، وربما كان فيها بادىء الأمر موضع النقد ، ولكنه سرعان ما يجد لها جاذبية خاصة . ويستوقف نظره في الوقت نفسه سير الكتابة العربية من اليمين إلى الشمال ، ولكن هذا السير يبدو مطابقاً لحركة « فزيولوجية » على إتفاق أكثر مع الطبيعة »[٣٢] .

ولست بهذا أبتغي أن أسِم الأبجدية العربية بالكمال . وإنما شئت فقط أن أذكر شيئاً ضئيلاً عما في غيرها من سوءات تهون معها ما يوجد بها من صعوبة تواجه المتعلم في أول أمره . ولعل أهم تلك الصعوبات هو تعدد صور الحرف الواحد تبعاً لتغير موضعه في الكلمة ، كما نراه في حرف العين هكذا عـ أو ـعـ أو ـع أو ع . كما أن تعدد الأشكال الهندسية التي يتألف منها الخط العربي أكثر كماً من الأبجدية الإنجليزية . فالحروف الإنجليزية جلها تتألف من الحرف أي نصف الدائرة تقريباً . ثم يضاف إليه خط مستقيم ، فينشأ من هذين الشكلين أكثر الحروف الإنجليزية . وإليك بيان ذلك . فما يتألف من نصف الدائرة الحروف الآتية :

a b B C d D e g G F O P Q R S

أما الخط المستقيم فتراه في E F H I J K L M N T U V W X Y Z

فأنت تلاحظ أنها كلها هنا كلمة خطوط مستقيمة ، تغيرت أوضاعها ، فتغايرت دلالتها .

أما عندنا في العربية ، فإنك واجد أشكالاً أكثر من تلك ، بينما يقل إستخدام الشكلين السابقين ، اللهم إلا في الألف والطاء والكاف واللام . أما الأشكال الهندسية التي تراها في أبجديتنا العربية فمنها المثلث كما في حـ ، ـه . والزاوية الحادة في د . والزاوية القائمة كما في بـ . والدائرة كما في ة و هـ . ونصف الدائرة كما في ع . والقوس كما في ر . والبيضاوي كما في ص و ط . وباختلاط هذه الأشكال الهندسية تتألف بقية الحروف الأخرى ؛ ولهذا يصعب على المتعلم أن يتقن الخط العربي في زمن وجيز . والحق أن تعدد تلك الأشكال الهندسية في الخط العربي تعد ميزة كبيرة ، إذ جعلت منه فناً من الفنون الجميلة ، بإعتراف الشرق والغرب .

ولست بهذا أتعصب للغتنا ، كما أنه ليس الغرض من تعديد هذه المزايا لحروف اللغة العربية الحط من شأن غيرها من اللغات ، معاذ الله ، وإنما غرضنا الرد على المفتونين ببعض اللغات الأجنبية ، الذين يجهلون اللغة العربية ويزعمون أن العربية أصعب مراساً ، وأبعد منالاً . وهم بهذا واهمون . إذ لو أعطوها من العناية بعض ما أعطوه لغيرها لعرفوا أنها في غاية الإحكام . وإني مطلعك على بعض ما دعا إليه بعضهم[٣٣] ، محاكاة للكتابة الإفرنجية .

فقد اقترح بعضهم تفريق الحروف ، وإدخال الشكل في صلب الكلمة ، أي بوضع ألف بعد الحرف للدلالة على الفتحة ، وواو للدلالة على الضمة ، وياء للدلالة على الكسرة . وتكرير الحرف المشدد . وبهذه الطريقة تكتب كلمة « مستعد »

على مذهبهم هكذا «م و س ت ا ع ى د د». وقالوا: إن هذا أسهل في الجمع والطبع. قلنا لهم: ماذا في نحو «**أفيدونا**»؟ **قالوا: نكتبها هكذا «أ ا ف ى ى د و و ن ا ا»** فالياء الأولى لبيان الحركة، والثانية للمد. ومثله يقال بالنسبة للواوين والألفين في الكلمة. قلنا لهم لعلكم نسيتم أن تكرير الحرف علامة على تشديده. فما الفرق حينئذ بين الحرف المشدد وبين الحرف الممدود؟ قالوا: نعدل عن هذا، ونكتبها هكذا «أ ا ف ى د و ن ا» فنضع علامة المد فوق الحرف، كما يفعل الألمان. قلنا لهم: ما تصنعون في مثل «**يدا بيد**» قالوا: نكتبها هكذا: «**ى ا د ا ن ب ى ى ا د ى ن**» قلنا: أخطأتم من جهتين:

الأولى: أن النون التي وضعتموها بدل التنوين تمنع من الوقف على الألف في الكلمة الأولى، ومن الوقف على الدال في الكلمة الثانية.

والثانية: أن تكرير الياء يوهم التشديد. قالوا: نجيب عن الأولى بأن تضع للتنوين حرف N بدل النون؛ ليكون عرضة للحذف عند الوقف. وعن **الثانية**: بأن نضع نقطتين فوق الياء الثانية، كما يصنع الإفرنج أيضاً، فتكون هكذا «**ى ا د ا ن ب ى ى ا د ى** N» قلنا: فما تصنعون في نحو الرحمن الرحيم؟ قالوا نكتبها هكذا «أ ا ر ر ا ح م آ ن و ا ا ر ر ا ح ى ̄ م و»» قلنا: أخطأتم هنا أيضاً من وجوه:

أولها: إن حرف التعريف غير ظاهر، **والثاني**: أن حركة الإعراب جعلت واواً فيتوهم أنها من بنية الكلمة، فلا تحذف في الوقف. والثالث: أن الهمزة صارت همزة قطع، فلا يفهم أنها تحذف عند الوقف. قالوا: نجيب عن هذه الإعتراضات بأن نكتبها هكذا «**ا ا ر ا ح م آ ن** ou **ا ا ل ر ا ح ى ̄ م** ou» فنضع علامة على الألف إشارة إلى أنها ألف وصل. ونكتب بعدها اللام على الأصل، وإن كانت واجبة الإدغام في الراء، ونضع لحركة الإعراب علامة أجنبية، إشارة إلى أنها

تحذف عند الوقف . قلنا : لقد فررتم من شيء ، فوقعتم في أشياء :

أولها : أنكم زدتم عدد الحروف إلى الضعف . **وثانيها** : أنكم وضعتم فوق الحروف هذه العلامات « ^ و . . و و » . **وثالثها** : أنكم أدخلتم بدل النونين حرف N ، وهو حرف أجنبي . **ورابعها** : أنكم وضعتم فوق الحروف « A وأو ou » للدلالة على حركات الإعراب ، وهي حركات أجنبية يجب أن تتكرر بقدر تكرر الكلمات المعربة . وكلمات اللغة العربية كلها معربة إلا قليلاً . ومتى صرنا إلى هذا أضاع الاختصار ، وذهبت السهولة ، وأدى هذا التغيير إلى صعوبة في الجمع والطبع ، وتلفيق الوضع ؛ لأن وضع الحركات في بنية الكلمة هكذا سهل القراءة ، وصعب الكتابة . وأما العرب فقد سهلوا الكتابة والقراءة معاً . وليس معنى هذا أن نترك الكتابة غفلاً فنسهل الكتابة ونصعب القراءة ، ولكن المتفق عليه عند العرب أن يشكلوا ما يشكل ، كما قال ابن مجاهد «ينبغي ألا يشكل إلا ما يشكل» .

عندئذ قالوا : أنتم نصراء القديم ، وأعداء الحديث . قلنا : عجزتم عن الجواب ، ففزعتم إلى السباب . فوجب إقفال الباب .

ولا شك بعد هذا الذي عرضته عليك ، أنك علمت الآن من هذه المناظرة أن الكتابة العربية ، إذا أشكل من حروفها ما يشكل ، كانت غاية الغايات في الاختصار والبيان . وليس في الإمكان أبدع مما كان .

• المراجـع العربيـة •

١ — أدب الكتاب ، لأبي بكر الصولي — المطبعة السلفية بمصر ١٣٤١ هـ .
٢ — أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي— رسالة ماجستير سهيلة الجبوري ١٩٧٧ .
٣ — إنتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي ، لعبد الفتاح عبادة . مطبعة هندية بالموسكي ١٩١٥ .
٤ — إتجاهات حديثة في تعليم العربية ، للدكتور علي القاسمي — جامعة الرياض ١٩٧٩ .
٥ — تاريخ اللغات السامية ، لإسرائيل ولفنسون — لجنة التأليف والترجمة والنشر . ط أولى ١٩٢٩ .
٦ — تاريخ الأدب لحفني ناصف . نشر الجامعة المصرية .
٧ — الخط العربي الإسلامي ، تركي عطية الجبوري ، دار البيان ببغداد ، طبعة أولى ١٩٧٥ .
٨ — دائرة المعارف التركية الجزء الخامس مادة حرف ص ٦١٥ .
٩ — صبح الأعشر لأبي العباس القلقشندي . المؤسسة المصرية العامة للتأليف (تراثنا) .
١٠ — العقد الفريد ، لابن عبد ربه . تحقيق محمد سعيد العريان . دار الفكر . بيروت .
١١ — الفهرست لابن النديم . تحقيق رضا تجدد . طهران ١٩٧١ .
١٢ — فتوح البلدان للبلاذري . نشر صلاح الدين المنجد . مكتبة النهضة المصرية .
١٣ — قصة الكتابة العربية لإبراهيم جمعة . دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية .
١٤ — قصة الكتابة والطباعة من الضخرة المنقوشة إلى الصفحة المطبوعة ترجمة د. أحمد الصاوي. الأنجلو المصرية.
١٥ — اللغة العربية بين القاعدة والمثال . أبو عبيد الرحمن بن عقيل الظاهري . مطبوعات نادي القصيم بريدة .
١٦ — مقدمة ابن خلدون . الطبعة الرابعة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
١٧ — الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين ١٩٦٥ .
١٨ — المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي نشره الدكتور ونسنك . مكتبة بريل بليدن ١٩٣٦ .
١٩ — مصور الخط العربي ناجي زين الدين ، دار القلم بيروت ١٩٨٠ .
٢٠ — مشكلة تعليم اللغة العربية لغير العرب للدكتور علي الحديدي ، دار الكاتب العربي بالقاهرة .
٢١ — الوزراء والكتاب للجهشياري ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط أولى .

• REFERENCES •

1. Beeston, A Discriptive Grammar of Epigraphic South Arabian, London, 1962.
2. Dillmann, Ethiopic Grammar, 2nd edition, enlarged and improved by Carl Bezold, 1899. Translated by James A. Chrichton, London, 1907.
3. Diringer, The Alphabet, A Key to the History of Mankind, 3rd Edition, 1968.
4. Driver, Semitic Writing from Pictography to Alphabet, Oxford University Press, London, 1976.
5. Encyclopedia Americana.
6. Encyclopedia Britanica, printed in U.S.A., 1966.
7. Höfner, Maria, Altsüdarabisch Grammatik, Leipzig, 1943.
8. Kamus Na Turanci Da Hausa.

• الهوامش •

(١) اللغة العربية الجنوبية القديمة تقرأ من اليمين إلى اليسار كالفصحى . وقد وجدت بعض النقوش مكتوبة بالطريقة الثعبانية . وانظر تاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولغنسون ١٧٩ وانظر .
Driver's Semitic Writing from Pictography to Alphabet, p. 144.

(٢) أنظر A Discriptive Grammar of Epigraphic South Arabian 3/103.

(٣) أنظر إن شئت
Diringer, The Alphabet, A Key to the History of Mankind, Vol. 1, p. 173.
وانظر أيضاً : Altsiidarabische Grammatik, p. 102.

(٤) أنظر أدب الكتاب ، للصولي ص ٢٨ . والعقد الفريد ٢١١/٤ . والوزراء والكتاب للجهشياري ١ .

(٥) صبح الأعشى ٨/٣ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) مقدمة ابن خلدون ٤١٩ .

(٨) البقرة ٣١ .

(٩) صبح الأعشى ٧/٣ .

(١٠) أنظر تاريخ الأدب لحفني ناصف ٣٧/١ . وانظر إنتشار الخط العربي ٢٤ .

(١١) وهكذا في الأبجديات الافرنجية KLMN بالترتيب نفسه .

(١٢) تاريخ الأدب لحفني ناصف ٣٧/١ ، ٩١ .

(١٣) أنظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .

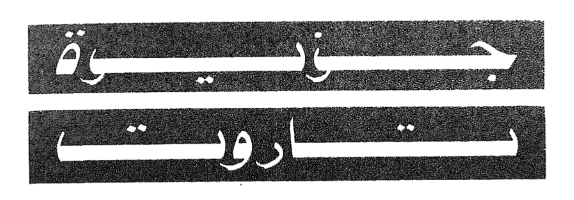
(١٤) فتوح البلدان للبلاذري ٥٧٩/٣ . وأدب الكتاب للصولي ٣٠ ، وقصة الكتابة العربية ١١ .

(١٥) صبح الأعشى ٨/٣ .
(١٦) الخط العربي الإسلامي ٢٣ .
(١٧) صبح الأعشى ٩/٣ .
(١٨) الفهرست لابن النديم ٧ . وانظر تاريخ الأدب لحفني ناصف ٦١ .
(١٩) صبح الأعشى ١٠/٣ .
(٢٠) أنظر تاريخ الأدب لحفني ناصف ٥٧ .
(٢١) المقدمة ٤١٩ . وانظر تاريخ الأدب لحفني ناصف ٤٦ .
(٢٢) مصور الخط العربي ٢٩٥ . وانظر أيضاً تاريخ الأدب العربي لحفني ناصف ٥٤ .
(٢٣) The Alphabet, a Key to the History of Mankind, Vol. 1, p. 159 & Encyclopedia Americana, Vil. 1, p. 619.

وانظر أيضاً قصة الكتابة والطباعة من الصخرة المنقوشة إلى الصفحة المطبوعة ٧٧ .

(٢٤) أنظر :
Semitic writing from Pictograph to Alphabet, p. 186 & Encyclopedia Britanica, Vol. 1, p. 618.

(٢٥) أنظر دائرة المعارف البريطانية ٦٢٢/١ .
(٢٦) قصة الكتابة والطباعة ٧٧ .
(٢٨) تاريخ الأدب لحفني ناصف ٥٧ .
(٢٨) إرجع إلى Semitic Writing from Pictography to Alphabet, p. 186 & Encyclopedia Britanica, Vol. 1, p. 618-622 &
وانظر قصة الكتابة والطباعة ٧٧ .
(٢٩) أنظر إتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى ٢٤٧ .
(٣٠) أنظر دائرة المعارف التركية ٦١٥/٥ مادة حرف .
(٣١) قد لجأ الاستعمار الإنجليزي في نيجيريا إلى استبدال الحروف الإنجليزية بالحروف العربية ، لإبعاد المسلمين عما يربطهم بالإسلام وانظر . Kamus Na Turanci Da Hausa
(٣٢) مشكلة تعليم اللغة العربية لغير العرب ٣١ .
(٣٣) أنظر تاريخ الأدب لحفني ناصف ١٠٤ .



الأستاذ علي إبراهيم الدرورة

لا ينبغي لأي بلد أن ينسى تاريخه . ولا بلد بلا تارخ . إلا أنني لم أقرأ لكاتب عربي عن تاريخ جزيرة تاروت . هذه الجزيرة القابعة في خليج كيبوس تنام هادئة فيه . وقد تحلو قصص التاريخ عند سماعها ، وأين من يمسك باليراع وينير الطريق ... طريق التاريخ الطويل . لقد تردد اسم (جزيرة تاروت) أو (جزيرة دارين) في كتب الرحالة والمستشرقين الأجانب ، ولم اقرأ أحرفًا قليلة عن تاريخ هذه الجزيرة المنسية التي عاصرت عهودًا سحيقة . إنها كانت ولازالت . وفي فجر التاريخ تغيرت الاسماء ، اسماء الدول والمدن والقرى لكن اسم تاروت و داريب كانا ومافتئا والأحرى أن يظلا إلى الأبد . إن التماثيل الذهبية وتماثيل أحجار البرونز وتماثيل احجار الترسبات والأواني والاسلحة والحليّ والنقود الموجودة في المتاحف هي ما تبقى من عبث التاريخ وكم من هذه الاشياء لازال يرقد تحت تراب الجزيرة في برها وبحرها ، ان هذه الحروف هي مجز غير كامل ينير للقارىء تاريخا مجهولا لهذه الجزيرة .

تقع جزيرة تاروت على بعد بضعة أميال إلى الجهة الشرقية من البلدة الحصينة القلعة حاضرة القطيف واسمها الاصلي (تاروس TARUS أو تيروس TARRUS)

ومنها اشتق اسمها الحالي ؛ أما اليونان فقد أطلقوا عليها اسم (تارو TARO) كما جاء في جغرافية بطليموس وقد وصفها أبو الفداء (المتوفي سنة ٧٣٢ هـ) أي في القرن الثامن الهجري بأنها : بليده شرق القطيف تبعد عنها بنصف مرحلة وفيها كروم عنب . ويذهب بعض المؤرخين إلى اسمها الأصلي عشتاروت أو (عشتروت) .

اسم عشتروت فيه إشراق سحر ورنين بعيد . حلو المراقع وهي في الأصل إلهه كنعانية تسربت عبادتها إلى العبرانيين عرضت التوراة لذكرها في مواضع شتى (وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وتبعوا آلهه اخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وسخطوا الرب . وتركوا الرب وعبدوا البعل والعشتاروت) . ويرى فريق من المؤرخين أن اسمها الأصلي ليس بساميّ الأصل . ويرى آخرون عكس ذلك ويرجعونه إلى السامية . أما في العربية فهي الزهرة بعينها ربة الحب والحياة — وقد ولدت عشتاروت إلهة الحب والجمال من رغوة الامواج على شواطيء فينيقية هانئة فحوتها صدفة كريمة كانت لها زورقًا دفعته النسمات إلى شطآن جزيرة قبرص،وامتد ملكها الأراضي بعد ذلك إلى جزيرة (سيتاريا) بين جزيرة (كريت) وجبال (البالوبونيز) . وليس بين الوجوه التي ابتدعتها الأساطير القديمة وجه أشهر من وجه عشتروت ، فمنذ بدء الفكر الإنساني والملهمون العباقرة من شعراء ورسامين ونحاتين يمثلونها آلهة للحب والجمال . واسمها مستحب يبعث النشوة في قلوب الآدميين وفي أعصاب الحيوان وهي أنثي أبدية الأنوثة . كما وهي قاتلة الرجال وهي كذلك لا تغر النساء فانها تدفع بهن إلى وادي الحب ، وهي التي توحي بكل علاقة مزدوجة في الطبيعة فهي مكثرة النسل ، وحامية النساء المتزوجات . وطالما قدمت لها النساء الذبائح والبخور في أعراس بناتهن ، وطالما تضرعت إليها الأيامى لترسل إليهن أزواجاً جددا . ورموز عشتروت في اكثر تماثيلها تشير إلى القوى الأساسية المولدة وإلى حفظ الذرية ، لذلك ترى أن حب الآس والاثمار الكثيرة البذور قدست على اسمها . وان الحمام كان يصور إلى جانبها دائما ، وفي هذا دليل واضح على تلك الصورة الخلقية التي مثلت بها . ولقد مثلت ايضا في اشكال عدة فكانت

لِعبَّادِها منابع تتدفق بمياه الشهوة ومواكب مزدحمة للحب تظلل الحياة الدنيا[1] .

ونشر الفينيقيون حضارتهم حيثما وطئت أقدامهم وحذف من اسمها المقطع الاول اختصارًا . وصارت تعرف بالمقطعين الاخرين (تاروت TAROUT) والفينيقيون هم الذين أطلقوا اسمهم على هذه المنطقة عندما نزحوا إليها وقد جاءت تسميتهم من فينيقس (Pheinicie) وهو لفظ يوناني معناه (النخيل (PALMETTO or Palmtrua) والجزيرة تتمركز في خليج صغير كان يسمى (خليج كيبوس CAPEOS) وهو خليج محاط بصحراء من الشمال ، وبمرتفعات من الجنوب ، ومن الغرب بمدينة القطيف . أما من الشرق فهو منفذ البحر . وأصبح الخليج يعرف ببحر القطيف وبخليج القطيف وخليج تاروت حاليًا . وهو يقع على الساحل الشرقي للجزيرة العربية على بعد ٥٠ درجة من خطوط الطول شرقاً و٢٦ْ درجة و٣٢َ دقيقة من خطوط العرض شمالاً . وتبلغ مساحة الجزيرة حوالي ٤٠ كم٢ ، ويبلغ أقصى طول لها من الشمال إلى الجنزب ٨كم وأقصى عرض لها ٥كم .

ولقد زار المنطقة كثير من الرحالين منهم المؤرخ اليوناني (هيردوتس HERODOTE) المتوفي سنة ٤٢٥ ق . م . والجغرافي اليوناني (استرابون STRAPON) المتوفي سنة ٥٨ ق. م.[2] وبعثه الإسكندر المقدوني عن طريق الهند وفي صدر الاسلام زارها الرحالة ابن بطوطة سنة ٦٣٢ هـ ووصفها الأعشى في شعره وياقوت الحموي في معجم البلدان . وفي الجزيرة خمس قرى هي : تاروت . وهي المدينة الأثرية التي تقع على هضبة كبيرة وسط الجزيرة ، وعلى الشاطيء الشرقي للجزيرة تقع القرى الأربع ، في الشمال الزور وفي المنتصف سنابس والربيعة وفي الجنوب دارين .

وسنذكر فيما يلي أحداثًا ذات صلة بهاتين المدينتين . أما سنابس والزور والربيعة فهي قرى حديثة .

إن **تاروت** تقع كما ذكرنا آنفًا على هضبه كبيره جدًا وسط بساتين النخيل وتسمى هذه المنطقة الآن بالديرة ؛ لأنها المسكن الأول للإنسان الأول الذي سكن الجزيرة .

ودَاخل الديرَة أسواق ومساجد . ومبانيها متلاصقة لذلك تكثر فيها الأزقة والممرات الضيقة . وكان للديرة عدة أبواب تفتح نهارًا وتغلق في الليل، إلا أن هذه الأبواب لم يعد لها أثر حاليًا . ويحد الديرة من الشمال سوق تاروت التجاري الكبير . وفي السوق دكاكين قديمة وصناديق خشبية موجودة حتى الآن ومسجد وينبوع ماء . ويحدها من الغرب مصب الينبوع نفسه والقلعتان البرتغاليتان المبنيتان في القرن العاشر الهجري . أما من الجنوب فمزارع النخيل وطريق زراعي يربطها بدارين،ومن الشرق طريقان زراعيان أحدهما مؤدٍّ إلى الربيعيه ، والآخر إلى سنابس ، وأخيرا وفي عصر الازدهار تناثرت الأحياء السكنية حول الديرة ، إلا أن هذه الحياء كانت تسكن صيفًا وتهجر شتاءً وهي : الخارجية والدهشة والأطرش وأرض الجبل والوقف والحسينية والبستان والحوامي والجوير والجفرة وكل هذه الأحياء تحيط بالديرة الأم . وتغطي نصف مساحة الجزيرة مزارع النخيل،لذا يطلق عليها اسم (الجزيرة الخضراء) ومن مزارع الجزيرة : المحيسنيات والعقير والحبيبة والقرون والمصلي والصدر والصفار والضامن والكويتي والخلفان والجمعان ومزرعة الوزير (قصر الوزارة) وغيرها .

وكانت تاروت مسرحا لأحداث وفتن كثيرة لأن كل مايحدث بجرا يحدث في قلبها ، ففي سنة ٥٠٠ هـ توفي الفضل بن عبدالله العيوني مقتولاً على يد خدمه في تاروت ،وقد دام حكمه طوال سبع سنوات ، وتكاد تكون الأحداث سنوية فكل عام أحداث ، فعندما قتل الفضل على يد خدمه وخلفه ابنه محمد الملقب بـ «ابو سنان» قتله عمه المنصور وقد دام حكم أبو سنان ثماني عشرة سنة ، ومادام الأب والأبن ماتا مقتولين فلا بدَّ لأحداثٍ دارت خلال هذه الفترة وفتن من قتل وغيره من أجل مطمع في منصب أو مال أو جاه ، والفتن هي التي تقوض دعائم بناء الدولة ، فالدولة العيونية التي مدت يدها انتهت بسهوله بعد أن تربع على عرشها واحد وعشرون ملكا وأميرا خلال ١٧٦ عامًا[٣] .

وفي عام ٩٥١ هـ أنشأ البرتغاليون اكبر قلعة في جزيرة تاروت[٤] بل اكبر القلاع في المنطقة وهي تطل على الينبوع المائي ، وقد رُمِّمت في سنوات لاحقة وهذا الصرح

ينتظر الترميم الذي أعلنت إدارة المتاحف عنه عام ١٣٩٩ هـ .

وفي ١٢٤٩ هـ وجه حكام البحرين آل خليفة حملة بحرية لاحتلال المنطقة فجاءوا دارين فافتتحوها وتوغلوا في جزيرة تاروت فاجتاحوها كلها . وكان زعيم القطيف في تلك السنة عبد الله الغانم ، وكان معلناً ولاءه للأمير تركي بن عبدالله وقد اغتيل عبدالله بن غانم على يد أهالي سيهات لولائه للأمير تركي بن عبدالله ، وفي نفس العام ضاعت منطقة القطيف كلها من يد الأمير ابن عبدالله بسبب حرب أهلية بينه وبين ذويه. وكثير من حوادث التاريخ تضيع لعدم تدوينها ، ويقال إنه عثر على تمثال من الذهب في أحد مزارع تاروت وهو يمثل البعلة عشتار واخر يقول منذ ١٢٠ سنه سقطت إحدى القلاع البرتغالية بسبب عوامل الطقس ، والكل يروي أحداث الحرب التي سمعها أو خاضها وكل القصص المروية بلا تحديد تاريخ . ويبدو أن الاحداث التي تنشب في المنطقة ليست بحديثة العهد إلا أنها توقفت في عهد الدولة السعودية الثانية أو بحلول عهد المغفور له جلالة الملك عبد االعزيز بن عبدالرحمن آل سعود .

وفي هذا العهد الميمون بارك الله للناس فما آتاهم تغيرت الحياة بكل أوجهها . وجاء الرزق بأيسر السبل وفي عام١٣٧٥ هـ أنشىء جسر بحري يربط جزيرة تاروت بالقطيف وفي سنة ١٣٨٢ هـ افتتحت اول مدرسة ابتدائية بها وفي عام ١٣٩٣ هـ افتتح نادي النسر (نادي الهدى حاليًا) ومدرسة ابتدائية وأخرى متوسطة للبنات ومدرستان ابتدائيتان ومدرستان متوسطتان للبنين وروضة أطفال وجمعية تاروت الخيرية وبلدية تاروت وتوابعها .

أما بلدة **دارين** فهي تقع على تل . تحيط به مياه البحر من ثلاث جهات . الغرب والجنوب والشرق وهذا التل يمثل رأس الجزيرة لأنه مما يلي الخليج العربي .

والذي جعل البحّارة يطلقون على اسم الجزيرة بـ (جزيرة دارين) هو أن دارين أول ما يقابلهم إذا أتوا مبحرين ، وفي ذلك يذكر أن أحد القواد المبعوثين إلى الخليج

من قبل الاسكندر المقدوني عن طريق الهند زار مدينة فينيقية على الساحل الغربي من الخليج ثم جزيرة تدعى نيرين وعلى مايبدوا انها هي (دارين DAREEN) المعروفة اليوم . وقد قال الاعشي في دارين قصيدة منها هذان البيتان(٥) :

يمرون بالدهنا خفافاً عيابهم	ويخرجْن من دارين بُجْر الحقائب
على حين ألهي الناسَ جُل أمورهم	فَنَدْلا زُرَيْقُ المالَ نَدْل الثعالب

وفي دارين ميناء قديم مياهه ضحلة بعض الأحيان وبه الطرق العميقة لايعرفها إلا القليل من البحارة وهم يهتدون فيها ليلاً ونهارًا . أما الذين لايعرفون عنها شيئًا فانه يتيه في المياه الضحلة حتى في النهار وبخاصة السفن الشراعية الكبيرة التي تستخدم في نقل البضائع والسفن الحربية الكبيرة . وقد قال ياقوت الحموي عن دارين : (إنها فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند) وفي قصيدة لـلأستاذ : حميد مبارك الدوسري هذه الابيات :

اليوم عادت إلى دارين نهضتها	تسعى إليها حثيثا نهضة الوطن
(عروسة البحر) هل تدرون قصتها	أم هل سمعتم بذكراها من الزمن
طافت بدارين أحلامٌ تُداعبُنا	خيالُنا طاف بين الحُسنِ والحَسَنِ
يا درة أخرجت للناس من صدف	البحر للناس أهداها بلا ثمن
من كان يرجو رخاء العيش يقصدها	يُلقِي إليها من الترحال بالرسنِ
يسعى حثيا وفي دارين مسكنه	يَلقَى بدارين ما يلقاه بالمدن
اللؤلؤ العذب من دارين مصدْره	ذِكراه طافت بلاد الشام واليمن
أنتِ على البحر يا دارين صامدة	تَرْوين للناس ذكرى الغوص والسفن

ودارين تقسم إلى ثلاثة أحياء : الشرق والحوطة وتجرى فيها المتاجرة بالتوابل والعطور والذهب واللؤلؤ ، أما الحي الثالث فهو عبارة عن جزيرة صغيرة تسمى الحالة وقد اختفت معالمها سنة ١٣٩٩ إذ ردم ما حول الجزيرة برمال صحراوية واختفت معالم التجزر وأصبحت بينها وبين الحوطة ساحة وكان الاهالي يعبرون من

الحوطة إلى الحالة بواسطة طريق من الرمل تقع في منتصفه عين ارتوازية يستخدمها البحارة .

وبين ميناء القطيف ودارين طريق بحري تجاري مهم وفيه وقعت كثير من الحوادث منها (ذبحة أرحمه الجلاهمه) التي دارت بين مجموعة من السفن وسفينة أرحمه المسماه بـ (غطروشة) هذه الوقعة معروفة في تاريخ البحرين وقد حدثت سنة ١٢٢٤ هـ[٦] .

وفي سنة ١٢٨٦ هـ جاء الشيخ محمد بن خليفة مضطرًا لجمع الانصار من دارين لحرب كانت في البحرين وقد تحالفت معه بعض القبائل . وفي نهاية الأمر سجن محمد بن خليفة في قلعة أبي ماهر .

وفي سنة ١٣٣٤ هـ اجتمع السيد (برسي كوكس PERCY COX) مع المغفور له الملك عبدالعزيز لعقد معاهدة دارين والتي يعرفها البعض بمعاهدة القطيف وقد ألغيت هذه المعاهدة فيما بعد .

وفي سنة ١٣٠٣ أقبلت قبائل قطر برئاسة ناصر بن جبر وآل بوكواره بزعامة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الفيحاني وهو لا يقل عن الشيخ قاسم ثروه ونزعه إلى الحكم والرئاسة فأوقع فيهم في قصر ربيعة في بلد الغاربة بلد ابن عبدالوهاب وانتقل اهلها إلى البحرين سنة ١٢٩٧ هـ ومنها تحول الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى القطيف فأسس بلدة دارين سنة ١٣٠٣ هـ .

والشيخ محمد بن عبدالوهاب بن ناصر من قبيلة سبيع من بني عمر كان من سكان البحرين واستقدمه محمد بن ثاني بصفته كاتبًا ومستشارًا في تصنيف اللؤلؤ ووزنه لاشتهاره بهذه الخبرة وقد حصل خلاف بينه وبين قاسم بن ثاني فانفصل . وكان قد أصهر إلى آل «أبوكوارة» وأقام عندهم في بلد الغاربة وجمع ثروة كبيرة من تجارة اللؤلؤ وصار من زعماء آل «أبوكوارة» ثم انتقل إلى البحرين ومنها إلى القطيف حيث أسس بلدة دارين سنة ١٣٠٣ هـ وتوفى عام ١٣٢٤ هـ في بومباي عاصمة الهند عن ٦٤ سنة[٨] .

الحقيقة في الأمر أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب جاء دارين مهاجرًا وليس مؤسساً كما ورد ، وقد بنى قلعة معروفة حتى الآن وقد بقي منها البرج أما بقية الدور والمخازن والمجالس والمطابخ وباقي الأسوار فقد تداعت والقلعة تطل على البحر وأمامها من جهة الجنوب مسجد ومن جهة الشرق مسجد آخر وقد اكتمل بناؤها في الثالث من صفر سنة ١٣٠٣ هـ كما هو مكتوب على أحد أبوابها (الباب الشرقي الوحيد) وعلى الباب بيتٌ من الشعر.

ومما سبق ذكره يتضح أن دارين بلدة قديمة، وقد رأيت بعيني في يوم ١٤٠١/٩/١٧ هـ حفرية — قامت بها إحدى الشركات العاملة — بها بيوت خربة وأواني فخارية محترقة ، وكانت الحفريات في شرق قلعة محمد بن عبدالوهاب وجنوبها .

وقد عثر العمال في فجر ذلك اليوم على جرتين ، احدهما سليمة والاخرى متكسرة ، وقد اخذ العمال الجرة السليمة وبقيت الجرة المتكسرة على عمق ٦ أمتار وكان في الجرتين دراهم فضية بتأثيرات ساسانية ، وقد علم الأهالي بذلك لأن الوقت فجر أحد أيام رمضان والحفريات قرب مسجد ، وقال لي أحد المتحدثين إن من بين هذه المكتشفات معضد امرأة من الذهب وقطعة على شكل حيوان من الذهب ايضًا وتداول الاهالي الحديث حتى تدخلت الشرطة في الأمر ، وقد تحدثت مع أغلب العمال في شأن هذا الامر فاجابوني بالنفي ، وبعد أيام تحدثت مع احدهم واجابني بالنفي وألححت عليه فابتعت درهما بمبلغ ٥٠ ريالاً وحينما رأيت الدرهم لم اصدق أنني سأشتري مثله في دارين بمثل هذا المبلغ. وكثير من الأهالي من لم ير الدراهم اعتبر الأمر كلاماً فحسب والدراهم الساسانية المعثور عليها هي من فجر الإسلام ، وهي عبارة عن قطع مستديرة من الفضة على أحد وجهيها نقش يمثل الجزء العلوي من صورة كسرى الفرس ، ويظهر وجهه في وضع جانبي وعلى رأسه التاج الساساني المجنح ، وعلى الوجه الثاني للدرهم حارسان مدججان بالسلاح أو واقفان بدونه فيمكن اعتبارهما كاهنين بينهما معبد النار الذي يسهران على خدمته أو حراسته ، وتشير

الكتابات البهلوية المنقوشة على الدراهم إلى اسم الملك كما تشمل أحيانًا على عبارات دعائية له ولأسرته ، وفي الهامش الخارجي للدرهم ثلاثة أو أربعة ــ أهلّه وفي دَاخل كل هلال نجمة اشاره إلى الكواكب (الزهرة) عند تقابله مع القمر وهو رمز للرخاء عند الشرقيين[٩] . إن هذه الحفريات لتدل على أن دارين كانت يومًا ما ذات تاريخ ، مدّ جذوره إلى ما لا يصدقه انسان دارين اليوم . وفي سنة **١٣٩٩** هـ أنشىء ميناء دارين وهو محاذٍ للقلعة التي بناها محمد بن عبدالوهاب .

وفي دارين حاليًا ثلاث مدارس للبنات ابتدائية ومتوسطة وثانوية ومدرسة ابتدائية للبنين ، ومركز لسلاح الحدود ونادي الجزيرة ، ويربط دارين طريق زراعي قديم رئيسي بتاروت ، وآخر ساحلي بقرية الربيعية .

الربيعيــة : وهي مجموعة من المزارع جاءت من كلمة (الربيع) وقد بنى مزارعوها منازلهم من سعف النخيل ، وإلى وقت قريب مضى كانت الناس تسكن العشش ، أما الآن فتطورت المنازل بتطور الزمن ولم يعد للعيش أي أثر إلا في قليل من المزارع ، وفي الربيعية عين ماء تسمى عين السعودية وهو بئر ارتوازي يقابل المسجد الجامع في سوق الربيعية الشعبي ، والربيعية شبه متداَخلة مع سنابس في الوقت الحالي ، ويفصل الربيعية عن البحر مزرعتان هما مزرعة الكويتي والضامن ، ويربطها بدارين خط ساحلي مسفلت وآخر زراعي بتاروت .

وفيها مستشفى تاروت الكبير الذي بني في عهد جلالة الملك عبدالعزيز وبني فيها مؤخرًا برج للماء على الشارع العام قرب المزارع المؤدية إلى دارين . وفيها الآن مدرستان ابتدائيتان للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات وفريق رياضي ناشئ يدعى الهدف .

وهنا أود أن أذكر حادثة مؤلمة وقعت في الربيعية مؤخرًا وكان ذلك يوم الجمعة **١٣٩٣/١/٢٠** هـ فقد كنت واقفا في الحي الذي أقطنه في ذلك الحين في سنابس فإذا بسيدة تقول لي إن شيئا ما قد حدث في الربيعية فاذهب إلى استطلاع الخبر فانطلقت

مسرعًا فإذا بجمع غفير يتراكضون ، وبعد السؤال عن مكان الحادث وصلت هناك فإذا بأناس كثيرين وقد وقف الجميع مذهولاً وكل على وجهه علامات الأسى والخوف في وقت واحد! فاذا برجل متعلق بين اسلاك كهربية فوق عمود خشبي للكهرباء يصل إلى اثنى عشر مترا وقد احترق الرجل بالكهرباء بينما كان يقوم بتصليح الأسلاك،وكانت هذه الصورة أمرًا مرعباًوفريداً من نوعه لم يشهده أهالي الجزيرة من قبل . وعندما سألت عن هذا الشهيد قالوا إنه السيد عبدالله محمدالحليو، وقد بقي معلقًا في العمود إلى أن حضر رجال الإنقاذ لإنزاله وكل من نظر إليه بكى لهذه الحالة المؤلمة .

سـنابـس : وهي مدينة صغيرة في الوقت الحالي قيل في سبب تسميتها : إن رجلا سكن في هذا الوادي من بساتين النخيل المطلة على البحر وعندما سألوه : كم مضى من الوقت وأنت تعيش هنا ؟ فأجاب : «سنه بس» أي «سنة واحدة فقط» ، وقالوا ان (سنا △) وهو المرتفع و (بس) أي القط أي عندما يرتفع ظهر القط (سنابس SANABIS).

وسنابس تتربع على الشاطيء الشرقي للجزيرة وليست سنابس بالمدينة الحديثة ففيها خرائب ومرتفع تقوم عليه ، وفيها عدد من البيوت البنية باللبن ولاتزال قائمة ، ومن هذه البيوت والخرائب تقوم على الشاطيء مباشرة أي تقوم مقام سنابس القديمة ، وسنابس تمتد على الشاطيء بثلاثة كيلومترات (٣كم) .

وتُعَد هذه المدينة الصغيرةَ همزة وصل بين كل قرى الجزيرة شأنها شأن تاروت ، وفي سنابس ميناء صغير لقوارب الصيد والتي قد يبلغ عددها المائتين، وبها مركزلسلاح الحدود (هجر حاليًا) . وكانت مياه شاطيء سنابس إلى عام ١٣٩٩ هـ تدخل إلى المنازل حاملة معها الرمال والأسماك وقد ردم في تلك السنة برمال جلبت من الصحراء ووضع بين الرمال والبحر صخور قوية كي تحجز مياه البحر عن الدخول إلى المنازل وأضحى الشاطئ مكانًا جميلاً للجلوس مع أنه غير مزفت أو مشجر ، وقد بني في

العام المضي (١٤٠١ هـ) برج للماء على الشاطيء مما أضفى عليه رونقًا وجمالاً .

الـزور : قرية صغيرة تقع على ذيل الجزيرة ، في الطرف الشمالي للشاطيء وتقع شمال سنابس مباشرة وبينهما كيلو مترًا واحدًا .

ومنازل الزور قليلة جدًا لاتتجاوز الخمسين بيتًا ، وفي الزور ميناء قديم له أهميته بالنسبة لأهالي سنابس وتاروت ، وقد وصل عدد السفن الشراعية التي تزوره ذات يوم إلى ٣٠٠ سفينة لصيد الاسماك واستخراج اللؤلؤ . أما الآن فتضاءلت أهمية الميناء بسبب افتتاح ميناء دارين . وفي الزور مسجد واحد فقط بني عام ١٤٠٠ هـ بالأسمنت ومركز لسلاح الحدود ويحد الزور من الشرق والشمال البحر ، ومن الجنوب سنابس ، ومن الغرب تلال الزور التي يعتقد أنها الزور القديمة التي احترقت ذات يوم . وليس في الزور مزارع ولا أسواق ولا مدارس .



صورة نادرة لسوق تاروت ويلاحظ المسجد القديم وينبوع الماء وحمام تاروت والقلاع البرتغالية والناس تبيع وتشتري الحمير والحبال ، صورة عام ١٣٧٠ هـ .

١ — ساحل الذهب الأسود — الطبعة الثالثة — لمحمد سعيد المسلم .
٢ — عشتروت وادونيس — ١٩٤٨ م — لحبيب ثابت .
٣ — تاريخ الاسلام — ٤ اجزاء — الجزء الأول — لحسن إبراهيم حسن .
٤ — اسباب سعادة المسلمين وشقائهم — لمحمد زكريا الكاندهلوى .
٥ — ملوك العرب — لأمين الريحاني .
٦ — تاريخ نجد وملحقاته — الطبعة الرابعة ١٩٧٠ م — لأمين الريحاني .
٧ — خالد الفرج ، لخالد سعود الزيد — ط ١ . ١٩٦٩ م .
٨ — النقود العربية ، ماضيها وحاضرها — م ث ١٠٣ — ١٥ فبراير ١٩٦٤ م . لعبدالرحمن فهمي محمد .

(١) المصدر رقم ٢ .
(٢) المصدر رقم ١ .
(٣) المصدر رقم ١ .
(٤) المصدر رقم ١ .
(٥) المصدر رقم ١ .
(٦) المصدر رقم ٥ .
(٧) المصدر رقم ٦ .
(٨) المصدر رقم٧ .
(٩) المصدر رقم ٨ .

سيد احمد خان
١٨١٧ - ١٨٩٨م
والمصير السياسى لمسلمى الهند

د. خليل عبدالحميد عبدالعال

المجتمع الاسلامي في الهند في أعقاب ثورة عام ١٨٥٧م

لم تكن العلاقات بين الحكومة البريطانية ومسلمي شبه القارة الهندية على مايرام طوال القرن التاسع عشر. فالبريطانيون كانوا دائماً ينظرون إلى مسلمي الهند كمنافسين لهم في البلاد. ولذلك فقد كانت سياسة بريطانيا نحو المسلمين تقوم على أساس الكبت والضغط بينما كانت سياستها نحو الهندوس تقوم على أساس تنمية العلاقات الطيبة معهم(١). وبعد اشتعال ثورة عام ١٨٥٧م ازدادت نظرة الكراهية البريطانية نحو المسلمين وازداد سوء الفهم ومن ثم سوء العلاقات بين الطرفين. ورغم أن الثورة قد قامت على أكتاف كل من المسلمين

والهندوس معا وأن كلا من الطرفين يتحمل مسئوليتها بشكل مساو، إلا أن الغرم كان من نصيب المسلمين بينما كان الغنم من نصيب الهندوس. فقد عومل المسلمون من قبل السلطات البريطانية أسوأ معاملة. فقد خربت وسلبت منازل المسلمين ونفي زعماؤهم وأعدم وسجن كثير من رؤسائهم،وفرضت على المسلمين عامة غرامات مالية كبيرة(٢). أما الهندوس الذين كانوا مسئولين أيضا – مثل مسئولية المسلمين – عن الثورة، فقد أغدقت عليهم السلطات البريطانية الكثير مما رفع من روحهم المعنوية بشكل كبير(٣). وهكذا أصبحت الحياة بالنسبة لمسلمي الهند وزعمائهم عبئا ثقيلا لا يحتمل مما جعل رجالا كثيرين – مثل سيد أحمد خان – يفكرون في مغادرة البلاد(٤).

أما دلهي التي كانت مركزا للحضارة والثقافة الاسلامية فقد أصابها التدمير والنهب ولم تعد مدينة اسلامية. لقد انتكست حركة النهضة والاحياء التي كانت تمور بها المدينة(٥). وبدأ الانحطاط والخمول يغشى ويسيطر على كل مناحي الحياة. وأخذ المسلمون يكرهون كل ما يتصل بالغرب(٦). لقد فقدوا الأمان في حياتهم وتقوقعوا في داخل أنفسهم وأدت بهم حياتهم الاجتماعية غير المستقرة إلى أن يركنوا إلى حياة التدين. بل وصبغوا كل شيء بصبغة العقيدة. وأصبح كل ما هو ضد معتقداتهم وتقاليدهم أمرا بعيدا عن القداسة ومدنسا(٧).

وهكذا، ونتيجة لخيبة آمالهم في مجرى الأحداث، تجنب مسلمو الهند التعليم الغربي وبالتالي حرموا أنفسهم من فرص التوظف والعمل الحكومي. أما الهندوس فقد سلحوا أنفسهم بالمؤهلات الجديدة والعلم الغربي وبمرور الوقت تمكنوا من شغل كل الوظائف والخدمات الحكومية(٨).

لقد كان المسلمون متخلفين عن الهندوس في تعلم اللغة الانجليزية. هذا أمر لاشك فيه. ولكن أحيانا لم يكن يسمح للمسلمين بالعمل وشغل الوظائف لأنهم مسلمون(٩). ويمكن للدارس أن يتعرف على أحوال مسلمي البنغال وبيهار وأوريسا – بسهولة – من الفقرات التالية، من التماس تقدم به مسلمو أوريسا إلى السلطات:

«إننا كرعايا مخلصين وموالين لجلالة ملكة بريطانيا، نعتقد في أن لنا حقا متساويا – مع الآخرين – في تعيينات الادارة في البلاد. ومن الحق أن نقرر هنا أن مسلمي أوريسا قد انحط وضعهم بشكل كبير أدى الى فقدان الأمل في الارتفاع من جديد. لقد وجدنا أنفسنا.. كسمكة خارج الماء. هذه هي الحالة المؤسفة والبائسة للمسلمين نضعها تحت أنظاركم ونحن نؤمن أنكم الممثلون الوحيدون لجلالة الملكة في منطقة أوريسا، ونأمل أن تأخذ العدالة مجراها بين كل الطبقات دون تمييز في اللون أو الاعتقاد. إننا لشدة سوء أحوالنا المالية ووصولنا الى حالة الضنك والافلاس نتحدث من كل أعماق قلوبنا ونقول إننا على استعداد للسفر الى أبعد مناطق الأرض، والصعود الى قمم الهملايا والذهاب الى مناطق سيبيريا اذا ما اقتنعنا أن ذلك هو السبيل الى وظيفة حكومية تدر علينا عشرة شلنات في الأسبوع(١٠)».

لقد كانت مدينة (كلكتا) مركزا لحركة النهضة والاحياء الهندوسية، وظلت المدينة آمنة من كل المكاره إبان الأيام الحالكة للثورة(١١). لقد ظلت الروح المعنوية للهندوس عالية، ونجحوا في تحسين أحوالهم المادية، وصار أبناؤهم محامين وأطباء وصحفيين بل وصارت الصناعة المحلية تحت إشرافهم. هذه الأحوال الاجتماعية الآمنة والتعليم الذي حصلوه نفث كل ذلك فيهم الوعي وشرعوا يجاهدون من أجل الحصول على حقوقهم. وقد أدى ذلك الى توسيع الشقة بين أمتي الهند(١٢) (أعني

الهندوس والمسلمين). إن الصراع من أجل البقاء والوجود في النصف الأخير من القرن التاسع عشر كان صراعا بين طبقتين، طبقة مثقفة وآمنة ماليا وطبقة غير مثقفة ومطحونة اقتصاديا، ولكنها فخورة بأمجادها الماضية. هذا الصراع أصبح أشد احتداما وعنفا بسبب الاختلافات الدينية. ويعلق (فالنتين شيرول) على ذلك بقوله :

إن العداء بين الهندوس والمسلمين لم يكن من خلق أو بسبب الحكم البريطاني. إنه محصلة قرون من الصراع والتوتر وذلك قبل أن يسمع عن البريطانيين في الهند[١٣]».

كان الهندوس يعلمون ذلك. وعندما كانوا يجدون الفرصة – مثلهم في ذلك مثل الحكومة البريطانية – فإنهم كانوا لا يترددون في الضغط على المسلمين وكبح جماحهم[١٤].

أولا : سيد أحمد خان وحركة عليجرة

كان سيد أحمد خان (١٨١٧ – ١٨٩٨) من أبرز وأهم الزعماء المسلمين في شبه القارة الهندية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد ظلت زعامته لمسلمي شبه القارة طوال فترة حياته النشطة.. أكثر من خمسين عاما. وقد أمضى سيد خان الأربعين عاما الأولى من حياته في جهد لا ينقطع من أجل العمل على نشر أفكاره التعليمية والأدبية. وفي خلال هذه الأعوام عاصر سيد خان وعاش أحداثا جساما وقعت بالهند وكان لها تأثيرها العميق على تشكيل مجرى حياته.

لقد كانت (ثورة ١٨٥٧م) نقطة تحول مهمة في حياته. في ذلك الوقت – وقت الثورة – كان سيد خان يعمل في مدينة (بجنور). وهناك شاهد بنفسه

مآسي الثورة. وقد قام سيد خان – في خلال تلك الأيام الحالكة – بانقاذ أرواح كثير من العائلات البريطانية التي كانت تعيش بالمدينة(١٥). والذي حدا به الى القيام بهذا الدور هو ايمانه العميق بضرورة استمرار الحكم البريطاني للهند. وكان هذا اعتقادا أساسيا من جانبه له أسبابه ومبرراته التي لم يحاول اخفاءها أو التنصل منها.

ولجهوده الكبيرة وخدماته في خلال الثورة قدمت له السلطات البريطانية أرضا كان يمكن أن تدر عليه دخلا كبيرا. لكنه رفض قبول الأرض(١٦). وفي عام ١٨٥٩م كتب سيد خان كتيبه المشهور (**أسباب بغاوت هند**) أي (**أسباب ثورة الهند**)(١٧). وفي هذه الرسالة قام سيد أحمد خان بتحليل الأسباب التي أدت الى الثورة. وكما يرى سيد خان فقد كانت أهم هذه الأسباب فقدان التعاون بين الحاكم والمحكوم. وقدم سيد خان النصح الى السلطات البريطانية بضرورة تمثيل الهنود في المجالس التشريعية. وقد كان لهذه الرسالة أثر إيجابي كبير على الحكومة البريطانية. إذ أنه بعد عامين من نشرها صدرت أول لائحة في هذا الصدد وتعرف باسم «لائحة المجلس الهندي لسنة ١٨٦١». وتقرر اللائحة السماح للهنود – للمرة الأولى – بأن يمثلوا في مجلس الحاكم العام التشريعي.

لقد بدأت نشاطات سيد أحمد خان كمصلح اجتماعي وكسياسي بعد عام ١٨٥٨م وأصبح سيد خان وشخصيته المحور الذي دار حوله تاريخ مسلمي الهند في الفترة من ١٨٥٨ الى ١٨٩٨م. وهذه الفترة من حياة سيد خان يمكن أن تقسم الى ثلاث مراحل مختلفة.

١ – **المرحلة الأولى** : تمتد من ١٨٦١ الى ١٨٨٣م. وفيها حاول سيد أحمد خان عامدا أن يكتسب الهندوس كأصدقاء. وجاهد للدفاع عن تفاهم أفضل لوجهة نظر كل من الهندوس والمسلمين.

٢ – **والمرحلة الثانية** : تمتد من ١٨٨٣ الى ١٨٨٧ . وفي خلال تلك الفترة قام سيد خان بتوجيه النصح الى مسلمي شبه القارة بألا يسهموا في أي تنظيم سياسي وخاصة في «المؤتمر الهندي الوطني» أو «الكونجرس».

٣ – **أما المرحلة الثالثة** : فتمتد من ١٨٨٧ الى ١٨٩٨م. وفيها عارض سيد خان بوضوح «المؤتمر الهندي الوطني» وقام بتكوين عدد من التنظيمات المناهضة للمؤتمر.

المرحلة الأولى :

كان سيد أحمد خان رجلا شديد التدين، وكانت تملؤه رغبة عارمة في خدمة أبناء ملته. لقد شاهد بنفسه أفول نجم الامبراطورية المغولية. ولقد كانت ثورة ١٨٥٧م هي آخر محاولات الهنود لاستعادة سلطانهم المفقود وكرامتهم وذلك عن طريق القوة. ولكن الثورة فشلت. وبهذا الفشل ضاعت كل الآمال في قيام امبراطورية اسلامية في الهند.

لقد تأثر سيد خان بشكل بالغ بالمعاملة السيئة والمستبدة التي عاملت بها السلطات البريطانية المسلمين بعد فشل الثورة. وهذا مادفعه الى كتابة سلسلة من المقالات بعنوان «المسلمون الهنود الموالون(١٨)». وفي هذه المقالات حاول سيد خان أن يثبت بالدليل القاطع أن مسلمي الهند لم يكونوا هم وحدهم المسئولين عن ثورة ١٨٥٧م(١٩). إن هذه الثورة – كما يقول سيد خان – كانت عملاً اشتركت فيه كل الأمة الهندية. وأعلن سيد خان عن أسماء العائلات المسلمة التي قدمت يد المساعدة للبريطانيين، بل ووقفت في صفهم، وذلك في خلال الأيام الحالكة للثورة.

واستمر سيد أحمد خان في كتابة هذه المقالات حتى ١٨٦٠ / ١٨٦١م. وقد نتج عن هذه الكتابات راحة كبرى حلت في صدور كثير من العائلات المسلمة. ولكن سرعان ما كان على سيد خان أن يجابه موقفا حرجا وأكثر خطورة. فقد أخذ الهندوس - تدريجيا - يتحكمون في الحياة الاقتصادية والسياسية في البلاد. فقد أسست الجامعة في مومباي ومدراس وكلكتا في عام ١٨٥٧. وهذه المناطق كانت ذات أغلبية سكانية هندوسية. وخرجت هذه الجامعات دفعات وراء أخرى، وبمرور الوقت تمكن الهندوس من أن يحتكروا أغلب الوظائف الحكومية. ويصف (سير ثيودور موريسون) أحوال المسلمين العامة في الهند بقوله:

«بينما كان البنغاليون الهندوس والمدراسيون والمراتا يتمتعون بنهضة ثقافية ومعنوية - نتيجة احتكاكهم بفنون أوربا وعلومها - فان المسلمين في كل شبه القارة الهندية كانوا ينحدرون نحو الركود المادي والانحطاط الثقافي(٢٠)».

لقد كان المسلمون متخلفين عن الهندوس بشكل بالغ. فقد منعهم رجال دينهم من طرق سبل التعليم الغربي وكانت النتيجة هي إستبعاد المسلمين من كل الأعمال والوظائف المدنية(٢١)».

تأمل سيد خان الموقف وتفهمه بعمق في مرحلة مبكرة. وبدأ على الفور حركته الكبرى التي أوحت إلى مسلمي الهند بحياة جديدة. فقد آمن سيدخان بأن الوسيلة الوحيدة التي تمكن مسلمي شبه القارة من الحركة والحياة من جديد هي التعليم. ومن المفيد أن نذكر هنا أنه عندما بدأ سيد خان حركته هذه كان عدد الخريجين لا يزيد على ستة عشر شخصاً في كل الهند(٢٢).

في مثل تلك الظروف لم يكن من الممكن لسيد أحمد خان أن يعلن عداوته للهندوس فقد كان سيد خان دائما حريصا على عدم إثارة غضبهم ونفوسهم ومشاعرهم رغم أنه كان حريصا أيضا على مقاومة موقفهم واتجاهاتهم نحو المسلمين وكان في ذلك مثل السياسي الذي يعرف لكل شيء وقته. ولم يدع سيد خان للهندوس وسيلة للتعرف على مشاعره الحقة تجاههم. وظل الأمر كذلك حتى تأسيس «المؤتمر الهندي الوطني[٢٣]».

• حركة عليجرة •

قبل ذهاب سيد أحمد خان الى انجلترا كان قد آل على نفسه أن يعمل من أجل خلق تفاهم وتقارب سياسي بين الحكام والمحكومين. وفي خلال تلك الفترة كان سيد خان يرى ضرورة قبول البريطانيين سياسيا. ذلك أنه بدون ذلك فان مسلمي الهند سوف يقعون حتما تحت وطأة الغالبية الهندوسية المعادية. على أن آراء سيد خان في هذا الصدد تغيرت بعد عودته من انجلترا (١٨٦٩ – ١٨٧٠) ففي أوربا شاهد سيد خان نتائج وثمار الحضارة الأوربية وتأثر بذلك تأثرا بالغا. ومنذ ذلك الوقت بدأ سيد خان يعمل جاهدا لاقناع أبناء ملته ليس فقط بقبول الحكم البريطاني، ولكن باستيعاب الحضارة الغربية[٢٤].

وفي عام ١٨٧٠ بدأ سيد خان ينشر «**تهذيب الأخلاق**» وهي مجلة بالأردّية على غرار ونمط بعض المجلات الأوربية[٢٥]. وبدأ سيد خان يهاجم – على صفحات المجلة – الدوائر والنزعات المحافظة التي رفضت أي تقدم أو إحداث أي تغيير كما هاجم نمط التعليم الديني الذي فرضته هذه الدوائر وشجعته. وكانت الحملة التي قادها سيد خان على

صفحات المجلة تهدف الى تخليص وتحرير الاسلام والمسلمين من قيود المجتمع القديم الذي انتهى. وبصدور تلك المجلة تبدأ حركة أصبحت شهيرة فيما بعد واقترنت باسم كلية عليجرة التي أسسها سيد خان بعد ذلك بخمس سنوات. أما أهداف وغايات الحركة فقد كانت:

١ – حث الهنود على تعلم الفنون والعلوم الغربية.
٢ – تشجيع الناس على الفهم عن طريق العقل.
٣ – العمل من أجل الارتقاء الاجتماعي بالهنود.
٤ – العمل على انتشال الهنود من حالة اليأس والقنوط وإيضاح معالم الأمل والسعادة أمامهم.
٥ – تشجيع الهنود على اتخاذ موقف نشط وايجابي في الصراع من أجل الحياة.
٦ – توجيه انتباه الناس نحو المشاكل الخطرة والعملية.
٧ – الرغبة في الاصلاحات الاجتماعية(٢٦).

كذلك كانت مدرسة عليجرة، التي أصبحت فيما بعد كلية، تتصل بقرب بهذه الحركة. فقد كانت الكلية هي المركز الثقافي والفكري للحركة. وكانت أغراض الكلية تنحصر في تخريج أربعة أنماط من الخريجين.

١ – نمط يقوم بمهمة ترجمة العلوم والفنون الأوربية الى الأردية بعد دراستها.
٢ – نمط يقوم باستيعاب التعليم الانجليزي للعمل بعد ذلك في الوظائف الحكومية.
٣ – نمط يقوم بالدراسة بالأردية على أن يتمكنوا بذلك من الحصول على معرفة تامة مساوية للمستوى البريطاني حتى يتمكنوا بعد ذلك من تطوير معرفتهم وحضارتهم.

٤ – نمط يقوم بالدراسة بالفارسية والعربية. وهؤلاء سوف يقومون على ترجمة تراث الماضي للأجيال الجديدة. وبهذا الشكل سوف يظل التراث الديني والثقافي حيا وباقيا(٢٧).

كان هذا المعهد العلمي (كلية عليجرة) معهدا اسلاميا بحتا. ولكنه كان مفتوحا للجميع دون تمييز عقائدي أو جنسي.

لقد كان سيد خان من أنشط العاملين في هذه الحركة. ولكن ساعده في هذا العمل الكبير فريق من الزملاء المخلصين والمحبين للعمل من أبرزهم مولفي سميع الله خان ونواب محسن الملك ونواب فقار الملك وسيد زين العابدين ومولفي شيراغ علي وألطاف حسين حالي ومولانا شبلي نعماني ومولفي زكاء الله ومولفي نظير أحمد(٢٨).

على أن سيد أحمد خان لم يستمر في هذا العمل الكبير دون معارضة. فان معارضيه «أخرجوه من حوزة الاسلام وقاموا بالتشهير به والادعاء عليه، بل أنهم هددوه بالقتل أكثر من مرة(٢٩). على أن سيد أحمدخان الذي كان يؤمن بعمله وكان قويا بهذا الايمان استمر يؤدي مهمته ولم يقف في طريقه عائق.

لقد أسهمت حركة عليجرة في خدمة مسلمي شبه القارة الهندية باخلاص وذلك في ابان حالك أيامهم. وفي النهاية قادت مسلمي شبه القارة نحو الخلاص والانتصار.

وفي خلال تلك الفترة قام سيد خان بالقاء الخطب لكسب ود الهندوس وتعاونهم. وكان يفخر بتسميته الهندوسي أو الهندوستاني(٣٠). وقد أعلن سيد خان في مناسبات عديدة «أن الهند مثل العروس عيناها هما

الهندوس والمسلمون، وجمالها يتمثل في أن كل من عينيها له نفس البريق.» ونصح سيد خان بعدم المساس بمشاعر الهندوس وذلك بعدم ذبح البقر. «إذا ما أريد للصداقة بيننا وبينهم أن تستمر فان هذه الصداقة يجب أن تفضل على التضحية بالبقر(٣١)».

وقد ترأس سيدخان عددا من الاجتماعات التي نظمها الهندوس وقام بدعوة البارزين من الهندوس الى كلية عليجرة. كذلك تلقى من الهندوس الاسهامات المالية(٣٢). ولكن كل ذلك كان بلا جدوى. فقد كان الهندوس على قدر كبير من التحيز ضد المسلمين. وفشلت في النهاية كل الجهود المخلصة التي بذلها سيد خان للتوحيد بين المسلمين والهندوس. وتوترت العلاقات بينهما وساءت. على أن سيد خان كان يعلم بما سوف تنتهي اليه الأمور من قبل. كان يعلم بذلك منذ الصراع والنزاع الذي دار حول الأردية والهندية والذي بدأ في عام ١٨٦٧. وفي الواقع فان النزعة الانفصالية الاسلامية كانت قد بدأت منذ الاضطرابات وحركات التبرم التي قام بها الهندوس ضد اللغة الأردية في (بنيراس)(٣٣).

لم يكن سيد أحمد خان ضد تكوين حزب سياسي. كذلك لم يكن ضد السياسة في حد ذاتها. إلا أنه كان يعتبر المسلمين غير جديرين بالقيام بأي نشاط سياسي طالما أنهم متخلفون تعليميا. كذلك لم يكن سيد خان راغبا في أن يتحول انتباه المسلمين عن التعليم الى أي مجال آخر. فالتعليم وحده – كما يرى – سوف يحفظ عليهم مستقبلهم ولقد كانت كل من كلية عليجرة ومدرسة عليجرة النتائج العملية لجهوده في مجال التعليم. فكل من المعهدين الدراسيين كان مفتوحا لكل فرد دون تمييز في الطبقة أو اللون أو العقيدة.

ولقد تبنى سيد أحمد خان في مجال السياسة منهج الولاء للانجليز. وهذا

– في اعتقاده – كان أفضل سياسة للمسلمين. وتلقى خطبته في المجتمع العلمي التي ألقاها في (١٠ مايو عام ١٨٦٦) الضوء على آرائه السياسية. فان سيد خان كان يرى أن المسائل والأمور الهندية يجب أن تعرض بشكل أساسي أمام مجلس نيابي، ولهذا يجب أن تؤسس منظمة ما. وقد قال سيد خان:

«من المؤسف حقا أن ينظر أهل الهند بشكل لا مبالاة فيه ولا معرفة الى البرلمان البريطاني. هل تستطيعون الاهتمام بأموركم اذا لم تعرض هذه الأمور أمام هذا المجلس؟».

«ان القطاعات الأوربية في الهند آخذة في الازدياد. وقد أسست لها منظمات في لندن وفروعاً لهذه المنظمات في الهند، وذلك لكي تضع المسائل الهندية ومطالب واحتياجات جميع الطبقات أمام البرلمان البريطاني. وان لم تقم كل طوائف الأمة بالتعاون ووضع الخطط على أسس دائمة فإن الفرصة قد تفلت وبالتالي فان المواطنين الهنود سوف يحرمون من التمثيل ولن تلوموا إلا أنفسكم وذلك بعد أن تشاهدوا بعد سنوات أن القطاع الأوربي يتمتع بامتيازاته التي حصل عليها بينما مطالبكم لم تتحقق.»

«إنني أخشى أن تنظر اليكم الحكومة أو السلطات الاقليمية كمجموعات عابثة متمردة وغير راضية. هل قيامكم بمثل هذه الاجراءات يمنعكم من خدمة بلدكم؟ هل الأفكار الأوربية عابثة ومتمردة؟ صدقوني إن هذا الجبن المعنوي خطأ وأن هذا الخوف لا أساس له...».

«إنكم اذا ما أظهرتم أنفسكم بمظهر المتحمس الشغوف المبجل لذاته والواثق فيها فإنكم سوف تكسبون احترام شعب مستقل مثل الشعب الانجليزى. ولكن اذا ظللتم كما أنتم الآن غير مبالين ومعتمدين

على غيركم فلن تنالوا احترام أحد. إن تطبيقات القانون على أيدي حكومة – مهما كانت عاقلة – وحتى لو كان الدافع اليها سليما ووطنيا، فانها أحيانا لا تتفق واحتياجات الناس ومطالبهم أو أنها تتعارض مع العدالة الحقيقية.

«إن الأهالي ليس لديهم الآن دور أو صوت في ادارة أمور بلادهم واذا ما ثبت أن أي اجراء تتخذه الحكومة ضار بهم أو مخالف لمصلحتهم فانهم يبدون في الظاهر رضى وسعادة بينما السخط وعدم الرضى يمور في عقولهم. أرجو ألا تغضبكم كلماتي التي أتحدث الصدق بها. أنا أعلم أن من عاداتكم السخط والاستياء من قوانين الحكومة المختلفة وذلك في بيوتكم وبين عائلاتكم وأنكم عندما تزورون بعض الأوربيين تظهرون رضاءكم بعدالة وحكمة هذه القوانين. إن هذا المسلك هو بالتأكيد ضد مصلحة بلدكم. انه لمن الأفضل أن يكون للهند شعب يتحدث بصراحة وشرف عن عدالة أو ظلم قوانين الحكومة...»(٣٤).

المرحلة الثانية :

جاء لورد (**ليتون**) في عام ١٨٧٧م الى عليجرة لوضع حجر الأساس لكلية عليجرة(٣٥). وقد تأثر كثيرا بشخصية سيد أحمد خان، ولذلك عينه في عام ١٨٧٨م عضوا بالمجلس التشريعي الامبراطوري(٣٦). وأعيد تعيين سيد خان في عام ١٨٨٠م في عهد لورد (**ريبون**) نائب الملك في الهند آنذاك(٣٧). وفي مجلس نائب الملك وجد سيد خان الفرصة في الدفاع عن مصالح مسلمي شبه القارة الذين كانوا يمثلون أقلية بالهند.

ولقد رغب لورد (**ريبون**) في ادخال المؤسسات النيابية بالهند وقدم اقتراحا بقانون في المجلس التشريعي لنائب الملك وذلك بهدف ادخال نظام الحكومة الذاتية بالبلاد. وكان ذلك في الثاني عشر من يناير عام

١٨٨٣م. وفي خلال مناقشة هذا الاقتراح عارض سيد أحمدخان إدخال مبدأ الانتخاب بالهند وألقى خطبة قوية يعضد بها وجهة نظره. قال سيد أحمد خان:

«إن الحكومة النيابية هي أعظم وأنبل درس يمكن للهند أن تتعلمه من إنجلترا...» ولكن سيد خان أصر على أن هذا المبدأ لا يمكن تطبيقه أو العمل به في الهند كما هو معمول به تماما في انجلترا. وذكر أحمد خان أن الهيئات المحلية لا يمكن أن تكون كلها قائمة على مبدأ الانتخاب وأن بعض المقاعد في هذه الهيئات لابد وأن تملأها الحكومة بالتعيين.

«إن كل سكان إنجلترا - لأسباب إجتماعية وسياسية - يكونون طائفة واحدة. ومن الواضح أن هذا لا يمكن أن يقال عن الهند. إن نظام التمثيل عن طريق الانتخاب يعني تمثيل آراء ومصالح الأغلبية السكانية، وفي بلاد يتكون السكان فيها من جنس واحد وعقيدة واحدة. إنه - بلا شك - أفضل نظام يمكن أن يتبع. ولكن في بلد، مثل الهند، حيث لاتزال التقسيمات الطبقية منتعشة وحيث لا تداخل بين الطوائف المتعددة، وحيث الفروقات الدينية لاتزال عنيفة، وحيث التعليم في معناه الحديث لم يزحف بعد بنسب متساوية بين كل الطوائف وقطاعات السكان، فان نظام الانتخاب بشكله البسيط لا يمكن أن يتبع بأمان. إن الطائفة الأكبر ستطغى على مصالح الطائفة الأصغر..»(٣٨).

كانت تلك هي أول خطبة يلقيها سيد خان ويعبر فيها عن أفكاره ووجهة نظره تجاه نظام الحكومة والانتخاب في الهند. وبعد مرور ثلاث سنوات على هذه الخطبة تكون «المؤتمر الهندي الوطني» في عام ١٨٨٥. واضطر سيد خان - نتيجة لتلك الظروف - أن يعبر عن أفكاره حيال أوضاع الأقليات في الهند في ظل نظام حكومي نيابي. ولكن قبل أن نتعرض بالسرد والمناقشة لمعارضة سيد خان للمؤتمر الهندي الوطني،

يجب أن نتعرف على الطريقة التي تم بها تكوين المؤتمر الهندي الوطني ومن ثم العوامل التي حدت بسيد أحمد خان الى معارضة هذا المؤتمر.

تأسيس المؤتمر الهندي الوطني «الكونجرس» عام ١٨٨٥م

وجد تيار من التبرم والسخط وعدم الرضى بين الطبقات المثقفة في الهند في النصف الأخير من القرن التاسع عشر. وأسباب هذا التيار يمكن حصرها في :-

١ - قانون السلاح لعام ١٨٧٨م.
٢ - قانون الصحافة الوطنية لعام ١٨٧٨م.
٣ - القلاقل والاضطرابات المتصلة بالخدمة المدنية والتي قادها (س. بانرجي).
٤ - قانون أو لائحة البرت في سنة ١٨٨٣ [٣٩].

- ونتيجة لتيار التبرم والسخط هذا ظهرت في أنحاء شتى من البلاد أحزاب محلية سياسية من أهمها:

١ - منظمة كلكتا الهندية وأسسها (س. بانرجي).
٢ - المنظمة المحمدية المركزية بكلكتا وأسسها سيد أمير علي في ١٨٨٧.
٣ - أنجامان إسلام في بومباي.
٤ - المجلس الهندي الوطني في عام ١٨٨٣م.
٥ - عصبة بنغال الوطنية في ١٨٨٤م.
٦ - سورو جانج صابحا في بونا في ١٨٧٥م.
٧ - ماهاجان صابحا في مدراس في ١٨٨٤م [٤٠].

ولكن هذه الأحزاب السياسية كانت عبارة عن مجموعات محلية بحتة لها مصالحها التي تهتم بها. ولكنها لم تكن قادرة على تمثيل الطبقات الساخطة في الهند ككل. وظهرت الحاجة الى حزب سياسي مركزي أول ما ظهرت على يد (س. بانرجي) [٤١]. وقام بانرجي بتنظيم أول دورة

للمجلس الهندي الوطني في عام ١٨٨٣م. وأخذ يعد العدة لتنظيم دورة ثانية[٤٢] في عام ١٨٨٥م وبينما هو في هذا الاعداد تلقى دعوة من (و. بونرجي) لحضور أول دورة لمؤتمر الهند الوطني. ولكنه رفض قبول الدعوة. وعلى ذلك فان المجلس الهندي الوطني كان يتكون آنذاك من:—

١ — المنظمة البريطانية الهندية.
٢ — المنظمة الهندية.
٣ — المنظمة المحمدية المركزية. وهي حزب سياسي لسيد أمير علي[٤٣].

ولكن «المجلس الهندي الوطني» توقف مباشرة بعد تكوين «المؤتمر الهندي الوطني» وانضم زعيمه البارز (س. ناث. بانرجي) الى «المؤتمر الهندي الوطني»[٤٤].

لقد تأسس المؤتمر الهندي الوطني على أكتاف موظف من موظفي الادارة المدنية الانجليزية هو (الان اوكتافيان هيوم) «الذي أقلقه إزدياد تيار السخط وعدم الرضا فحاول ايجاد الوسيلة التي يتم بها تحويل التوتر الشعبي الى قنوات بناءه»[٤٥] وقد كتب (هيوم) كتابا الى خريجي جامعة كلكتا قال فيه:

«اذا ما تم العثور على خمسين رجلاً فقط من ذوي الأخلاق العالية ليكونوا مؤسسين فان الأمر يمكن أن يتم وأي تطور آخر لن يكون صعبا[٤٦]».

ان هيوم الذي كان إمبرياليا بالطبيعة قد قرأ (أسباب الثورة)[٤٧] وهي الرسالة التي كتبها سيد أحمد خان وتأثر كثيرا بها. ومنذ ذلك الوقت بدأ يتبنى فكرة تأسيس منظمة، بالتعاون مع الحكومة البريطانية،

يتمكن فيها المثقفون الهنود ذوو التأثير، من التعبير عن وجهات نظرهم حول المسائل السائدة الاجتماعية والسياسية. ولكن لم يكن (**هيوم**) هو الذي أعطى (**المؤتمر**) شكله السياسي. إنما الذي قام بذلك لورد (**دوفرين**). ويصف (**س. بونرجي**) هذا الذي حدث بقوله:

«ربما يكون الأمر خيراً للكثيرين. فان المؤتمر الهندي الوطني، كما كان منذ البداية وكما هو منذ أن تكون، كان أصلا عملا من جهود لورد (**دوفرين**) وذلك عندما كان (دوفرين) حاكما عاما على الهند. لقد آمن هيوم منذ ١٨٨٤م بأنه سوف يكون عملا نافعا للبلاد اذا ما تمكن الساسة الهنود من أن يتآلفوا جميعا ويجتمعوا مرة كل عام لمناقشة المشاكل الاجتماعية. إنه لم يفكر في أن تكون السياسة جزءا من مناقشتهم. ذلك لأنه كانت هناك هيئات سياسية معترف بها في كلكتا وبومباي ومدراس ومناطق أخرى في الهند. لقد ظن أن هذه الهيئات السياسية سوف تقل قيمتها اذا ما ناقش الساسة الهنود المجتمعون معا من أنحاء البلاد — المسائل السياسية. كذلك كانت فكرته أن حاكم الولاية، حيث يجتمع الساسة، يجب أن يترأس إجتماعاتهم وذلك سوف ينتج عنه تآلف وعلاقات متينة بين الطبقات الرسمية من ناحية والساسة الهنود غير الرسميين من ناحية أخرى. وعندما امتلأت نفس هيوم بمثل هذه الأفكار أسرع بمقابلة (**دوفرين**) **في** (**سملا**) في بداية ١٨٦٥م بعد أن كان الأخير قد تقلد منصب نائب الملك في الهند».

«واهتم (دوفرين) بالأمر اهتماما كبيرا. وبعد التفكير فيه لمدة من الزمن أرسل الى هيوم وذكر أنه يعتقد أن مشروعه (**أي مشروع هيوم**) لن تكون له فائدة تذكر اذ أنه لا يوجد في البلاد أي مجموعة من الرجال الذين يستطيعون القيام بالعمل الذي تقوم به المعارضة في انجلترا، وأن الصحف، بافتراض تمثيلها وجهات نظر الناس، ليست موثوق فيها ولا يعتمد عليها. ولما كان الانجليز على غير علم بفكرة الآخرين (أي

الهنود) عنهم وبسياستهم في الدوائر الأهلية فانه من المفيد - لمصلحة الحاكم والمحكوم معا - أن يجتمع الساسة الهنود سنويا ويوضحون للحكومة أوجه النقص في الادارة وكيف يمكن أن تتحسن واستطرد (**دوفرين**) بأن مجلسا مثل هذا الذي يقترحه لا يجب أن يترأسه الحاكم الاقليمي، ذلك أنه في حضور الحاكم فان الناس قد يحجمون عن الكلام والتعبير عن أنفسهم بصراحة. وقد اقتنع (**هيوم**) بما عرضه عليه (دوفرين). وعندما عرض فكرته وفكرة (دوفرين) على الساسة البارزين الهنود في كلكتا ومدراس ومناطق أخرى من البلاد قبل الساسة فكرة (دوفرين) ومن ثم عملوا على إخراجها إلى حيز الواقع[٤٨]».

لم يكن (**دوفرين**) الشخصية الوحيدة المهتمة التي ناقشها (هيوم) في مسألة تكوين منظمة للهنود. فقد ذهب الى انجلترا وناقش خططه وما ينتج عنها بالنسبة للتاج البريطاني مع أشخاص آخرين من أمثال لورد ريبون وجون برايت ولورد دلهوزي[٤٩] وآخرين. وقد أقنع (هيوم) هؤلاء جميعا باخلاص أهدافه وغاياته. وكان (هيوم) يؤمن بأن النكبة يمكن تلافيها اذا حولت الطبقة البرجوازية في الهند الى طبقة موالية. وقد جاهد (هيوم) طويلا لتحقيق هذا الهدف.

كذلك أسس (هيوم) في انجلترا (وكالة الأنباء الهندية السياسية) وكان الغرض منها تزويد الصحف الانجليزية بالأخبار الهندية[٥٠].

بعد أن قام (هيوم) بكل تلك الترتيبات عاد الى الهند قبل انعقاد المؤتمر الأول. لكن ماذا حدث قبل إنعقاد المؤتمر الأول؟ هذا ما تقصه علينا بالتفصيل دكتورة (**آني بيسانت**). تقول آني:

«في أواخر شهر ديسمبر ١٨٨٤ إجتمع سبعة عشر رجلا في مدراس في منزل (ديفان بهادر راو). وكان هناك أيضا رجال آخرون كأصدقاء

ومتعاطفين. هؤلاء الرجال كانوا من زعماء المجتمع إجتماعيا وثقافيا...»(٥١) وفيما بعد في مارس سنة ١٨٨٥ قرر (هيوم) بمعونة هذه المجموعة من الرجال عقد اجتماع لممثلين من جميع أنحاء الهند. واختيرت (بونا) لتكون مركز اللقاء(٥٢).

وفي أعقاب هذا الاجتماع (**اجتماع مدراس**) صدر منشور في مارس سنة ١٨٨٥ يقول(٥٣):

«إن مؤتمر الاتحاد الهندي الوطني سوف يعقد في (**بونا**) في المدة ما بين ٢٥ الى ٣١ من ديسمبر١٨٨٥م. وسوف يتكون المؤتمر من مندوبين هم أبرز الساسة ممن يجيدون اللغة الانجليزية، وذلك من جميع أنحاء البنغال وبومباي ومدراس. أما الأهداف المباشرة للمؤتمر فسوف تكون:

١ - تمكين الراغبين في العمل من أجل التقدم الوطني من التعرف بعضهم على بعض.

٢ - مناقشة وتحديد العمليات والاجراءات السياسية قبل القيام بها.

وسوف يكون هذا المؤتمر - بشكل غير مباشر - البداية لبرلمان أهلي واذا ما سار في عمله بشكل سليم فانه سيسهم في سنوات قليلة في أن يكون ردا على ما يقال من أن الهند لا تزال غير قادرة على أي شكل من أشكال المؤسسات التمثيلية. وسوف يقرر المؤتمر الأول عما اذا كان المؤتمر التالي سوف يعقد في (**بونا**) أم يعقد في كل عام في مراكز مهمة مختلفة..»(٥٤).

وهكذا بدأ المؤتمر دون هدف محدد أوبرنامج. ولم يقدر لدورة المؤتمر أن

تعقد في (**بونا**) نظرا لظهور بعض حالات الكوليرا ،ورئى نقل المؤتمر الى بومباي. وفي بومباي سمي المؤتمر باسم «الكونجرس»(٥٥).

بدأت الدورة الأولى للكونجرس في ٢٨ ديسمبر ١٨٨٥. وكان عدد الحاضرين سبعين شخصاً (٥٦) من بينهم اثنان فقط من المسلمين من بومباي(٥٧).

كان أول رئيس للكونجرس «المؤتمر الهندي الوطني» (س. بونرجي) وكان الذي اقترح اسمه للرئاسة مستر (هيوم) وأيده في ذلك آخرون(٥٨). وقد حدد (س. بونرجي) في خطبته الرئاسية أهداف الكونجرس في أمور أربعة هي كالتالي(٥٩):

١ – توطيد وتقوية روابط الصداقة بين العاملين باخلاص في سبيل وطننا، في هذه الأجزاء من (**الامبراطورية البريطانية**).

٢ – محو وازالة كل التحيزات الجنسية والعقائدية والاقليمية – وذلك عن طريق الاتصالات المباشرة الشخصية – من بين كل محبي البلاد، وتقوية وتدعيم مشاعر الوحدة الوطنية التي غرست ونمت منذ أيام حكم لورد (ريبون).

٣ – تسجيل الآراء الناضجة للطبقات المثقفة في الهند حول بعض المسائل الاجتماعية الملحة.

٤ – تقرير وتحديد الوسائل التي يتم بواسطتها.. العمل من أجل المصلحة العامة على أيدي السياسيين الهنود.

كذلك امتدح رئيس الكونجرس في خطبته إنجلترا (**لبركاتها التي لا تقدر في نشر التعليم الغربي**)... وقال: «كل مانرغب فيه هو أن تتسع

أسس الحكومة وأن يشارك الناس فيها...(٦٠)» كذلك أعلن رئيس الكونجرس عن اعتقاده بأن الكونجرس يكون نافعا لكل من السلطات والشعب(٦١).

إن دراسة تحليلية للخطب التي ألقاها أعضاء الكونجرس الآخرون تظهر بوضوح أن موقفهم تجاه الحكومة البريطانية يماثل موقف (س. بونرجي). ويقترب الباحث (سميث) من الحقيقة عندما يكتب عن الأيام الأولى للكونجرس:

«لا يجب على الانسان أن يعتقد أن الكونجرس أصبحت له في الحال الصبغة القومية التي لحقت به فيما بعد أو أنه كان يمثل شعورا عميقا بعدم الولاء... على أن الكونجرس – مهما كان من أمر – كان خطوة نقد تقوم به (أكثر أنواع المعارضة في الولاء)...»(٦٢).

المرحلة الثالثة :

تتمثل هذه المرحلة في موقف سيد أحمد خان من الكونجرس. لقد كان تأسيس الكونجرس – كما رأينا – على يد **(الان اكتافيون هيوم)** في عام ١٨٨٥م. وبدأت دورته الأولى في بومباي. وحضر هذه الدورة سبعون عضوا من بينهم إثنان من المسلمين. إلا أن ذلك لم يكن حقيقة يعني مشاركة المسلمين – كأمة – في الكونجرس. لقد ظل المسلمون بعيدين عن الكونجرس أو المشاركة فيه وذلك عند النظر اليهم كأمة وليس النظر اليهم كأفراد. لقد نظر المسلمون الى الكونجرس باعتباره هيئة هندوسية. ولم تكن هذه هي وجهة نظر المسلمين وحدهم. فهناك – حتى من الانجليز – من كانت له نفس وجهة النظر مثل **(A.J. Tallboys)**(٦٣). وحتى لورد **(إروين)** الذي كان نائب الملك في الهند

(١٩٢٦ – ١٩٣١م) إعتبر الكونجرس في سنواته الأولى كهيئة هندوسية(٦٤).

على أن أكبر معارضة وجهت ضد الكونجرس كانت من قبل سيد أحمد خان(٦٥) الذي كان قد عاصر مآسي الثورة ورأى إضطهاد المسلمين على أيدي السلطات البريطانية. ولم يكن سيد خان يحب أن تتكرر القصة. إن سيد خان لم يعارض الكونجرس لأنه كان تنظيما هندوسيا، ولكن سيد خان عارض الكونجرس لأن الكونجرس كان في حقيقته ضد مصالح المسلمين في شبه القارة الهندية. ويعلق (**سميث**) على هذه الحقيقة قائلا :

«لقد عارض سيد خان الكونجرس ونصح المسلمين بالابتعاد عنه، ليس لأن الكونجرس كان هندوسيا محضا، ولكن لأنه كان في حد ذاته عملا غير جدير بالاحترام. وكان من الممكن لسيد أحمد خان أن ينصح الهندوس أيضا بالابتعاد عن الكونجرس – لو كان له عليهم حق النصح أو لو كان يعتقد أن نصيحته سوف تقبل. ولقد ابتعد سيد خان – من قبل وبالفعل – عن حركة اسلامية مشابهة لنفس الأسباب(٦٦).

وقبل أن نستطرد يجب أن نذكر هنا أن أهم القرارات التي اتخذها الكونجرس. تتلخص فيما يلي :

١ – تطوير مجالس الحكم الذاتي سواء في السلطة المركزية أو في الحكومات الاقليمية.
٢ – تخفيض النفقات العسكرية وكذلك التقليل من التدريب العسكري بالنسبة للهنود.
٣ – توسيع نطاق التوظف بالنسبة للهنود في المناصب العليا.

وعندما كان الكونجرس يقوم بتوجيه النقد الى الحكومة فقد كان في نفس الوقت يظهر نزعة الولاء الكبير والاعتدال. ولقد كانت مطالب الكونجرس حقيقية ومخلصة. ولكن لو كان قد تم الأخذ بها لأفاد ذلك طائفة واحدة فقط من طوائف الهند.. طائفة الهندوس. وقد كان سيد أحمد خان ضد هذا الاتجاه، وحاول جاهدا أن يمنع ذلك. ولما كان الكونجرس هيئة هندوسية أو ذا أغلبية هندوسية فقد ترتب على الفروقات الدينية اضطرابات طائفية بالبلاد. ففي عام ١٨٧١ /١٨٧٢م حدث صدام بين مناسبتين احداهما هندوسية والأخرى اسلامية، ونتج عن ذلك اضطرابات سقط فيها كثير من الضحايا في (بريلوي) ومناطق أخرى في منطقة (الأقاليم المتحدة)(٦٧) وفي عـــام ١٨٨٥ /١٨٨٧م حدث صدام آخر خطير في كل من البنجاب والأقاليم المتحدة نتج عنه اضطرابات دلهي الكبرى في عام ١٨٨٦ (٦٨). هذه الاضطرابات خلقت جو التوتر وجلبت معها الأخطار مما اضطر الزعماء المسلمين، من أمثال سيد أحمد خان وسيد أمير علي ومحسن الملك ومولفي نظير أحمد الى التدخل لحماية مصالح طائفتهم الاسلامية.

ورغم كل تلك الاضطرابات والمآسي فان سيد أحمد خان ظل صامتا حتى عام ١٨٨٧. وفي خلال العامين (١٨٨٥ – ١٨٨٧م) لم يتلفظ سيد أحمد خان بكلمة واحدة ضد الكونجرس أو ضد الهندوس. ولكن جدت ظروف وأحداث أجبرت سيد أحمد خان على اتخاذ خطوة حاسمة تجاه حركة الكونجرس. فقد قامت (**عصبة البنغال الوطنية) في (كلكتا)** والتي كانت على اتصال وثيق بالكونجرس بالمطالبة بالحقوق والامتيازات التي وافقت الحكومة البريطانية على منحها من وقت الى آخر. ونشرت العصبة كتيبا اسمه (نجم العرب) وعلى غلافه بعض الأشعار التي كانت تهدف الى إثارة مشاعر الهنود(٦٩). ثم بعد ذلك نشروا كتيبا آخر كان عبارة عن مجموعة من الأسئلة والاجابات أو مناظرة بين شخصين وهميين

أحدهما هو مولفي (**فريد الدين**) والآخر هو (رام بخش)(٧٠) وقد طبع مايقرب من خمسة آلاف من هذه الكتيبات في إثنى عشرة لغة هندية ووزعت(٧١). وكان الهدف هو نشر الكراهية ضد الحكومة البريطانية. وقد ذكر لورد (دوفرين) نائب الملك في الهند آنذاك أن زعماء الكونجرس مسئولون تماما عن نشر هذه الكتيبات التي قادت آلاف الناس الى التفكير الخاطىء(٧٢). وعبر لورد (**دوفرين**) عن نفس وجهة نظره هذه في وقت رحيله من الهند عندما كان يخطب في صحفي كلكتا(٧٣).

هذه النشاطات الهندوسية بشكل عام ومطالب الكونجرس بشكل خاص كانت كافية لدفع سيد أحمد خان نحو العمل. وقد عبر سيد خان عن وجهات نظره علنا للمرة الأولى سنة ١٨٨٧م وذلك بمدينة (لكنو) (بينما كان الكونجرس يعقد جلساته في مدراس تحت رئاسة أحد المسلمين). وقد حضر جمع كبير من المسلمين الاجتماع الذي تحدث فيه سيد خان في (لكنو) ومن هؤلاء الذين كانوا قد جاءوا لحضور جلسات المؤتمر المحمدي التعليمي(٧٤). وكان الاجتماع بذلك يمثل المسلمين على كل المستويات. وقوبلت خطبة سيد خان التي ألقاها بالأردية بالاستحسان من الجميع. وكانت أول خطبة سياسية لسيد خان. وكان هدف سيد خان من وراء هذه الخطبة تحقيق أمرين :-

١ - التعبير عن وجهة نظره الشخصية بالنسبة للأحوال السياسية السائدة.
٢ - تقرير مايجب على المسلمين إتخاذه بخصوص هذه الأحوال.

إن المحك الوحيد للحكم على الأمور السائدة هم المسلمون. فاذا كانت هذه الأمور ذات فائدة لهم فلابد لهم أن يشاركوا فيها. أما اذا كانت في غير صالحهم فلا مناص من الابتعاد عنها(٧٥). وأول مشكلة كان على سيد خان أن يوجه إنتباهه إليها ويعالجها هي مشكلة التعيينات في مجلس

نائب الملك. وقد قام سيد أحمد خان بالدفاع عن سياسة التعيينات هذه وامتدحها ثم لاحظ بعد ذلك كما يقول:

«أنه من سوء الحظ – واستمحيكم العذر في قولي هذا – أن طبقة ملاك الأرض في الهند ليس لديها القدرة الناتجة عن التدريب والممارسة التي تجعلها صالحة لشغل هذه المقاعد.. ولكن لا يجب أن نتجاهل تلك الظروف التي تجبر الحكومة على تبني هذه السياسة. ومن الضروري للغاية أن يكون أعضاء مجلس نائب الملك من ذوي الوضع الاجتماعي العالي. وأنا أسألكم هذا السؤال. هل ترضى أرستقراطية مجتمعنا في الهند أن رجلا من طبقة أدنى أو من أصل غير مهم – رغم ما يحمله من مؤهلات علمية – يعلو فوقها وأن تكون له المسئولية والسلطة في وضع القوانين التي تؤثر على حياة الأرستقراطية وممتلكاتها؟ لا... لا يمكن أن تقبل الأرستقراطية ذلك. إن مقعدا في مجلس نائب الملك لهو منصب شرف وعزة. ولا يمكن لنائب الملك أن يتخذ – كزميل عمل له – إلا رجلا ذا تربية طيبة، يعامله كأخ ويدعوه الى مجالس الطعام لتناوله مع الدوقات وأصحاب الألقاب(٧٦)».

وكما يرى سيد أحمد خان فإن اجراءات ومسار إتخاذ القوانين لا عيب فيها، وأن أعضاء المجلس التشريعي لنائب الملك يقعون تحت تأثير الآراء التي تظهر في الصحف وفي غيرها(٧٧).

وبعد ذلك ناقش سيد خان مطالب الكونجرس بالنسبة للخدمة المدنية. وكان سيد خان يرى أنه لو تم الأخذ بهذه المطالب فان المستفيد الوحيد هي طبقة الهندوس وبالذات الهندوس البنغاليين الذين كانوا قد بدأوا حركة التعليم وجنوا ثمارها(٧٨). إن نظام الخدمة المدنية القائم على أساس إمتحانات المنافسة نظام سليم في بلد مثل إنجلترا حيث ينتمي الناس هناك الى جنس واحد وعقيدة واحدة ولون واحد. أما هؤلاء الذين يأتون

إلينا من انجلترا فهم (يأتون من بلد بعيد عنا فلا نعرف هل هم أبناء لوردات ودوقات أم أبناء حائكي أزياء ولذلك فاننا لا نستطيع أن نعرف أصل هؤلاء الذين يحكموننا. ولكن بالنسبة للهنود فالأمر مختلف. فان هؤلاء الذين ينحدرون من أصل كريم لا يمكن أن يعطوا قياد أمورهم وممتلكاتهم لآخرين من ذوي الطبقات الأدني والأصل المتواضع والذين يعرفونهم تماما.)(٧٩).

وبالنسبة لمطلب الكونجرس الثاني وهو مطلب المؤسسات النيابية للهند والذي كان سيد خان قد عبر عن وجهة نظره ازاءه في سنة ١٨٨٣م عندما كان يناقش اقتراح بقانون الحكم الذاتي للهند، فان سيد خان ذكر أنه رغم أنه ليبرالي النزعة وأنه يؤمن أن الحكم النيابي هو أفضل النعم التي يمكن للهند أن تحصل عليها من انجلترا إلا أنه يعتقد أيضا أن التمثيل النيابي في شكله الغربي البحت لا يمكن قبوله في الهند لأن الأقليات سوف تعاني من الأغلبية، خاصة المسلمون. وحول هذه النقطة يقول سيد خان:

«إن المطلب الثاني للكونجرس هو ضرورة اختيار الناس لبعض أعضاء مجلس نائب الملك. إنهم يريدون تقليد مجلس اللوردات البريطاني ومجلس العموم.. ودعنا الآن نتصور أن مجلس نائب الملك يصبح على هذه الصورة. ودعنا نفترض أولا أن لدينا نظاما للانتخاب العام الشامل للبالغين كما هو الحال في أمريكا ودعنا نفترض أن المسلمين سوف يصوتون للمرشح المسلم وأن الهندوس سوف يصوتون للمرشح الهندوسي... والآن دعنا نحصي كم مرشح للهندوسي وكم للمسلمين. من المؤكد أن الهندوس سوف يكونون أربعة أمثال المسلمين لأن نسبة الهندوس العددية – هي كذلك – بالنسبة للمسلمين. وعلى ذلك فاننا نستطيع القول بأن نسبة التصويت ستكون أربعة الى واحد لصالح الهندوس. كيف يتمكن المسلمون اذن من حماية مصالحهم...»(٨٠).

وفي نهاية خطبته أكد سيد خان للمسلمين تعضيد الحكومة لهم على أن يظلوا موالين لها. لقد كان سيد خان يؤمن أن الولاء للعرش البريطاني وللتعليم البريطاني هو الوسيلة الوحيدة لانتشال المسلمين من وضعهم الهابط... ذلك الوضع الذي انحدروا اليه بعد حدوث الثورة(٨١).

وألقى سيد خان خطبة أخرى ضد الكونجرس في مدينة (ميروت) في سنة ١٨٨٨م وفيها عبر مرة أخرى عن آراء مماثلة(٨٢). ولقد كان تأثير هذه الخطب على المسلمين في الهند بالغا وبعيد الأثر. فقد رحب المسلمون بآراء سيد خان وبقوا بشكل عام بعيدين عن حزب الكونجرس. وكما يقول (نعمان):

«لم ينضم منذ ذلك الوقت أي مسلم مهم الى الكونجرس باستثناء واحد أو إثنين. وحتى هؤلاء الذين عارضوا سيد أحمد خان في أفكاره الدينية والتعليمية والاجتماعية، واختلفوا معه، أخذوا بأفكاره السياسية وظلوا بعيدين عن الكونجرس(٨٣)».

وفي سنة ١٨٨٨ بدأت مناظرة علنية بين (بدر الدين طيب جي) ثالث رئيس للكونجرس والسيد أحمد خان. بدأ ذلك بأن كتب بدر الدين خطابا الى رئيس تحرير جريدة (بيونير Pioneer) في الثاني من أبريل سنة ١٨٨٨م. وفي هذا الخطاب طالب بدر الدين المسلمين بالانضمام الى الكونجرس بدون خوف وأكد لهم أنهم لو عارضوا أي إجراء في الكونجرس بشكل جماعي فان هذا الاجراء لن يتم(٨٤). ولم يضيع سيد خان وقتا في الرد عليه(٨٥) فشكره أولا على أنه استبعد المسائل الطائفية والاقليمية في خلال مناقشات الكونجرس في دورة انعقاده الثالثة. كذلك أعلن سيد خان اتفاقه مع بدر الدين على أن الكونجرس لا يمكن أن يوصف بالكونجرس (**الوطني**) أو (**القومي**) اذا ما اتخذ فيه قرار ضد الرأي العام للأعضاء من الهندوس أو المسلمين. على أن سيد خان اعترض على استعمال كلمة (نواب) بالنسبة للأعضاء لأن (النائب) يعني أنه

شخص منتخب من قبل هؤلاء الذين يمثلهم. وحيث أن النواب المسلمين لم ينتخبهم مسلمون فلا يمكن بذلك تسميتهم نوابا. كذلك اعترض سيد خان على تسمية الكونجرس بالحزب القومي أو الوطني(٨٦) ان الكونجرس لا يمكن أن يسمى قوميا أو وطنيا إلا في حالة واحدة وهي أن تكون أهداف وأغراض الناس الذي يتكون منهم واحدة ومتطابقة. وان بدر الدين نفسه يعترف بأن بعض أهداف وأغراض المسلمين تختلف عن أهداف وأغراض الهندوس بينما بعضها متفق. وهو يرغب في أن يركز الكونجرس اهتمامه على تلك الأغراض المتفق عليها ويترك تلك التي عليها خلاف واختلاف. ولكن كيف يمكن تسمية الكونجرس في هذه الحالة بالكونجرس القومي أو الوطني(٨٧). ويرى سيد خان أن بدر الدين لم يوص بأي علاج للمسائل التي يختلف عليها الهندوس والمسلمون في الكونجرس. فهل يجب على كل من المسلمين والهندوس أن يكون لكل منهم «كونجرس» خاص من أجل أهدافهم الخاصة التي يختلف كل من المسلمين والهندوس عليها؟(٨٨) ثم ناقش سيد أحمد خان بعد ذلك المبدأ الذي يقول به الكونجرس (أي أمر يعارضه غالبية النواب المسلمين يجب أن يستبعد من المناقشة في الكونجرس). وعبر سيد خان عن حيرته حول هذا الأمر. فماذا تبقى للكونجرس لكي يناقشه اذا ماأخذ بهذا المبدأ(٨٩)؟ ذلك أن الهندوس والمسلمين يمكن أن يتفقا بالنسبة للمشاكل الاجتماعية ولأن الكونجرس هيئة سياسية ولا يناقش المشاكل الاجتماعية فلا مجال هناك اذن لأي تقارب. وقد آمن سيد أحمد خان بأن المباديء السياسية الأساسية للكونجرس الهندي هي في الواقع ضد مصالح المسلمين(٩٠). وفي هذا النطاق أشار سيد خان الى خطبته في (لكنو) وكرر حججه ضد المؤسسات النيابية. واختتم سيد خان خطابه ورده على بدر الدين بنصيحة للمسلمين بأنه بجانب كل تلك الأمور فليس من الحكمة عليهم أن ينضموا الى الكونجرس لأن ذلك سوف يؤدي الى معاداة الحكومة لهم. ثم إستشهد سيد خان بتجربة

الثورة التي اشترك فيها المسلمون والهندوس بنفس النسبة تقريبا ومع ذلك فقد نجى الهندوس من نتائجها بينما تحطم كيان المسلمين(٩١). «هذه هي النتيجة التي سوف تحل بالمسلمين اذا ما اشتركوا في الجو السياسي السائد والمشحون بالتوتر. وفي أمريكا بدأ هذا التوتر السياسي أولا ثم بدأت عقول الناس تشتد في احتدامها. ثم جاءت الكلمات الأخيرة (لا ضرائب دون تمثيل). دع هؤلاء الذين يمتلكون القوة في القول والفعل على أساس هذه الكلمات أن ينضموا الى الكونجرس. اننا لا نمتلك مثل هذه القوة. فالبنغاليون والمسلمون المجهولون الذين انضموا الى الكونجرس في مدراس ربما كانوا يمتلكون مثل هذه القوة. والأمر بالنسبة لهم يكون نعمة، ولكن اشتراك الأمة الاسلامية في الكونجرس سيكون بالنسبة لنا نقمة» (٩٢).

وفي ديسمبر سنة ١٨٨٨ أسس سيد أحمد خان «المنظمة الهندية الوطنية المتحدة» وذلك للوقوف ضد ما يسمى بالكونجرس الوطني(٩٣). وكانت أهداف وأغراض هذه المنظمة كالتالي :-

١ - اصدار مطبوعات وكتيبات للشعب والصحافة وأعضاء البرلمان الانجليزي توضح لهم خطأ ما يدعيه مؤيدو الكونجرس من أن كل الأمة الهندية وحكامها تعضد الكونجرس أو أنهم يتفقون مع الكونجرس في الأهداف والأغراض.

٢ - إعلام أعضاء برلمان انجلترا وصحفها وشعبها بنفس الوسائل برأي المسلمين بشكل عام وبالجمعيات الاسلامية وكذلك الهندوسية التي تعارض أهداف وأغراض الكونجرس.

٣ - العمل على حفظ السلام في الهند وتقوية الحكم البريطاني وإزالة المشاعر السيئة التي سببها مؤيدو الكونجرس وأشاعوها في البلاد - من قلوب الشعب الهندي، ضد الحكومة البريطانية(٩٤).

وقد تحول المؤتمر التعليمي الاسلامي السنوي الذي تأسس في عام

١٨٨٦م والذي كان في بدايته منظمة علمية بحتة تهدف الى نشر التعليم بين المسلمين، إلى منظمة سياسية وأصبح بذلك «تجمعا للرأي السياسي الاسلامي المتناثر»، كذلك قويت نشاطات سيد أحمد خان المناهضة للكونجرس وذلك عندما تأسست «منظمة الدفاع المحمدي للهند العليا في سنة ١٨٩٣م(٩٥). وكانت أهداف هذه المنظمة تتمثل في العمل لخير وصالح المسلمين وتمثيل حقوقهم لدى الحكومة والعمل على منع التوتر والسخط السياسي على ألا يعارض مثل هذا التوتر والسخط الشعبي اذا ما وجه نحو المطالب الهندية(٩٦).

وكتب سيد أحمد خان مقاله في مجلة (**بيونير Pioneer**) التي كانت تصدر في (الله أباد) في سنة ١٨٩٣م. وفي هذه المقالة أوضح سيد خان آراءه في المشاكل الاجتماعية والسياسية السائدة بالهند وقام مرة أخرى بتفنيد وجهة نظر الكونجرس الهندي بالنسبة لموضوع المؤسسات النيابية والشكل الديمقراطي للحكومة. وكان سيد خان يؤمن بأن من أهم ما يلزم أي حكومة نيابية أو تمثيلية أن تكون أعلا درجة من التجانس بين الناخبين. ومثل هؤلاء لابد أن ينتموا الى نفس الجنس ونفس الأمة.. وعندما يكون هناك مثل هذا التجانس فان الحكومة التمثيلية في امكانها أن تعمل. وفي الهند، حيث يختلف الأمر، فان مثل هذه الحكومة التمثيلية لا يمكن لها أن تقوم بأي عمل له نتائج مفيدة في الهند يمكن فقط أن يتأتى من مثل هذه الحكومة إضطراب سلام ورفاهية البلاد(٩٧) ان أهداف وأغراض الكونجرس تقوم على أساس الجهل بالتاريخ كما يقول سيد خان. «إن الهند تقطنها جنسيات مختلفة. إن الكونجرس يفترض أن المسلمين يتشابهون مع الطوائف الهندية المختلفة وأن الجميع ينتمون الى نفس الأمة. إن الكونجرس يعتقد أنهم يؤمنون بنفس العقيدة ويتكلمون بنفس اللغة وأن موقفهم من التاريخ مماثل (لموقف الهندوس والطوائف الأخرى) وأنه يقوم على نفس الأسس التاريخية من أجل المعنى الناجح

لحكومة ديمقراطية. ومن المهم للغاية أن تكون لدى الأغلبية القدرة على حكم الأقليات غير الراغبة فضلا عن حكم نفسها[٩٨].

وقد مات سيد أحمد خان في عام ١٨٩٨م ولكنه كان قد نجح في إشعال مشاعر المسلمين في أنهم أمة. لقد بث سيد أحمد خان في مسلمي شبه القارة الهندية روح التعاون الذاتي والعمل الذاتي وعلمهم كيف يفكرون وكيف يعملون كأمة - وليس كأقلية.

• المصادر والمراجع •

(1) Ram Gopal, Indian Muslims, Bombay, 1959. P. 47.
ويقتبس المؤلف خطابا كتبه لورد Ellinborough الى دوق ولنجتون بتاريخ ١٨ يونية عام ١٨٤٣. «لا أستطيع أن أغلق عيني عن الاعتقاد بأن هذا الجنس (أي المسلمين) معاد لنا بشكل أساسي وأن سياستنا السليمة هي في مصالحة الهندوس».

(2) Mehta, Asoka, Khial (Mazazine) Pub, May, 1957, Lahore, P.81.
(3) المصدر السابق
(4) Altaf Hussain Hali, Hayat-i Jawed, Delhi, 1939, P. 139.
(5) Mehta, Asoka. op. cit., P. 81.
(6) Philips, C. H. India, Great Britain. 1958, P. 90.
(7) Mehta, Asoka, op. cit., P. 82.
(8) Ram. Gopal, Indian Muslims, P. 48.
(9) Hunter, W. W. The Indian Mussalmans, Calcutta, 1945, P. 167
(10) المصدر السابق
(11) Mehta, Asoka. op. cit, P. 82.
(12) المصدر السابق
(13) Chirol, Valentine, Indian Unrest, London, 1910, P. 124.
(14) المصدر السابق ص ١٢١
(15) Hali, op. cit, 129.
(16) المصدر السابق ص ١٣٩
(17) المصدر السابق ص ١٤٥
(18) المصدر السابق ص ١٥٣

(19) Nehru, Jawaharlal, The Discovery of India. Calcutta, 1946 P.407.

يعترف نهرو في كتابه بهذه الحقيقة التي يؤكدها سيد أحمد خان.

(20) Cummings, John, Ed. Political India, London, 1932. P.87-

(21) المصدر السابق

(22) Noman, M., Muslim India, Allahabad, 1942, P. 43.

(23) J. Kennedy, Personel Reminiscense of Sir Syed Ahmad Khan. Imperial and Asiatic Quarterly Review, July - October, 1898, P.150.

في هذه المقالة ذكر كنيدي أن سيد أحمد خان أخذ منذ ذلك الوقت يسخر من الهندوسية.

(24) Smith. W. C. Modern Islam In India, Lahore, 1947, P. 9

(25) Hali, op. cit., P. 218.

(26) مجلة عليجرة. عليجرة. ١٩٥٤ – ١٩٥٥م، ص ٣١.

(27) المصدر السابق ص ١٣

(28) المصدر السابق

(29) Smith, W. C. op. cit, p. 21.

(30) المصدر السابق

(31) Cumming, John. op. Cit., P. 89.

(32) مجلة عليجرة. مقالة شرواني من ٢٣٤ إلى ٢٣٦.

(33) A History of Freedom Movement, Pakistan Historical Society, Karachi, 1961, P. 517.

(34) Graham, G. F. I., Life and Work of Sir Sayyid Ahmad Khan., India, 1909, PP. 60 - 61.

(35) المصدر السابق ص ١٧١

(36) المصدر السابق ص ٢٠٢

(37) المصدر السابق ص ٢٠٢

(38) Al-Biruni, A. H., Makers of Pakistan, Lahore, 1950. PP. 43 - 44.

(39) Griffiths, Sir Percival, The British Impact on India, London, 1952, P. 278.

(40) Aligarh Institute Gazette, P. 33.

(41) Andrews, C. F. Mukerjee, Rise and Growth of the Congress in India, London, 1938, P. 115.

(42) المصدر السابق ص ١١٦

(43) المصدر السابق ١١٦
(44) Nandlal Chatterji, Indian Historical Quarterly. Dec. 1959, P. 367.
(45) Sitaramayya, B. Pattabhi. The History of the Indian National Congress, Bombay, 1949. P. 8.
(46) المصدر السابق
(47) Singh. N.G, Land - Marks In Indian Constitutional and National Development, Delhi, 1952, P. 73.
(48) Natesan. Publishers, Introduction to Indian Politics, 1898, PP.3-4.
(49) Wedder, Burn. William, Life of Allan Octavian Hume, London, 1913, P.55.
(50) المصدر السابق
(51) Besant, Annie, How India Wrought for Freedom, Madras, 1925, PP.1-2.
(52) المصدر السابق ص ٣
(53) المصدر السابق
(54) Besant, Annie, op. cit. P. 4.
(55) المصدر السابق ص ٧
(56) المصدر السابق ص ٧
(57) Coupland, Reginald. India A Re - Statement, London, 1932, P. 90.
(58) Besant, Annie, op. cit., P. 6.
(59) المصدر السابق ص ٧
(60) المصدر السابق ص ٩
(61) المصدر السابق
(62) Smith, W. C. Modern Islam In India, Second Edition 1947. P.16
(63) Imperial and Asiatic Quarterly Review, October, 1890.
(64) Cummings, Sir John, Political India, P. 18.
(65) Proceedings of the Indian Civil Service Commission, report, 1887, P- 132.
(66) Smith, W. C. Modern Islam in India, P. 116.
(67) Cumming. op. cit., P. 110.
(68) المصدر السابق ص ١١٠
(69) Altaf Haussain Hali, op. cit, PP.311 - 312.

(70) المصدر السابق ص ٣١٢
(71) المصدر السابق
(72) المصدر السابق
(73) Mukerjee, Hirendernath, India Struggles for Freedom, Bombay, 1946, P.65.
(74) Sir Sayyid Ahmad Khan, Present State of Indian Politics, (Historical Research Institute, Panjab Univ., File, Lahore) p.4.
(75) المصدر السابق
(76) المصدر السابق ص ٥
(77) المصدر السابق ص ٦

(78) المصدر السابق ص ٨
(79) المصدر السابق
(80) المصدر السابق ص ١٠
(81) المصدر السابق ص ١٤

(82) Lal Bahadur, The Muslim League, Agra, 1954, P. 3.
(83) Noman, op. cit., P. 40.
(84) File of Historical Research Institute (see F. N. No. 74 hene), PP.34 - 35.
(انظر الهامش رقم ٧٤ هنا)
(85) المصدر السابق ص ٣٦
(86) المصدر السابق ص ٣٧
(87) المصدر السابق
(88) المصدر السابق
(89) المصدر السابق ص ٣٨
(90) المصدر السابق ص ٣٨
(91) المصدر السابق ص ٣٨ - ٣٩.
(92) المصدر السابق ص ٣٩
(93) Graham, Life and Work of Sir Sayyid..., P. 273.
(94) Lal Bahadur, op. cit,.p. 5.
(95) المصدر السابق ص ٦
(96) The Pakistan Times (Newspaper), Pakistan Day Supplement, Dated: March 23, 1961, P. XV.
(79) المصدر السابق
(98) المصدر السابق

لمدننا بين الذكرى والنسيان

تعقيب : الأستاذ عبدالله حمد الحقيل

أشكر الصديق الأديب الأستاذ عبدالله بن إدريس على اهتمامه بالمقال الذي كتبته بعنوان « المجمعة بين الغابر والحاضر » والمنشور في مجلة الدارة « العدد الثاني/السنة السابعة » .

حيث كتب تعقيباً أورد فيه ما يدل على اهتمامه بالموضوع إهتماماً دفعه إلى كتابة تعقيبه ، انطلاقاً من خدمة البحث والتاريخ ومن عدم التنكر لمساقط رءوسنا ومراتع صبانا .

ولكم أنا سعيد حينما أرى إهتماماً من جانب أدبائنا وكتابنا بالنواحي التاريخية لمدننا وقرانا طالما كنا نتوخى الحقيقة والصدق ، والواقع والبعد عن المبالغات والتهويل والمغالطات بل نريد حديث صدق وواقعية . وأظن أنه لا يخفى على الأستاذ عبدالله ابن ادريس أن الحوار الهادف البناء والنقد الموضوعي هما الطريق القويم للوصول إلى

الحقائق المنشودة ، وأن تكون الملاحظات نابعة من مصادر ومعلومات موثقة ، ولقد طرق الأستاذ عبدالله في موضوع تعقيبه أموراً شتى تضمنها مقاله .

وابتدأ ببعض الملاحظات بعد مقدمة تمهيدية اتسمت بالود والتقدير والاهتمام بموضوع البحث .

بدأ الأستاذ ابن ادريس ملاحظته بقوله « فيما يتعلق بنشأة المجمعة أني اعتمدت على فقرات من كتاب المؤرخ المرحوم إبراهيم بن صالح بن عيسى « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » وتركت بعض الفقرات ومن خلال ما ورد في الملاحظة الأولى بخصوص نشأة المجمعة فيبدو أن الأستاذ/ الفاضل لم يتضح له أن الحديث في هذه النقطة ،كان متعلقاً فقط بأسباب تلك التسمية ولم نهدف للحديث عمن قطن المجمعة أو سبب القدوم إليها وواضح تماماً أن الحديث عن المؤرخ إبراهيم بن صالح ابن عيسى في كتابه « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » قد توقف عند عبارة وأعطاه موضع بلد المجمعة .

وبهذا يتضح أن ما أوردته بعد ذلك هو لمزيد من الإيضاح ، وأورد فيما يلي النص الكامل لذلك من كتاب المؤرخ إبراهيم بن صالح بن عيسى :

القرن التاسع

عمران بلدة المَجْمَعَة في سدير

وفي سنة عشرين وثمانمائة عُمِرت بلد المجمعة المعروفة، عمرها عبد الله الشمري من آل ميبار من عَبْدة ، من شمر ، وكان عبدالله المذكور (فداويا) عند حسين بن مدلج ابن حسين رئيس بلدة التويم ، فلمـــا مات حسين ، قدم عبد الله الشمري المذكور على ابنه ابراهيم بن حسين في بلد حرمة ، فطلب منه قطعـــة من الأرض ، لينزلها ويغرسها هو وأولاده ، فأشار أولاد ابراهيم على أبيهم أن يجعله أعلا الوادي ، لئلا يحول بينهم وبين سعة الفلاة والمرعى ، فأعطاه موضع بلد المجمعة ، وصار كلما حضر أحد من بني وائل ، وطلب من ابراهيم بن حسين زمن أولاده النزول عندهم ، أمروه أن يـــنزل عند عبد الله الشمري ، طلباً للسعة، وخوفاً من التضييق عليهم في منزل وحرث وفلاة ، ولم يخطر ببالهم النظر في العواقب ، وأن أولاد عبد الله الشمري وجيرانهم لا بد أن ينازعوهم بعد ذلك ويحاربوهم ، فيكون من ضموه اليهم تَقْوِيَةً لهم ، عليهم ، فأتاهم جد التواجر المعروفين ، وهو من جبارة من عنزة (ووجدت في بعض التواريخ أن التواجر من بني وهب من النويطات من عنزة) وجد آل بدر ، وهو من آل اجلاس من عنزة ، وجد آل سحيم من الحبلان من عنزة وجد الثمارى من زِعب وغيرهم ، فأنزلوهم عند عبد اللهالشمري المذكور ، فعمروا بلد المجمعة وغرسوها ، وتداول رئاسة بلـدة المجمعة ذرية عبـد الله الشمري المذكور ، الى أن ضعفوا وغلبهم

عمران بلدة المجمعة في سديــر :

وفي سنة عشرين وثمانمائة عمرت بلدة المجمعة المعروفة ، عمرها عبدالله الشمري من آل ميبار من عبدة ، من شمر ، وكان عبدالله المذكور (**فداوياً**) عند حسين بن مدلج بن حسين رئيس بلدة التويم ، فلما مات حسين ، قدم عبدالله الشمري المذكور على ابنه إبراهيم بن حسين في بلد حرمة ، فطلب منه قطعة من الأرض ، لينزلها ويغرسها هو وأولاده ، فأشار أولاد إبراهيم على أبيهم أن يجعله أعلى الوادي ، لئلا يحول بينهم وبين سعة الفلاة والمرعى ، فأعطاه موضع بلد المجمعة وصار كلما حضر أحد من بني وائل ، وطلب من إبراهيم بن حسين ومن أولاده النزول عندهم ، أمروه أن ينزل عند عبدالله الشمري ، طلباً للسعة ، وخوفاً من التضييق عليهم في منزل وحرث وفلاة ، ولم يخطر ببالهم النظر في العواقب ، وأن أولاد عبدالله الشمري وجيرانهم لا بد أن ينازعوهم بعد ذلك ويحاربوهم ، فيكون من ضموه إليهم تقوية لهم عليهم ، فأتاهم جد التواجر المعروفين ، وهو من جبارة من عنزة (ووجدت في بعض التواريخ أن التواجر من بني وهب من النويطات من عنزة) وجد آل بدر ، وهومن آل أجلاس من عنزة ، وجد آل سحيم من الجبلان من عنزة وجد الثماري من زغيب وغيرهم ، فأنزلوهم عند عبدالله الشمري المذكور ، فعمروا بلد المجمعة وغرسوها ، وتداول رئاسة بلدة المجمعة ذرية عبدالله الشمري المذكور ، إلى أن ضعفوا وغلبهم» .

أما ما أشار إليه الأستاذ عبدالله بن إدريس في تعقيبه أن المجمعة في بداية نشأتها كانت امتداداً لنشأة حرمة وليست منفصلة عنها أو مناوئة لها ..

فالإجابة على ذلك :

أن المجمعة وحرمة بلد واحد عين وأختها وكف ومعصم وكلهم بنو عم وأقارب وأنساب ، وحينما نرجع للواقع لم نجد فارقاً بين الأسر في البلدتين لأن كلا منهما من

صميم العرب . وكما قال أبو فراس :

وإني وإيـاه لعين وأختها   وإني وإياه لكفٌ ومعصم

وإني لا أنكر قدم حرمة ولا رجالاتها الأفاضل وأحب أن أهمس في أذن صديقي الأستاذ عبدالله قائلاً أرجو ألا تكون قد فهمت شيئاً لم أكن أقصده وحينما كتبت عن المجمعة لم أنطلق من نزعة تعصب وحماس عاطفي وإيثار لها على غيرها فالأرض أرض الله والهدف أسمى وأنبل .

أما ما أشرت إليه من أن أسرة «**آل الحقيل**» كانت تسكن حرمة في زمان سابق ويوجد من بين نخيل حرمة الآن نخل يسمى «**فيد الحقلة**» فأحب أن أوضح أن عائلة «الحقيل» متوزعة في كل من المجمعة والحاير والزبير والقصيم والرياض والأحساء ومنهم من استوطن حرمة بجوار بني عمهم الوائليين الذين انتقلوا من أشيقر ثم التويم ثم استوطنوا حرمة والمجمعة والحاير .

أما ما أشار إليه الصديق الأستاذ عبدالله من أني أوردت أربعة وثلاثين اسماً قلت أنها وديان المجمعة وهي مشتركة فأحب أن أوضح أن جميع الشعاب والأودية التي ورد ذكرها تسقي المجمعة وحرمة وغيرها،وليس هناك حَدّ فاصل بينها وحسبي أني مجتهد في ذلك وقد اعتمدت في نقلها عن شيوخ كبار السن من سكان المجمعة وضواحيها لأنها كما تعلم ليست مدونة أو مكتوبة أو موثقة،فهي تعتمد على نقل أخبار الآحاد فأنا لم أنقلها من مصادر معتمدة موثقة،وبهذه المناسبة فإني آمل من جامعة الملك سعود ودارة الملك عبد العزيز والرئاسة العامة لرعاية الشباب وغيرها من الجهات المعنية تكوين فريق من الباحثين الجغرافيين والمؤرخين لضبط وتحديد أسماء الأودية والشعاب والمنازل والمواضع ورصد ودراسة ذلك فالكثير من الأسماء تنقصها الدقة وتعوزها الأدلة،إذ هي عرضة للزيادة والنقصان والتكرار والاضطراب فهناك كثير من أسماء المواضع والأودية قد تغير اسمها وصار البعض محرفاً .

وإذن فالاهتمام بهذا الجانب أمر حيوي والمبادرة إلى تحقيق ورصد واستقصاء الحقيقة عن تلك الأماكن والشعاب والجبال والأودية من قبل العلماء والباحثين

والمحققين والوقوف عليها أمر واجب وألا نكتفي بقول العامة والرعاة والأدلاء وبعض أبناء البادية وغيرهم ممن يعطون معلومات مشوشة وأخبارًا تنقصها الدقة إذ هي تخضع لاعتبارات شتّى .

وبعد : فإن مجال القول في هذا الموضوع ذو سعة ، حسبي أني أشرت إلى ذلك وآمل أن أخصص موضوعاً مستقلاً حوله لأنه أصبح لزاماً علينا تحقيق ذلك ، إذ هو ضرورة علمية مؤكدة خاصة في هذا العصر الزاهر الذي توفر لدينا فيه عدد كبير من أساتذة الجامعات ومن الأدباء والعلماء والمؤرخين والمحققين ، إنه واجب لا مفر لنا من أدائه ولا أنسى في هذه العجالة أن أشيد بدور من أسهم في هذا المجال كالشيخ محمد بن بليهد والشيخ حمد الجاسر والشيخ عبدالله بن خميس والشيخ محمد العبودي وغيرهم ممن أسهموا في وضع المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية . ولا شك أن طريق التحقيق طريق طويل وحافل بالمتاعب والصعوبات لكن الإخلاص والرغبة الجادة والعزيمة الصادقة سوف تسهل وتمهد لنا الكثير من المصاعب والمتاعب ، وقبل أن أنهي القول أعود مرة أخرى لأكرر ما قلته بأن المقالة التي كتبتها عن المجمعة هي مجرد رصد وتسجيل لبعض المعلومات ولعل الكتاب الذي نعتزم تأليفه عن هذه المدينة يجيء متكاملاً ويحمل صفة الموضوعية والتكامل والشمول .

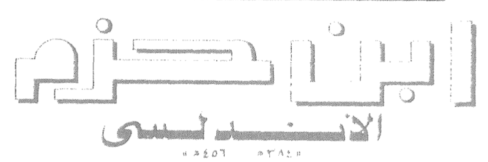
وأخيراً: فتحية لمن يهتم بتراثنا ويخدمه ويفي به درساً وتحقيقاً وتدقيقاً وتصويباً ونشراً ، وشكراً لأخي الأستاذ عبدالله بن إدريس الذي أتاح لي هذه الفرصة للتعقيب والإيضاح .

علوم وفنون

هذا الباب جديد
ننشر فيه كل جديد من الآداب والعلوم والفنون
نحن في هذا الباب معكم وبكم
وهو لذلك منكم وإليكم

إعداد
الأستاذ مصطفى أمين جاهين

من مشاهير المسلمين



«٣٨٤هـ ٤٥٦هـ»

ولد أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ليلة الأربعاء من آخر يوم من شهر رمضان عام ٣٨٤هـ، الموافق اليوم السابع من شهر نوفمبر عام ٩٩٤م، بقصر أبيه القريب من مدينة المنصور بن أبي عامر «الزاهرة» بقرطبة.

عاش **«ابن حزم الأندلسي»** سنوات طفولته بصحبة أخيه «أبي بكر» الذي يكبره بخمس سنوات، في هذا القصر الفسيح، فقد كانت طفولته سعيدة، حيث كان أبوه وزير دولة بني عامر.

وعندما بلغ **«ابن حزم»** الثانية عشرة من عمره، صحبه أبوه الى مجلس **«المظفر بن أبي عامر»**، وأثناء هذه الجلسة سمع «ابن حزم» قصيدة **«أبي العلاء صاعد اللغوي»** التي يمدح فيها «المظفر» ويستهلها بقوله:

إليك حدوت ناجية الركاب
محلة أماني كالهضاب

وقد أبدى استحسانه لها، فكتبها له **«أبو العلاء»** بخطه.

ثم توالت ضربات الدهر على **«ابن حزم»**، فقد تولى **«محمد المهدي»** الخلافة مبتدئا عصر الطوائف النكد، وبعده **«هشام المؤيد»**، ثم توفي والده وزوجته على التوالي.

وتغلب جند البربر على **«قرطبة»**، فخرج عنها عام ٤٠٤هـ الى **المرية»** حيث أخلد الى السكينة والهدوء، يقرأ، ويتعلم،ويتهادى النظم والنثر مع أصدقائه، وكان ذلك في عهد **«خيران العامري»**، ولكنه انقلب على «ابن حزم» في النهاية واعتقله.

ثم بعد ذلك أمضى **«ابن حزم»** في **«بلنسية»** عامين قبل أن يخرج منها عائدا الى **«قرطبة» عام ٤٠٩هـ في عهد «القاسم بن حمود المأمون»**.

وعلى يد شيخه الكبير **«أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور»** كان أول سماع لابن حزم عام ٣٩٩هـ، وسمع أيضا من القاضي يونس بن عبد الله، وأبو القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد المصري، وأبو بكر حمام بن أحمد القاضي، وأبو محمد بن بنوس القاضي، وغيرهم كثير...

وقد تولى **«ابن حزم» عدة مناصب، ورغم ذلك لم يحقق طموحاته السياسية.. أما رحلاته فكانت اضطرارية، ويمكن تسميتها**

«**بالهجرات**» الاجبارية.

ومن أبرز أخلاق «ابن حزم» وفاؤه وتدينه، وتعتبر رسالته الرائعة (**مداواة النفوس**) مرآة صادقة لشخصيته وما يتصف به .

وقد امتاز «ابن حزم» باتجاهاته وجهوده في نواح متعددة من الفكر، كما طرق كثيرا من مجالات المعرفة كالفقه والأصول ومقارنة الأديان «الملل»، والفرق الاسلامية «النحل»، واللغة والنحو، والمنطق، والفلسفة، **والتاريخ** الذي يطلق عليه «**علم الأخبار**»، وقسمه الى مراتب، وكانت تغلب عليه النزعة الظاهرية، فهو يعتبر أصوليا وفقيها مجتهدا.

وتبلغ مؤلفاته ثلاثة وأربعين ومائة كتاب ورسالة، بعضها يصل الى أربعين مجلدا، والتي تتعدد فيها مجالات المعرفة التي طرقها والمتصلة بالعلوم الانسانية، وابتكاره لموضوعات جديدة في المعرفة، وكثرة مصنفاته، كما تعكس للقارئ ألوانا من الحياة الأندلسية الاجتماعية والاقتصادية، فهي تعتبر وثائق للحياة الثقافية والفكرية والعقائدية خلال القرون الثلاثة «**الرابع والخامس والسادس للهجرة**»، وأيضا تمتاز مؤلفاته باستقلال فكري في نطاق النص القرآني والحديث النبوي الثابت واجماع الصحابة.

والدكتور «عمر فروخ» يعتبر «ابن حزم» بداية المرحلة الأخيرة في تاريخ الفكر العربي، وهي التي تمثل ذروة التفكير العقلي والاجتماعي الذي يبدأ «بابن حزم» وينتهي «**بابن خلدون**» المتوفى عام ٨٠٨هـ.

وقد أمضى «ابن حزم» سنواته الأخيرة في قريته (**منت ليشم**) يحدث ويفقه ويدرس لطلبة العلم .

وفي مساء الاثنين (٢٨ من شعبان عام ٤٥٦هـ - ١٥ يوليو ١٠٦٤م) وبعد حياة حافلة بالانتاج العلمي الغزير، والجدال في الحق والصدق في الايمان، **توفى «ابن حزم»** رحمه الله، **بعد عمر يبلغ اثنين وسبعين عاما.**

• رسالة العدد • __من وزير الإعلام والشبيبة والرياضة المغربي__

حول مانشر بالعدد الرابع من السنة السابعة بتاريخ رجب سنة ١٤٠٢ هـ الموافق مايو سنة ١٩٨٢م تحت عنوان «دراسة جغرافية للصحراء الغربية» بقلم الدكتور أحمد رمضان شقلية.

ونحن ننشر نص خطاب الوزير المغربي إيضاحا للرؤية ، ووضعا للأمور في نصابها .

السيد/محمد حسين زيدان رئيس تحرير مجلة الدارة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .... وبعد :

المملكة المغربية
وزارة الاعلام
والشبيبة والرياضة

ROYAUME DU MAROC
Ministère de l'Information
DE LA JEUNESSE
ET DES SPORTS

من وزير الاعلام والشبيبة والرياضة

//الى

السيد محمد حسين زيدان، رئيس تحرير مجلة الدارة
التي تصدرها دارة الملك عبد العزيز بالمملكة
العربية السعودية

صندوق البريد 2945
– الرياض –

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد، فتقديرا للمجهودات التي تقومون بها عبر مجلتكم المحترمة الدارة في بث العلم والمعرفة ونشر الوعي والثقافة، والتعريف بأجزاء الوطن العربي شرقه وغربه، لا يسعني الا أن انوه بمحرري هاته المجلة شاكرا مجهوداتهم الحميدة في هذا الصدد .

الا أن البحث المنشور بالعدد الرابع من السنة السابعة بتاريخ رجب الفرد 1402 هـ الموافق لمايو 1982 م بامضاء الدكتور احمد رمضان شقلية، دراسة جغرافية للصحراء الغربية، بغض النظر عما يمكن أن يؤخذ عليه في مجال الإعداد والاعلام، فان تحريره لم يخل من مآخذ تتجلى في استخدام بعض الالفاظ والاستعمالات التي لا تعبر عن الحقيقة بدقة.

فالمملكة المغربية مثلا (ص 149) ليست صاحبة ادعاء تاريخي وانما هي صاحبة حق تاريخي لا يستطيع انكاره حتى اولئك المنازعون لاسباب قد اشرتم الى اهمها فيما يخص الحصول على منافذ الى المحيط الاطلسي . كما أن المغرب لم يهدد قط بغزو الجيش المغربي لموريطانيا (ص 150) وانما ذكر فقط حق المتابعة المعترف به دوليا في مثل هاته الظروف ، كما جاء في نفس الصفحة ان المغرب استعاد احتلال القسم الموريطاني بعد انسحاب هذه الاخيرة منه والحقيقة ان سكانه اعربوا عن رغبتهم في الانضمام للوطن الام وجددوا بيعتهم لملك المغرب كما كانوا قبل الاستعمار يفعلون ، فما كان من المغرب الا ان لبى نداء الواجب كما هو معروف .

واسمحوا اذا مابهت كاتب المقال الى التحري في اصدار مثل هذه الاحكام حتى يكون مخلصا للحقيقة والتاريخ ، وان كنت اعلم انه لا يعبر بالضرورة عن رأي المجلة ، فان مايدفعني الى ذلك علمي بحسن نيتكم وجميل موقفكم من المغرب وأهله ورغبتي في ان تكون مجلة " الدارة " في المستوى اللائق بها من حيث الامانة والصدق والتنوير والاشعاع والله الملهم للصواب .

وتفضلوا سيدي الرئيس بقبول اصدق آيات التقدير والاخلاص

ملحوظة: تجدون طيه :

ا – نسخة من الخارطة المغربية الحالية
ب – وثائق عن مدينة فاس وجامعة القرويين
ج – المغرب والصحراء المغربية وحدة لا تتجزأ .

وزير الاعلام والشبيبة والرياضة

عبد الواحد بلقزيز

كما أرفق معاليه بالخطاب :

(أ) نسخة من الخريطة المغربية الحالية
(ب) وثائق عن مدينة فاس وجامعة القرويين
(جـ) المغرب والصحراء المغربية وحدة لا تتجزأ

ومجلة الدارة من جانبها تأسف لما نشر ، وتعتذر عما وقع فيه كاتب المقال الدكتور شقلية ، كما تشكر وزير الإعلام المغربي على أدب خطابه .

فليس من خطة « **الدارة** » ولانهجها أن تعبر عن وجهة نظر سياسية لأنها باسمها وبانتسابها لاتحاول ترجيح رأي سياسي على رأي آخر ، ولا نظرية قد تصطدم مع أخرى ، لأن الواقع الذي تعيشه أمتنا العربية والإسلامية يلزم كلا من المجلة والكاتب أن يعتدل وأن يحايد .

ولا ندري كيف تسنى للدكتور أحمد رمضان شقلية أن يضعنا في هذا الموضع وكلنا يعلم تمام العلم ، ويدرك كل الإدراك أن أمتنا واحدة ، ودِيننا واحد ، ولغتنا واحدة ، ومصيرنا واحد ومشترك !

هذا ما تؤمن به «**الدارة**» وهذا ماتسعى إلى تحقيقه وتأكيده . أما الانحياز إلى نوع من المفارقة والخلاف والبعد عن الحقيقة فهذا مانرفضه كل الرفض ، ونأباه كل الإباء .

سدد الله على الحق خطانا ، وهدانا جميعاً إلى ما فيه عزة العرب والمسلمين .



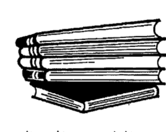
● **ان هذا الكتاب من أهم الكتب التاريخية التي دونت لتأريخ قيام الدولة السعودية ونموها واتساع مداها، وبزوغ الدعوة السلفية وانتشارها.**

فالكتاب سجل دقيق للمواقع والحروب، والحوادث والأخبار، على طريقة الحوليات عامًا بعام، بدقة ملموسة، مستطردا إلى ذكر مايجري من حوادث معاصرة في البلدان العربية والاسلامية المجاورة، **كما أنه حافل بأسماء القبائل. والعشائر، وأسماء رؤسائها ومشاهيرها، ومقاتليها**، كما أنه زاخر باسماء العديد من البلدان والمواقع والأماكن.

وتعتبر هذه النسخة أدق النسخ وأوفاها، حيث ذكر ابن بشر نفسه في معرض سرده لحوادث **عام ١١٥٧ هـ**، أنه خط كتابه هذا مرتين، وانه عند إعادة كتابته زاد في بعض الحوادث معلومات تأكد من صدقها، **فالمحقق اعتمد على المبيضة الثانية عند اخراج هذا الكتاب.**

لقد حشد الباحث لهذه الدراسة حوالي الأربعين من المراجع العربية والغير العربية بالإضافة إلى الجداول الاحصائية والخرائط الخاصة بالمنطقة، كما اعتمد على الدراسة الميدانية التي أجراها عام ١٤٠٠ هـ.

ويتشكل هذا البحث من أربعة مباحث تختص بدراسة مقارنة لهذه المرافيء الطبيعية، في **المبحث الأول** استعرض المؤلف البعد التاريخي لنشأة المرافئ، ثم المرافئ الطبيعية في ظل الموقع والموضع في **المبحث**



غمس المؤلف **معالي الشيخ : عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري**، تجربته الإنسانية ذات البصيرة الواعية المدركة في براعته بتدبيج الرسائل الخمسين إلى أبي الطيب بألوان عديدة

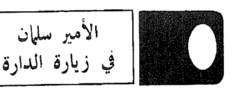


لا تكدرها تهاويل الحضارة ، ورموز تفسر الحاضر بالماضي ، وتصهر الأمس واليوم في وعاء الضمير العربي والوجدان الاسلامي .

فالمتنبي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس بتفسيراته اللغوية ، وشعره وفكره ونبعه الثري ، عاش المؤلف في رؤيته النافذة في شعره وفلسفته منذ عصر اليونان حتى العصر الحديث يمزجها بفلسفة الحياة وشموخ الأصالة العربية والتجربة الإنسانية ، بحيث صارت رسائلهُ إلى المتنبي وثائق في تحليل النفس البشرية ، وعبرة للماضي ، ونقدًا للحاضر ، ونظرة إلى المستقبل المشرق بإذن الله .

الثاني . أما **المبحث الثالث** فكانت دراسته في تقسيم المرافئ الطبيعية ، وفي **المبحث الرابع** قدم دراسة الوظائف والتركيب المورفولوجي للمرافئ ومدنها .





قام **صاحب السمو الملكي الأمير «سلمان بن عبد العزيز» أمير منطقة الرياض، صباح يوم الثلاثاء ١٩ ذو القعدة ١٤٠٢ هـ ، الموافق ٧ سبتمبر ١٩٨٢ م** ، بزيارة تفقدية للدارة للتعرف على أوضاعها والاطلاع على نشاطها ، وكان في استقباله لدي وصوله **سعادة الشيخ عبد الملك ابن عبد الله آل الشيخ الأمين العام للدارة** ، والجدير بالذكر أن الدارة تأسست في الخامس من شهر شعبان عام ١٣٩٢ هـ ، تخليدًا لذكرى **المغفور له جلالة الملك عبد العزيز** «طيب الله ثراه» ، وهي هيئة مستقلة لها شخصيتها الاعتبارية بهدف خدمة تاريخ المملكة خاصة ، وكذلك خدمة الجزيرة وبلاد العرب والإسلام عامة .

والدارة تضم مكتبة متخصصة ، وقاعة الملك عبد العزيز التذكارية ، وقسم للبحوث والوثائق والترجمة ، وقسم للتصوير السينمائي والضوئي .

وقد بلغت اصدارات «الدارة» من الكتب ثلاثين كتابًا ، كما أن مجلتها «الدارة» تجتاز عامها الثامن من عمرها الحافل ، وهي متواصلة وزاخرة بالبحوث والموضوعات الجيدة .



عقد في تونس في الفترة من ١٢ — ١٩٨٢/٩/١٨ المؤتمر الخامس للجنة العالمية لدراسات العهد العثماني. وهذه اللجنة تهتم بدراسات تاريخ الولايات العربية والدولة العثمانية على ضوء ما تكشف من وثائق جديدة. وقد كان الاجتماع الأول للجنة العالمية في نابولي من ٢٤ — ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٧٤ والثاني في هامبورج من ٥ — ١٠ سبتمبر سنة ١٩٧٦ والثالث في سراجيفو من ١٨ — ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٧٨ والرابع في كوانكا بأسبانيا من ٣٠ جوان إلى ٤ جولية سنة ١٩٨١. وقدكانت الموضوعات المقترحة لاجتماع تونس هي :

أولاً : الولايات العربية في العهد العثماني .

ثانياً : العلاقات العامة بين الولايات العربية أثناء العهد العثماني .

ثالثاً : المصادر الوثائقية الجديدة عن الولايات العربية في العصر الحديث. وقام المعهد الأعلى للتوثيق بجامعة تونس بتنظيم المؤتمر.

وقد شاركت الدارة في هذا المؤتمر ببحث عن «السمات العامة لسياسة الدولة العثمانية في الولايات العربية» واسهاماً من الدارة في مثل هذه المؤتمرات العالمية الهامة فقد مثلها في هذا المؤتمر أمينها العام الشيخ عبد الملك عبدالله آل الشيخ والدكتور/ الصفصافي أحمد المرسي مترجم الوثائق العثمانية بالدارة.

وقد حضر هذا المؤتمر زهاء مائة وثلاثين عالماً وباحثاً عالمياً من

المتخصصين في الدراسات العربية العثمانية وقدموا بحوثاً عديدة عن الموضوعات سالفة الذكر على ضوء الوثائق والمراجع العثمانية التي تزخر بها مكتبات العالم.

وقد كان الوجود العربي بصفة عامة والسعودي بصفة خاصة ملموساً في هذا المؤتمر خلافاً لما كان عليه الوضع في المؤتمرات السابقة. واتفق المؤتمرون على عقد مؤتمرهم التالي سنة ١٩٨٤ في استانبول بتركيا...

ومن أهم النتائج التي تمخض عنها المؤتمر الخامس هو تشكيل اللجنة العربية لدراسات العهد العثماني [آكوس] والتي صدر عنها البيان التالي:

اللجنة العربية للدراسات العثمانية A.C.O.S.

الاهـداف:

— جمع المؤرخين العرب العاملين في حقل الدراسات العثمانية.

— تمكين العناصر العربية المهتمة بالدراسات العثمانية.

— نقل كل ما يهتم به المؤرخون العرب.

— مواكبة ما ينشر عالمياً و التعريف بالانتاج العربي.

— (نشر الوثائق العثمانية) والسعي بالتعريف لكل المراكز الوثائقية في الوطن العربي، وحصر الوثائق المتوفرة في الوطن العربي وتركيا والبلاد غير العربية.

— السعي إلى القيام ببحوث مشتركة بين المؤرخين العرب.

— تحديد المالك التي يجب أن تجري فيها الدراسات العثمانية وتنظيمها وتنسيقها.

— تشجيع تعلم اللغة التركية العثمانية وجميع العلوم المساعدة للبحوث العثمانية.

— تعريف المؤرخين في العالم بالانتاج العربي باللغات الاجنبية.

— العمل على استقطاب كل ما ينشر عن العالم العربي.

— تعاون (أكوس) A.C.O.S. مع كل المنظمات العربية والعالمية المتخصصة.

- التعرف على الدراسات العثمانية في مختلف الجامعات العربية.
- حصر رسائل الماجستير والدكتوراه وملاحظة التاريخ المدرسي.
- السعي إلى الأخذ باعتبار أهم النتائج.
- إعلام الهيئات الحكومية المسئولة عن التأريخ المدرسي بكل التطورات في مجال الدراسات العثمانية.
- اختيار الموضوعات في المستقبل.
- تشجيع تبادل الأساتذة في المؤسسات العلمية.
- تنظيم مؤتمرات مع المتخصصين الأجانب.

العضويــة :

عضوية ذات صبغة شخصية:

أ ـــ كل باحث أو مؤرخ له دراسات في الحقل العثماني.

د ـــ عضوية ذات صبغة جماعية كمراكز البحوث والتوثيق.

ح ـــ لمجلس الإدارة أن يضم لعضويته عدداً من الشخصيات العلمية المعـروفة بصـفـة أعضـاء شرف (منتسبين).

- يحق لكل عضو أن يرشح نفسه لعضوية المجلس الإداري بشرط أن يزكيه عضوان في اللجنة وللمجلس الإداري حق رفض أو قبول هذا الترشيح.
- عضوية اللجنة متاحة لجميع العلماء والباحثين العرب وتمنح هـذه العضوية على أساس الاعتبارات العلمية البحتة ولمجلس الإدارة أن ينظر في الأحوال المغايرة.
- ينعقد اجتماع الجمعية العامة للجنة كل ٤ سنوات ويجري خلاله التصويت على تقرير المجلس الإداري عن أعماله وأنشطته لما يتم انتخاب أعضاء المجلس الإداري الذي يتولى وضع المقترحات والخطط المتصلة بأعماله المقبلة.

ويمكن دعوة الجمعية العامة لجلسة طارئة بطلب من المجلس الإداري أو بطلب من غالبية أعضاء اللجنة.



عام الكبار الدولي

أعلنت هيئة الأمم المتحدة أن عام ١٩٨٢ م عام دولي للكبار، يشمل التكامل الاجتماعي بين أنشطة الدولة المحلية والمؤسسات الاجتماعية والخيرية لمساعدة المسنين وتقديم الرعاية الصحية وغيرها من الخدمات الإنسانية التي يجب أن نوفرها لهم.

وواجبنا جميعاً أن نشجع كل الجهود المبذولة محلياً ودولياً لهؤلاء الآباء والأجداد، وتقديم كل عون ورعاية لهم، وتوعية الجمهور بحقوقهم، فكلما تقدم الشخص في العمر كلما تغيرت ظروف حياته واختلفت متطلباته، وأصبح في أمس الحاجة إلى العون والرعاية.

ومطلوب من الجميع المشاركة في «عام الكبار الدولي» كل بجهده وبمقترحاته دعماً لهذا العام الدولي.

ويسر المجلة أن تتقدم ببعض المقترحات المتواضعة وهي:

- تشييد بيوت خاصة بالمسنين، مع تقديم الرعاية الصحية والاجتماعية لهم.
- إصدار عملات وطوابع بريدية تذكارية خاصة بعام الكبار.
- إعداد مشروعات خاصة بهم يديرونها بمعرفتهم وخبراتهم.
- عرض برنامج خاص بهم في التلفاز، والإذاعة.
- تنظيم رحلات ترفيهية لهم.
- عقد ندوات — ذات طابع عملي — حتى يمكن للأجيال التالية الاستفادة من خبراتهم وتجاربهم.




* ترى عن ماذا تعبر هذه الملامح ؟
* هل أعددنا العدة لرد الجميل لهؤلاء الآباء والأجداد ؟
* ألا يمكن أن يكون لهم منتديات ، وبيوت خاصة ترعاهم في شيخوختهم ؟
ـ لماذا تحكمون عليّ بالعزلة ؟ ! ! ..



قطـر في التّاريخ

منذ عصور طويلة قبل الميلاد ، عرف التاريخ قطر ، ويذكر المؤرخ الإغريقي المشهور «**هيرودوت**» الذي عاش بين سنتي ٤٨٤ — ٤٢٥ ق.م. أن الكنعانيين هم أول من سكن قطر التي اشتهر أبناؤها في التاريخ العربي بأنهم أعظم من ركب البحار في العصور القديمة .

وتردد اسم «**قطر**» في التاريخ الاسلامي ربما بفضل الشاعر «**قطري ابن الفجاءة**» الذي مات في شمالي بلاد فارس وهو يقاتل جيوش الأمويين على رأس جماعته من الخوارج .

وتوالى على شبه الجزيرة القطرية كثير من العصور التاريخية التي أكدت على الدوام أهمية موقعها الاستراتيجي بين دول الخليج وطرق المواصلات التجارية البحرية بين الشرق والغرب ، فهي تقع في منتصف الساحل الغربي ، من الخليج العربي ، وتبلغ مساحتها ١١,٤٣٧ كيلو مترًا مربعًا .

وشهدت أرضها مزيدًا من الأحداث ، فتوالى عليها حكم «**القرامطة ، والعيونيين**» عام ١٠٧٦ م ، وعدد آخر من الأسر ، حتى وصلت طلائع السفن البحرية والتجارية البرتغالية في مطلع القرن السادس عشر .

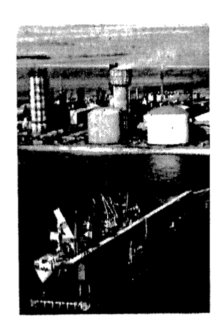
وبعد فترة حكم العيونيين ، تعاقب على حكم قطر سلسلة من القبائل والبيوتات التي كانت تخلف بعضها بسرعة وفي ظروف عمها الاضطراب تعرضت منطقة الخليج بأسرها للتنافس الاستعماري بين البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين والإنجليز .

وشهد مطلع القرن التاسع عشر اضطرابات عنيفة،ونزاعات شديدة في سبيل السيطرة على قطر، وكان ابرز رجال تلك الفترة رجل اسمه «**رحمة ابن جابر**» الذي حاول بسط نفوذه على الجزء الشمالي من **قطر** ولكنه لم يستطع وبدأ نجمه يأفل.

وكانت «قطر» خلال هذه الفترة خاضعة خضوعًا شكليًا للحكم التركي، وقد تعاون القطريون تعاونًا وثيقًا مع العثمانيين لمواجهة الغزو البرتغالي للخليج في القرن السادس عشر، وكذلك فقد واجه الأتراك أنفسهم مقاومة عنيفة عندما أعادوا الكرة لفرض سلطتهم على **قطر** عام ١٨٩٣م، وقد رفض الشيخ «**قاسم**» مقابلة والي «البصرة» الذي ظهر فجأة في قطر.

وتسلم مقاليد الحكم في قطر بعد الشيخ «**قاسم**» إبنه الشيخ «**عبدالله**»، وتميز عهده بحدوث تطورات هامة غيرت مسيرة التاريخ القطري.





«حكم آل ثاني»

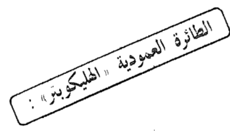
تنص المادة ٢١ من النظام الأساسي المؤقت المعدل لدولة قطر بأن حكم قطر وراثي في أسرة «**آل ثاني**» وهو اللقب المكتسب من اسم «**محمد ابن ثاني**» أول شيخ مَارَسَ سلطته الفعلية في شبه الجزيرة القطرية في منتصف القرن الماضي ، وكان آل ثاني ضمن تجمع قبلي استقر فترة طويلة في واحة «**يبرين**» في جنوب نجد ، قبل أن يصلوا إلى قطر في وقت مبكر من القرن الثامن عشر ، واستقروا في شمالها إلى أن وصلوا إلى «**الدوحة**» في منتصف القرن التاسع عشر بزعامة الشيخ محمد بن ثاني الذي دخل في أول معاهدة بحرية مع الإنجليز عام ١٨٦٨ م .

وتعود أسرة «**آل ثاني**» في نسبها إلى قبيلة «**تميم**» العريقة التي تنتسب إلى «**مضر بن نزار**» وكانت ديارها في الجانب الشرقي من شبه الجزيرة العربية .

«استقلال قطر»

في اليوم الثالث من سبتمبر عام **١٩٧١** م ، أنهت قطر العلاقات التعاهدية مع بريطانيا وإلغاء المعاهدة التي كان الشيخ «عبدالله بن قاسم آل-ثاني» قد وقعها مع بريطانيا في عام **١٩١٦** م فأصبحت قطر بذلك دولة مستقلة ذات سيادة كاملة ، وفي الشهر ذاته انضمت إلى جامعة الدول العربية .

وفي ٢٢ فبراير ١٩٧٢ م ، تولى صاحب السمو الشيخ «**خليفة بن حمد آل ثاني**» مقاليد الحكم في دولة قطر .





هي نوع من أنواع المركبات الهوائية التي ترتفع بواسطة محرك أو أكثر ، ومراوحها أفقية رأسية ، ففي القرن السادس عشر ، نبّه « **ليوناردو دوفنشي** » رائد عصر النهضة الأوربية إلى امكانيات استخدام هذا النوع من المركبات .

وقد أطلق عليها اسماء متعددة ، فأحياناً « الطائرة العمودية — الجناح الدوار — البساط الطائر — الحوامة ».

أما كلمة « **هليكوبتر** » مشتقة من اليونانية من كلمتي هيليكس ، ومعناها حلزون ، وبترون ومعناها جناح .

وفي عام ١٨٢٨ م ، جرب « **فيتوريو سارتي** » الايطالي عمليًا رسم « **ليوناردو دوفنشي** » وفي عام ١٨٧٨ م ، صمم « **فور لانيتي** » الإيطالي نموذجًا ارتفع إلى ثلاثة عشر مترًا عن سطح الأرض .

أما الأسباني « **جوان دولا سيرفا** » فقد نجح في تطيير طائرة عادية أضاف عليها مروحة كبيرة في ظهرها عام ١٩٢٣ ، وقد أطلق عليها اسم « **أوتو جايرو** » كما استطاع الاقلاع ثم الهبوط بها عموديًا .

وبعدها في ألمانيا ، وروسيا ، وأمريكا ، وفرنسا ، وانجلترا تطورت هذه الطائرة ، وتعددت استعمالاتها ومهامها عسكريًا ومدنيًا .

Urdu. For example the English narrow (phonetic) transcription for 'pen' will be پھیْنْ or پھِنْ. Two short vowels placed on a sound may represent a coàrticulation like in French 'une' اِنُ . Consonant clusters may be shown by juxtaposing them in the order of their occurrence and by putting the 'sukuwn' (°) sign on top of them. Thus the English 'sprout' may be written like this: سْپْرَاوْٹْ. it is preferable if each syllable is written separately and more space is left between words to distinguish them from syllables.

III. Conclusion:

By exploiting the present system of writing Arabic, additional symbols may be created that will be helpful in transcribing languages other than Arabic. This will be an asset to one who uses the Arabic script. **Any material written in the Arabic script with additional symbols representing foreign sounds may be accurately reproduced and adequately disambiguated. The symbols given above may not be enough but the principles involved may be helpful in dealing with comparable situations and where necessary new symbols can be created.**

ey	ـےٰ يٖيٖ
ow	ـٰٓ وٗو
æ	ـٰ يٖ
ɔ	ـٰ وْ

(e) Orthography:

In orthography پ **(p),** ٿ **(t),** ڎ **(d),** ٽ **(ṭ),** ڈ **(ḍ),** ڑ **(ṛ),** چ **(č),** گ **(g),** ڤ **(v),** ژ **(z), and** ڽ **(ŋ) may be treated like** ب **(b),** ت **(ṭ),** د **(ḍ),** ت **(ṭ),** د **(ḍ),** ر **(r),** ج **(j),** ک **(k),** ف **(f),** ز **(z), and** ن **(n)** respectively. In cursive writing the dots, +, and ŋ may be placed on the letters to which they belong as is the case with any other letter. Thus the English 'peach' may be written as پيْچ, the English 'date' may be written as ڎےيْٿ or ڎيٖيْٿ, the English **'singing' as** سِڽْڽ, etc. If needed the stress may be marked by underlining the stressed syllable — twice for the primary stress and once for the secondary stress — while leaving the unstressed syllable without any underlining. Thus 'orthographic' may be transcribed as اوْرْثوگْرَيفِك: Nasalization may be expressed by putting a dot and a crescent (Bengali čandra bindu) over a nasalized vowel and alternatively by a ں 'n' (without a dot in it, Urdu nūn ɣunneh) at the end of the word. Thus the French 'Maintenant' may be transcribed as ميْتناں. the aspiration may be expressed by putting an 'h' right after the aspirated consonant or rather combining the two sounds as is done in

(d) Proposed Vowels:

Since for a transcription of a large number of the world's languages many more vowels are needed, the following few are proposed as guidelines. The task of inventing symbols for more vowels can be accomplished by inverting the short vowels. Inversion can be used to represent the lower vowels. Thus rather than كِيْل "kiyl" an inverted 'i' will give us كيْل "kel" and rather than سُوْق "suwq" an inverted 'u' will give us سُوْق "soq". If one wanted length on these vowels, one could add ~ 'meddəh' — over them to prolong them. Thus we would have كيْل **"ke:l"** and سُوْق **"so: q".** If one wanted them real short, one could use simply the inverted short vowels without the following glides. Thus we may have كِل **"kĕl"** and سُق **"sŏq".** For æ and ɔ sounds one may have the inverted ə followed by the glides. Thus the English 'bat' may be transcribed as بَيْت **"bæ t"** side by side with the Arabic بَيْت **"bəyt"** and the English "sɔt" may be transcribed as سَوْت side by side with the Arabic سَوْط **"səwṭ".** For the English diphthongs "ey" and "ow" one may have to write an extra glide after the vowels "e' and "o". Thus the English 'bait' may be transcribed as بِيْت or بِيْت **"beyt"** and the English 'boat' may be transcribed as بُوْوْت **"bowt'.** The newly introduced symbols may be summarized like this:

sound	Symbol
e	يْ ـ
o	وْ ـ

Symbol	Vowel	Example
ـُ	u	as in English 'good', 'put'
ـَ	ə	as in English 'cut', 'above'
ـِ	i	as in English 'bit', 'kid'

ii. long Vowels:

the long vowels are short vowels followed by some kind of a homorganic glide which is only an orthographic artifact and does not have to be phonetically realized in the same way. Thus the long vowels are as follows:

Symbol	Vowel	Example
ـُو	ū	as in English 'food', 'flute'
ـَا	a	as in the American English 'hot'
ـِي	ī	as in English 'meet', 'machine'[1]

iii. Diphthongs:

In addition to the long vowels the following diphthongs are found in Arabic. The diphthongs are essentially a short (mid central) vowel followed by a glide (**y or w**).

Symbol	Vowel	Example
ـَيْ	əy	as in Arabic 'bəyt' ('house')
ـَوْ	əw	as in Arabic 'məwt' ('death')

Sound	Description of the Sound	Proposed Symbol	Examples
p	voiceless bilabial stop	پ	English 'wipe'
t	voiceless alveolar stop	ت	English 'bit'
d	voiced alveolar stop	د	English 'did'
ʈ	voiceless retroflex stop	ٹ	Urdu 'ʈaʈ' (mat)
ɖ	voied retroflex stop	ڈ	Urdu 'ɖal' (pour)
ɽ	voiced retroflex flap	ڑ	Urdu 'baɽ' (fence)
c	voiceless alveopalatal affricate	چ	English 'peach'
g	voiced velar stop	گ	English 'get'
v	voiced labiodental fricative	ڤ	English 'five'
z	voiced alveopalatal fricative	ژ	French 'jour' Persian 'žal'
ŋ	velar nasal	ڭ	English 'singing'

It may be noted that an addition of the above symbols will enrich the phonetic inventory of Arabic orthographic symbols facilitating a more accurate and efficient transcription of foreign languages. For instance the above inventory coupled with the existing Arabic orthography contains almost all the consonants found in languages of Western Europe.

(c) Arabic Vowels:

i. Short Vowels:

Arabic has three short and three long vowels. The short vowels are as follows:

ج	j	as in English 'judge'
ك	k	as in English 'kick'
ق	q	voiceless uvular stop: EFELNA
ء	ʔ	glottal stop as in Cockney 'bottle'
ف	f	as in English 'fine'
ث	θ	as in English 'thin'
ذ	ð	as in English 'then'
ظ	ð̣	emphatic ' ð ': EFELNA
س	s	as in English 'sin'
ص	ṣ	emphatic 's': EFELNA
ز	z	as in English 'zeal'
ش	š	as in English 'ship'
خ	x	as in German 'Bach'
غ	ɣ	as in French 'Robert'
ح	ḥ	voiceless pharyngeal 'h': EFELNA
ع	ɛ	voiced pharyngeal fricative: EFELNA
ه	h	as in English 'height'
ل	l	as in English 'like'
ر	r	as in British English 'river'
م	m	as in English 'man'
ن	n	as in English 'nine'
و	w	as in English 'wet'
ي	y	as in English 'yes'

(b) Modified Consonants:

The following symbols, based on modifications of the Arabic alphabet, may be conveniently added to the existing inventory of Arabic orthographic symbols.

languages like Persian, Urdu, etc. use it, but they either need additional symbols or do not specify certain sounds, especially vowels, because of their dearth in the parent language of the script, **i.e. Arabic. Thus in Urdu or Persian جور can be read as either 'jəwr', 'jɔr', 'jor', 'juwr', 'jəvər', 'jəvvər', 'jivər', 'juvər', etc.** When it comes to transcribing foreign names, it is almost impossible to transcribe them in a way to allow the original pronunciation to be reproduced. Also for transcribing foreign languages in the Arabic script, there are no symbols available that will allow the transcription of the sounds not found in Arabic. In what remains of the following paper, an attempt will be made to introduce certain symbols so that a transcription of foreign languages, especially European, may become feasible. The same system may be used to transcribe foreign names in the Arabic texts.

II. Phonetic Script Proposed:

a) Arabic Consonants.

The Arabic consonant sounds are given below. Approximations from European languages are also given. The underlined sound corresponds to the Arabic sound.

Orthographic Symbol	Sound	Example
ب	b	as in English 'bib'
ت	t̬	as in French 'toute'
د	d̬	as in French 'donner'
ط	ṭ	emphatic 't': EFELNA[1]
ض	ḍ	emphatic 'd': EFELNA

Dr. Muhammad Abdul-Wahid Sayyid

I. Need for a Phonetic Script:

The Arabic alphabet fulfills the needs of the Arabic language quite adequately. Even many Arabic dialects can be written in it. The Arabic script has a way of transcribing all the Arabic consonants as well as long vowels. Most long vowels are to be interpreted as a short vowel followed by a glide. Short vowels very often are not written since they are fairly easy to predict for someone familiar with the language. However, for the benefit of the student beginning to learn to write they are sometimes written. The short vowels are also used in the Scriptures to preserve their accuracy as well as in other works where exactness is desirable as in dictionaries.

As is the case in many other languages, the Arabic script is good for the Arabic language only. Some other

Quarterly Journal

Notice:

- All Correspondences should be directed to the Editor-in-Chief
  P. O. Box 2945—RIYADH-
- Articles are arranged technically, regardless of the writers' prestige.
- This English section contains summaries of some of the essays written in Arabic.

— **Saudi Arabia :**	Price 2 Riyals, Annual subscription 15 Riyals.
— **Kuwait :**	Price 250 Fils.
— **Bahrain :**	Price 500 Fils.
— **Arab Emirates :**	Price 4 Dirhems.
— **Qatar :**	Price 4 Riyals.
— **West Germany :**	Price 2 Deutsch Marks.
— **Morocco :**	Price 4 Dirhems.
— **Tunisia :**	Price 350 Mills.
— **Egypt :**	Price 25 Piastres.
— **Other Countries :**	Price one U.S. $ Annual subscription 6 U.S. $.

ADDARAH

by
King Abdul Aziz Research Centre
Concerned with
the Intellectual and Historical Heritage of the Kingdom and the Islamic World.

MUHARRAM 1403 A.H. — EIGHTH YEAR
OCT. 1982 A.D. — No. 2

P. O. Box 2945 — RIYADH-
Tel. : 4412316 — KINGDOM OF SAUDI ARABIA

بسم الله الرحمن الرحيم

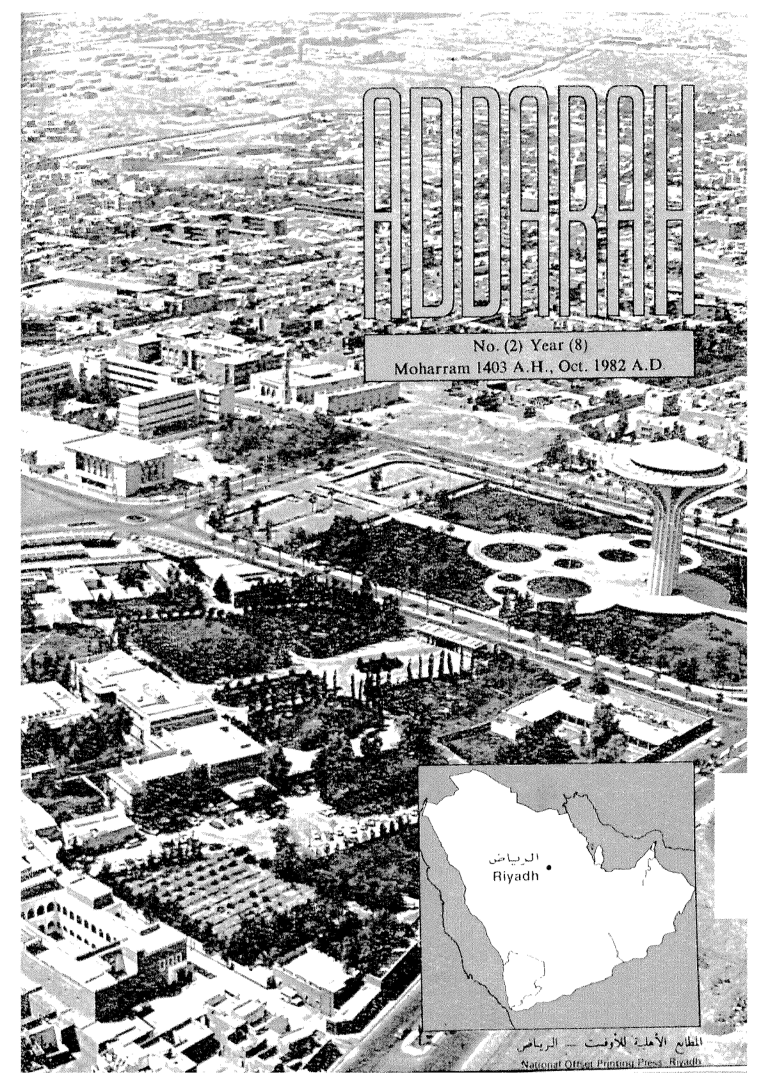
IN THE
NAME OF ALLAH,
THE MERCIFUL,
THE BENEFICENT

المطابع الأهلية للأوفست — الرياض

National Offset Printing Press - Riyadh



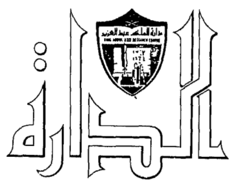
بوابة التميري بين الماضي والحاضر.


ADDARAH
No. (2) Year (8)
Moharram 1403 A.H., Oct. 1982 A.D.
الرياض
Riyadh
المطابع الأهلية للأوفست ـ الرياض
National Offset Printing Press - Riyadh



كشاف

مجلة



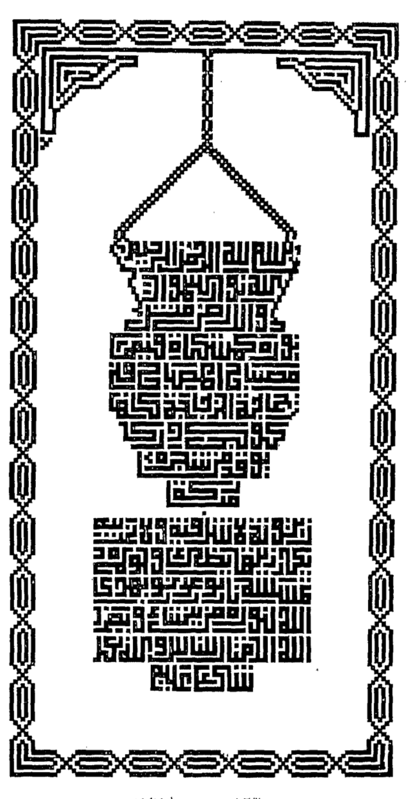
• السنة العاشرة •

شوال ١٤٠٤ - رجب ١٤٠٥هـ

يونية ١٩٨٤ - مارس ١٩٨٥م

إعداد

الأستاذ أحمد طلعت محمود برهام



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ سُورَةُ النُّورِ ٢٤

• تعريف بالكشاف •

يتكون هذا الكشاف من قسمين..

القسم الأول: يشتمل على فهرس المواد المنشورة في أعداد «الدارة» للسنة العاشرة. وقد صنفت المواد داخل هذا القسم حسب موضوعاتها تحت رءوس موضوعات محددة، ورتبت هجائياً تحت كل موضوع وفقاً للعنوان. يليه اسم الكاتب، ثم رقم العدد الذي نشرت فيه المادة، وتاريخ الإصدار، وأخيراً أرقام الصفحات. وقد أعطيت للمواد، داخل هذا القسم، أرقام مسلسلة تستخدم للدلالة عليها في القسم الثاني من هذا الكشاف. وفيما يلي بيان برءوس الموضوعات وأرقام المواد الداخلة تحتها:

الموضوع	الأرقام	الموضوع	الأرقام
* الآثار	١	* الدارة	٤٢ ـ ٤٥
* الاجتماع	٢ ـ ٣	* الدين	٤٦ ـ ٤٩
* الادب	٤ ـ ٥	* الشعر	٥٠ ـ ٥٥
* التاريخ	٦ ـ ٣٠	* الكتب ـ تأليف	٥٦
* التراجم	٣١ ـ ٣٤	* الكتب ـ عرض ونقد	٥٧ ـ ٦٨
* التعليم	٣٥ ـ ٣٧	* اللغة	٦٩ ـ ٧٥
* الجغرافيا والرحلات	٣٨ ـ ٤١	* المؤتمرات والندوات	٧٦ ـ ٧٨

القسم الثاني: وهو كشاف عام للمؤلف والعنوان والموضوع، يهدي الباحث إلى الأرقام المسلسلة للمواد في القسم الأول. وهنا .. يجدر الإشارة إلى ما يلي

١ ـ اتخذت قائمة رءوس لموضوعات العربية/ إعداد قسم الفهرسة والتصنيف بجامعة الملك سعود بالرياض، أساساً لاختيار رءوس موضوعات تتفق مع مضمون مواد القسم الأول.

٢ ـ بالنسبة لأسماء الكتاب والأعلام، اتبعت قاعدة قلب الاسم قد اعتمد في تحقيق الأسماء على قائمة مداخل المؤلفين والأعلام العرب/ إعداد ناصر السويدان، ومحسن العريني ـ والتي أصدرتها عمادة شئون المكتبات بجامعة الملك سعود.

٣ ـ جمعت رءوس الموضوعات وأسماء الأشخاص والكتاب وعناوين المقالات وعناوين الكتب المعروضة في قائمة واحدة، رتبت مداخلها في ترتيب هجائي وحد، أمام كل منها أرقام

المواد التي تدل عليها .. تسهيلاً للبحث، وتيسيراً على الباحث للوصول إلى البيانات الببيلوجرافية في القسم الأول.

هذا وقد استخدمت الاختصارات التالية للدلالة على بعض الاصطلاحات:

ص: صفحة...   ص‌ص: من صفحة ... إلى صفحة ...

ع: العدد رقم .....   = : انظر

أولاً فهرس المقالات

آثـــار:

(١) حول النقوش الصفوية القديمة/ فتحي عفيفي بدوي ـ ع٢ (المحرم ١٤٠٥ هـ: سبتمبر ١٩٨٤م) ص‌ص ٤٤ ـ ٥٨.

اجتمـــاع:

(٢) «أخلاق عرب الرولة وعاداتهم»/ لألويس موزل؛ (ترجمة) محمد بن سليمان السديس. ع٢ (المحرم ١٤٠٥هـ: سبتمبر ١٩٨٤م) ص‌ص ١٣٠ ـ ١٥٢.

(٣) المرأة المسلمة ودورها الحضاري/ عبد العزيز بن عبدالله. ـ ع٢ (المحرم ١٤٠٥هـ: سبتمبر ١٩٨٤م) ص‌ص ٢٣٦ ـ ٢٥١.

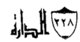
الأدب:

(٤) آراء المنفلوطي في كتاب عصره/ حمد ناصر الدخيل. ـ ع٤ (رجب ١٤٠٥هـ: مارس ١٩٨٥م) ص‌ص ٤٩ ـ ٥٨.

(٥) الأمثال العربية؛ تعبير صادق لحكمة العرب وفلسفتهم، ومرآة صافية لمدى بلاغتهم في أقوالهم/ جعفر الخليلي ـ ع٤ (رجب ١٤٠٥هـ: مارس ١٩٨٥م) ص‌ص ١٦٥ ـ ١٧٩.

التاريـــخ:

(٦) **أحداث تاريخية**: جلالة الملك «**فهد بن عبد العزيز**» يشرف اللقاء الذي نظمته جامعة



الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (باب علوم وفنون)/ مصطفى أمين جاهين ـ ع١ (شوال ١٤٠٤هـ: يونية ١٩٨٤م) ص‌ص ٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٧) **أحداث تاريخية**: زيارة صاحب الجلالة الملك «**فهد بن عبد العزيز**» خادم الحرمين الشريفين للمدينة المنورة وافتتاح عدد من مشروعات الخير والنماء (**باب علوم وفنون**)/ مصطفى أمين جاهين ـ ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥هـ: ديسمبر ١٩٨٤م) ص‌ص ٢١٤ ٢١٦.

(٨) **الأراضي الوقف في المدينة المنورة**/ محمد شوقي ابراهيم ـ ع٢ (المحرم ١٤٠٥هـ: سبتمبر ١٩٨٤م) ص‌ص ٣٥ ـ ٤٣.

(٩) **الأردن في التاريخ (باب علوم وفنون)**/ مصطفى أمين جاهين ـ ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥هـ: ديسمبر ١٩٨٤م) ص‌ص ٢٠٢ ـ ٢٠٩.

(١٠) **أضواء على حملة شريف مكة على القصيم سنة ١٣٢٨هـ: ١٩١٠م**/ خالد حمود السعدون ـ ع١ (شوال ١٤٠٤هـ: يونية ١٩٨٤م) ص‌ص ٦٧ ـ ٧٤.

(١١) **أفغانستان في التاريخ (باب علوم وفنون)**/ مصطفى أمين جاهين ـ ع١ (شوال ١٤٠٤هـ: يونية ١٩٨٤م) ص‌ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤.

(١٢) **إنهاء الملك عبد العزيز للامتيازات الأجنبية في الحجاز ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧م**/ جمال محمود حجر. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤هـ: يونية ١٩٨٤م) ص‌ص ٢٢ ـ ٣٥.

(١٣) **أهمية نشر الوعي الوثائقي**/ عبدالله حمد الحقيل. ـ ع٤ (رجب ١٤٠٥هـ: مارس ٨٥(١م) ص‌ص ١٩٨ ـ ٢٠٣.

(١٤) **باكستان في التاريخ (باب علوم وفنون)**/ مصطفى أمين جاهين. ـ ع٢ (المحرم ١٤٠٢هـ: سبتمبر ١٩٨٤م) ص‌ص ٢٧٤ ـ ٢٧٧.

(١٥) **تجارة البصرة الداخلية والعوامل المؤثرة فيها خلال القرن السادس عشر**/طارق نافع الحمداني. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤هـ: يونية ١٩٨٤م) ص‌ص ١٥٩ ـ ١٧٠.

(١٦) **تجارة الحرير عبر الخليج العربي في القرن السابع عشر**/ عبد العزيز محمد عوض. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤هـ: يونيه ١٩٨٤م) ص‌ص ١٢٩ ـ ١٣٨.

(١٧) **الجامعة الإسلامية والاستعمار البريطاني في جنوب الجزيرة العربية في ضوء الوثائق البريطانية**/ جاد طه محمود. - ع٤ (رجب ١٤٠٥ هـ: مارس ١٩٨٥ م) ص ص ١٢٨ - ١٤١.

(١٨) **الجهاز الإداري في الحضارة الإسلامية**/ محمد ضيف الله بطاينة. - ع٢ (المحرم ١٤٠٥ هـ: سبتمبر ١٩٨٤ م) ص ص ١٠٣ - ١٢٩.

(١٩) **الخلفاء الأمويون من افتتاحياتهم ووصاياهم - الفرع السفياني**/ حامد غنيم أبو سعيد. - ع٢ (المحرم ١٤٠٥ هـ: سبتمبر ١٩٨٤ م) ص ص ٩ - ٣٤.

(٢٠) **الخلفاء الأمويون من افتتاحياتهم ووصاياهم - الفرع المرواني**/ حامد غنيم أبو سعيد. - ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ: ديسمبر ١٩٨٤ م) ص ص ٥٤ - ٨٣.

(٢١) **الشورى في الجزيرة العربية قبل الإسلام**/ موسى بناي علوان. - ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ: ديسمبر ١٩٨٤ م) ص ص ٤٢ - ٥٣.

(٢٢) **العراق في التاريخ (باب علوم وفنون)**/ مصطفى أمين جاهين. - ع٤ (رجب ١٤٠٥ هـ: مارس ١٩٨٥ م) ص ص **٢٠٦ - ٢١٥** .

(٢٣) **العرب والدعوة الإسلامية في الصومال في العصور الوسطى الإسلامية**/ محمد محمد أمين. - ع٢ (المحرم ١٤٠٥ هـ: سبتمبر ١٩٨٤ م) ص ص ٢٠٢ - ٢٣٥.

(٢٤) **القوى البحرية العربية ودورها في مواجهة البرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي في بداية القرن العاشر الهجري (١٦ م)**/ طارق نافع الحمداني. - ع٤ (رجب ١٤٠٥ هـ: مارس ١٩٨٥ م) ص ص ١٤٢ - ١٥٣.

(٢٥) **ما لم يذكره التاريخ عن حرب الدرعية**/ عبدالله بن خميس. - ع١ (شوال ١٤٠٤ هـ: يونية ١٩٨٤ م) ص ص ٤٣ - ٤٥.

(٢٦) **مع الكابتن سادلير في رحلته من القطيف إلى ينبع عام ١٢٣٤ هـ: ١٨١٩ م**، تلخيص لكتاب «**يوميات رحلة عبر الجزيرة العربية**» بقلم الكابتن جورج فورستر سادلير/ السيد أحمد مرسي عباس. - ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ: ديسمبر ١٩٨٤ م) ص ص ١٦٩ - ١٨٨.

(٢٧) **المكيون في مصر: دور عرب الجزيرة في مقاومة الحملة الفرنسية**/ شفيق شوكت العمروسي. - ع١ (شوال ١٤٠٤ هـ: يونية ١٩٨٤ م) ص ص ٥٤ - ٦٦.

(٢٨) **المهجرون الأندلسيون «الموريسكيون» من خلال وثائق محكمة الاسكندرية الشرعية في العصر العثماني في مصر**/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤ هـ: يونية ١٩٨٤ م) ص‌ص ١٧١ ـ ١٨٢.

(٢٩) **نتائج هجرة الحضارمة إلى الهند: الوجود العربي في حيدر آباد**/ (إعداد) عمر الخالدي؛ (ترجمة وتلخيص) عبد السلام عبد المنعم. ـ ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ: ديسمبر ١٩٨٤) ص‌ص ٢١٩ ـ ٢٢٥. (المقال الأصلي بالانجليزية في نفس العدد).

(٣٠) **نشأة الخلافة**/ عبدالله عقيل عنقاوي. ـ ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ: ديسمبر ١٩٨٤ م) ص‌ص ٢٥ ـ ٤١.

تراجـم:

(٣١) **ابن ميمون**/ علي عبدالله الدفاع. ـ ع٢ (المحرم ١٤٠٥ هـ: سبتمبر ١٩٨٤ م) ص‌ص ٢٥٢ ـ ٢٦٠.

(٣٢) **الديار بكري وآثاره**/ إسماعيل أحمد حافظ. ـ ع٢ (المحرم ١٤٠٥ هـ: سبتمبر ١٩٨٤ م) ص‌ص ١٥٣ ـ ١٦٧.

(٣٣) **الملك عبد العزيز وجهاده الطويل في مسيرة البناء وتوحيد الوطن**/ عبدالله حمد الحقيل. ـ ع٢ (المحرم ١٤٠٥ هـ: سبتمبر ١٩٨٤ م) ص‌ص ٢٦١ ـ ٢٦٤.

(٣٤) **الملك عبد العزيز يعلن: «إني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشريعة .. إني استقبلت الطريق إلى مكة غير باغ ولا آثم**/ عبد الواحد محمد راغب. ـ ع٢ (المحرم ١٤٠٥ هـ: سبتمبر ١٩٨٤ م) ص‌ص ٢٦٥ ـ ٢٧٠.

التعلـيم:

(٣٥) **أحداث تاريخية**: صاحب الجلالة المفدى «**فهد بن عبد العزيز**» يفتتح المدينة الجامعية لجامعة الملك سعود بالرياض ... (**باب علوم وفنون**)/ مصطفى أمين جاهين. ـ ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ: ديسمبر ١٩٨٤ م) ص٢١٨.

(٣٦) **كيفية إجراء البحوث في الحقل التربوي**/ عبد الرحمن محمد العيسوي. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤ هـ: يونية ١٩٨٤ م) ص‌ص ٢٠٩ ـ ٢١٤.

(٣٧) **المدارس الأهلية بجدة والطائف في أواخر العهد العثماني**/ عبد اللطيف عبدالله بن دهيش. ـ ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥هـ: ديسمبر ١٩٨٤م) ص‌ص ١٥٣ ـ ١٦٨.

الجغرافيا والرحلات:

(٣٨) **أهمية دراسة تراثنا الجغرافي دراسة ميدانية**/ عبدالله حمد الحقيل. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤هـ: يونية ١٩٨٤م) ص‌ص ٧٥ ـ ٨٠.

(٣٩) **طريق حجاج الشام ومصر، منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن السابع الهجري**/ سليمان عبد الغني مالكي. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤هـ: يونية ١٩٨٤م) ص‌ص ٨ ـ ٢١.

(٤٠) **النتوء المكي؛ إحدى ظاهرات العمران المدني في المملكة العربية السعودية**/ محمد محمود محمدين. ـ ع٤ (رجب ١٤٠٥هـ: مارس ١٩٨٥م) ص‌ص ٩ ـ ٤٨.

(٤١) «**النفحة المسكية في الرحلة المكية» لعباس العزاوي**/ (عرض) فاضل عباس العزاوي. ـ ع٢ (المحرم ١٤٠٥هـ: سبتمبر ١٩٨٤م) ص‌ص ٨٨ ـ ٩٦.

الـدارة:

(٤٢) **الافتتاحية: التعجيز لا العجز**/ بقلم رئيس التحرير. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤هـ؛ يونية ١٩٨٤م) ص‌ص ٦ ـ ٧.

(٤٣) **الافتتاحية: قالوا عن البطل عبد العزيز بن عبد الرحمن**/ بقلم رئيس التحرير. ـ ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥هـ: ديسمبر ١٩٨٤م) ص‌ص ٦ ـ ٨.

(٤٤) **الافتتاحية: اليمامة**/ بقلم رئيس التحرير. ـ ع٤ (رجب ١٤٠٥هـ: مارس ١٩٨٥م) ص‌ص٦ ـ ٨.

(٤٥) **افتتاحية العدد: عبد العزيز تاريخ لا سيرة**/ بقلم رئيس التحرير. ـ ع٢ (المحرم ١٤٠٥هـ: سبتمبر ١٩٨٤م) ص‌ص ٦ ـ ٨.

الـدين :

(٤٦) **الإسلام في جنوب الباسفيكي**/ عبد القادر بخش. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤هـ: يونية ١٩٨٤م) ص‌ص ٢٣٦ ـ ٢٣٩.

(٤٧) **الشباب في التراث الإسلامي**/ الغزالي حرب. ـ ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ: ديسمبر ١٩٨٤ م) ص ص ١٠٢ ـ ١٣٢.

(٤٨) **ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بلدان جنوب الجزيرة العربية**/ عبدالله ابن محمد بن حسين أبو داهش. ـ ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ: ديسمبر ١٩٨٤ م) ص ص ٩ ـ ٢٤.

(٤٩) **مفهوم الجماعة المسلمة عند الإمام محمد بن عبد الوهاب**/ آمنة محمد نصير. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤ هـ: يونية ١٩٨٤ م) ص ص ٣٦ ـ ٤٢.

الشعـــر:

(٥٠) **شيء عن شعر الطفولة القصصي في أعمال الشعراء العرب المحدثين**/، ابراهيم محمد صبيح. ـ ع٤ (رجب ١٤٠٥ هـ: مارس ١٩٨٥ م) ص ص ١٢٠ ـ ١٢٧.

(٥١) **صورة البطل نور الدين محمود في شعر المواجهة مع الصليبيين**/ محمود عبدالله أبو الخير. ـ ع٢ (المحرم ١٤٠٥ هـ: سبتمبر ١٩٨٤ م) ص ص ١٨٢ ـ ٢٠١.

(٥٢) **على طريق تأصيل الشعر الجاهلي من خلال الصورة**/ ابراهيم عبدالله الضحيان. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤ هـ: يونية ١٩٨٤ م) ص ص ١٣٩ ـ ١٥٨.

(٥٣) **فاتنة عسير: تحية إلى أبها بعد غياب دام أحد عشر عاماً (شعر)**/ محمد السيد الشريف. ـ ع٤ (رجب ١٤٠٥ هـ: مارس ١٩٨٥ م) ص ص ١٥٤ ـ ١٥٥.

(٥٤) **قيم علمية من الشعر العربي**/ مصطفى يعقوب. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤ هـ: يونية ١٩٨٤ م) ص ص ٨١ ـ ٩٧.

(٥٥) **من تراثنا المنظوم في الرياضيات**/ جلال شوقي. ـ ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ: ديسمبر ١٩٨٤ م) ص ص ٨٤ ـ ١٠١.

الكتب ـ تأليف:

(٥٦) **المناهج والأطر التأليفية في تراثنا**/ محمد بن لطفي الصباغ. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤ هـ: يونية ١٩٨٤ م) ص ص ٩٨ ـ ١٢٨.

(٥٧) الإبداع الفني في «نقر العصافير»/ محمد فهمي سند. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤هـ: يونية ١٩٨٤م) ص‌ص ٢٢٩ ـ ٢٣٥.

(٥٨) **أضواء ودراسة لديوان الشاعر الكبير محمد بن عثيمين بعد طبعته الجديدة**/ عبدالله بن سعد الرويشد. ـ ع٢ (المحرم ١٤٠٥هـ: سبتمبر ١٩٨٤م) ص‌ص ١٦٨ ـ ١٨١.

(٥٩) **تذكير وتعقيب على تعقيب**/ محمد بن سعد الشويعر. ـ ع٤ (رجب ١٤٠٥هـ: مارس ١٩٨٥م) ص‌ص ١٨٦ ـ ١٩٣.

(٦٠) **«التصوير الفني في الحديث النبوي» (رسالة دكتوراه)**/ لمحمد بن لطفي الصباغ: (عرض) صلاح أحمد الطنوبي. ـ ع٤ (رجب ١٤٠٥هـ: مارس ١٩٨٥م) ص‌ص ١٥٦ ـ ١٦٤.

(٦١) **تعقيب على بحث الدكتور الشويعر عن كتاب «نزهة المشتاق»**/ عبدالله العبد الرحمن البسام. ـ ع٢ (المحرم ١٤٠٥هـ: سبتمبر ١٩٨٤م) ص‌ص ٩٧ ـ ١٠٢.

(٦٢) **دراسة في مخطوط تاريخ الدول والملوك المعروف بتاريخ ابن الفرات الحنفي**/ أحمد الشامي. ـ ع٢ (المحرم ١٤٠٥هـ: سبتمبر ١٩٨٤م) ص‌ص ٥٩ ـ ٨٧.

(٦٣) **«سياسة المملكة العربية السعودية البحرية ١٩٤٨ ـ ١٩٧٨؛ دراسة في قانون البحار»**/ لناصر عبد العزيز العرفج؛ (عرض وتقديم) عبدالله حسن الأشعل. ـ ع٤ (رجب ١٤٠٥هـ: مارس ١٩٨٥م) ص‌ص ١٨٠ ـ ١٨٥.

(٦٤) **عرض كتاب «ابن الأثير» لفيصل السامر**/ (عرض) فاضل خليل ابراهيم. ـ ع٤ (رجب ١٤٠٥هـ: مارس ١٩٨٥م) ص‌ص ١٩٤ ـ ١٩٧.

(٦٥) **عرض لخرائط وأشكال الأطلس التاريخي للدولة السعودية**/ طه عثمان الفرا. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤هـ: يونية ١٩٨٤م) ص‌ص ٢٠٣ ـ ٢٠٨.

(٦٦) **قراءة في كتاب «فهد بن عبد العزيز ومسيرة دولة» لكمال الكيلاني**/ (عرض) عبدالله حمد الحقيل. ـ ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥هـ: ديسمبر ١٩٨٤م) ص‌ص ١٩٧ ـ ٢٠٠.

(٦٧) **من أوهام المحققين**/ محمد عبد المجيد الطويل. ـ ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥هـ: ديسمبر ١٩٨٤م) ص‌ص ١٨٩ ـ ١٩٦.

(٦٨) **«موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع» لشعبان صلاح**/ (عرض) محمد عبد المجيد الطويل. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤هـ: يونية ١٩٨٤م) ص‌ص ٢١٥ ـ ٢٢٨.

اللغــة :

(٦٩) **أسطورة القلة والكثرة عند النحاة**/ شوقي النجار. ـ ع٤ (رجب ١٤٠٥هـ: مارس ١٩٨٥م) ص‌ص ١٠٨ ـ ١١٩.

(٧٠) **التعريفات الجمالية وأضدادها**/ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري. ـ ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥هـ: ديسمبر ١٩٨٤م) ص‌ص ١٣٣ ـ ١٥٢.

(٧١) **اللغة الإنسانية بين النظرية والتطبيق**/ أحمد عبد الرحيم السايح. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤هـ: يونية ١٩٨٤م) ص‌ص ١٨٣ ـ ٢٠٢.

(٧٢) **اللهجات العربية بين الأصالة والتحديث**/ رشيدة محمد رشاد. ـ ع٤ (١٤٠٥هـ: مارس ١٩٨٥م) ص‌ص ٩٨ ـ ١٠٧.

(٧٣) **الماء في القرآن الكريم**/ يحيي عبد الرءوف جبر ـ ع١ (شوال ١٤٠٤هـ: يونية ١٩٨٤م) ص‌ص ٤٦ ـ ٥٣.

(٧٤) **مستقبل الفعل الثلاثي في لغة تميم**/ ضاحي عبد الباقي. ـ ع٤ (رجب ١٤٠٥هـ: مارس ١٩٨٥م) ص‌ص ٧٥ ـ ٩٧.

(٧٥) **من صور الصناعة النحوية**/ عبد الكريم محمد الأسعد ـ ع٤ (رجب ١٤٠٥هـ: مارس ١٩٨٥م) ص‌ص ٥٩ ـ ٧٤.

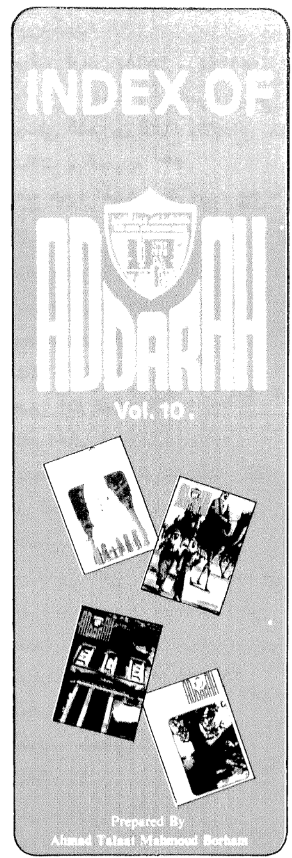
المؤتمرات والندوات:

(٧٦) **اجتماع قادة دول مجلس التعاون الخليجي في مؤتمرهم الخامس (باب علوم وفنون)**/ مصطفى أمين جاهين. ـ ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥هـ: ديسمبر ١٩٨٤م) ص ٢١٧.

(٧٧) **الدارة تشارك في المؤتمر الدولي العاشر للوثائق في بون (باب علوم وفنون)/** مصطفى أمين جاهين. ـ ع٣ (ربيع الثاني ١٤٠٥هـ: ديسمبر ١٩٨٤م) ص ٢١٤.

(٧٨) **المؤتمر العام الخامس للفرع الإقليمي العربي للمجلس الدولي للوثائق ـ تونس ٢٣ ـ ٢٥ أبريل ١٩٨٤. توصيات المؤتمر (باب علوم وفنون)/** مصطفى أمين جاهين. ـ ع١ (شوال ١٤٠٤هـ: يونية ١٩٨٤م) ص ٢٤٥.

ثانياً: الكشاف العام للمؤلف والعنوان والموضوع



THE ENGLISH SECTION

1. **Consequences of Hadrami Migration to India** : The Arab Presence in Haydarabad (By) Omar Khalidi — No. 3 (Rabi Thani, 1405 A.H.: December, 1984 A.D.) pp. 5 — 29.

2. **"Ibn Al-Athir"** (By) Faysal Al-Samer / (Reviewed in Arabic) By Faḍil Khalil Ibrahim ; (Abridged & Translated) By Saeed Abdul-Aziz Abdullah — No. 4 (Rajab, 1405 A.H. : March, 1984 A.D.), pp. 5-8.

3. **'Ibn Maymun'** or Moses Maimonides / By Ali Abdullah Al-Daffa'; (Abridged & Translated) By Saeed Abdul-Aziz Abdullah — No. 2 (Muharram, 1405 A.H. : September, 1984 A.D.), pp. 5-9.

4. **Syrian and Egyptian Pilgrimage Routes, From the Islamic Conquest to the Middle of the Seventh Hijrah Century** / By Soliman Abdul Ghani Al-Malki; (Abridged & Translated) By Abdul Salam Abdul Monem — No. 1 (Shawwal, 1404 A.H. : June, 1984 A.D.), pp. 5-10.

●●●

insight. He did not take for granted tales of history whose truthfulness was questionable.

The eighth chapter deals with 'Other books by Ibn al-Athīr'. These are : **'al-Tarikh al-Bahir Fi al-Dawla al-Atabekiyya'**, (The Glorious History of The Atabek State) written in the year 608 Hidjira on the Atabek dynasty of Mosul, **'Usd al-Ghaba Fi Ma'rifat al-Ṣahaba'** which is a collection of biographies of men and women around the Prophet; a third book is **'al-Lubab Fi Tahtheeb al-Ansab'** (The Gist in Tracing Family Trees) which is an improvement and completion of al-Sam'ani's book **'al-Ansab'** (Genealogy).

Dr. al-Samer ends his book by surveying the critical attacks upon Ibn al-Athir's extremely partial attitude in support of the Zangids. His most vulnerable point, in the view of different Arab scholars, was his negative response to Saladin the Ayyubid in the Sultan's attempt to consolidate the Islamic front against the Crusaders.

The author has done his best in introducing the life history of that famous historiographer especially in the chapter on **'al-Kamil'** wherein he supplied statistical lists of economic affairs, natural phenomena, popular scholars and public figures. But it is to be noted that the book, under study, is nearly void of footnotes or acknowledgement of the greater part of the author's quotations. Even when the author acknowledges his sources there is no mention of the page number, the chapter and sometimes the edition. On the other hand the author has devoted extensive pages to describe the urban growth of Baghdad as mentioned in **'al-Kamil'**, which is a departure from the main topic and should have been done in a more specialized, not a general study.



In the fifth chapter we are acquainted with some aspects of Ibn al-Athir's life and personality. Though we don't know much about his childhood, upbringing and private life Islamic historiographers all agreed upon his nobility of character. They said he was of refined nature, modest, noble-minded, indignant to all moral abuses and deceptions, hateful of avarice, averse to high ranking offices and devoted to his studies.

'Ibn al-Athīr as historian' is dealt with in the sixth chapter. It explains his methodology which is not based only on annalistic historiography but also on the aggregation of diverse facts bearing upon a single event in a particular place with observance of chronological order. He believed that there are moral lessons to be learnt from history and good examples to be followed by rulers of states. The contemplation of history inspires man with endurance in the face of fatal disasters and helps him to renounce worldly vanities.

In chapter seven we have an analytical study of his famous book **'al-Kamil fi Al-Tarikh'**(The Complete In History). The chapter provides answers to some questions as to the book's title, sources, importance in studying Arabic history and the nature of its content. It describes the economic conditions, the availability of food-stuffs, the price rises and falls, fires, floods, epidemics and natural phenomena as solar and lunar eclipses and earthquakes. We have also a survey of cultural life and its prominent figures including transmitters of Prophetic Traditions, jurisprudents, writers, poets, historians, preachers and mystics (Suphis). The study covers, as well, aspects of administration, systems, institutions and social life. In his book 'al-Kamil' Ibn al-Athir possessed a historical and critical



governor (Vali) of Djazirat Ibn 'Umar and in-charge of its land tax revenues during the reign of the Zangid dynasty. At the age of 24 his family moved to Mosul in the month of Rajab 579 A.H. where he carried on his studies in its mosques and colleges.

The second chapter concentrates on Ibn al-Athīr's age. It was a period of turbulence, adversities and different struggles among many forces in the vast Islamic world. That was the closing century of the Abbasid Caliphate that witnessed the most serious and challenging dangers to the State. Our historian lived under the patronage of the Zangid dynasty founded by Emad al-Dīn Zangid in the year 521 A.H. He was contemporaneous to the Crusaders' invasion of the Islamic Orient, as well as the devastating Mongolian and Tartari sweep.

In the third chapter we have a study on 'Mosul during Ibn al-Athir's time', the city that the historian loved most and lived in for more than half a century. At his time the city was endowed with a favourable cultural climate.

Ibn al-Athir's education is the subject of the fourth chapter. He himself provided some information about the shaikhs and 'Ulemas' who influenced him and were recognized as masters in different branches of knowledge: Tradition (Hadith), jurisprudence (Fiqh), vocalisation of the Quran, Law of Descent and Distribution ('Ilm al-Fara'iḍ), logic, arithmetic, astronomy, literature, historiography and genealogy. Ibn al-Athir was very much praised by his contemporaries like Ibn Khallikān. Yakūt al-Ḥamawī, Ibn al-Djawzī and others.



‘IBN AL - ATHIR’

By
Dr. Faysal Al-Samer

Reviewed By
Fadil Khalil Ibrahim

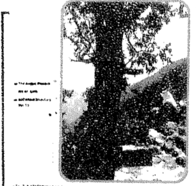
Slightly Abridged & Translated By
Saeed Abdul Aziz Abdullah

Throughout its long history Islamic civilization was distinguished by its unique contributions in religious, scientific, and literary fields. Historiography was also a sphere of its excellence. History writing flourished through the efforts of major figures like al-Baladhuri, al-Ṭabari, and Ibn al-Athir, the subject of our present book review. Those historians helped to change history writing from a mere record of anecdotes and legends into a science that inquires into the causal affinities between events and the wisdom to be found therein.

The book in our hand on ‘Ibn al-Athīr’, published by the Iraqi Ministry of Culture and Information, 1983, includes an introduction and seven chapters. The first chapter deals with **‘Ibn al-Athir’ — his upbringing and early life.’** He is Abu’l-Hasan ‘Ali b. Abi ’l Karam Mohammad b. Abd al-Karim b. Abdul Wahid al-Sheebani known as Ibn al-Athir, and nick-named ‘Ezz Al-Dīn’. He was born in Djazīrat Ibn ‘Umar in 4 Djumādā I, the year 555 Hidjira (1160 A.D.) and was one of three brothers who achieved remarkable prominence in literature, language and Tradition (Hadith) ‘Sciences’ : the other two are Madjd Al-Dīn and Ḍiyā’ Al-Dīn. His father was







Cover Picture:

Asir MounTains

The writers' views do not necessarily reflect those of the magazine.

Articles are arranged technically regardless of the writer's prestige.

Annual Subscriptions:

- Saudi Arabia: 15 Riyals.
- **Arab Countries:** The equivalent of **15** Riyals.
- **Non-Arab Countries:** US $ **6.**

Articles can not be returned to authors whether published or not.

O PRICE PER ISSUE O

— **Saudi Arabia**	:	**2** Riyals
— **U. A. E.**	:	**4** Dirhams
— **Qatar**	:	**4** Riyals
— **Egypt**	:	**25** Piastres
— **Morocco**	:	**4** Dirhams
— **Tunisia**	:	**350** Milliemes
— **Non-Arab Countries**	:	**1** U.S. $

DISTRIBUTORS

Saudi Arabia: Al-Greisy Distributing Est., P.O. Box 1405, Riyadh, Tel.: 4022564.

Abu-Dhaby: P.O. Box 3778, Abu-Dhaby, Tel.: 323011.

Dhubai: Dar-Al-Hikma Library, P.O. Box 2007, Tel.: 228552.

Qatar: Dar- Al-Thakafa, P.O. Box 323, Tel.: 413180.

Bahrain: Al-Hilal Distributing Est.,Manama, P. O. Box 224. Tel.: 262026.

Egypt: Al-Ahram Distributing Est., Al-Gataa Street, Cairo, Tél.: 755500.

Tunisia: The Tunisian Distributing Company 5, Nahg Kartaj

Morocco: Al-Sharifia Distributing Company, P.O. Box 683, Casablanca, 05.

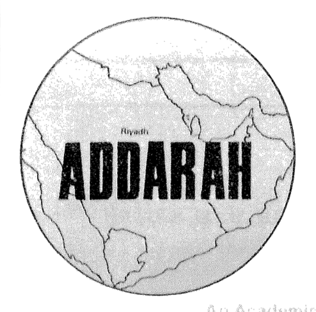


All correspondence should be directed to the Editor-in-Chief. Tel.: 4417020

Editorial Director: Tel.: 4413944

Annual Subscriptions are to be directed to the Secretary General of Addarah Tel: 4414681
Editorial Board: Tel: 4412316- 4412317- 4412318- 4412319





IN THE
NAME OF ALLAH.
THE MERCIFUL.
THE BENEFICENT



An Academic Quarterly
Issued by: King Abdul Aziz Research Centre

• RAJAB 1405 A.H. MARCH 1985 A.D. • NO. 4 «Y.10» •

King Abdul Aziz Research Centre

- Established by a Royal Decree No. M/ 45 dated 5/8/1392 A.H. as an autonomous body with independent juristic identity.
- Run by a Board of Directors vested with full authority to have its objectives materialized.

Objectives:

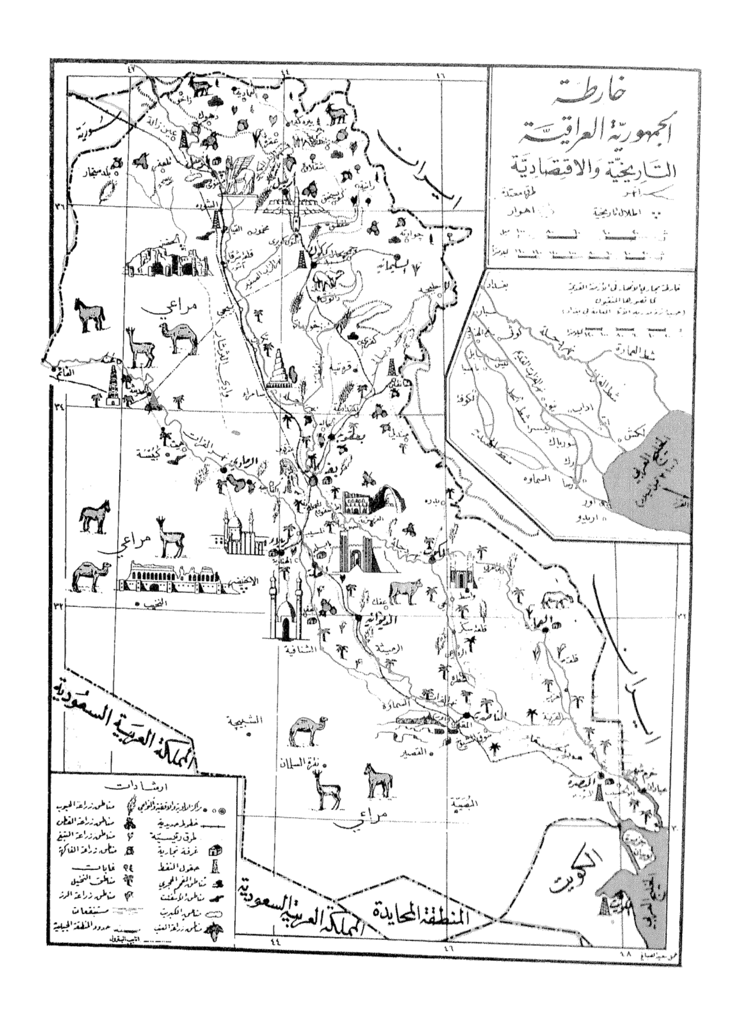
Further studies pertaining to the history of the Kingdom, its geography, literature, intellectual and cultural heritage in particular as well as those of the Arab and Islamic world in general.

— To issue a cultural magazine carrying its name **ADDARAH.**

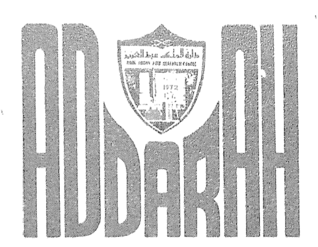
- In accordance with the Royal approval No. 5/12608 dated 20/5/1396 A.H. the Centre has become the home of the National Saudi Archives and Manuscripts.

P.O.Box 2945 Riyadh 11461 Kingdom of Saudi Arabia

المطابع الأهلية للأوفست — الرياض
National Offset Printing Press - Riyadh



خارطة
الجمهورية العراقية
التاريخية والاقتصادية
ارشادات
مراكز الالوية والاقضية والنواحي
خطوط حديدية
طرق رئيسية
غرفة تجارية
حقول النفط
مناطق الفحم الحجري
مناطق الاسفلت
مناطق الكبريت
مناطق زراعة العنب
مناطق زراعة الحبوب
مناطق زراعة القطن
مناطق زراعة التبغ
مناطق زراعة الفاكهة
غابات
مناطق النخيل
مناطق زراعة الرز
مستنقعات
حدود المنطقة الجبلية
ايران
الكويت
المنطقة المحايدة
المملكة العربية السعودية
سورية
مراعي
بغداد
البصرة
السليمانية
كركوك
الموصل
الكوت
الناصرية
الديوانية
السماوة
الشنافية
الشبجة
نقرة السلمان
الخليج العربي



NO. 4 «Y.10» ● RAJAB 1405 A.H. ● MARCH 1985 A.D.

المطابع الأهلية للأوفست





